THE BOOK WAS
DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY
OU_190349
UNIVERSAL
LIBRARY

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى



نهاية الأرب

فى

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

السفر الثالث

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م



السفر الثالث

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب

للنويرى

القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأمثال المشهورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم، والمشهور من أمثال العرب، وأوابد العرب وأخبار الكهنة، والزجر، والفأل، والطيرة، والفراسة والذكاء، والكنايات والتعريض، والأحاجى، والألغاز وفيه خمسة أبواب

الباب الأوّل : صحيفة

صحيفة

ومن أمثال العرب المرتبة على حروف المعجم :

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

القسم الثالث من الفن الثانى

في المدح، والهجو، والمجون، والفكاهات، والملح والخمر، والمعاقرة والندمان، والقيان، ووصف آلات الطرب

وفيه خمسة أبواب

الباب الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم الثانى من الفن الثانى

فى الأمثال المشهورة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعن جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، والمشهورِ من أمثال العرب، وأوابد العرب، وأخبار الكهنة ، والزجر، والفال ، والطيرة، والفراسة ، والذكاء ، والكنايات ، والتعريض، والأحاجى ، والألغاز .

وفيه خمسة أبواب :

الباب الأول

من هذا القسم

(فى الأمثال)

ضرب الله عز وجل الأمثال فى كتابه العزيز فى آى كثيرة ، فقال تعالى : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ وتكرر ذكر الأمثال .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ضرب الله مثلًا صراطا مستقيما، وعلى جَنْبَى الصراط أبواب مفتّحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى رأس الصراط داعٍ يقول ادخلوا الصراط ولا تعرّجوا" فالصراط : الإسلام، والستور : حدود الله تعالى، والأبواب : محارم الله، والداعى : القرآن .

قال المبرّد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر شبّه به حال الثانى بالأول، والأصـل فيه التشبيه . قال : وقولهم مثَـل بين يديه ، إذا انتصب ؛ معناه أشبه الصورة المنتصبة . وفلان أمثل من فلان، أى أشبه .

والمثال : القصاص، لتشبيه حال المقتصّ منه بحال الأول .

وقال ابن السِّكِّيت : المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له و يوافق معناه . ٥

وقال إبراهيم النظّام : يجتمع فى المثل أربع لا تجتمع فى غيره من الكلام : إيجاز اللفظ، و إصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية، فهو نهاية البلاغة .

وقال ابن المقفّع : إذا جُعل الكلام مثلا كان أوضحَ للنطق، وآنقَ للسمع، وأوسعَ لشعوب الحديث .

وأوّل ما نبدأ به من ذلك ما تُمُثِّل به من أقوال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٠

فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم وهو ممـا لم يُسبق إليه :

"إيّاكم وخَضْراءَ الدِّمَن" فقيل له : وما ذاك يارسول الله؟ فقال : "المرأةُ الحَسْناءُ فى مَنْبِتِ السُّوء" .

"كلُّ الصيدِ فى جَوْف الفَرَا" قاله لأبى سفيان يتألّفه على الإسلام .

"مات فلان حَتْفَ أنفه" . ١٥

"لا ينتطح فيه عنْزَان" .

"إن المُنْبَتَّ لا أرضًا قطَع ولا ظَهْرًا أبْقَى" . المنبتُّ : المنقطع عن أصحابه فى السفر، والظهر : الدابّة، قاله فى الغلوّ فى العبادة .

"الآنَ حَمِيَ الوَطِيس" : ضربه فى الحرب .

"يَا خَيْلَ ٱللهِ ٱرْكَبِي" [1] . ٢٠

(١) أى يا فرسان خيل الله اركبى ، وهذا من أحسن المجازات وألطفها .

"اشتدّى أَزْمَةُ تَنْفَرِجى" .

وقوله صلى الله عليه وسلم: "الناس كأسنان المُشْط وإنما يتفاضلون بالعافية" .

"الناس كمعادن الذهب والفضة، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا" .

٥ "النَّاسُ كإبِلٍ، مِائَةٍ لا تَجِدُ فيها راحِلَةً" .

"المؤمن هَيْن لَيْن[1]، كالجمل الأَنِف إن قِيد انقاد، وإن أُنيخ على صخرة استناخ" .

"المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدّ بعضه بعضا" .

"أصحابى كالنجوم، بأيّهم اقتديتم اهتديتم" .

"مثل أصحابى كالملح لا يصلح الطعام إلا به" .

١٠ "أُمّتى كالمطر، لا يُدْرَى أوّلُه خير أم آخره" .

"مثل أبى بكر كالقَطْر أين وقع نفع" .

"عُمّالكم كأعمالكم وكما تكونوا يولَّى عليكم" .

وقال لما كتب كتاب المهادنة بينه وبين سُهَيل بن عمرو: "والعقد بيننا كَشَرج العَيْبَة" يعنى إذا انحلّ بعضه انحلّ جميعه .

١٥ "المرأة كالضِّلَع العوجاء إن قوّمتها كسرتها، وإن داريتها استمتعت بها" .

"المتشبّع بما لم يُعْطَه كلابس ثَوْبَىْ زُور" .

"الدالّ على الخير كفاعله" .

"لو توكلتم على الله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بِطانًا" .

"وعد المؤمن كالأخذ باليد" .

٢٠ "مَثَل المؤمن كالنحلة، لا تأكل إلا طيِّبا ولا تُطعِم إلا طيِّبا" .

"مَثَل المؤمن كالسُّنْبُلَة تميل أحيانا، وتعتدل أحيانا" .

(١) قال ابن الأعرابى : العرب تمدح بالهين اللين مخففين وتذم بهما مثقلين ولم يذكر غيره هذا الفرق .

"مَثَل الجليس الصالح كالعطّار، إن لم تُصِبْ من عطره أصبت من ريحه، ومثل الجليس السوء كالكِير إن لم يحرق ثوبَك آذاك بدُخَانه" .

"علم لا ينفع كنز لا يُنفَق منه" .

وقال : "المؤمن مِرْآة أخيه" .

"قد جدَع الحَلَالُ أنْفَ الغَيْرَة" . ٥

"الأعمـال بالنيّات ولكل آمرئ ما نوى" .

"نيَّة المرء خير من عمله" .

"إن من الشِّعْر لحكمةً وإن من البيان لَسِحْرًا" .

"من كثّر سواد قوم فهو منهم" .

"الأعمـال بخواتمها" . ١٠

"ساقي القوم آخرهم شربا" .

"المرء على دِين خليله فلينظر آمرؤ مَنْ يُخَالّ" .

"المستشير معانٌ والمستشار مؤتمن" .

ومن كلام أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

إن الله قرن وعده بوعيده . ١٥

ليست مع العَزَاء مصيبة .

الموت أهون ممـا بعده وأشدّ ممـا قبله .

ثلاثٌ مَنْ كنّ فيه كنّ عليه : البغي، والنَّكْثُ، والمكر .

ذلّ قوم أسندوا أمرهم إلى آمرأة .

احرص على الموت تُوهَبْ لك الحياة؛ قاله لخالد بن الوليد حين بعثه الى أهل الرِّدة. ٢٠

كثيرُ القول يُنْسِي بعضُه بعضا، وإنمـا لك ما وُعِيَ عنك .

لا تكتم المستشارَ خبرا فتُؤتَى من قبَل نفسك .

خير الخَصْلتين لك أبغضهما اليك .

صنائِـع المعروف تقِى مَصارِعَ السوء .

ومن كلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

٥ مَنْ كتم سرَّه كان الخِيار فى يده .

أشقَى الوُلَاة من شَقِيتْ به رَعِيَّتُه .

اتقوا مَنْ تَبْغَضُه قلوبُكم .

أعقلُ الناسِ أعذَرُهم للناس .

اجعلوا الرأسَ رأسين .

١٠ أخيفوا الهوامّ قبل أن تخيفكم .

لو أن الشكرَ والصبرَ بَعيران لمـا باليت أيّهما رَكِبْتُ .

مَنْ لم يعرف الشرّ كان أجدَرَ أن يقع فيه .

ما الخمر صِرْفا بأذهب للعقول من الطمع .

الى الله أشكو ضعف الأمين وخيانة القوىّ .

١٥ اقتصاد فى سُنَّة خير من ٱجْتهاد فى بِدْعة .

لا يكن حبُّك كَلَفا، ولا بُغْضُك تَلَفا .

ومن كلام عثمان بن عفان رضى الله عنه

ما يَزَعُ اللهُ بالسلطان أكثرُ مما يَزَعُ بالقرآن .

الهدية من العامل اذا عُزِل مثلها منه اذا عَمِل .

٢٠ أنتم الى إمام فعَّال، أحوجُ منكم الى إمام قوّال؛ قاله يوم صعد المنبر فأُرْتِجَ عليه .

وقال يوم قُتل : لأنْ أُقْتَل قبل الدماء ، أحبُّ الىّ من أن أُقْتَل بعد الدماء .

ومن كلام علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه

من رضى عن نفسه كثر الساخط عليه ؛ ومن ضيّعه الأقربُ أُتيح له الأبعد؛ ومن بالغ فى الخصومة أَثِم، ومن قصّر فيها ظلم .

رأى الشيخ خير من مشهد الغلام .

الناس من خوف الذلّ فى الذلّ . ٥

إن من السكوت ماهو أبلغ من الجواب .

ومن كلام عبد الله بن عباس رضى الله عنهما

لكل داخل دهشة فآبدءوه بالتحية، ولكل طاعم حشمة فآبدءوه باليمين .

ومن أمثـال العرب ما نقلته من كتاب "الأمثال" للميدانىّ . [والميدانىّ[1] : هو أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميدانىّ النيسابورىّ — والميدانىّ : بفتح الميم ١٠ وسكون اليـاء المثناة من تحتها وفتح الدال المهملة نسبة الى ميدان زياد، وهى محلة بنيسابور؛ توفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة] ووضعته على حروف المعجم .

فمن ذلك ما جاء منها على حرف الهمزة :

حرف الهمزة

تقول العرب : «إنَّ المُوَصَّيْنَ بَنُو سَهْوَان»قال الميدانىّ : يُضرَب لمن يسهو ١٥ عن طلب شىء أمر به ، وبنو سهوان : بنو آدم عليه السلام حين عُهد اليـه فسها ونسى .

وقولهم : « إنَّ الرَّثيئَةَ تَفْثَأُ الغضب » قال : الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو، والفَثْءُ : التسكين؛ وزعموا أن رجلا نزل بقوم وكان ساخطا عليهم،

(١) هذه زيادة فى إحدى النسخ . ٢٠

وكان جائعا فسقود الرثيئة فسكن غضبه ، فقال هذا المثل . يضرب فى الهدية تورث الوفاق .

وقولهم : «إن الحديد بالحديد يُفْلَح» أى يستعان فى الأمر الشديد بما يشاكله و يقاو يه .

٥ وقولهم : «إن السلامة منها تَرْكُ مافيها» فى اللُّقَطَة وذم الدنيا[1] .

والنفس تَكْلَفُ بالدنيا وقد علمتْ * أن السلامةَ منها تركُ ما فيها

(٣) وقولهم : «إن العَصَا من العُصَيَّة» يقال : إن أول من قال ذلك الأفعَى الجرهمىّ ، ذلك أن نزارا لما حضرته الوفاة جمع بنيه : مضر، و إيادا ، وربيعة، وأنمارا، فقال : يابنىّ، هذه القبة الحمراء — وكانت من أدم — لمضر، وهذه الفرس

١٠ الأدهم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم — وكانت شمطاء — لإياد، وهذه البدرة والمجلس لأنمار، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون ، فأتوا الأفعَى الجرهمىّ ومنزله بنجران . فتشاجروا فى ميراثه ، فتوجهوا إليه ، فبينما هم فى سيرهم إذ رأى مضر أثر كلأ قد رعى، فقال : إن البعير الذى رعى هذا أعور، وقال ربيعة : إنه لأزور، وقال إياد : إنه لأبتر، وقال أنمار : إنه لشرود، فساروا قليلا، فاذاهم برجل يُوضِع[2]

١٥ جمله فسألهم عن البعير، فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم ، وقال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم ،وقال إياد : أهو أبتر؟ قال : نعم، وقال أنمار : أهو شرود؟ قال : نعم ، هذه والله صفة بعيرى فدلونى عليه ! فقالوا : والله ما رأيناه، فقال : هذا والله الكذب ! كيف أصدقكم وأنتم تصفونه بصفته ! فساروا حتى قدموا نجران ،

---

(١) فى الميدانى : وهذا فى بيت أوّله . والنفس الخ .

٢٠ (٢) فى الميدانىّ : ينشد جمله .

فلمــا نزلوا، نادى صاحب البعير، هؤلاء أصحاب جملى وصفوا لى صفته ثم قالوا :
لم نره؛ فاختصموا إلى الأفعى، فقال لهم : كيف وصفتموه وأنتم لم تروه؟ فقال مضر:
رأيتــه قد رعى جانبا وترك جانبا، فعلمت أنه أعور؛ وقال ربيعة : رأيت إحدى
يديه ثابتة والثانية فاسدة، فعلمت أنه أزور لأنه أفسدها بشدّة وطئه؛ وقال إياد :
عرَفت أنه أبتر باجتماع بعره ولو كانــ ذيّالا لمصع به؛ وقال أنمار : عرفت أنه ٥
شرود، لأنه يرعى فى المكان الملتفّ نبته ثم يجوزه إلى مكان أرقّ منه؛ فقال الأفعى:
ليسوا بأصحاب جملك فاطلبه، ثم سألهم : من أنتم ؟ فأخبروه بخبرهم، وبما جاءوا له،
فأكرمهــم، وقال : أتحتاجون إلىّ وأنتم كما أرى ؟ ثم أنزلهم وذبح لهم شاة، وأتاهم
بخمر؛ وجلس لهم الأفعى بحيث لا يرى؛ فقال ربيعة : لم أر كاليوم أطيب لحما لولا
أن شاته غذيت بلبن كلبة ؛ وقال مضر : لم أر كاليــوم أطيب خمرا لولا أن حبلتها[(١)] ١٠
نبتت على قبر؛ فقــال إياد : لم أر كاليــوم رجلا أسرَى لولا أنه ليس لأبيه الذى
يدعى له ؛ فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاما أنفع فى حاجتنا من كلامنا ، وكان كلامهم
بإذنه، فدعا قهرمانه ، فقال : ما هــذه الخمر، وما أمرها ؟ قال : هى من حُبْــلة
غرستها على قبر أبيك؛ وقال للراعى : ما هــذه الشاة؟ فقال : هى عَناق أرضعتها
بلبن كلبــة وكانت أمها ماتت ؛ ثم أتى أمه، فقال : اصــدقينى، مَنْ أبى ؟ فأخبرته ١٥
أنها كانت تحت ملك كثير المــال وكان لا يولد له ، فخفتُ أن يموت وليس له ولد،
فأمكنت من نفسى ابنَ عمّ له كان نازلا عليه فولدتك؛ فرجع إليهم وقال : ما أشبه
القبــة الحمراء من مال نزار فهو لمضر، فذهب بالإبل الحمر والدنانير ، فسمّيت مضر
الحمراء . وأما صاحب الفرس الأدهم والخبــاء الأسود فله كل شىء أسود، فصار
لربيعة الخيــل الدُّهْم وما شاكلها، فقيــل : ربيعة الفرس . وأما الخادم الشمطاء ٢٠

(١) الحبلة (بالضم ويحرّك) : الكرمة التى يكون منها الخمر .

فلصاحبها الخيل البُلْق والماشية، فسميت : إياد الشمطاء، وقضى لأنمار بالدراهم والأرض فصدروا من عنده على ذلك، فقال الأفعى : إن العصا من العصيّة، وإنّ خُشَيناً من أخشن؛ فأرسلهما مثلا .

وقولهم : «إن العَوانَ لا تُعَلَّم الخِمْرة» : يضرب للرجل المجرّب .

٥ وقولهم : «إنى لآكل الرأس وأنا أعلم بما فيه» : يضرب للأمر تأتيه وأنت تعلم ما فيه مما تكره .

وقولهم : «أنفٌ فى السماء، وآستٌ فى الماء» : يضرب للمتكبر الصغير الشأن.

وقولهم : «إن الذليل الذى ليست له عَضُد» : أى أنصار وأعوان : يضرب لمن يخذله ناصره .

١٠ وقولهم : «إن يَدْمَ أَظَلُّكَ فقد نَقِبَ خُفِّى» الأظل : ما تحت مَنْسِم البعير : والخفّ : قائمته : يضربه المشكوّ إليه للشاكى أى أنا منه فى مثل ما تشكوه .

وقولهم : «إن تسلم الجِلَّةُ فالنِّيبُ هَدَر» الجِلَّةُ : جمع جليل يعنى العظام من الإبل ، والنيب : جمع ناب وهى الناقة المسنّة؛ معناه إذا سلم ما ينتفع به هان ما لا ينتفع به .

١٥ وقولهم : «إنْ يَبْغِ عليك قومُك لا يبغ عليك القمر» يقال : إن بنى ثعلبة آبن سعد فى الجاهلية تراهنوا على الشمس والقمر ليلة أربع عشرة، فقالت طائفة : تطلع الشمس والقمر يُرى، وقالت طائفة : بل يغيب قبل طلوعها، فتراضوا برجل جعلوه بينهم، فقال رجل منهم : إن قومى يبغون علىّ، فقال العدل : إن يبغ عليك قومك لا يبغ عليك القمر؛ فذهبت مثلا : يضرب للأمر المشهور .

وقولهم : «إنْ كنتَ رِيحًا فقد لَاقيْتَ إعْصَارا» الإعصار : ريح شديدة تهبّ فيما بين السماء والأرض : يضرب للدل بنفسه إذا صُلِيَ بمن هو أدهى منه وأشدّ.

وقولهم : «إنَّكَ خيرٌ من تَفَارِيقِ العَصَا» قالوا : قالتــه غُنَيّة الأعرابية لابنها، وكان عارما مع ضعفه، فواثب يوما فتى[1] فقطع أذنه فأخذت ديتها، فزادت حُسْنَ حالٍ ثم واثب آخر فقطع شفته فأخذت الدية فذكرته فى أرجوزتها فقالت : ٥

أحْلِفُ بالمَــرْوَةِ حقًّا والصَّفَـا * إنك أجدى[2] من تَفَاريق العَصَا

فقيــل لأعرابىّ : ما تفاريق العصا ؟ فقــال : العصا تقطع ساجورا والسواجير للكلاب والأسرى من الناس ثم تقطع عصا الساجور فتصــير أوتادا و يقطع الوتد فيصير كل قطعة شِظَاظا و إن جعل لرأس الشظاظ كالفَلْكة صار للبُخْتِىّ مِهَارا وهو العود الذى يدخل فى أنفه، واذا فرق المهار جاءت منه تَوَادٍ وهى الخشبة التى تشدّ ١٠ على خِلْف الناقة .

وقولهم : « إنَّهُ لَيَعْلَم من أينَ تُؤْكَلُ الكَتِف » : يضرب للرجل الداهى؛ قال بعضهم : لِمَ تُؤْكَلُ الكتف من أسفلها ؟ قال : لأنها تنقشر عن عظمها وتبقى المرقة مكانها ثابتة .

وقولهم : « إنَّكَ لا تَجْنِي من الشَّوْكِ العِنَب » أى لا تجد عند ذى المَنْبِت ١٥ السوء جميلا ؛ والمثل من قول أكثم قال : إذا ظلمت فاحذر الانتصار، فإن الظلم لا يكسبك إلا مثل فعلك .

وقولهم : « أخُو الظَّلْمَاء أعْشَى بالليل» : يضرب لمن يخطئ حجته ولا يبصر المخرج مما وقع فيه .

(١) فى الميدانى : "فقطع الفتى أنفه فأخذت عبية دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ثم واثب آخر فقطع أذنه الخ" . (٢) فى الميدانىّ : "خير" . ٢٠

وقولهم : « إِنَّكَ لَتُكْثِرُ الحَزَّ وتُخْطِئُ الْمَفْصِل » : يضرب لمن يجتهد في السعى ثم لا يظفر بالمراد .

وقولهم : « أوّل الشجرة النّواة » : يضرب للأمر الصغير يتولد منه الكبير.

وقولهم : « إذا صاحت الدّجاجة صِياح الدِّيك فلْتُذْبَح » قاله الفرزدق في امرأة قالت الشعر .

وقولهم : «إذا رآنى رأى السِّكين في الماء» : يضرب لمن يخافك جدّا.

وقولهم : « إنك ريّان فلا تعجل بشربك » : يضرب لمن أشرف على إدراك بغيته فيؤمر بالرفق .

وقولهم : « أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَر » هي إحدى كتائب النعمان أشدّها بطشا ونكاية ؛ قال بعض الشعراء

ضَرَبَتْ دَوْسَرُ فيهم ضَرْبة[(1)] * أثبتتْ أوتاد مُلْكٍ فٱستقرّ

وقولهم : « أَبَرَمًا قَرُونًا » البَرَمْ : الذى لا يدخل معُ القوم في الميسر لبخله ، والقَرُون : الذى يقرن بين الشيئين؛ وأصله أن رجلا كان لا يدخل في الميسر ولا يرى اللحم لجاء الى امرأته و بين يديها لحم تأكله فأقبل يأكل معها بضعتين يقرن بينهما فقالت له : أَبَرَمًا قَرُونًا : يضرب لمن يجمع بين خَصْلَتين مكروهتين .

وقولهم : «الثَّيِّبُ عُجَالة الراكب» : يضرب في الحث على الرضا بيسير الحاجة عند إعواز جليلها .

---

(1) في اللسان : وهذا الشعر أورده الجوهرى * ضربت دوسر فيهم *
وصوابه : « دوسر فيه » لانه عائد على يوم الحنو .

وقولهـــم :

« الْبَسْ لِـكُلِّ حَالَةٍ لَبُوسَهَا * إمَّا نَعِيمَهَا و إمَّا بُوسَهَـا »

أوّل من قال ذلك بَيْهس : وهو رجل من بنى غراب بن فَزارة ، وكان سابع سبعة إخوة ، فأغار عليهم أناس من بنى أشجع ، وهم فى إبلهم فقتلوا منهم ستة وتركوا بيهسا لحمقه فقال : دعونى أتوصل معكم الى أهلى فأقبل معهم ، فلما كان من الغد نحروا جزورا فى يوم شديد الحرّ ، فقال بعضهم : أظلّوا لحمكم لا تفسدَه الضِّحُّ ، فقال بيهس : لكن بالأَثْلَاث[1] لحم لا يظلَّل ، فأرسلها مثلا ؛ ثم فارقهم وأتى أمه فأخبرها الخبر فقالت : ما جاء بك من بين إخوتك وأنت أخبثهـم ، فقال : ما خَيَّرك القومُ فتختارى ، فأرسلها مثلا ؛ ثم أعطته ثياب إخوته ومتاعهم ، فقال : ياحبذا التراث لولا الذِّلة ، فأرسلها مثلا ؛ وأخذ يوما يَبْرُد[2] سكينا ، فقيل له : ما تصنع بها؟ فقال : أقتل بها قتلة إخوتى ، فقيل له : إنك لأحمق ، فقال : ما يؤمنك من أحمق فى يده سكين ، فأرسلها مثلا ؛ ثم إنه مرّ بنسوة من قومه يصلحن آمرأة يردن أن يهدينها لبعض قتلة إخويه فكشف ثو به عن آسته وغطى به رأسه ، فقيل له : ما تصنع؟ فقال :

الْبَسْ لكل حالة لبوسَها * إما نعيمَها و إما بُوسَها

وقولهم « الصيفَ ضَيَّعْتِ اللبن » قال الأصمعىّ : معنـاه تركت الشىء فى وقته ؛ وقال غيره : تركت الشىء وهو ممكن ، وقال أبو عبيدة : أوّل من قاله عمرو بن عُدَس[3] ، وكان قد تزوّج دَخْتَنُوس بعد ما كبر ، فكان ذات يوم نائما فى حجرها فخَخَف

---

(١) قال ياقوت فى معجمه : أثلاث بالثاء هو الموضع المذكور فى المثــل فى بعض الروايات ؛ لكن بالأثلاث الخ . ثم قال : وأكثر الرواة يقولون : الأثلاث – بالتاء – جمع أثلة وهو صنف من الطرفاء كبير يظلل فيئه مائة نفس .

(٢) فى الأصل : « يبرم » وهو تحريف .

(٣) الخخيف : صوت من الجوف أشدّ من الغطيط .

وسال لعابه فتأفّفته فانتبه وهى تتأفف منه، فقال: أتحبين أن أطلّقك ؟ قالت: نعم، فطلقها، وتزوّجها فتى ضرير حسن الوجه، ففجأتهم ذات يوم غارةٌ والفتى نائم فجاءت دَخْتَنوس فأنبهته وقالت له: الخيل، فجعل يقول: الخيل الخيل! من الخوف حتى مات فَرَقا وسُبِيتْ دختنوس فبلغ عمرا الخبر فركب ولحقهم وقاتل حتى آستنقذ جميع ما أخذوا وآستنقذها فوضعها قدّامه على السرج وردّها الى أهلها، ثم أصابتهم سنة فبعثت إليه تقول: نحتاج اللبن فبعث إليها بلقحة وقال: الصيف ضيعت اللبن .

وقولهم: « اضْطَرَّهُ السَّيْلُ الى مَعْطَشِه » وهو أن رجلا عطش وكان قد أتى واديا له غور وماء شديد الجرية، فبقى فى أصل شجرة لا يقدر أن ينزل فيأخذ به الماء، ولم يجد ماء فمات عطشا: يضرب لمن ألقاه الخير الذى كان فيه الى شرّ .

وقولهم:

« إنّ الحَمَاةَ أُولِعَتْ بالكَنَّهْ * وأُولِعَتْ كَنَّتُها بالظِّنَّهْ »

الحماة: أمّ الزوج، والكَنّة: آمرأة الآبن والأخ، والظِّنّة: التهمة، وبين الحماة والكنة عداوةٌ مُستحكِمَةٌ: يُضرب بها المثل فى الشرّ يقع بين قوم هم أهل لذلك .

وقولهم: « إن لله جنودا منها العَسَل » قاله معاوية: لما بلغه أن الأشتر سُقِىَ عسلا فيه سمّ فمات: يضرب عند الشماتة بمصاب العدوّ .

وقولهم: «إن الهوى لَيَميلُ بآسْتِ الراكب» أى من هوى شيئا مال نحوه قبيحا أو جميلا، كما قيل

وما زُرْتكم عَمْدًا ولكنّ ذا الهوى * إلى حيث يَهْوَى القلب تهوِى به الرِّجْلُ

وقولهم : "إن الجَوَادَ قَدْ يَعْثُرُ" : يضرب لمن يكون الغالب عليه فعل الجميل ثم تكون منه الزلّة .

وقولهم : «إن الشفيق بسوء ظنّ مُولَع» : يضرب للعنىّ بشأن صاحبه لأنه لا يكاد يظن به غير وقوع الحوادث كظنون الوالدات بالأولاد .

وقولهم : «إن خَصْلتين خيرُهما الكذب لَخَصْلَتَا سُوء» : يضرب للرجل ٥ يعتذر من شىء فعله بالكذب .

وقولهم : «أحاديثُ طَسْمٍ وأحلَامُها» : يضرب لمن يخبرك بما لا أصل له .

وقولهم : «أَحَشَفًا وسُوءَ كِيلَةٍ» : يضرب لمن يجمع بين خَصْلتين مكروهتين .

وقولهم : «الحق أَبْلَج، والباطلُ لَجْلَج» : معناه أن الحق واضح بيّن، والباطل يتلجلج فيه أى يتردّد فلا يجد صاحبه مخرجا . ١٠

وقولهم : «الحزمُ سُوءُ الظَّنّ بالناس» : هذا المثل قاله أكثم بن صيفىّ .

وقولهم : «اختلط الخاثِرُ بالزُّبّادِ» . الخاثر : ما خثر من اللبن، والزُّبّاد : الزّبد : يضرب للقوم يقعون فى التخليط من أمرهم .

وقولهم : «أخطأتِ آسْتَه الحُفْرة» : يضرب لمن رام شيئا فلم ينله .

وقولهم : «ادع الى طِعَانِكَ مَن تدعوه الى جِفَانِك» أى آستعمل ١٥ فى حوائجك من تخصّه بمعروفك .

وقولهم : «أَرَوَغَانًا يا ثُعال، وقد علِقتَ بالحبال» ثعالة : الثعلب يضرب لمن يراوغ وقد وجب عليه الحق .

وقولهم : «إِرْمِ فَقَدْ أَفْقَتَهُ مَرِيشًا» يقال : أفقت السهم إذا وضعت فُوقَه في الوتر : يضرب لمن تمكّن من طَلِبَته .

وقولهم : «أَضَرِطا وأنت الأعلى ؟» قاله سُليك بن سُلَكة السعدي، وذلك أنه بينا هو نائم إذ جثم عليه رجل من الليل وقال : استأسِرْ، فقال له سليك : الليل طويل وأنت مقمر، فأرسلها مثلا : ثم ضمه سليك بيديه ضمّة أضرطته، فقال له : أَضَرِطًا وأنت الأعلى فأرسلها مثلا : يضرب لمن يشكو في غير موضع الشكوى .

وقولهم : «أَضْلَلْتَ من عَشْرٍ ثَمَانِياً» : يضرب لمن يفسد أكثر ما يليه من الأمر .

وقولهم : «أَعْطِ أخاك تمرة، فإن أَبَى بجمرة» : يضرب لمن يختار الهوان على الكرامة .

وقولهم : «اكْذِبِ النَّفْسَ إذا حَدَّثْتَهَا» معناه لا تحدّث نفسك بأنك لا تظفر، فإن ذلك يثبّطك . قال لبيد :

اكْذِبِ النفس إذا حــدّثتَها * إنّ صدق النفس يُزْرِى بالأَمَلْ

وقولهم : «أَكِبْراً وإِمْعَاراً ؟» أى أتجمع بين الكبر والفقر .

وقولهم : «أَمَكْرًا وأنت في الحَدِيد» هذا المثل قاله عبدالملك بن مروان لعمرو ابن سعيد لما قبض عليه وكبّله، فقال : يا أمير المؤمنين، إن رأيت ألا تفضَحني بأن تخرجني للناس فتقتلني بحضرتهم فافعل ، وإنما أراد عمرو بهذه المقالة أن يخالفه عبد الملك فيخرجه فيمنعه منه أصحابه، فقال : أبا أمية ! أمكرا وأنت في الحديد : يضرب لمن أراد أن يمكر وهو مقهور .

وقولهم : « أَهْوَنُ هَالِكٍ عَجُوزٌ فى هام سَنَةٍ » : يُضرب للشىء يُستخفّ به وبهلاكه .

قال الشاعر :

وأهون مفقود إذا الموتُ نابه * على المرء من أصحابه مَن تَقَنَّعا

وقولهم : « أوسعتُهم سَبًّا وأودَوْا بالإبل » أصله أن رجلا من العرب أُغِير على إبله فأخذت ، فلما تواروا صعد أَكَمَةً وجعل يَسُبّهم ثم رجع إلى قومه فسألوه عن إبله ، فقال هذا المثل . ٥

ويقال : إن أوّل من قاله كعب بن زهير بن أبى سُلْمَى ، وذلك أن الحارث بن ورقاء الصيداوىّ أغار على بنى عبد الله بن عطفان وآستاق إبل زهير وراعيَه ، فقال زهير فى ذلك قصيدته التى أوّلها : ١٠

بان الخليطُ ولم يأووا لمن تركوا * وزوّدوك آشتياقا أيّةً سلكوا

وبعث بها إلى الحارث فلم يردّ الإبل ، فهجاه ، فقال كعب آبنه : أوسعتهم سبّا وأودوا بالإبل ، فذهبت مثلا : يضرب لمن لم يكن عنده إلا الكلام .

وقولهم : «أَوْرَدَهاسَعْدٌوسَعْدٌمُشْتَمِل» هو سعد بن زيد مناة أخو مالك الذى يقال فيه : إنّك آبلُ من مالك ، وذلك أن مالكا تزوّج بامرأة وبنى بها فأورد الإبل أخوه سعد ولم يحسن القيام عليها والرفق بها ، فقال مالك : ١٥

أَوْرَدَها سَعْدٌ وسَعْدٌ مشتمِل * ما هكذا تورَد يا سَعْدُ الإبل

فضرب مثلا لمن قصّر فى طلب الأمر .

وقولهم : « إِنَّ الشَّقِيَّ وَافِدُ البَرَاجِم » قاله عمرو بن هند الملك . وذلك أن سُوَيْد بن ربيعة التميمىّ قتل أخاه سعد بن هند وهرب فنذر عمرو ليقتلن بأخيه مائة ٢٠

من بنى تميم، فسار إليهم بجمعه فلقيهم الخبر فتفرّقوا فى نواحى بلادهم فلم يجد إلا عجوزا كبيرة وهى حمراء بنت ضَمْرة، فلما نظر اليها قال : إنى لأحسبك أعجمية، قالت : لا والذى أسأله أن يخفِض جَناحك، ويهدّ عِمادك، ويضع وسادك، ويسلبك بلادك، ما أنا بأعجمية، قال : فمن أنتِ؟ قالت : أنا بنت ضمرة بن جابر، ساد مَعدّا كابرا عن كابر، وأنا أخت ضمرة بن ضمرة، قال : فمن زوجك؟ قالت : هَوْذَة آبن جَرْوَل، قال : وأين هو الآن؟ أما تعرفين مكانه؟ قالت : لو كنت أعلم مكانه حال بينى و بينك، فقال عمرو : أما والله لولا أنى أخاف أن تلدى مثل أبيك وأخيك وزوجك لأستبقيتك، فقالت : والله ما أدركتَ ثارا، ولا محوتَ عارا، مع كلام كثير كلّمته به فأمر بإحراقها، فلما نظرت إلى النار، قالت : ألا فَتًى مَكَانَ عَجوز! فذهبت مثلا، ثم مكثت ساعة فلم يفدِها أحد، فقالت : هيهات صارتِ الفتيان حُمَمًا، فذهبت مثلا، ثم أُلقيت فى النار ولبث عمرو عامّة يومه لا يقدر على أحد، حتّى إذا كان آخر النهار أقبل راكب يسمى عَمّارا تُوضع به راحلته حتى أناخ اليه، فقال له عمرو : من أنت؟ قال : أنا رجل من البراجم، قال : فما جاء بك إلينا؟ قال : سطع الدُّخان وكنت طَوِيت منذ أيام وظننته طعاما، فقال عمرو : إن الشقىّ وافدُ البراجم، فذهبت مثلا، وأمر به فأُلْقِى فى النار، قيل : إنه أحرق مائة من بنى تميم : تسعة وتسعين من بنى دارم، وواحدا من البراجم .

وقال بعضهم : ما بلغنا أنه أصاب من بنى تميم غير وافد البراجم وإنما أحرق النساء والصبيان؛ قال جرير :

وأخزاكُمُ عمرو كما قد خَزِيتُمُ * وأدرك عَمّارا شقِىّ البَرَاجِمِ

ولذلك عُيِّرت بنو تميم بحب الطعام؛ قال الشاعر :

إذا ما مات مَيْت من تميم * وسرّك أن يعيش فجئْ بزِدِا

بخُـــبْز أو بلحم أو بتمـــر * أو الشّيء الملفّف فى البِجادِ
تراه يُنَقِّب الآفاق حـولا * ليأكلَ رأسَ لقمانَ بن عادِ

وهذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه فى هَلَكَة طمعا .

حرف البـاء

تقول العرب : «بلغ السيلُ الزُّبَى» هى جمع زُبيــة وهى حفرة تُحفر للأسد ٥
إذا أرادوا صيده لايعلوها المـاء فإذا بلغها السيل كان مجحِفا : يضرب لمن جاوز الحـدّ .

وقولهم : «بَيْنَ العَصَا ولِحائها» اللحاء : القشر : يضرب للتخالّين المتفقين ؛ ويروى : لا مدخل بين العصا ولحائها .

وقولهم : « بينهم داء الضرائر » هى جمع ضَرَّة : يضرب للعداوة إذا رسخت ١٠
بين قوم .

وقولهم : « بينهم عِطْر مَنْشِم » قال الأصمعىّ : مَنْشِم كانت عطّـارة بمكة وكانت خُزاعة وجُرْهُم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طِيبها فاذا فعلوا ذلك كثرت بينهــم القتلى فكان يقال : أشأم من عطر منشم : يضرب فى الشرّ العظيم ، وفيــه يقول زهـــير : ١٥

تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وذُبْيَان بعد ما * تَفَانَوْا ودَقُّوا بينهم عِطْر مَنْشِمِ

وقولهم : «به داءُ ظَبْي» أى أنه لا داء به كما أن الظبي لا داء به ، وقيــل : ربمـا يكون بالظبي داء لا يعرف مكانه ، معناه أنّ به داءً لا يُعرف .

وقولهم : «بلغتِ الدِّمَاءُ الثُّنَنَ» الثُّنَةُ : الشعَرات التى فى مؤخّر رُسغ الدابّة : يضرب عند بلوغ الشرّ النهاية . ٢٠

وقولهم : «بَرِحَ الخَفَاء» أى زال من قولهم ما برح ، والمعنى زال السرّ فوضح الأمر ، ويقال : الخفاء : المتطأطئ من الأرض ، والبراح : المرتفع أى صار الخفاء براحا .

وقولهم : «بَنَأن كفٍّ لَيْسَ فيها ساعِد» : يضرب لمن له همة ولا مقدرة له على ما فى نفسه . ٥

وقولهم : «باتَ فلانٌ يَشْوِى القَرَاح» يعنى الماء الخالص لا يخالطه شىء : يضرب لمن ساءت حاله ، وفقد ماله بحيث يشوى الماء شهوةً للطبيخ

وقولهم : «بَخٍ بَخٍ ساقٌ بخَلْخَالٍ» هى كلمة يقولها المتعجب من حسن الشىء وكماله . وأوّل من قال ذلك الوِرْثَةُ بنت ثعلبة ، وذلك أنّ ذُهل بن شيبان كان زوج الورثة وكانت لا تترك له آمرأة إلا ضربتها فتزوج رَقَاش بنت عمرو بن عثمان من ١٠ بنى ثعلبة ، فخرجت رقاش يوما وعليها خَلْخَالان ، فقالت الوِرْثَةُ ذلك فذهبت مثلا .

حرف التاء

قولهم : «تَرَكَ الظَّبْىُ ظِلَّه» أى كِناسه الذى يستظلّ به : يضرب لمن نفر من شىء فتركه تركا لا يعود له .

وقولهم : «تركتُه على مثلِ ليلة الصَّدَرِ» وهى ليلة ينفر الناس من منًى فلا ١٥ يبقى منهم أحد .

وقولهم : «تركتُه على أنقى من الرَّاحَة» أى على حال لا خير فيه كما لا شعر على الراحة : يضرب فى آصطلام الدهر .

وقولهم : «تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تأكُلُ بثَدْيَيْهَا» أى لا تكون ظِئْرًا وإن آذاها

الجوع . أوّل من قاله الحارث بن سليل الأسدىّ وكان حليفا لعلقمة بن حصفة الطائىّ فزاره فنظر الى ٱبنته الزَّبَّاء وكانت من أجمل أهل دهرها ، فقال : أتيتك خاطبا وقد يُنْكَح الخاطب ، ويُدْرَك الطالب ، ويُمْنَح الراغب ، فقال له علقمــة : أنت كفء كريم يُقْبَــل منك الصفو ، ويؤخَذ منك العفو ، فأقم ننظــر فى أمرك ، ثم ٱنكفأ الى أمها ، فقال : إن الحارث سـيّد قومه حسبا ومنصِبا وبيتا ، وقد خطب الينا الزّباء فلا ينصرفَنّ إلا بحاجته ، فقالت المرأة لٱبنتها : أى الرجال أحب إليك الكَهْل الجَحْجَاح ، الواصل المنّاح ، أم الفتى الوضاح ؟ قالت : بل الفتى الوضّاح ، فقالت : إن الفتى يُغيرِك ، وإن الشـيخ يُميرِك ، وليس الكهل الفاضــل ، الكثير النائل ، كالحديث السنّ ، الكثير المَنّ ، قالت يا أماه : إن الفتاة تحب الفتى ، كحُبّ الرِّعاء أنيق الكلا ، قالت : أى بنية ! إن الفتى شـديد الحجاب ، كثير العتاب ، قالت : إن الشيخ يُبْلِى شبابى ، ويدنّس ثيابى ، ويُشْمِت بى أترابى . فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها ، فتزوّجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم ، فابتنى بها ، ثم رحل بها الى قومه فبينا هو ذات يوم جالس بفناء قومه وهى الى جانبه ، إذ أقبل شباب من بنى أسد يعتلجون فتنفست الصُّعَدَاءَ ، ثم أرخت عينيها بالبكاء ، فقال : ما يبكيك؟ قالت : مالى وللشيوخ ، الناهضين كالفروخ ، فقال لها : ثَكِلَتْكِ أمك ! تجوع الحرّة ولا تأكل بثدييها ، ثم قال لهــا : وأبيك ، لرب غارة شهدتُها ، وسبِيّة أردفتُها ، وخمرة شربتُها ، فٱلحقى بأهلك فلا حاجة لى فيك ، وهذا المثل : يضرب فى صيانة الرجل نفسه عن خسيس المكاسب .

وقولهم : «تَجَشّأ لُقْمانُ من غير شِبَعٍ» : يضرب لمن يدّعى ماليس يملك .

وقولهم : «تُخْبِر عن مجهوله مَرْآته» أى منظره يخبر عن مَخْبره .

وقولهم : «تشكو إلى غير مُصَمِّتٍ» أى الى من لا يهتم بشانك . قال الشاعر

إنك لا تشكو الى مُصَمِّتِ * فاصْبِر على الحمل الثقيل أومُتِ

وقولهم : «تجاوز الرَّوضَ الى القاع القَرِق» : يضرب لمن يعدل بحاجته عن الكريم الى اللئيم، والقَرِق : المستوى .

٥ وقولهم : «تسمع بالمُعَيْدِىّ خيرٌ من أن تَراه» ويروى : لا أن تراه : يضرب لمن خبره خيرٌ من مرآه، أوّل من قاله : المنذر بن ماء السماء .

وقولهم : «تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ» : يضرب فى ذمّ الطمع .

وقولهم : «تَقَلّدها طَوْقَ الحمامة» كناية عن الخَصْلة القبيحة التى لا تزايله ولا تفارقه .

١٠ حرف الثاء

قولهم : «ثارَ حابِلُهم على نابلهم» الحابل : صاحب الحبالة، والنابل : صاحب النبل أى آختلط أمرهم : يُضرَب فى فساد ذات البَيْن وتأريث الشرّ فى القوم .

وقولهم : «ثَوْر كِلَابٍ فى الرِّهان أقْعَدُ» هو كِلاب بن ربيعة بن عامر ١٥ آبن صَعْصَعَة القيسىّ كان يحمق، وذلك أنه آرتبط عجل ثور ليسابق عليه، والأقعد من القَعِيد وهو المتخلف المتباطئ : يضرَب لمن يروم ما لا يكون .

حرف الجيم

قولهم : «جَرْى المُذَكّيَات غِلَاب» المُذَكّيَة من الخيل التى أتى عليها بعد قُروحها سَنةٌ أو سنتان والغلاب المغالبة : يضرب لمن يُوصف بالتبريز على أقرانه

فى حلبـة الفضل ؛ وأوّل من قاله نذكره إن شاء الله تعـالى فى حرب داحس والغـبراء .

وقولهم : «جَزَاء سِنِمَّار» وهو الذى بنى الخَوَرْنق وتقدّم خبره فى مبانى العرب .

وقولهم : «جَرَحَه حيث لا يَضَعُ الراقى أنْفَه» قالته جندلة بنت الحارث، وكانت تحت حنظلة بن مالك وهى عذراء، وكان حنظلة شيخا كبيرا فخرجت فى ليلة مطيرة فبصر بها رجل فوثب عليها وٱفتضها، فصاحت وقالت : لُسِعْت . قيل أين ؟ قالت : حيث لا يضع الراقى أنفه : يضرب لمن يقع فى أمر لا حيلة له فى الخروج منه .

وقولهم : «جَعْجَعَةً ولا أرَى طِحْناً» : يضرب لمن يعد ولا يفى .

وقولهم : «جَرَى منه مَجْرَى اللَّدُود» وهو ما يُصبّ فى أحد شِقّ الفم من الدواء : يضرب لمن يُبْغَض ويُكْرَه .

وقولهم : «جَمَاعةٌ على أقْذَاء» معناه ٱجتماعُ بالأبدان، وٱفتراق بالقـلوب ، وهو بمعنى قوله صلى الله عليه وسلم : "هُدْنَةٌ على دَخَن" : يُضْرب لمن يضمِر أذى ويُظْهِر صفاء .

وقولهم : «جَارٌ كجارِ أبى دُوَاد» يعنون كعب بن مامة فإنه كان إذا جاوره رجل فإن مات وداه، وإن هلك له بعير أو شاة أخلف عليـه، فضربت به العرب المثل فى حسن الجوار، قال طرفة :

إنّى كفانىَ من أمرٍ هممتُ به * جارٌ كجارِ الحُذَاقِىّ الذى ٱتّصَفَا

والحذاقىّ هو أبو دواد .

وقولهم : «جَدَعَ الحَلالُ أنْفَ الغَيْرَة» قاله رسول الله صلى الله عليـه وسلم ليلة زُفّت فاطمة الى علىّ رضى الله عنهما .

وقولهم : «جوِّع كلبَك يتبعْك» أوّل من قال ذلك ملِك من ملوك حِمْير (٨)
كان جائرا على أهل مملكته يسلبهم ما فى أيديهم وإن آمرأته سمعت صوت السؤّال
فقالت : إنى لأرحم هؤلاء وإنى لأخاف أن يكونوا عليك سباعا، بعدما كانوا لك أتباعا،
فقال: جوّع كلبك يتبعك، ثم إنه غزا بهم ولم يقسم عليهم شيئا فقالوا لأخ له : قد ترى
٥ ما نحن فيه من الجهد ونحن نكره خروج الملك عنكم إلى غيركم فساعدنا على قتل أخيك
وآجلس مكانه، فوافقهم على ذلك، ثم وثبوا على الملك فقتلوه، فمرّ به عامر بن جَذِيمة
وهو مقتول، فقال : ربما أكل الكلب مؤدّبه اذا لم ينل شبعه، فأرسلها مثلا،
والمثل يضرب فى اللئام وما ينبغى أن يعاملوا به .

وقولهم : «جاءتْهم عَوانًا غيرَ بِكْر» أى مستحكمة غير ضعيفة يريدون حَرْبا
١٠ أو داهية عظيمة .

وقولهم : «جاء بصحيفة المتلمّس» إذا جاء بالداهية؛ وكان من خبر
صحيفة المتلمس أن المتلمس وطرفة قدما على عمرو بن المنذر بن آمرئ القيس فجعلهما
فى صحابة قابوس بن المنذر أخيه وأمرهما بلزومه، وكان قابوس شابا يعجبه اللهو،
فطال بقاؤهما عنده، فهجا طرفة عمرا بأبيات فبلغته، فاستدعاهما فحباهما بحباء وكتب
١٥ معهما إلى أبى كَرِب عامله على هَجَر أن يقتلهما، وقال : قد كتبت لكما بحباء
ومعروف، فلما صدرا من عنده، قال المتلمس لطرفة : هل لك فى كتابينا، فإن كان
فيهما خير مضينا له، وإن كان شرّا آتقيناه؟ فأبى طرفة وقرأ المتلمس كتابه فإذا فيه
السوءة فألقاه فى الماء وقال لطرفة : ألق كتابك فأبى ومضى بكتابه، قال : ومضى
المتلمس حتى لحق بملوك بنى جَفْنة بالشام وسار طرفة بكتابه، فلما آنتهى إلى
٢٠ العامل قتله .

وقولهم : «جَنْدَلَتَانِ ٱصْطَكَّتَا» : يضرب لِقِرْنَيْن يتصاولان .

وقولهم : «جَزَيْتُه حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْل» : للمكافأة .

وقولهم : «جاءوا على بَكْرَةِ أبيهم» أى جاءوا جميعا لم يتخلّف منهم أحد . وقيل : بل البَكرة تأنيث البَكر، يصفهم بالقلة أى بحيث تحملهم بكرة أبيهم . وقيل بل البكرة التى يُستقى عليها، معناه جاءوا بعضهم يتلو بعضا كدوران البَكرة على نسق واحد؛ ٥ وقيل : المراد بالبكرة الطريقة كأنهم جاءوا على طريقة أبيهم، وقال آبن الأعرابى : البكرة : جماعة من الناس أى بأجمعهم .

وقولهم : «جَاوَزَ الحِزَامُ الطُّبْيَيْنِ» : يضرب فى تجاوز الحدّ .

حرف الحاء

١٠ قولهم : «حَرِّكْ لَهَا حُوَارَهَا تَحِنّ» الحوار : ولد الناقة، والجمع القليل أَحْوِرة والكثير حُورَان وحِيران، معناه ذَكِّره بعضَ أشْجانه يهِجْ له ، قاله عمــرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستنصر أهل الشام، أى أَرِهِم دم عثمان على قميصه .

وقولهم : «حلبتُها بالساعِد الأَشدّ» أى أخذتهــا بالقوّة إذ لم يتأتَّ بالرفق .

وقولهم : «حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّة» أى مِثْــلا بمِثْل : يضرب فى التسوية بين الشيئين، ومثله : حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْل، وقد تقدّم . ١٥

وقولهم : « حَلَبَ الدهرَ أَشْطُرَه » معناه أنه آختبر الدَّهرَ شَــطْرَى خيرِه وشرِّه فعرف ما فيه .

وقولهم : «حَسْبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىٌّ» قال امرؤ القيس :

إذا ما لم تكن إبلٌ فَمِعْزى * كأنّ قُرونَ جِلّتها العِصىُّ

فتمــلأ بيتنا أَقِطًا وسَمْنًا * وحَسْــبُك من غِنًى شِبَعٌ ورِىُّ

قال أبو عبيدة : يحتمل معنيين ، أحدهما أعط كل ما كان لك وراء شِبَعك ورِيّك، والآخر القناعة باليسير .

وقولهم : « حَسْبُك من القِلادةِ ما أحاط بالعُنُق » أى اكتف بالقليل عن الكثير .

وقولهم : « حسبك من شَرٍّ سَماعُه » أى اكتف بسماعه ولا تعاينه، قال: ويجوز أن يريد يكفيك سماع الشرّ وإن لم تقدم عليه ولم تنسب إليه، والمثل قالته فاطمة بنت الخُرْشُب من بنى أنمار بن بَغيض أم الربيع بن زياد، وذلك أن ابنها الربيع كان أخذ من قيس بن زهير بن جَذيمة دِرْعا ، فتعرّض قيس لأم الربيع وهى على راحلتها فأراد أن يذهب بها ليرتهنَها بالدرع، فقالت له : أين عزُب عنك عقلك يا قيس؟ أترى بنى زياد مصالحيك ! وقد ذهبتَ بأمهم يمينا وشمالا وقال الناس ما قالوا وشاءوا، وإن حسبك من شرٍّ سماعه، فذهبت كلمتها مثلا تقول : كفى بالمقالة عارا وإن كان باطلا .

وقولهم: «حَلَّقَتْ به عَنْقَاءُ مُغْرِب» : يضرب لما يُئس منه؛ قال الشاعر:

إذا ما ابنُ عبــد الله خلّى مكانه * فقد حَلَّقَتْ بالجود عنقاءُ مُغرِبُ

قال الميــدانىّ : والعنقاء طائر عظيم معروف الاسم مجهول الجسم يقال : كان بأرض الرَّسّ جبل يقال له : دَمْخٌ مصعده فى السماء، وكان يأتيه طائر عظيم لها عنق

طويلة، وهى من أحسن الطير؛ فيها من كل لون، وكانت تقع منتصبة وتنقضّ على الطير فتأكلها؛ فجاعت يوما وأعوزها الطير فانقضّت على صبيّ فذهبت به فسميت عنقاء مغرب : لأنها تغرب بكل ما تأخذه، ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها إلى جناحين لها صغيرين سوى جناحيها الكبيرين ثم طارت، فشكوا ذلك إلى نبيّهم : خالد بن صفوان، فقال : اللهم خذها واقطع نسلها وسلّط عليها آفة ! فأصابتها صاعقة فاحترقت فضربتها العرب مثلا .

قال عنترة بن الأخرس الطائىّ فى مرثية خالد بن زيد :

لقد حَلَّقت بالجود عنقاء كاسرٌ * كَفَتْخَاءِ دمخ حلقت بالحَزَوَّر

فما إن لها بيضٌ فيُعرفُ بيضُها * ولا شِبهُ طير منجدٍ أو مُغَوِّرِ

وقولهم : « حتَّام تَكْرَع ولا تُنْقَع » كرع اذا تناول الماء بفيه من موضعه : يضرب للحريص فى جمع الشيء .

وقولهم : «حَسْبُكَ من إِنْضَاجِه أن تقتلَه» يضرب لطالب الثأر فيقول : لأقتلنّ فلانا وقومه أجمعين فيقال : لا تعدّ، حسبك أن تدرك ثأرك وطلبتك : ويضرب لمتجاوز الحدّ .

حرف الخاء

قولهم : «خَيْرَ حالبَيْكِ تَنْطَحِين» : يضرب لمن يكافئ المحسن بالإساءة، ومثله : خيْرَ إناءيكِ تَكْفَئِين .

وقولهم : «خامِرِى أمَّ عَامِر» معناه استترى؛ وأمّ عامر : الضبع يشبه بها الأحمق . ومثله : خامِرِى حَضاجِر، أتاك ماتحاذِر ، وهو اسم للذكر والأنثى من الضباع .

وقولهم : «خلا لك الجوُّ فبيضى وٱصْفِرِى» قاله طرفة بن العبد، وكان فى سفر مع عمّه فنصب فخّا للقنابر ونثر حَبًّا فلم يصد شيئا ، فلما تحملوا رأى القنابر يلقطن الحبّ الذى نثره لهنّ، فقال فى ذلك :

يالك من قنبرةٍ بمعمرِ * خلالك الجوّ فبيضى وٱصفرى
٥ ونقِّرِى ماشئتِ أن تنقِّرِى * قد رحل الصيّاد عنك فٱبشِرِى
ورفع الفخّ فماذا تحذرى * لا بد من صيدك يوما فاصبِرِى

يضرب فى الحاجة يتمكّن منها صاحبها .

وقولهم : « خَلْعُ الدّرْع بيد الزَّوْج » المثل لرَقَاش بنت عمرو بن تغلب بن وائل ، وكان زوجها كعب بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة ، فقال لها : ٱخلعى؛ ١٠ فقالت : خَلْعُ الدِّرع بيد الزَّوج ، فقال : ٱخلعيه لأنظر إليك ، فقالت : التجرُّدُ لغير النكاح مُثْلةٌ ، فذهبت كلمتاها مثلين: يُضربان فى وضع الشىء فى غير موضعه .

وقولهم :

« خَلِّ سبيلَ مَنْ وَهَى سِقاؤُهُ * ومَن هُرِيق بالفَلاة ماؤُهُ » :

يُضرَب لمن كره صحبتك و زهد فيك .

١٥ وقولهم : « خَمْرُ أبى الرَّوْقاء لَيْسَتْ تُسكِر» : يُضرَب للغنى الذى لافضل له على أحد .

حرف الدال

قولهم : « دَمِّثْ لجَنْبك قبل النَّوم مُضْطَجَعا » أى ٱستعدّ للنوائب قبل حلولها، والتدميث : التليين .

وقولهم : « دَعِ ٱمرأً وما ٱخْتَار » : يُضرَب لمن لايقبل النصح ؛ قال الشاعر :

إذا المــرءُ لم يدر ما أَمكَنَهْ * ولم يأت من أمره أزينَــهْ
وأَعجبَــهُ العُجبُ فاقتـادَهُ * وتاهَ به التِّيهُ فآســتحسنهْ
فدعْهُ فقـــد ســاءَ تدبيرُه * سيضحَكُ يومًا ويبكى سَــنَهْ ٥

حرف الذال

قولهم : «ذَكَّرَنِى فُوكِ حِمَارَىْ أَهلِى» أصله أن رجلا خرج يطلب حمارين ضَلّا له ، فرأى ٱمرأةً [متنقبة][1] فأعجبته فنسى الحمارين ، فلما أسفرت عن وجهها رآها فَوْهاء فقال : ذكّرنى فُوكِ حمارَىْ أهلى ، وقال :

ليت النِّقابَ على النســاء مُحَرَّمٌ * كى لا تَغُــرَّ قبيحةٌ إنســانا ١٠

وقولهم : «ذهبوا أَيدِى سَبَا» ويقال : تفرقوا ، أى تفرّقوا تفرقا لا ٱجتماع معـــه .

وقصة سبإ لمّـا تفرقوا بسبب سَيْل العَرِم مشهورة ، وسنذكرها إن شاء الله تعالى فى التاريخ .

وقولهم : «ذهبوا شَغَرَ بَغَرَ، وشَذَرَ مَذَرَ ، وخِذَعَ مِذَعَ» أى فى كل وجه . ١٥

وقولهم : «ذَلَّ بعد شِمَاسِه الْيَعْفُورُ» : يضرب لمن ٱنقاد بعد جماحه ؛ واليعفور : فـــرس .

وقولهم : «ذَهَبتْ طُولا ، وعَدِمتْ معقولا » : يضرب للطويل بلا طائل .

---

(١) الزيادة عن الميدانى .

حرف الـــراء

قولهم : «رمتْنى بدَائها وآنْسَلَّت» أصل هذا المثل : أن سعد بن زيد مناة تزوج رُهْمَ بنة الخزرج ، وكانت من أجمل النساء ، وكان ضرائرها إذا سابَبْنَها يقُلْن لها : يا عفلاء ، فقالت لها أمها : إذا سابَبْنَكِ فابدئيهن بذلك ، ففعلتْ رُهْم ذلك مع ضرّتها ، فقــالت : رمتنى بدائها وآنسلّت ، فذهبت مثلا : يضرب لمن يُعيِّر الآخر بمــا هو يُعيَّر به .

وقولهم : « رماه بثالثة الأَثَافِى » وهى قطعة من الجبل يوضع إلى جنبها حَجران ويُنصب عليها القدر : يضرب لمن رُمِى بداهية عظيمة .

وقولهم : «رُبَّ صَلَفٍ تحتَ الراعِدة» الصلف : قلة الخـير، والراعدة : السحابة ذات الرعد : يضرب للبخيل مع السّعة .

وقولهم : «رَجَع بِخُفَّى حُنَيْن» أصله أن حُنَيْنا كان إسكافا بالحِيرة وساومه أعرابى بخفَّيْن فآختلفا حتى أغضبه، فلما آرتحل الأعرابى أخذ حنين الخفين فألقى أحدهما على طريق الأعرابىّ ، ثم ألقى الآخر بموضع آخر على طريقه ، فلمــا مرّ الأعرابى بالخف الأول قال : ما أشبه هذا بخف حنين ولو كانا خفين لأخذتهما ، ثم مرّ بالآخر فندم على ترك الأول فأناخ راحلتــه وآنصرف إلى الأول وقد كَمَنَ له حنين ، فأخذ الراحلة وذهب بهــا وأقبل الأعرابى إلى أهــله ليس معه غير خفّى حنين ، فذهبت مثلا : يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة .

وقولهم : «رُبَّ ساعٍ لقاعد وآكِلٍ غير حامِد» أول من قاله النابغة الذُّبيانى، وكان سبب ذلك أن وفدًا وفَد الى النعمان وفيهم رجل من بنى عَبْس يقال

له : شَقِيق ، فمات عنده ، فلما حبا النعمان الوفود بعث بحبائه الى أهله ، فقال النابغة في ذلك :

أتى أَهلَه منــه حِباءٌ ونعمةٌ * و رُبَّ آمرِئٍ يسعى لآخَرَ قاعِدِ

وقولهم : «رُبَّ مَلوم لَا ذَنْبَ لَه» قاله أكثم بن صيفيّ ، معناه قد ظهر للناس منه أمر أنكروه عليه وهم لا يعرفون عذره ؛ وقيل : إن رجلا قال للأحنف ٥
آبن قيس : أنا أبغض التمر والزبد ، فقال : ربَّ ملوم لا ذنب له .

وقولهم : «رُبَّ كَلِمةٍ تقول لصاحبِها دَعْنِي» : يضرب في النهى عن الإكثار مخافة الإهجار ؛ ذكروا أن ملكا من ملوك حِمْير خرج الى الصيد ومعه نديم له فوقفا على صخرة ملساء ، فقال النديم : لو أن إنسانا ذُبح على هذه الصخرة إلى أين كان يبلغ دمه ، فأمر بذبحه ، وقال : ربَّ كلمة تقول لصاحبها دعني . ١٠

ومثله قولهم : «رُبَّ رَأْسٍ حَصِيد لِسَان» : يضرب للأمر بالسكوت .

وقولهم : «رُدَّ الحَجَرَ من حيث جاءك» أى لا تقبل الضَّيمَ وآرم مَن رماك .

حرف الـــزاى

قولهم : « زُيِّنَ في عَيْنِ والِدٍ ولَدُه » يضرب في عجب الرجل برهطه . ١٥

وقولهم : «زَاحِم بعَوْد أَوْدع» أى لا تستعن إلا بأهل السنّ والتجربة .

وقولهم : «زَوْجٌ مِنْ عُود ، خير من قُعُود» ، قالته بعض نساء العرب ، قالوا : كان ذو الإصبَع العدوانِيّ غيورا ، وله بنات أربع ، وكان لا يزوّجهنّ غَيرة عليهنّ ، فآستمع عليهنّ يوما وقد خلَوْن يتحدّثن ، فقالت إحدهنّ : لتقل كلُّ واحدة منا ما في نفسها ،

ولنصدقنّ جميعا، فاشتهت كلّ واحدة من الثلاث زوجا وصفتْ من جماله وكماله وسعة حاله ، ثم أبت الصغرى أن تتكلّم ، فقالوا : لا بدّ أن تقولى ، وألْحَحْنَ عليها ، فقالت : زَوْجٌ من عُود ، خيرٌ من قُعود ، فزوّجهنّ .

وقولهم : «زُرْغِبًّا تَزْدَدْ حُبًّا» قاله مَعاذ بن صَرم الخزاعىّ ، وكانت أمّه من عَكّ ، وكان يكثر من زيارة أخواله ، فأقام فيهم زمانا ، ثم خرج يتصيّد مع بنى أخواله ، فحمل على عير ، فلحقه آبن خال له يقال له : الغضبان فتخاصما ، فقال له الغضبان : والله لو كان فيك خير لما تركت قومك! فقال : زُرْغِبًّا ، تزددْ حبًّا ، فأرسلها مثلا ، وفى ذلك يقال الشاعر :

إذا شئتَ أن تُقلَى فَزُرْ متواليًا * و إن شئتَ أن تَزدادَ حُبًّا فزرغِبًّا

وقال آخر :

عليك بإغباب الزيارة إنها * إذا كَثُرتْ كانت إلى الهجر مَسْلَكا
ألم ترأَنَّ القَطْرَ يُسْأم دائما * ويُسْأل بالأيدى إذا هو أمسكا

حرف السين

قولهم : «سَبَقَ السيفُ العذَل» قاله ضبّةُ بن أدّ لمّا لامه الناس على قتل قاتل آبنه فى الحرم ، ويقال : إنه لِخُزَيْم بن نوفل الهمدانىّ .

وقولهم : «سَقَطَ العَشَاء به على سِرْحان» أصله أن رجلا خرج يلتمس العَشَاء ، فوقع على ذئب فأكله ، وقال آبن الأعرابى : أصله أن رجلا من بنى غَنِىّ يقال له : سِرْحانُ آبن هزلة كان بطلا فاتكا ، فقال رجل : والله لأُرْعِين إبلى هذا الوادى ! فورد بإبله ، فوجد سرحانَ فقتله ، وأخذ إبله وقال :

أبلـغْ نصيحةَ أنَّ رَاعِىَ أهْلِها * سقط العَشَاء به على سِرْحانِ
سَقَط العَشَاءُ به على مُتقَمِّرٍ * طَلْقِ اليدين مُعَاوِدٍ لِطعانِ

يضرب فى طلب الحاجة يؤدّى صاحبها إلى التلف .

ومثله قولهم : «سقط العَشَاء به على مُتَقَمِّرٍ» وهو الأسد .

وقولهم: «سَكتَ ألفًا، ونَطَق خَلْفًا» الخَلْفُ : الردىء من القول وغيره . ٥

وقولهم : « سَاءَ سَمْعًا فأساء جَابة » أول من قاله سُهَيل بن عمرو أخو بنى عامر، وكان قد خرج بٱبنه أَنَس ، فوقف بحَزْورة مكة ، فأقبل الأخنس بن شَريق الثَّقفى فقال له : من هـذا ؟ فقال : ٱبنى ! فقال : حياك الله يافتى [أين أُمُّك؟] فقـال : لا والله ما أمّى فى البيت ، ولكنها ٱنطلقت إلى أمّ حنظلة تطحن دقيقا ، فقال أبوه : ساء سمعا فأساء جابةً ، فأرسلها مثلا . ١٠

وقولهم : «سَحَابُ نوءٍ ماؤُه حَمِيم» : يضرب لمن له لسان لطيف وليس وراءه خير .

وقولهم : « سوء الاستمساك خير من حُسْن الصِّرْعَة » : معناه حصول البعض مع الآحتياط خيرٌ من الكلّ مع التهوّر .

حرف الشين ١٥

قولهم: «شُخْبٌ فى الإناء وشُخْبٌ فى الأرض» : يضرب لمن يتكلّم فيصيب مرة ويخطئ أخرى .

وقولهم : «شَرِقَ بالرِّيق» أى ضره أقرب الأشياء إلى نفعه .

وقولهم : « شِنْشِنَةٌ أعرفها من أخزَم » قاله أبو أخزم الطـائى ، وكان له

آبن يقال له : أخزم، فمات وترك بنين، فوثبوا على جدّهم يوما فأدموه، وكان أبوهم عاقًّا له فقال :

إنّ بَنِيّ ضَرَّجُونى بالدَّمِ * شِنْشِنةٌ أعرفها من أخزم

والشنشنة : الطبيعة والعادة : يضرب فى قرب الشبه .

٥ وقولهم : «شَمِّرْ ذَيْلا، وآدَّرِعْ ليلا» : يضرب على الحثّ فى الجدّ والطلب .

وقولهم : «شَنُوءة بين يتامى رُضَّع» الشنوءة : ما يستقذر من القول والفعل : يضرب لقوم آجتمعوا على فجور وفاحشة ليس فيهم مرشد ولا ناهٍ .

وقولهم : « شَيخٌ بحَوْران له ألقاب» وبعده * الذئب والعقعق والعراب * حَوْران بأرض الشام : يضرب لمن يُظهر للناس العفاف، ومن حقّه أن يُحترز منه .

١٠ وقولهم : «شَغَلَ الحَلْىُ أهلَه أن يُعارا» : يضرب للمسئول شيئا هو إليه أحوج من السائل .

وقولهم : « شَبَّ عَمْرٌو عن الطَّوْق » قاله جَذيمة الأبرش . وعمرو هذا هو آبن أخته وهو عمرو بن عدىّ بن نَصْر .

حرف الصاد

١٥ قولهم : «صبرًا على مَجامِر الكِرام» قال ذلك يَسارُ الكواعب، وكان عبدا أسودَ يَرْعَى لأهله إبلا صخمة[1]، وكان معه عبد يراعيه، فمرّ أهله يوما سائرين بحداء الإبل التى يرعاها، فعَمَد إلى لَقُوح فحلبها فى علبة، حتّى ملأها ثم مشى بها، وكان أفحجَ

(١) كذا بالأصل، وهى وإن كانت ذات معنى يتناسب مع السياق إلا أنا لا نستبعد أن تكون محرفة عن الهجمة وهى من الإبل ما بين الأربعين إلى المائة، يريد أنه كان يرعى لهم إبلا بهذا المقدار .

الرِّجْلين،حتى أتى بها ٱبنة مولاه يسقيها، وهى راكبة على جملها، فنظرت إلى رِجْليه فتبسمت، ثم شربت اللبن وجزَتْه خيرا، فانطلق فرِحا حتَّى أتى صاحبه، فقصّ عليه القصة، فقال : ٱسخر بنفسك ولا تسخر ببنات الأحرار ؛ فقال : والله لقد دَحِكت إلىّ دِحْكةً لا أُخَيِّبُها، يريد: ضحِكت، وكان أعجمىّ اللسان، ثم باتا فقام فحلب فى علبة فملأها، ثم أتى ٱبنة مولاه ، فنبّهها من نومها فاستيقظت وشربت ، ثم ٱضطجعت وجلس يسارٌ حِيالَها، فقالت : ما حاجتك ؟ فقال : ما أعلَمكِ بحاجتى ! فقالت : لا والله ! فما هى ؟ قال ذاك الرجل الذى دحكتِ إلىّ . فقالت : حيّاك الله ، وقامت إلى سَفَطٍ لها فأخرجت منه بَخورا ودُهنا طيبا ، وعمدت إلى موسى كانت تحفُّ به الشعر ، وأخذت مِجْمرةً فيها نار ، فوضعت عليه البخور ووضعتها تحته ، وطأطأت كأنها تصلح البخور ، فعمدت إلى مذاكيره فمسحتها بالموسى ، فلما أحس بحرارة الحديد . قال : صبْرًا على مجامر الكِرام، ثم أومات إلى أنها تدهنه وقالت : إن هذا دهن طيب إلا أن فيه حرارةً فتصبّر عليه ، فإن ريحك ريح الإبل وأنا أعافُك، ثم أشمّته الدهن على الموسى، ورفعته فوضعته بين عينيه فٱستلّتْ بها أنفَه . وقالت : قم إلى إبلك يابن الخبيثة ، فأتى صاحبه، فلما رآه . قال : أمقبل أنت أم مدبر ؟ قال : أخزاك الله، أوَقد عمى بصرُك !

إذ لا ترى أنفا ولا أذنيْنِ * أما ترى وبآصــة العينيْنِ

هذا أحد الأقوال فى هذا المثل : يضرب لمن يؤمر بالصبر على ما يكره .ويقال : إن أعرابيا قدم الحضر بإبل ، فباعها بمال كثير وأقام لحوائج له، ففطن قوم من جيرته لما معه من المال ، فعرضوا عليه تزويج جارية وصفوها بالجمال والحسب طمعا فى ماله ، فرغب فيها فزوّجوه إياها، ثم ٱتخذوا طعاما وجمعوا الحىّ، وجلس الأعرابىّ فى صدر المجلس، فأكلوا الطعام وأداروا الكئوس وشرب

الأعرابىّ، ثم أتوه بكسوة فاخرة، فلبسها وقدّموا له مجْمرة فيها بَخور لا عهد له به، وكان لا يلبس السراويل، فلما جلس على المجمرة، سقطت مذاكيره فى النار، فظن أن ذلك سُنّةٌ لا بدّ منها، وآستحيا أن يكشف ثوبه . فقال : صبرا على مجامر الكرام، فذهبت مثلا وآحترقت مذاكيره، وتفرق القوم، وآرتحل إلى البادية وترك المرأة والمال، فلما وصل إلى قومه وقص عليهم القصة . قالوا : آستٌ لم تُعوَّد المِجْمَر، فذهبت مثلا : يضرب لمن لا قديم له .

وقولهم : «صار الزُّجُّ قُدّامَ السِّنانِ» : يضرب فى سبق المتأخِّرِ المتقدِّمَ من غير استحقاق لذلك .

وقولهم : «صَرَّحَ المَحْضُ عن الزُّبْدِ» : يضرب للأمر إذا آنكشف وتبيّن .

وقولهم : «صَفْقَةٌ لم يَشْهَدْها حاطِب»هو حاطب بن أبى بلتعة كان حازما، فباع بعض أهله بيعةً غُبِن فيها حين لم يشهدها حاطب، فصارت مثلا لكلّ أمر ينبرم دون صاحبه .

حرف الضاد

قولهم : « ضَرَبَهُ ضَرْبَ غرائب الإبل » وذلك أن الغريبة تزدحم على الحياض عند الورود، وصاحب الحوض يطردها ويضربها بسبب إبله : يضرب فى دفع الظالم عن ظلمه بأشدّ ما يمكن .

وقولهم : «ضَلَّ الدُّرَيْصُ نَفَقَه» الدُّرَيص : ولد الفأرة واليربوع والهرّة وأشباه ذلك، ونفقه : جحره : يضرب لمن يُعْنَى بأمره ويُعِدّ حُجّةً لخصمه، فيَنْسَى عند الحاجة .

وقولهم : «ضَلَّ حِلْمُ امرأةٍ فأين عيناها ؟» أى هَبْ أنّ عقلها ذهب فأين ذهب بصرها ؟ : يضرب فى آستبعاد عقل الحليم .

وقولهم : «ضَائِفُ اللَّيْث قتيلُ الْمَحْل» : يضرب لمن آضطر لشىء فغرّر بنفسه فى طلبه .

حرف الطاء

٥

قولهم : «طويتُه على بِلَالِه وعلى بُلُلَتِه» قال الشاعر :

وصاحبٍ مُرَامِقٍ داجيتُهُ ⁂ على بِلَال نفسه طويتُهُ

ويقال : طويت السقاء على بُلُلَته إذا طويته وهو نَدٍ لأنه إن طُوِى يابسا تكسّر، وإن طوى نَدِيًّا عَفِن : يضرب للرجل يحمل على ما فيه من العيب ؛ قال الشاعر :

ولقد طويتُكُم على بُلُلَاتِكم ⁂ وعلمتُ ما فيكم من الأذرابِ

١٠

فإذا القرابة لا تُقَرِّبُ قاطعا ⁂ وإذا المودّة أقربُ الأنسابِ

والأذراب : جمع ذَرَبٍ وهو الفساد .

وقولهم : «طويتُه على غَرِّه» : غَرُّ الثوبِ : أثر كسره الأوّل : يضرب لمن يُوكَل إلى رأيه وما آنطوى عليه .

حرف الظاء

١٥ (١٣)

قولهم : «ظالعٌ يعودُ كَسيرا» : يضرب للضعيف ينصُر من هو أضعف منه .

وقولهم : «ظِئْرٌ رَءوم، خيرٌ من أُمٍّ سؤوم» : الظئر : الحاضنة، والرءوم : العطوف ، والسؤوم : الملول : يضرب فى عدم الشفقة وقلة الآهتمام .

وقولهم : «ظاهرُ العِتاب خيرٌ من باطن الحِقْد» معناه ظاهر .

وقولهم : « ظِلَالُ صيفٍ مالها قِطار » : يضرب لمن له ثروة ولا يُجدى على أحد .

حرف العين

قولهم : « عند الصباح يَحْمَدُ القومُ السُّرَى » أوّل من قاله خالد بن الوليد لمـا بعث إليه أبو بكر رضى الله عنه ، وكان باليمامة أن يسير إلى العراق ، ونالته مشقة بسبب العطش ، فأسرى حتى أدرك المـاء فقال : عند الصباح يحمد القوم السرى : يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة .

وقولهم : « عند جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليقين » يضرب فى معرفة الشىء حقيقة .

وقولهم : «عَيْرٌ عَارَهُ وَتِدُه» أى أهلكه ، وأصله أن رجلا أشفق على حماره فربطه إلى وتد ، فهجم عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه .

وقولهم : « عند النِّطاح يُغْلَبُ الكَبْشُ الأَجَمّ » وهو الذى لا قرن له : يضرب لمن غلبه صاحبه بمـا أعدّ له .

وقولهم : « على أهلها تَجْنِى بَرَاقِش » قالوا : كانت براقش كلبةً لقوم من العرب ، فأُغير عليهم فهربوا وهى معهم ، فنبحت فاتبع القوم آثارهم بنُباحها ، فأدركوهم فقتلوهم ، ففيها يقول حمزة بن بيض :

بل جناها أخٌ علىّ كريمٌ وعلى أهلها بَرَاقِشُ تَجْنِى

وقيل فى هذا المثل غير ذلك .

وقولهم : «عسى الغُوَيْر أبْؤُسا» الغُوَيْر : تصغير غار ، والأبؤس : جمع بؤس وهو الشدّة ، قالته الزَّبَّاء عند رجوع قَصير من العراق ، ومعه الرجال ، وكان الغوير

على طريقه، ومعناه لعل الشرّ يأتيكم من قبل الغار: يضرب للرجل يقال له: لعل الشرّ جاء من قبلك .

وقولهم : «عُشْبٌ ولا بَعِير» : يضرب للرجل له مال كثير ولا ينفقه على نفسه ولا على غيره .

وقولهم : «عَادَ غَيثٌ على ما أَفْسَد» : يضرب للرجل فيه فساد، وصلاحه أكثر . ٥

وقولهم : «عاد السهمُ الى النَّزَعة» أى رجع الحق الى أهله .

وقولهم : «عصا الجبانِ أطول» لأنه يفعل ذلك من فشله ، يرى أن طولها أشدُّ ترهيبا لعدوه من قِصَرها .

وقولهم : «على الخبير سَقَطْت» المثل لمالك بن جُبَير العامرى، وتمثّل به المرزدق حين لقى الحسينَ بن علىّ رضى الله عنهما ، عند مقدمه من العراق وخروج الحسين إليه وقد قال له : ما وراءك؟ فقال : على الخبير سقطْتَ ، قلوبُ الناس معك، وسيوفهم مع بنى أمية، والنصر من السماء . ١٠

وقولهم : «عادة السُّوءِ شَرٌّ من المَغْرَم» معناه أن المَغْرَم إذا أدّيتَه فارقك ، وعادة السوء لا تفارق صاحبها . ١٥

وقولهم : «عَجْعَجَ لمّا عَضّه الظِّعَان» أى صاح، والظعان : نِسْعٌ يُشدّ به الهَوْدَج : يُضرب لمن يَضِجّ إذا لَزِمَه الحقّ .

وقولهم : «عندَ الرِّهانِ تُعرَف السّوابق» : يضرب لمن يدّعى ما ليس فيــه .

وقولهم: «عادَ الأمرُ إلى نِصابه»: يُضرَب فى الأمر يتولّاه أربابه .

وقولهم : «عينُكَ عَبْرَى والفُؤادُ فى دَد» الدَّدُ والدَّدنُ والدَّدَا : اللعبُ واللهوُ : يُضرَب لمن يُظهر حُزنا لحزنك وفى قلبه خلاف ذلك .

وقولهم : «عُرْفُطَةٌ تُسْقَى مِنَ الغَوَادق» ويروى : الغوابق؛ العُرفُطة : شجرةٌ خَشِنَةُ المسّ، والغَوادقُ : السحابُ الكثير الماء : يُضرَب للشّرّير يُكَرَّم ويُبجَّل . ٥

حرف الغين

قولهم: «غُدَّةٌ كغُدَّة البَعير ومَوْتٌ فى بَيْت سَلُولِيَّة» قاله عامر بن الطُّفَيل؛ وذلك أنه لما قَدم على النبيّ صلى الله عليه وسلم،وقدم معه أَرْبَد بن قَيْس أخو لَبيد ابن رَبيعة العامرىّ الشاعر لأمه، فقال رجل : يا رسول الله،هذا عامر بن الطُّفَيل قد أقبل، قال : "دعهُ فإن يُرد اللهُ به خيراً يهده" فأقبل حتى قام عليه، فقال: يامحمد، ١٠ مالى إن أسلمتُ؟ قال : "لك ما للسلمين وعليك ما عليهم" قال : تجعل لى الأمر بعدك" قال : "ليس ذاك إلىّ إنما ذاك إلى الله تعالى يجعله حيث يشاء" قال : فتجعلنى على الوَبَر وأنت على المَدَر؟قال: "لا" قال: فما ذا تجعل لى؟ قال: "أجعل لك أعنّة الخيل تغزو عليها" ، قال : أو ليس ذلك إلىّ اليوم" وكان قد أوصى إلى أَرْبَد بن قَيْس : إذا رأيتنى أكلّمه فدُر من خلفه فاضربه بالسيف ، فاخترط أَرْبَد ١٥ سيفه شبراً فحبسه الله تعالى فلم يقدر على سَلّه ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أَرْبَد وما يصنع بسيفه،فقال : "اللهمّ اكفنيهما بما شئت" فأرسل الله تعالى على أَرْبَد صاعقةً فى يومٍ صائفٍ صاحٍ فأحرقته، وولّى عامر بن الطُّفَيل هارباً وقال : يامحمد،دعوتَ ربَّك فقتل أَرْبَد،والله لأملأنّها عليك خيلا جُرْدا وفتيانا مُرْدا،فقال :

رسول الله صلى الله عليه وسـلم : " يمنعك الله من ذلك [وابنا قَيْلة](١) " فسار عامر حتى نَزَل ببيت امرأة سَـلُولِيّة ، فخرجت على ركبته غُدّةٌ عظيمة ، فقال : غدّة كغُدّة البعير ومَوتٌ فى بَيْت سَلُولِيّة ، ثم مات على ظهر فرسه ؛ وسَـلُول أقلّ العرب وأذلّهم ، فسار كلامه مثلا : يُضرَب فى خصلتين إحداهما شر من الأخرى .

وقولهم : «غَرّنى بُرداكِ من خَدَافِلى»(٢) ويروى : من غدافلى ؛ أصل المثل أن رجلا آسـتعار بُردَى آمرأة فلبسهما ، وَرَمى بخُلْقانٍ كانت عليـه ، فآسترجعت المرأة بُردَيها فقاله : يُضرَب لمن ضَيّع ماله طمعًا فى مال غيره .

حرف الفـاء

قولهم : «فى وَجْه المـالِ تَعرِفُ أَمْرَتَه» أى نماءه وخيره ؛ ويقال : أَمِرَتْ أموالُ بنى فلان إذا نَمَتْ وكثُرت : يُضرَب لمن يُسـتدلّ بحسن ظاهره على حسن باطنـــه .

وقولهم : «فى بَيْته يُؤتَى الحَكَم» زعمت العرب أن الأرنب آلتقطت تمـرة فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان إلى الضبّ ، فقالت الأرنب : ياأبا الحِسْل ، قال : سميعًا دعوتِ ، قالت : أتيناكَ لنختصم إليك ، قال : عادلا حكَمًا ، قالت : فآخرج إلينا ، قال : فى بيته يُؤتَى الحَكَم ، قالت : إنى وجدتُ تمرةً ، قال : حُلْوةٌ فكُليها ، قالت : فاختلسها الثعلب ، قال : لنفسه بغَى الخير ، قالت : لطمتُه ، قال :

---

(١) الزيادة عن الميدانى ويريد بهما فى الحديث الأوس والخزرج (ج ٢ ص ٣) .

(٢) فى اللسان مادة " خدفل " ومجمع الأمثال للميدانى : «برداك» بفتح الكاف . وورد فى القاموس وشرحه بفتح الكاف وكسرها فرواية الفتح على أنه قالته امرأة رأت على رجل بردين فتزوجته طامعة فى يساره فألفته معسرا . والكسر على أن قائله رجل استعار من امرأة برديها ... الخ .

بحقّك أخذتِ، قالت : لطمَني، قال : حرٌّ آنتصر، قالت : فاقض بيننا، قال[1] : حَدِّث حديثين آمرأةً، فإن أبَتْ فأربعةً، فذهبتْ أقوالُه كلُّها أمثالا .

وقولهم : «فتًى ولا كمالِك» قاله مُتَمِّم بن نُوَيرة فى أخيه مالِك لمّا قُتل .

وقولهم : «فى دُون هذا ماتُنكِرُ المرأةُ صاحبَها» أول من قاله جارية من مُزَيْنة، قال الحَكَم بن صَخر الثَّقفىّ : خرجتُ منفرداً فرأيتُ بإمَّرَة (و إمّرة موضع) جاريتين أُختين لم أَرَ كجمالهما، فكسوتُهما وأحسنتُ اليهما، قال : ثم حججتُ من قابلٍ ومعى أهلى، وقد آعتللتُ ونصَل خضابى، فلمّا صرتُ بإمّرة، إذا إحداهما قد جاءت، فسألت سؤال مُنْكِرة، قال فقلت : فلانة ؟ قالت : فِدَىلك أبى وأمّى، أَنَّى تعرِفُنى وأُنكرك ؟ قال فقلتُ : أنا الحَكَم بن صَخْر، قالت : رأيتُك عامَ أوّل شاباً سُوقةً، وأراك العام شيخًا ملِكًا، وفى دُون هذا ما تُنكِرُ المرأةُ صاحبَها، فذهبت مثلا، قال قلت : ما فعلتْ أختك ؟ قال : فتنفَّست الصُّعَداءَ، وقالت : تزوجها آبن عم لها وذهب بها، فذاك حيث تقول :

إذا ما قَفَلنا نحوَ نَجْد وأهلها * فحسبى من الدنيا قُفولٌ إلى نجد

قال قلت : أَمَا إنى لو أدركتُها لتزوجتُها، قالت : وما يمنعك من شريكتها فى حسنها و جمالها وشقيقتها ؟ قال قلت : يمنعنى من ذلك قول كُثَيِّر حيث يقول :

إذا وصلتنا خُلّة كى تزيلَنا * أبَينا وقلنا الحاجبيّة أوّل

فقالت : كثيّر بينى و بينك، أليس الذى يقول :

هل وصل عَزّةَ إلا وصل غانية * فى وصل غانية من وصلها خَلَفُ

---

[1] هذه العبارة لم ترد فى الميدانى فى شرح هذا المثل وهى نابية هنا عن السياق، وقد أوردها الميدانى فى حرف الحاء على أنها مثل مستقل وقال إن المراد أن تكرر للمرأة اذا حدثتها الحديث مرتين فان لم تفهم فزد : وهو مثل يضرب فى سوء السمع والإجابة .

قال : فتركت جوابها عيًا .

وقولهم : «فاتكةٌ واثقةٌ بِرِىّ» زعموا أن آمرأة كثُر لبنها وطفقت تهُريقه، فقال لها زوجها : لِمَ تهرِيقينه ؟ فقالت : فاتكة واثقة برىّ : يضرب للمفسد الذى وراء ظهره مَيسرة .

حرف القـاف

٥

قولهم : « قطعتْ جَهِيزَةُ قولَ كلّ خَطيب » أصـله أن قوما آجتمعوا يخطبون فى صلح بين حيّين، قَتل أحدُهما من الآخر قتيلا ليرضَوا بالدية، فبينما هم فى ذلك، إذ جاءت أمة يقال لها : جَهيزة، فقالت : إن القاتل قد ظَفِر به بعضُ أولياء المقتول فقتله، فقالوا : قطعت جهيزة قول كلّ خطيب : يضرب لمن يقطع على الناس ما هم فيه بجهله .

١٠

وقولهم : «قَبْـلَ البكاء كان وجهك عابسـا» : يضرب للبخيل يعتـلّ بالإعدام، ومثله : «قَبْل النِّفَاس كنتِ مُصْفَرَّة» .

وقولهم : «قَلَبَ الأمرَ ظَهراً لبطن» : يضرب فى حسن التدبير .

وقولهم : «قد شَمّرتْ عن ساقها فشَمِّرى» : يضرب فى الحثّ على الجدّ فى الأمر .

١٥

وقولهم : «قد يَضرِط العَيْر والمِكواةُ فى النـار» قال عُرفُطة بن عَرفَجة سيّد بنى هِزّان، وكان بينه وبين الحُصَين بن نَبِيت العُكْلىّ حروب ووقائع، فقتلت عُكْل رجلا من بنى هِزّان، وأسر عُرفُطة بن عُكْل رجلين، فقال لهما : أيّكم أفضل لأقتله بصاحبنا ؟ فجعل كلّ واحد منهما يخبر أنّ صاحبـه أكرم منه، فأمر بقتلهما

جميعا، فقُدّم أحدهما للقتل، فجعل الآخر يَضرِط، فقال عُرفُطة : قد يضرط العير والمكواة فى النار، فأرسلها مثــلا : يضرب للرجل يخــوّف بالأمر فيجـزع قبــل وقوعه . وهذا أحد الأقوال فيه، وقيل غير ذلك .

وقولهم : «قـــد بيّن الصبحُ لذى عَينين» : يضرب فى ظهور الأمر كلّ الظهور .

وقولهم : «قد أَنصَف القَارَةَ من راماها» القارةُ : قبيلةٌ قد تقدّم ذكرها فى الأنساب .

وقولهم : « قبل الرّماء تُملأ الكَنائن» أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه .

ومثله . «قبل الرّمى يُراش السهم» : يضرب فى تهيئة الآلة قبـــل الحاجة اليهـا .

وقولهم : «قَلَب له ظَهر المِجَنّ» : يضرب لمن كان لصاحبه على مودّة، ثم حال عن عهده .

وقولهم : «قد ألقَى عصاه» إذا آستقرّ من سفر أو غيره؛ يقال : إنه لمـا بويع لأبى العباس السفاح ، قام خطيبا فسقط القضيب من يده، فقـام رجل من القوم وأنشـــد :

فألقتْ عصاها وآستقرّ بها النوى كما قــرّ عينًا بالإياب المســافرُ

وقولهم : «قد ونَى طَرَفاه» : يضرب لمن ذل وضعُف عن أن يتمّ له أمر؛ قال النجاشىّ :

وإنّ فـلانا والإمارة كالذى * ونَى طَرَفاه بعد ما كان أجذعا

وقولهم : « قُـدَّتْ سيورُه من أَدِيمك » يضرب للشيئين يستويان في الشبه قال الشاعر :

وقُدّت من أديمهم سيوري *

وقولهم : «قد بَلَغ الشِّظاظ الوِركَين» الشظاظ : عُوَيد يُجعـل في عروة الجوالق : يضرب فيما جاوز الحدّ ، وهو كقولهم : جاوز الحزامُ الطُّبْيَين . ٥

حرف الكاف

قولهم : «كان كُراعا ، فصـار ذراعا» : يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويّا .

وقولهم : « كلامٌ كالعسَل ، وفعلٌ كالأسَل» : يضرب في اختلاف القول والفعـــل . ١٠

وقولهم: «كنتَ تبكِي من الأَثَرِ العافي فقد لاقيتَ أُخدودا» : يضرب لمن يشكو القليل من الشر ثم يقع في الكثير .

وقولهم : « كلّ ذات بعلٍ ستَئِيم » هذا من أمثال أكثم بن صيفيّ ، قال الشاعر :

أفاطم إني هالك فتبيّـــنى * ولا تجزعى كلّ النساء تئيم ١٥

أي ستفارق زوجها .

وقولهم : « كلّ أزَبَّ نَفور » قاله زُهَير بن جَذِيمة لأخيه أُسيد ، ونذكر الخبر في وقائع العرب .

وقولهم : « كلّ فتاة بأبيها مُعجَبة» : يضرب في عجب الرجل بعشيرته ورهطه .

وقولهم : « كلّ الصيْد فى جوف الفَرا» الفرا: الحمار الوحشىّ، أصل المثل أن ثلاثة نفر خرجوا متصيّدين، فٱصطاد أحدهم أرنبا، والآخر ظبيا، والثالث حمارا، فتطاولا عليه بصيدهما، فقال : كل الصيد فى جوف الفرا : يضرب لمن يفضّل على أقرانه، وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٥ وقولهم : «كَدَمْتَ غير مَكْدَم» : يضرب لمن يطلب شيئا فى غير مطلبه .

وقولهم : « كالثور يُضرب لمّا عافت البقر » : يضرب فى عقوبة البرىء بذنب المجرم، و يأتى ذكر ذلك فى أوابد العرب .

وقولهم : « كالكبش يحمل شَفْرةً وزنادا» : يضرب لمن يتعرّض للهلاك .

وقولهم : « كالمستغيث من الرمضاء بالنار» : يضرب فى الخلّتين يجتمعان

١٠ على الرجل .

وقولهم : « كالقابس العَجلان» : يضرب لمن عجّل فى طلب حاجته .

وقولهم : « كلاهما وتمرا» أوّل من قاله عمـرو بن حُمران الجعدى ، وذلك أنه مرّ برجل و بين يديه زُبد وسَـنام وتمر، فقال : أنلنى ممّـا بين يديك، فقال : أيّمـا أحبّ إليك أزُبدٌ أم سَنام؟ فقال : كلاهما وتمرا، فسارت مثلا .

١٥ وقولهم: « كالباحث عن المُدْيَة» يقال : إن رجلا وجد صيدا، ولم يكن معه ما يذبحه به، فبحث الصيد بأظلافه فى الأرض، فسقط على شفرة فذبحه بها. يضرب فى طلب الشىء يؤدّى صاحبه إلى تلف النفس .

وقولهم : « كذى العُرّ يُكوَى غيرُه وهو راتع » : يُضرب فى أخذ البرىء بذنب الجانى، و يأتى ذكره فى أوابد العرب .

وقولهم: «كالمحتاض على عَرْض السراب»: يُضرب لمن يطمع فى محال .

وقولهم: «كلّ لياليه لنا حَنادس»: يُضرب لمن لا يصل إليك منه إلا ما تكره.

حرف اللام

(١٦)

قولهم : «لو ذاتُ سِوار لطمَتنى» معناه لو طلمنى من كان كفئا لى لهان على، ولكن ظلمنى من هو دونى، وهو كقول بعضهم :

فلو أنى بُليتُ بهاشمى * خؤولته بنو عبد المَدان
لهان على ما ألقى ولكن * تعالَىْ فانظرى بمن آبتلانى

٥

وقولهم : «لو غير ذاتِ سِوارٍ لطمَتنى» روى الأصمعى أن حاتما الطائى مرّ ببلاد عنَزة فى بعض الأشهر الحرُم فناداه أسير لهم : يا أبا سفّانة : أكلنى الإسار والقمل، فقال: ويحك! أسأتَ إذا نوهت باسمى فى غير بلاد قومى، فساوم القومَ به ثم قال : أطلقوه وآجعلوا يدىَّ فى القِدّ مكانه ، ففعلوا ذلك ، ثم جاءته آمرأة ببعير ليفصده فنحره فلطمته فقال : لو غير ذات سوار لطمتنى ، يعنى أنى لا أقتصّ من النساء، ثم عُرِف، ففدى نفسه فداءً عظيما .

١٠

وقولهم: «لو تُرِكَ القَطا لَيلا لنام» قالته آمرأة عمرو بن مامة، وقد نزل عليه قوم من مُرادٍ، فطرقوه ليلا، فأثاروا القطا، فرأته آمرأته فنبّهته فقال : إنما هذا القطا ، فقالت : لوتُرِكَ القطا ليلا لنام ، فسار مثلا : يُضرب لمن حُمل على مكروه من غير إرادته، وقيل : إن التى قالته له حَذامِ بنت الريّان .

١٥

وقولهم : «لبِستُ له جِلْدَ النمِر»[١] : يضرب فى إظهار العداوة وكشفها .

(١) كذا فى الميدانى . وفى الأصل : «لبس لهم ... الخ» .

وقولهم : «لقد ذَلّ من بالت عليــه الثعالب» أصله أن رجلا من العرب كان يعبد صنما، فجاء ثعلب فبال عليه، فقال فى ذلك :

أربٌّ يبول الثُّعلُبانُ[1] برأسه * لقد ذلّ من بالت عليه الثعالبُ

وقولهم: «ليس هذا بعشّكِ فادرُجى» : يُضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره .

٥ وقولهم : «لم أجدْ لشَفْرتى مَحَزّا» : يُضرب عذرا فى تعذّر الحاجة .

وقولهم : «لو سـئلت العاريةُ أين تذهبين لقالت أُكسِبُ أهلى ذمّا» هذا من كلام أكثم بن صيفى : يُضرب فى سوء الجزاء للنعم .

وقولهم : «ليس من العَذْل، سرعة العـذْل» أى لا ينبغى أن تعجِّلَ بالعذل قبل أن تعرفَ العذرَ .

١٠ وقولهم : «ليس القُدامَى كالخَوافِى» : يُضرب عند التفضيل .

وقولهم: «لو كُوِيتُ على داءٍ لم أَكرهْ»أى لو عوتبتُ على ذنب ما آمتعضتُ.

وقولهم: «ليس على الشَّرْق طَخَاءٌ يَحجُب» أى ليس على الشمس سحاب : يُضرب فى الأمر المشهور الذى لا يخفى على أحد .

وقولهم : « لأكوينّه كيّة المتلوِّم » أى كيّا بليغا، والمتلوِّم : الذى يتتبّع الداء
١٥ حتى يعلم مكانه ؛ يُضرب فى التهديد الشديد .

وقولهم : «لأمرٍ مّا جدَع قَصِيرٌ أنفه» قالته الزّبّاء لما رأت قَصيرا مجدوعا؛ وخبره يأتى فى باب المكايد .

(١) الثعلبان : ذكر الثعلب، كالأفعوان : لذكر الأفعى، والعقربان : لذكر العقارب .

حرف المـــيم

قولهم: «ما تَنفع الشَّفْعةُ فى الوادى الرُّغُب» الشَّفْعة: المطرة الهيّنة، والرُّغُب: الواسع: يضرب للذى يعطيك قليلا لا يقع منك موقعا.

وقولهم: «ما وراءكِ ياعِصام؟» يقال: أوّل من قال ذلك الحارث بن عمرو ملك كندة، وذلك أنه بلغه جمال ٱبنة عَوف بن مُحَلِّم فأرسل إليها ٱمرأة ذات عقل ولسان، يقال لها: عِصام، وقال: ٱذهبى لتعلميني بحالها، فلما ٱنتهت إليها ونظرتها خرجت وهى تقول: «تَرَكَ الخداعَ، مَن كشَف القِناعَ» فذهبت مثلا، ثم عادت اليه، فقال لها: ما وراءكِ ياعصام؟ فقالت: «صَرَّح المَحْضُ عن الزُّبد» فأرسلتها مثلا؛ وساق الميدانىّ على هــذا المثل كلاما طويلا قالته عِصام فى وصف أعضاء المخطوبة.

وقولهم: «ما يومُ حَليمةَ بسرّ» هى حليمة بنت الحارث بن أبى شَمِر، كان أبوها وجّه جيشا إلى المنذر بن ماء السماء فأخرجتْ لهم طيبا فى مِرْكَنٍ فطيّبتهم؛ فلما ٱنتهت إلى لَبِيد بن عمرو وذهبت لتُخلّقــه قبّلها، فلطمته وأتت أباها، فقال لهــا: ويلكِ! ٱسكتى عنه، فهو أرجاهم عندى ذكاءَ فؤادٍ، وإنى مرسله، فإن قُتل فقد كفى الله شرّه؛ فسار إلى المنذر بالجيش، فقتلوا المنذر وكان يوما مشهورا، فقيل فيه: ما يوم حليمةَ بسر.

وقولهم: «ما أشبهَ الليلةَ بالبارحة» أى ما أشبهَ بعض القوم ببعض.

وقولهم: «مرْعًى ولا كالسَّعدان» قالوا: السَّعدان أخثر العُشبِ لبنــا، ومنابته السهول: يُضرب مثلا للشيء يفضَّل على أقرانه وأشكاله؛ وأوّل من قال المثل: خنساء بنت عمرو بن الشريد، وقيل: بل قالته ٱمرأة من طيِّئ تزوّجها

(١٧) آمرؤ القيس بن حُجْر الكندى فقال لها : أين أنا من زوجك الأوّل ؟ فقالت : مرعًى ولا كالسّعدان، أى إنك إن كنت رضًا فلست كَفُلانٍ .

وقولهم : «ماءٌ ولا كصَدَّاء» صَدَّاءُ : ركيّة عذبة؛ قال ضِرار السعدىّ :

وإنى وتَهيامى بزينبَ كالذى * تطلَّبَ من أحواض صَدَّاءَ مَشْرَبا

٥ معناه أنه لا يصل إليها إلا بالمزاحمة لفرط حسنها، كالذى يَرِدُ الماءَ فإنه يزاحم عليه لفرط عذوبته .

وقولهم : «محا السيفُ ما قال آبنُ دارةَ أجمعا» هو سالم بن دارة الغطفانىّ؛ ودارةُ : أمّه، وكان قد هجا بعض بنى فزارة فآغتاله زُمَيْل فقتله، ففيه يقول الكُمَيت

فلا تُكثروا فيه الضِّجاجَ فإنه * محا السيفُ ما قال آبنُ دارة أجمعا

١٠ وقولهم : «ملَكتَ فأسجِحْ» الإسجاح : حسن العفو، أى ملكت الأمر فأحسنِ العفو، وقد تمثّل به رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض غزواته؛ ونذكر الخبر فى ذلك فى المغازى .

وقولهم : «من ينكح الحسناءَ يُعطِ مَهْرَها» أى من طلب حاجة بذل ماله فيها .

وقولهم : «من سرّه بنوه ساءته نفسه» قاله ضِرار بن عمرو الضبىّ : وكان ١٥ ولده ثلاثة عشر رجلا، كلّهم قد غزا ورأس، فرآهم يوما وأولادَهم، فعلم أنهم لم يبلغوا هذه الأسنان إلا مع كبر سنّه، فقال : من سرّه بنوه ساءته نفسه، فأرسلها مثلا .

وقولهم : «من أشبه أباه فما ظلم» معناه ظاهر .

وقولهم : «من يرِ يوما يُرَ به» قاله كَلْحَب بن شُؤبوب الأسَدى، وكان يُغير على طيّئ وحده، فدعا حارثةُ بن لأْم رجلا من قومه يقال له : عترم، فقال له : أما تستطيع

أن تكفيَنى مؤونة هذا الخبيث؟ فقال : بلى ، فأرسل عشرة عيون عليه ، فعلموا مكانه فانطلق إليه عترم فوجده نائمـا فى ظلّ أراكةٍ فنزل ومعه آخر فأخذ كلّ واحد منهما بإحدى يديه فانتبه فنزع يده اليمنى من مُمْسكها وقبض على حَلْق الآخر فقتـله وبادر الباقون فأخذوه وشدّوه وثاقا وأتوا به حارثةَ ، فقال له : يا كلحب ، إن كنتَ أسيرا فطالما أسرتَ ، فقال : من يَرِ يوما يُرَ به ، فأرسلها مثلا ، وقال حوذة وهو آبن المقتول لحارثة : أعطنيه أقتلْه بأبى ، فقال : دونكه ! وجعلوا يتكلّمون وهو يعالج كتافَه حتى آنحلّ ، ثم وثب على رجليه فأتبعوه بالخيل فأعجزهم .

وقولهم : «مَنْ سلَكَ الجَدَدَ أمن العثار» الجَدَدُ : الأرض المستوية : يُضرب فى طلب العافية .

وقولهم : «مَن يشترى سيفى وهذا أثره!» قاله الحارث بن ظالم ، وذلك أنه لمـا قتل خالد بن جعفر بن كلاب بزهير بن جذيمة العبسىّ على ما نذكره إن شاء الله فى وقائع العرب وهرب ، فوجّه النعمان فوارس فى طلبه فأدركوه سحرا فعطف عليهم وقتل منهم جماعة وكرّوا عليه فجعل لا يقصـد لجماعة إلا فرّقهـا وهو يقول : من يشترى سيفى وهذا أثره ، فارتدعوا عنه وآنصرفوا إلى النعمان .

وقولهم : «مِنْ مالِ جَعْدٍ وجعدٌ غير محمود» قاله جعد بن الحُصين أبو صخر آبن جعد الشاعر ، وكان قد كبِر فتفرّق عنه بنوه وأهله ، وبقيت له جارية سوداء تخـدمه ، فعلقت بفتى من الحىّ يقـال له : عَرابة ، فجعلت تنقل إليه ما فى بيت جعد ، ففطن جعد لذلك ، فقال فى ذلك :

أبلغ لديك بنى عمـرو مغلغلةً * عمرا وعوفا وما قولى بمردودِ
بأنّ بيتىَ أمسى وفق داهيةٍ (١) * سوداءَ قد وعدتْنى شرّ موعودِ

(١) كذا فى الميدانى . وفى الأصل : «فوق» .

تُعطِى عَرابةَ بالكفّين مُجتَنِحًا * من الحَلوق وتُعطينى على العودِ
أمسى عَرابةُ ذا مالٍ يُسرّ به * من مالِ جعدٍ وجعدٌ غير محمودِ

يُضرب للرجل يصاب من ماله ويذمّ .

وقولهم : «من مأمنه يؤتَى الحذِر» قاله أكثم بن صيفىّ .

وقولهم : «من يمشِ يرضَ بما ركب» : يضرب للذى يضطرّ إلى ما كان يرغب عنه .

وقولهم : «من يلقَ أبطالَ الرجالِ يُكلَمَ» قاله عقيل بن عَلّقمة المرّى، وقد رماه عَملّس ابنه بسهم خلّ فخذيه، فقال أبياتا منها :

إنّ بنىّ زمّلونى بالدمِ * شِنشِنةٌ أعرفُها من أَخزمِ
من يَلْقَ أبطالَ الرجال يُكلَمِ *

وقولهم : «من لا يَذُدْ عن حوضه يُهدَّم» أى من لم يدفع عن نفسه يُظلَم، قاله زُهَير بن أبى سُلْمى .

(١٨) وقولهم : «مُكْرَه أخوك لا بطل» قاله أبو حَنَش خال بَيْهس : يُضرب لمن يُحمل على ما ليس من شأنه .

وقولهم : «من نام لا يَشعُر بشجو الأرِق» : يُضرب لمن غفل عما يعانيه صاحبه من المشقّة .

حرف النون

وقولهم : «نفْس عِصامٍ سوّدتْ عِصاما» هو عصام بن شَهْبَر حاجب النعمان ابن المنذر : يُضرب فى نباهة الرجل من غير قديم، وقيل فى هذا :

نَفْسُ عصامٍ سوّدت عصاما * وعلّمتْــــه الكرَّ والإقـــداما

* وصيّرته ملِكا هُمــاما *

وقولهم: «نظرةٌ مِن ذى عَلَق» أى من ذى هوى : يضرب لمن ينظر بودّ.

وقولهم : «نَزَت به البِطنة» : يُضرب لمن لا يحتمل النِّعمة؛

قال الشاعر : ٥

فلا تكونَنّ كالنازى ببِطنته * بين القرينيْن حتى ظلّ مقرونا

وقولهم : « نجوتُ وأرهنتهم مالكا » قال عبد الله بن هَمّام السَّلولىّ :

فلمــا خشيتُ أظافيرَهم * نجوتُ وأرهنتُهم مالكا

يُضرب لمن ينجو من هَلَكة نشَب فيها شركاؤه وأصحابه .

وقولهم: «نام عصام ساعةَ الرحيل» : يُضرب لمن طلب الأمر بعد ما ولّى . ١٠

حرف الهــاء

قولهم « هُدْنةٌ على دَخَن » .

وقولهم : « هذا أوانُ شدّكم فشُدّوا » .

ومثله قولهم : « هذا أوانُ الشدّ فاشتدّى زِيَمْ » قال الأصمعىّ: زيم آسم فرس : يُضرب للرجل يؤمر بالجدّ . ١٥

وقولهم : « هو على حَبْل ذراعك » أى الأمر فيه إليك : يُضرب فى قرب المتناوَل؛ وحبْل الذراع : عرقٌ فى اليد .

وقولهم : «هانَ على الأملسِ مالاقَى الدَّبِر» : يضرب فى سوء آهتمام الرجل بشأن صاحبه .

وقولهم : « هو بين حاذف وقاذف» الحاذف بالعصا ، والقاذف بالحصى: يُضرب لمن هو بين الشرّين .

وقولهم : «هو على طرَف الثُّمام» الثمامُ : نبت ضعيف سهل المُتناوَل تُسدّ به خِصاصُ البيوت، وربما حُشيتْ به المخادُّ، قالوا : إنه ينبت على قدر قامة الإنسان: ٥ يُضرب فى تسهيل الحاجة وقرب النجاح .

وقولهم : « هى الخَمر تُكنَى الطِّلاء» : يضرب للأمر ظاهره حسن وباطنه على خلاف ذلك .

حرف الواو

قولهم : «وافق شَنٌّ طَبَقَة» قال الشرقىّ بن القطامىّ : كان رجل من دهاة العرب ١٠ وعقلائهم يقال له : شَنٌّ ، فآلى أنه يطوف البلاد حتى يجد آمرأة مثله فيتزوجها، فبينا هو فى بعض مسيره إذ وافقه رجل فى الطريق فسارا جميعا . فقال له شَنٌّ : أتحملنى أم أحملك؟ فقال : أنا راكب وأنت راكب، فكيف تحملنى أو أحملك! ثم سارا فانتهيا إلى زرع قد آستحصد ، فقال شَنٌّ : أترى هذا الزرع أُكل أم لا ؟ فقال : لم أر أجهل منك، نبتا مستحصدا فتقول : أكل أم لا! فسكت، ثم سارا حتى دخلا القرية ١٥ فلقيا جنازة، فقال شنٌّ : أترى صاحب هذا النعش حيًّا أم ميّتا ؟ فقال له الرجل: ترى جنازة تسأل عنها أميّت صاحبها أم حىّ! فسكت عنه شَنّ وأراد مفارقته فأبى أن يتركه وسار به إلى منزله، وكان للرجل بنت يقال لها : طبقة، فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه، فقال : مارأيت أجهل منه، وحدّثها بحديثه، فقالت : يا أبت ما هذا بجاهل ، قوله : أتحملنى أو أحملك ؟ أراد أتحدّثنى أم أحدّثك، وأما قوله : ٢٠ أترى هذا الزرع أُكل أم لا ؟ فأراد هل باعه أهله فأكلوا ثمنه أم لا ؟ وأما الجنازة

فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا؟ فخرج الرجل فقعد مع شَنٍّ فحادثه، وقال له : أتحب أن أفسر لك ما سألتنى؟ قال : نعم، ففسره. فقال شَنٌّ : ما هذا من كلامك، فأخبرْنى مَنْ صاحبُه؟ فقال : ٱبنة لى. فخطبها إليه فزوّجه إياها وحملها إلى أهله، فلما رأوها قالوا : وافق شن طبقة، فذهبت مثلا، يضرب للمتوافقين؛ وقال الأصمعىّ : هم قوم كان لهم وعاء من أَدَمٍ فتشنَّن فجعلوا له طَبَقا فوافقه فقيل : وافق شنٌّ طَبَقه، ورواه أبو عبيدة فى كتابه، وقال ٱبن الكلبىّ : طبقةُ : قبيلة من إياد كانت لا تطاق فأوقعت بها شن بن أفصى بن دُعْمِى فٱنتصفَتْ منها وأصابت فيها فضُربتا، مثلا، وأنشد :

لَقِيَتْ شَنٌّ إيادا بالقنا * طَبَقًا وافــق شنٌّ طَبَقَــهْ

وقولهم : «وجدتُ الناسَ ٱخبُرْ تَقْلَه» أصله ٱخبُر الناس تَقْلَهم : يُضرب فى ذمّ الناس وسوء معاشرتهم .

وقولهم : «وَلُودُ الوعد عاقرُ الإنجاز» : يُضرب لمن يكثُر وعده ويقِلّ نقدُه.

وقولهم : «وَدِّعْ مالًا مُودِعُه» لأنه إذا ٱستودعه غيره فقد ودّعه وغرّر به ولعله لا يرجع اليه .

وقولهم : «ومَوْرِدُ الجهل وَبِيءُ المَنهل» : يُضرب فى النَّهْىِ عن ٱستعمال الجهــل .

ما جاء فى ما أوّله (لا)

قولهم : «لا مَخْبأَ لعِطْرٍ بعد عَروس» ويقال : «لا عِطْرَ بعد عَروس» أوّل من قاله ٱمرأة من عُذْرة، يقال لها : أسماء بنت عبد الله، وكان لها زوج من

بنى عمّها يقال له : عَروسٌ، فمات عنها ، فتزوّجها رجل من قومها يقال له نَوْفَل، وكان أعسرَ أبخرَ بخيلا ذميما ، فلما دخل بها قال : ضُمّى إليك عِطرَكِ، فقالت: لا عِطرَ بعد عَروس، فذهبت مثلا ، و يقال : إن رجلا تزوج آمرأة، فلما أهديت إليه وجدها تَفِلَةً فقال لها : أين الطِّيبُ ؟ فقالت خَبَأتُه، فقال لها : لا مَخْبَأَ لِعطرٍ بعد عَروس : يُضرب مثلا لمن لا يُدَّخَر عنه نفيسٌ .

وقولهم : «لا يُلدَغ[1] المؤمن من جُحرٍ مرّتين» : يُضرب لمن أُصيب ونُكب مرّة بعد أخرى ، يقال هذا من أمثال النبيّ صلى الله عليه وسلم قاله لأبى عَزّة الشاعر، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أسره يوم بدرٍ فمنَّ عليه وأطلقه ثم أتاه يوم أُحدٍ فأسره، فقال: مُنَّ علىّ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يُلدغ المؤمنُ من جُحر مرّتين" أى لو كنتَ مؤمنا لم تعدْ لقتالنا .

وقولهم : «لا أطلبُ أثَراً بَعَدَ عين»[2] أوّل من قاله مالك بن عمرو العامرىّ، وكان من حديثه أن بعض ملوك غسّان كان يطلب فى بنى عامر ذَحْلًا فأخذ منهم مالكا وسِماكا آبنى عمرو العامرىّ فاحتبسهما زمانا ثم دعا بهما، فقال لهما : إنى قاتل أحدكما، فأيكما أقتل ؟ فجعل كلّ واحد منهما يقول : آقتلنى مكان أخى ، فقتل سِماكا وخلّى سبيلَ مالك، فقال سماك حين ظنّ أنه مقتول :

فأُقسمُ لو قَتلوا مالكا * لكنتُ لهم حيّةً راصدهْ
برأس سبيلٍ على مَرقبٍ * و يوما على طُرُقٍ واردهْ
فأُمَّ سِماكٍ فلا تجزعى * فللموت ما تلد الوالدهْ

---

(١) كذا فى الأصل . وفى مجمع الأمثال وفرائد اللآل : "لا يلسع" .

(٢) هكذا فى الأصل . وفى مجمع الأمثال : "العاملى" باللام . وفى فرائد اللآل : "الباهلى" .

وآنصرف مالك إلى قومه فأقام فيهم زمنا ثم إنّ ركبا مرّوا وواحد منهم يتغنّى بقول سِماك * فأُقسم لو قَتلوا مالكا * فسمعتْه أمّ سِماك، فقالت : يامالك قبح الله الحياة بعد سِماك، آخرج فى الطلب فخرج فلقى قاتل أخيه يسير فى ناس من قومه فقال : من أحسّ لى الجمَل الأحمرَ، فقالوا له وقد عرفوه : يا مالك آكفف ولك مائة من الإبل، فقال : لا أطلب أثرا بعد عين، فذهبت مثلا .

وقولهم : « لا يُرسِل الساقَ إلا مُمسِكا ساقا » أصله فى الحِرْباء : يضرب لمن لا يدع حاجةً إلا سأل أخرى .

وقولهم : « لا ماءكِ أبقيتِ، ولا حِرَكِ أنقيْتِ » ويُروى : ولا دَرَنَكِ؛ أصله أنّ رجلا كان فى سفر ومعه آمرأته، وكانت عاركا[1] فطهُرتْ وكان معها ماء يسير فآغتسلت به فنفد ولم يكفها لغسلها فعطشا فقال هذا القول فسار مثلا، وقيل : إن الذى قاله الضبّ بن أروَى الكلاعىّ قاله لآمرأته عَمْرة بنت سُبيع؛ قال الفرزدق :

وكنتُ كذات الحيض لم تُبقِ ماءَها * ولا هى من ماء العَـذابة طاهرُ

وقولهم : « لا ناقتى فى هذا ولا جَملى » المثـل للحارث بن عَبَّاد حين قَتـل جَسّاس بن مُرّة كُليبا وهاجت الحرب بين الفريقين وآعتزلها الحارث؛ قال الراعى :

وما هجرتُك حتى قلتِ مُعلِنةً * لاناقةٌ لى فى هـذا ولا جَملُ

يُضرب عند التبرّؤ من الظلم والإساءة .

وقولهم : « لا ينتطِح فيها[2] عنْزان » قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقولهم : « لا يُنبتُ البَقْلة، إلا الحَقْلة » الحَقْلَةُ : القَرَاحُ، أى لا يلد الوالد إلا مثلَه : ويُضرب مثلا للكلمة الخسيسة تخرج من الرجل الخسيس .

(١) العارك : الحائض . (٢) كذا فى الأصل : وفى الميدانى : «فيه» .

وقولهم : «لا تَدْخُلْ بين العصا ولِحائها» : يضرب فى المتخالَّين المتصافيين .

وقولهم : « لا يحزُنْكَ دمٌ هَرَاقه أهلُه » قال هذا المثل جَـذيمةُ : يُضرب لمن يُوقِع نفسَه فيما لا مَخْلَص له منه .

حرف اليـاء

قولهم : «يَداكَ أَوْكَتا وفُوكَ نَفَخ» أصله أن رجلا كان فى جزيرة من جزائر البحر فأراد أن يعبُر على زِقّ قد نَفَخ فيــه فلم يُحسن إحكامَه ، فلمّــا توسّط البحر خرجت منه الريح فغرِق فاستغاث برجل، فقال له : يداك أوْكتا وفوك نفخ، فذهبت مثلا : يُضرب لمن يجنى على نفسه الحَيْن .

وقولهم : « يَشُجّ و يأسو » : يُضرب لمن يُصيب فى التدبير مرّة ويخطئ أخرى ؛ قال الشاعر :

إنى لأُكثِر ممّـا سُمتنى عَجَبـا * يدٌ تشجُّ وأخرى منك تأسونى

وقولهم : « يُسِرُّ حَسْوًا فى ٱرتغاء » أصله أن الرجل يؤتَى باللبن فيُظهر أنه يريد الرِّغوة خاصّةً فيشربها ، وهو فى ذلك ينــال من اللبن : يُضرب لمن يُريك أنه يُعينك وإنمـا يجرّ النفع إلى نفسه ؛ قال الكميت :

فإنى قد رأيتُ لكم صدودا * وتَحساءً بعــلّةِ مُرْتغينا

وقولهم : « يَمْشِي رُوَيْدًا ويكون أوّلا » : يُضرب للرجل يُدرك حاجته فى تُؤَدةٍ ودَعَةٍ، ويُنشَد فيه :

تسألنى أُمُّ الوليد جمــلَا * يمشى رُوَيْدًا ويكون أوّلَا

وقولهم : « يُصبح ظمآنَ وفى البحر فَمُه[1] » : يُضرب لمن يعاشر بخيلا مُثرِيا .

(١) فى الميدانى : « عاش » .

وقولهم : «يَمْلأُ الدَّلو الى عَقْد الكَرَب» مأخوذ من قول عُتْبة بن أبى لَهَب

من يُساجِلْنى يُساجِلْ ماجدًا * يملأ الدَّلو إلى عَقْد الكَرَبْ

وهو الحبل الذى يُشدّ فى وسط العَرَاق : يُضرب لمن يبالغ فيما يلى من الأمر .

وقولهم : « يُكْوَى البعيرُ من يَسير الداء» : يُضرب فى حَسْم الأمر الضائر قبل أن يعظُم و يتفاقم . ٥

وقولهم : «يعود على المرء ما يأتَمِر» و يُرْوَى : يَعْدو، معناه يعود على الرجل ما تأمره به نفسه فيأتمره أى يمتثله ظنا منه أنه رشـد، وربما كان هلاكه فيـه ، ومنه قول آمرئ القيس :

أحارِ بْنَ عمرو كأنى خَمِرْ * و يعدو على المرء ما يأتمِرْ

ومما يتمثل به من أشعار الجاهلية ١٠

(٢٠)

آمرؤ القيس بن حُجْر : قد تقدّم من شعره فى الاستشهاد على أمثـال العرب ما يُستغنى عن إعادته فى هذا المكان .

ومن شعره :

* والـبِرُّ خير حقيبة الرَّجل * * رضيتُ من الغنيمة بالإياب *

* إن الشقاءَ على الأشقَيْنَ مصبوبُ * ١٥

وقال أيضـا :

وقاهم جدّهم ببـنى أبيهم * و بالأشقَيْنَ ما كان العقابْ

وقال :

فإنك لم يفخَر عليـك كفاخر * ضعيف ولم يغلبْك مثل مُغلَّب

زُهير بن أبي سُلْمَى يقول :

ومن يغترب يَحسبْ عدوّا صديقَه * ومن لا يُكَرِّم نفسَه لا يُكَرَّم

ومهما يكن عند آمرئ من خَليقة * ولو خالها تخفَى على الناس تُعلَم

ومن لا يصانعْ فى أمور كثيرة * يُضرَّس بأنياب ويُوطأ بمَنْسِم

٥ ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه * يَفِرْهُ ومن لا يتّق الشتمَ يُشتَم

ومن يك ذا فضل فيبخلْ بفضله * على قومه يُستغنَ عنه ويُذمَم

ومن لا يذُدْ عن حوضه بسلاحه * يُهدَّمْ ومن لا يَظلِم الناس يُظلَم

ومن يَعْص أطرافَ الزِّجاج فإنه * مُطيعُ العوالى رُكِّبَتْ كلَّ لهذَم

وقال أيضا :

١٠ وهل يُنبِتُ الخَطِّىَّ إلّا وشيجُه * وتُغرَس إلا فى مَنابتها النخلُ

وقال أيضا :

والسترُ دون الفاحشات وما * يلقاكَ دون الخير من سِترِ

وقال أيضا :

فإنّ الحقَّ مَقطَعُه ثلاثٌ * يمينٌ أو نفارٌ أو جَلاءُ

١٥ يقول : إنما الحقوق تصحّ بواحدة من هذه الثلاث : يمينٌ أو محاكمةٌ أو حُجّةٌ واضحةٌ ؛

وكان عمر بن الخطّاب رضى الله عنه يتعجّب من معرفته بمَقاطع الحقوق .

النابغة الذُّبيانى : آسمه زياد بن عمرو، ويُكنَى أبا أُمامة ؛ غلب عليه "النابغةُ" لأنه غبرَ بُرهةً لا يقول الشعرَ ثم نبغ فقاله ؛ وكذلك الجعدىّ ؛ وقيل : إنما لُقب بالنابغة لقوله :

٢٠ * فقد نَبَغَتْ لهم منّا شؤونُ *

وقيل فى نسبه : زياد بن معاوية بن ضِباب بن جابر بن يَربوع بن غَيْظ بن مُرّة ابن عوف بن سعد بن ذُبيان .

فما يُتمثل به من شعره قوله :

فإنك كالليل الذى هو مُدركى * فإن مطيّة الجهـل الشـبابُ *

وقال : ٥

ولستَ بمُستبقٍ أخًا لا تَلُمُّـه * على شَعَثٍ أىُّ الرجال المهـذَّب

وقال ايضا :

اِستبق ودَّك للصديق ولا تكن * قَتَبًـا يَعَضُّ بغـاربٍ مِلحاحَا

طرفة بن العبد يقول :

حنانَيْك بعضُ الشرّ أهون من بعضِ . ما أشـبَهَ الليـلةَ بالبـارحَهْ ١٠

وقال أيضا :

ستُبدى لك الأيامُ ما كنتَ جاهلا . ويأتيـك بالأخبار من لم تُزوِّدِ

وقال أيضا :

وأَعلمُ عِلما ليس بالشكِّ أنه * إذا ذلّ مولَى المرء فهو ذليلُ

أَوس بن حَجَرٍ يقول : ١٥

فإنكما يا ٱبنَىْ جَنابٍ وُجِدتُما * كمن دبَّ يستخفِي وفى الكفِّ جُلْجُلُ

وقال أيضا :

وما ينهض البازى بغـير جَناحه * ولا يَحمِل المـاشِينَ إلا الحواملُ

اذا أنت لم تُعرِضْ عن الجهل والخنا * أَصبتَ حليما أو أصابك جاهـلُ

وقال أيضا :

ولستُ بخابئٍ أبدا طعاما * حذارَ غدٍ لكلِّ غد طعامُ

بشر بن أبي خازم يقول :

وأيدى الندى فى الصالحين قروضٌ *كفى بالموت نأيًا واغترابا*

٥ المتلمس وهو جرير بن عبد المسيح يقول :

قليلُ المال تُصلحه فيبقَى * ولا يبقَى الكثيرُ مع الفسادِ

وقال أيضا :

لذى الحلم قبل اليوم ما تُقْرَعُ العصا * وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا لِيَعلَما

ولو غير أخوالى أرادوا نقيصتى * جَعلتُ لهم فوق العَرانِينِ مِيسَما

١٠ وما كنتُ إلا مثلَ قاطع كفّه * بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما

وقال أيضا :

ولا يُقيم[(١)] على ذلّ يراد به * إلا الأذلّان عَيرُ السوء والوتِدُ

هذا على الخسف مربوط برُمَّتِه * وذا يُشَجُّ فلا يَرْثِي له أحدُ

الأفوه الأودىّ[(٢)] يقول :

١٥ إنما نعمةُ دنيا مُتعةٌ * وحياة المرء ثوبٌ مستعارُ

(١) كذا بالأصل والرواية المشهورة فى هذا البيت :

ولن يقيم على حسف يسام به * إلا الأذلان عير الحىّ والوتد

(٢) ذكرت فى صلب أحد الأصلين الفتوغرافيين هذه العبارة : (حاشية : الأفوه لقب واسمه صلاة بن عمرو بن مالك بن عوف بن الحارث بن عوف بن منبه بن أود بن صعب بن سعد العشيرة وكان يقال لأبيه : فارس الشوهاء . وفيه يقول الأفوه :

٢٠ أبى فارس الشوهاء عمرو بن مالك * غداة الوغى إذ مال بالجدّ عاثر

ووردت أيضا فى الأصل الآخر حاشية بهامشه ولم ترد فى النسخة الراغبية .

وصروف الدهر فى أطباقه * حَلْقة فيها ارتفاعٌ وانحـدارُ

بينما النـاس على عَليائهـا * إذ هوَوْا فى هوّة منها فغاروا

وقال أيضا :

والبيت لا يُبتَنَى إلا له عَمَـدٌ * ولا عِمـادَ إذا لم تُرسَ أوتادُ

فإن تجمَّع أوتادٌ وأعمـدةٌ * وساكنٌ بلغوا الأمر الذى كادوا

تَهدَا الأمورُ بأهل الرأى ماصلَحتْ * وإن تولّت فبالأشرار تَنقادُ

لايَصلح الناسُ فَوْضَى لا سَراةَ لهم * ولا سَراةَ إذا جُهّالهـم سـادوا

تميم بن أُبَىّ بن مقبل يقول :

خليـلىّ لا تستـعجلا وانظـرا غدًا * عسى أن يكون الرفقُ فى الأمر أرشَدا

وقال أيضـا :

ما أنعم العيشَ لو أن الفتى حَجَـرٌ * تنبو الحوادثُ عنـه وهو ملمومُ

حُمَيد بن ثَوْر يقول :

أرى بَصَرِى قد رابنى بعد صحّة * وحسبك داءً أن تَصحّ وتَسلما

ولن يلبثَ العصران يوما وليلةً * — إذا طَلَبا — أن يُدركا ما تيمّما

عدى بن زيد يقول :

كفى واعظـا للمرء أيامُ دهره * تروح له بالواعظات وتغتـدى

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكلّ قرينٍ بالمقارِن يقتـدى

وظلم ذوى القُربَى أشدُّ مَضاضةً[1] * على المرء من وقع الحسام المهنّـد

إذا ما رأيت الشرّ يبعث أهـلَه * وقام جُنـاة الشرّ للشرّ فاْقعـد

(١) كذا بالأصل . والمشهور أن هذا البيت لطرفة بن العبد من معلقته التى مطلعها :

لخـولةَ أطلال ببرقة ثهمـد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

وقال أيضا :

يا راقد الليل مسرورا بأوله * إن الحوادثَ قد يطرُقن أسحارا

وقال :

قد يُدرك المبطئُ من حظّه * والخير قد يسبق جَهد الحريص

٥ وقال :

لو بغير الماء حَلْقِى شرِقٌ * كنت كالغصّان بالماء آعتصارى

وقال :

فهل من خالدٍ إما هلكنا * وهل بالموت يا لَلناس عارُ

الأسود بن يعفُر يقول :

١٠ ماذا أؤمل بعدَ آل محرِّق * تركوا منازلهم وبعدَ إيادِ

أرض تخيّرها لطيب مَقيلها * كعبُ بنُ مامةَ وآبنُ أمّ دؤاد

أهلُ الخوَرْنَق والسَّديرِ وبارقٍ * والقصرِ ذى الشُّرُفاتِ من سِندادِ

جرت الرياح على محلّ ديارهم * فكأنهم كانوا على ميعاد

ولقد غَنُوا فيها بانعَم عيشةٍ * فى ظلِّ مُلكٍ ثابتِ الأوتاد

١٥ فإذا النعيم وكلّ ما يُلهى به * يوما يصير إلى بِلًى ونَفَاد

علقمة بن عَبَدَة يقول :

فإن تسألونى بالنساء فإننى * عليم بأدواء النساء طبيبُ

إذا شاب رأسُ المرء أو قلّ مالُه * فليس له فى ودّهن نصيبُ

يُرِدْنَ ثَراءَ المال حيث علِمنه * وشرخُ الشباب عندهنّ عجيبُ

وقال أيضـا :

وكلّ حِصنٍ وإن طالت إقامتُه * على دعائمـــه لا بدّ مهـــدومُ
ومن تَعرّض للغربان يزجُرها * على ســـلامته لا بدّ مشـــئوم

عمرو بن كُلثوم يقول :

وما شرُّ الثـلاثة أمَّ عمـرو * بصاحبك الذى لا تَصحبينا
وإنّ غدًا وإنّ اليومَ رهنٌ * وبعـدَ غد بمـا لا تَعْلَمينا

الحارث بن حِلِّزة يقول :

لا تكسع الشَّولَ بأغبـارها(1) * إنك لا تدرى مَنِ النـاتجُ
واصببْ لأضيافك ألبـانَها * فإن شرّ اللبن الوالجُ

حاتم الطائىّ يقول :

أماوىَّ ما يُغـــنى الثراءُ عن الفـــتى * إذا حَشْرَجتْ يوما وضاق بها الصدر
وقـــد عَلِم الأقـــوامُ لو أن حاتمـا * أراد ثَراء المـال كان له وَفْـــرُ

وقال أيضـا :

وأنت إذا أعطيتَ بطنك سؤلَه * وفرجَك نالا منتهَى الذمّ أجمعـا

المرقِّش الأصغر يقول :

ومَن يَلقَ خيرا يَحمَدِ الناسُ أمرَه * ومن يَغْوَ لا يعدم على الغيّ لائمـا

النَّمِر بن تَوْلَب يقول :

يودّ الفتى طولَ السلامة جاهدا * فكيف تُرى طولُ السلامة يفعلُ

---

(1) كسع الناقة بغبرها : ترك فى ضرعها بقية من اللبن . وأغبارها جمع غبر وهو بقية اللبن .

وقال أيضا :

ومتى تُصبْك خَصاصةٌ فارجُ الغنَى * وإلى الذى يَهب الرغائبَ فارغبِ
لا تغضبنّ عـلى آمرئ فى ماله * وعلى كرائم صُلب مالكَ فاغضب

وقال :

فلا وأبى النـاس لا يعلمو * ن للخـير خيرٌ وللشرّ شرّ
فيـوما علينـا ويوما لنـا * ويوما نُسـاء ويوما نُسَرّ

مهلهل بن ربيعة، وآسمه عدىّ يقول :

أَعزِزْ على تغلبٍ بمـا لقِيتْ * أختُ بنى الأكرمين من جُشَمِ
أنكحها فقـدُها الأراقمَ فى * جَنْبٍ وكان الحباء من أَدَمِ
لو بأبانَيْن[1] جاء يخطبهـا * ضُرِّج ما أنفُ خاطبٍ بدمِ
ليسـوا بأكفائنا الكرامِ ولا * يُغْنُون من ذلّة ولا عَدَمِ

طُفَيل الغنوىّ يقول :

إنّ النساء كأشجارٍ نَبـتْن معـا * منهن مُرٌّ وبعض المـرّ مأكولُ
إنّ النساء متى يُنهَين عن خُلُقٍ * فإنه واجب لا بدّ مفعـولُ

عُروة بن الورد يقول :

وماشاب رأسى من سنينَ تتابعتْ * علىّ ولكن شيّبتنى الوقائعُ

وقال أيضا :

ومن يك مثلى ذا عِيالٍ ومُقْـترا * من المال يَطْرَحْ نفسَه كلَّ مَطْرَحِ
لِيُبْلِـغَ عُذْرا أو يَنـالَ رغيبـةً * ومُبْلِـغُ نفسٍ عُذرَها مثلُ مُنجِحِ

الأعشى : وهو ميمون بن قيس من بنى قيس بن ثعلبة يقول :

كناطحٍ صخـرةً يوما ليفلقَهـا * فلم يَضِرْها وأوهَى قرنَه الوعلُ

---

(١) أبانان : جبلان فى نواحى البحرين .

وقال أيضـا :

تعالَوْا فإنّ الحكم عند ذوى النهى . من الناس كالبَلْقاء بادٍ حُجولُها

وقال أيضـا :

ومن يغتربْ عن قومه لم يزل يرى * مَصارعَ مظلومٍ مَجَـرًّا ومَسْحَبا

وتُدفَن منه الصالحاتُ وإن يُسئْ * يكن ما أثار النارَ فى رأس كَبْكَبا ٥

وقال أيضـا :

عوّدت كِندةَ عادةً فاصبر لها * اِغفر لجاهلها ورَوِّ سِجالَها

لَقِيط بن مَعْبَد (١) يقول :

قوموا قياما على أمشاط أرجلكم . ثم افزعوا قد ينال الأمنَ مَن فَزِعا

هيهات مازالت الأموال مذ أبدٍ * لأهلها — إن أُصيبوا مرّة — تَبَعا ١٠

تأبّط شرًّا : وهو ثابت بن جابر يقول :

لَتقرَعنَّ علىَّ السنَّ من ندمٍ * اذا تذكّرت يوما بعضَ أخلاقى

المثقِّب العَبْدىّ يقول :

فإما أن تكون أخى بحـــقّ * فأعرِف منك غثّى من سمينى

وإلا فاطّرِحـنى واتّخـذنى * عدوًّا أتّقيــك وتتقيــنى ١٥

فإنى لو تعـاندنى شِمـالى * عنادَك ما وصلتُ بها يمينى

المُمَزَّق العَبْدىّ يقول :

فإن كنتُ مأكولًا فكن أنت آكلى * وإلّا فأدركـنى ولمّـا أُمزَّقِ

أُفنون التَّغلَبىّ يقول :

لعمرك ما يدرى الفتى كيف يتّقى * إذا هو لم يجعــلْ له اللهُ واقيـا ٢٠

(١) ويقال أيضا : لقيط بن (معمر ويعمر) .

الأَضْبَط بن قُرَيع السَّعْدىّ يقول :

قد يجمع المالَ غيرُ آكله * ويأكل المالَ غيرُ من جَمَعَهْ

لا تحقرنَّ الفقير علّك أن * تركع يوماوالدهرُ قد رَفعهْ

واقبَلْ من الدهر ما أتاك به * من قرّ عينا بعَيْشه نَفعهْ

٥ سُوَيد بن أبى كاهل يقول :

رُبَّ مَن أَنضجتْ غَيظا قلبَه * قد تمنّى لى موتا لم يُطَعْ

ويرانى كالشَّجى فى حلقه * عَسِرًا مَخرجُه ما يُنتزَعْ

ويُحَيّينى إذا لاقيتُه * وإذا يَخلو له لَحمِى رَتَعْ

ٱنتهى ما يتمثل به من أشعار الجاهلية .

١٠ ومما يتمثل به من أشعار المُخَضْرَمين

المخضرمون : هم الذين أدركوا الجاهليّة والإسلام .

منهم لَبِيد بن ربيعة ، وفاته سنة إحدى وأربعين ، وعمره مائة سنة وسبعٌ وخمسون سنة يقول :

وإذا رُمتَ رحيلًا فارتحلْ * وٱعص ما يأمر تَوصيمُ[(١)] الكَسَلْ

١٥ وٱكذبِ النفسَ إذا حدّثتَها * إنّ صدق النفس يُزرى بالأملْ

وقال أيضا :

وما المالُ والأهلون إلا وَديعةٌ * ولا بدّ يوما أن تردَّ الودائعُ

وما المرءُ إلا كالشهاب وضوئه * يحور رَماداً بعدَ إذ هو ساطعُ

---

(١) التوصيم فى الجسد : التكسير والفترة والكسل .

وقال أيضـا :

كانت قَناتى لا تلين لغامز * فألانها الإصباحُ والإمساء

ودعوتُ ربّى فى السلامة جاهدا * ليُصحّنى فإذا السـلامةُ داء

وقال أيضـا :

ذهب الذين يُعـاش فى أكنافهم * وبَقيتُ فى خَلْف كجلد الأجرب ٥

وقال أيضـا :

إلى الحَوْل ثم آسمُ السـلامِ عليكما * ومن يبكِ حولا كاملا فقد آعتذرْ

كَعْب بن زُهَير يقول :

ومن دعا الناسَ إلى ذمه * ذمّوه بالحقّ وبالباطلِ

مقالةُ السوء إلى أهلها * أسرع من منحدرٍ سائل ١٠

النابغة الجعدىّ : وهو قيس بن عبد الله، وقيل حسّان بن قيس بن عبد الله ويكنَى النابغة: أباليلى، وهو أسنّ من الذبيانىّ، وطال عمره حتى أدرك أيّام بنى أميّة، وهو الذى قال له النبىّ صلى الله عليه وسلم : "لا يفضُض الله فاك" فما سقطت له سنّ، وفى رواية: فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سنّ تنبت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل أكثر . ومما يُتمثل به من شعره قوله : ١٥

ولا خيرَ فى حلم إذا لم يكن له * بوادرُ تحمى صفوَه أن يُكدَّرا

ولا خيرَ فى جهلٍ إذا لم يكن له * حليمٌ إذا ما أَوْردَ الأمرَ أصدرا

وقال أيضـا :

كُليبٌ لعمرى كان أكثر ناصرا * وأيسر جرما منك ضُرّج بالدم

أميّة بن أبى الصَّلْت الثقفىّ يقول : ٢٠

تلك المكارمُ لا قَعْبانِ من لبن * شيبا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

حسّان بن ثابت يقول :

وإن آمرأً يُمسى ويُصبح سالما * من الناس — إلّا ما جنى — لَسعيدُ

وقال أيضا :

رُبَّ حِلم أضاعه عَدَم الما * لِ وجهلٍ غطّى عليه النعيمُ

٥ ما أبالى أنبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ * أم لحانى بظهرِ غَيبٍ لئيمُ

الحطَيئة : وآسمه جَرْول بن أوس بن مخزوم. وقيل: جرول بن أوس بن مالك ابن غَطَفان بن سعد ويكنَى : أبا مُلَيكة، والحطيئة لقبٌ غلَب عليه؛ قيل لقب به لقصره وقربه من الأرض؛ وقيل : حبَق فى مجلس قومه فقال : إنما هى حَطْأَة فسمِّىَ الحطيئه . فما يتمثّل به من شعره قوله :

مَنْ يفعل الخيرَ لا يَعدَمْ جوازِيَه * لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها * واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وقال أيضا :

أقِلّوا عليهم لا أباً لأبيكُمُ * من اللوم أو سُدّوا المكان الذى سَدّوا

أولئك قومٌ إن بنَوْا أحسنوا البِنَا * وإن وعدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا

١٥ متمّم بن نُوَيرة يقول :

وكنّا كنَدْمانَىْ جَذيمةَ حِقبةً * من الدهر حتى قيل لن يتصدّعَا

فلما تفرّقنا كأنى ومالكا * لطول آجتماعٍ لم نبِتْ ليلةً معَا

أبو ذؤيب الهذلى يقول :

وتجلّدى للشامتين أُريهمُ * أنّى لريب الدهر لا أتضعضعُ

٢٠ واذا المنيّة أنشبت أظفارَها * ألفيتَ كلَّ تميمةٍ لا تنفعُ

والنفسُ راغبة إذا رغّبتَها * وإذا تُرَدُّ إلى قليلٍ تقنعُ

الخنساء : وهى تُماضِرُ بنت عمرو بن الشَّريد تقول :

ومَنْ ظن ممن يُلاقى الحروبَ * بألّا يصاب فقــد ظنَّ عَجْزا

وقالت أيضــا :

نُهِينُ النفوسَ وبذلُ النفو * س عند الكريهةِ أبقى لهــا

عمرو بن معد يكرِب يقول : ٥

إذا لم تستطع أمرا فدعه * وجاوزه إلى ما تســتطيعُ

وقال أيضــا :

ليس الجَمــالُ بمِـــئْزَرٍ * فاعلم وإن رُدِّيتَ بُردَا

إن الجمــال مآثِرٌ * ومكارمٌ أورثن مجــدَا

مَعْن بن أَوْس يقول : ١٠

وفى النــاس إن رثّت حبالُك واصلٌ * وفى الأرض عن دار القِلَى مُتَحَوَّلُ

اذا ٱنصرفتْ نفسى عن الشىء لم تَكَدْ * إليـــه بوجهٍ آخرَ الدهرِ تُقبِـــلُ

وقال أيضــا :

أُعلِّمــه الرمايةَ كلَّ يوم * فلما ٱستدَّ (١) ساعدُه رمانى

زياد بن زيد يقول : ١٥

ولا أتمَـــنى الشرَّ والشرُّ تاركى * ولكن متى أُحْمَل على الشرّ أركبِ



وقال أيضــا :

هل الدهر والأيام إلا كما ترى * رزيّةُ مالٍ أو فــراقُ حبيبِ

(١) كذا فى النسخة الراعية وأحد الأصلين الفتوغرافيين . وفى الأصل الفتوغرافى : الآخر «اشتدّ» بالشين المعجمة . وفى اللسان مادّة «سدد» : «قال الأصمعى اشتدّ بالشين المعجمة ليس بشىء الخ» . (انظر اللسان) . ٢٠

أيمن بن خُريم بن فاتك الاسدىّ يقول :

إن للفتنة مَيْطًا[(١)] بيننا * فرويدَ المَيْط منها تَعتدلْ

فإذا كان عطاءٌ فأتهم * وإذا كان قتالٌ فاعتزلْ

انتهى ما يُتمثل به من أشعار المخضرمين .

٥ ومما يتمثل به من أشعار المتقدّمين فى صدر الإسلام

القُطامىّ : وآسمه عُمير بن شُيَيم يقول :

ومَعصيةُ الشفيقِ عليك مما * يَزيدك مَرّةً منه آستماعَا

وخيرُ الأمرِ ما آستقبلتَ منه * وليس بأن تتبّعه آتّباعَا

أراهم يغمزون من آستركوا[(٢)] * ويجتنبون من صَدق المِصاعَا

١٠ لذاك وما رأيت الناس إلا * إلى ما جرّ جانبهم سِراعَا

وقال أيضا :

قد يُدرِك المتأنّى بعضَ حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزللُ

و ربما فات بعضَ القوم أمرُهمُ * مع التأنّى وكان الرأىُ لو عجِلوا

والناس من يلقَ خيرا قائلون له * ما يشتهى ولأمّ المخطئ الهَبَلُ

١٥ الطِرِمّاح بن حَكيم بن الحكم يقول :

لقد زادنى حبّا لنفسىَ أننى * بغيضٌ إلى كلّ آمرئ غيرِ طائلِ

وأنى شقىّ باللئام ولن ترى * شقيًّا بهم إلا كريمَ الشمائل

الكميت بن زيد الأسدى يقول :

إذا لم يكن إلا الأسنةَ مركبٌ * فلا رأى للمضطَرّ إلا ركوبُها

٢٠ (١) الميط : الشدّة والقوّة . (٢) استركوا : استضعفوا .

وقال ايضـا :

فيا موقدا نارا لغيرك ضوءُها * ويا حاطبا فى حبلِ غيرِك تحطِبُ

المساور بن هند يقول :

شَقيتْ بنو أسدٍ بشعر مُساورٍ * إن الشقىّ بكل حبـلٍ يُخنقُ

عدىّ بن الرِّقاع يقول :

وإذا نظرتُ إلى أميرى زادنى * ضنًّا به نظـرى إلى الأمراءِ

بل ما رأيتُ جبالَ أرضٍ تستوى * فيما غشيتُ ولا نجـومَ سماءِ

كالـبرق منـه وابلٌ متتابع * جَـوْدٌ وآخرُ ما يبِضّ بماءِ

والمـرء يورِثْ مجدَه أبناءَه * ويموت آخرُ وهو فى الأحياءِ

الفرزدق : واسمه هَمَّام بن غالب يقول :

فواعجبا حتى كُليبٌ تسبّنى * كأن أباها نَهْشَلٌ أو مُجاشِعُ

وقال أيضـا :

تُرجّى ربيعٌ ان يجىءَ صِغارُها * بخيرٍ وقـد أعيا عليك كِبارُها

وقال أيضـا :

فإن تَنجُ منها تَنجُ من ذى عظيمةٍ * وإلا فإنى لا إخالك ناجيا

وقال أيضـا :

يَمضى أخـوك فلا تَلقَ له خَلَفًا * والمـال بعد ذهاب المـال مُكتَسَبُ

وقال أيضـا :

لبسَ الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا * مثلَ الشفيع الذى يأتيك عُريانا

وقال أيضـا :

قُلْ لنضْرٍ والمرء فى دولة السلـ * ـطان أعمى ما دام يُدعَى أميرا
فإذا زالت الولاية عنـــه * وٱستوى بالرجال عاد بصـيرا

وقال أيضـا :

٥ ولا نلين لسلطان يُكايدُنا * حتى يلين لضرس الماضغ الحجرُ

وقال أيضا :

هل ٱبنك إلا ٱبنٌ من الناس فٱصبرن * فلن يَرجعَ الموتى حنينُ المـآتم

جرير هو ٱبن الخَطَفى تُوفِّى سنة عشر ومائة يقول :

إن الكريمةَ يَنصرُ الكرمَ ٱبنُها * وٱبنُ اللئيمة للّئـام نصورُ

١٠ وقال أيضـا :

زعم الفرزدقُ أن سيقتل مَربعا * أبشرْ بطول سـلامةٍ يا مَربعُ

وقال أيضـا :

وٱبن اللّبون إذا ما لُزَّ فى قَرَنٍ * لم يستطع صَولةَ البُزْل القَناعيس

وقال أيضـا :

١٥ رأيتك مثلَ البرق يُحسَبُ ضوءُه * قريبا و أدنى ضوئه منـك نازحُ

وقال أيضـا :

أمّا الرجالُ فَخَعْلانٌ و نِسْوتُهـم * مثلُ القَنافذِ لا حُسنٌ ولا طِيب

الأخطل : وٱسمه مالك بن غياث بن غوث ، وقال أبو الفرج الأصبهانى :
ٱسمه غياث بن غوث بن الصلْت بن طارقة بن سَيْحان بن عمرو ، و رُفِعَ نسبهُ

إلى جُشَم بن بكر و يُكنَى : أبا مالك ،قال : وقال المدائنى هو غياث بن غوث بن سلمة ابن طارقة . فمما يتمثل به من شعره قوله :

والناس همُّهُم الحياةُ ولا أرى * طولَ الحيـاة يزيد غيرَ خَبـالِ
و إذا آفتقرتَ إلى الذخائر لم تجدْ * ذُخرًا يكون كصالح الأعمالِ

وقال أيضـا : ٥

إنّ الضغينةَ تلقاها و إن قدُمت * كالعُـرِّ[(1)] يكمُن حينـا ثم ينتشرُ
وأقسمَ المجـــد حقًّا لا يحالفهم * حتى يحالفَ بطنَ الراحة الشَّعَرُ

وقال أيضـا :

و إذا دَعونَك يا أُخىَّ فإنه * أحنى إليك مَودّةً ووصـالَا
و إذا دَعونَك عَمَّهُنَّ فإنه * نسبٌ يزيدك عندهنّ خَبالَا ١٠

وقال أيضـا :

ضَفادعُ فى ظَلْماءِ ليلٍ تجاوبتْ * فدلَّ عليها صوتُها حيَّـــةَ البحرِ

وقال أيضـا :

يا مرسلَ الريح جَنــو با وصَبَا * إنْ غضِبتْ قَيسٌ فزدها غضَبَا

الصَّلَتانُ العَبْدىّ يقول : ١٥

و إنْ تكُ بحرُ الحنظليِّين واحدا * فمـا يستوى حيتانُه والضفادعُ
وما يستوى صدرُ القناة وزُجُّها * وما يستوى فى الراحتيْن الأصابعُ

كُثيِّر عزة : وهو كثيِّر بن عبد الرحمن بن الأسود الخُزاعىّ، توفى سنة خمس ومائة يقـــول :

و إنى وتَهيامِى بعـــزّةَ بعد ما * تخلَّيتُ ممّـا بيننـا وتخلّتِ ٢٠

(١) العر بالفتح و بالضم : الجرب .

(٢٤)

لكالمرتجى ظلَّ الغمامةِ كلّما * تبوّأ منها للمقيلِ اضمحلّتِ
فقلتُ لها يا عزّ كلُّ مصيبةٍ * إذا وُطِّنتْ يوماً لها النفسُ ذلَّتِ
هنيئاً مريئاً غيرَ داءٍ مخامرٍ * لعزّةَ من أعراضنا ما استحلّتِ

وقال أيضاً :

٥ قضى كلُّ ذى دَيْنٍ فوفى غريمَه * وعزّةُ ممطولٌ مُعنًّى غريمُها

وقال أيضاً :

ومن لا يُغمِّضْ عينَه عن صديقه * وعن بعض ما فيه يمتْ وهو عاتبُ
ومن يتتبَّعْ جاهداً كلَّ عثرةٍ * يجدْها ولا يسلَمْ له الدهرَ صاحبُ

جميل يقول :

١٠ فإن يك حربٌ بين قومى وبينها * فإنى لها فى كلّ نائبةٍ سَلْمُ

وقال أيضاً :

ولربَّ عارضةٍ علينا وصلَها * بالجِدِّ تخلطه بقول الهازل
فأجبتُها فى القول بعدَ تستّرٍ : حُبِّى بثينةَ عن وصالِكِ شاغلى
لو كان فى قلبى كقَدْر قُلامةٍ * وصلاً وصلتُك أو أتتك رسائلى

١٥ عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة يقول :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعدْ * وشفت أنفسنا مما نجدْ (١)
واستبدّتْ مرّةً واحدةً * إنما العاجزُ من لا يستبدْ

وقال أيضاً :

لا تلُمنى وأنتَ زيَّنتها لى * أنتَ مثلُ الشيطان للإنسان

---

٢٠ (١) الرواية المشهورة فى هذا البيت : * وشفت أنفسنا مما تجد *

ومما يتمثّل به من أشعار المُحدَثين

منهم إبراهيم بن هرمة يقول :

عَجِبت أُثَيْلةُ أَن رأتني مُخْلِقا * ثَكِلتكِ أُمُّكِ أيُّ ذاك يروعُ

قد يُدرِك الشرفَ الفتى ورداؤه * خَلَقٌ وجَيبُ قميصه مرقوعُ

وقال أيضا : ٥

كتاركةٍ بيضها بالعراءِ * وملبسةٍ بيض أخرى جناحا

بشّار بن بُرد يقول :

اذا كنت فى كلّ الأمور معاتبا * صديقك لم تلقَ الذى لا تعاتبُهْ

فعش واحدا أو صِلْ أخاك فإنه * مُقارف ذنبٍ مرة ومجانبُهْ

إذا أنت لم تشربْ مِرارا على القذى * ظمئتَ وأىّ الناس تصفو مشاربُهْ ١٠

وقال أيضا :

ولا تجعل الشورى عليك غَضاضةً * فإن الخوافِى عُدّةٌ للقوادِمِ

وما خيرُ كفٍّ أَمسكَ الغُلُّ أُختَها * وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّدْ بقائم

وقال أيضا :

كبكرٍ تَشَهَّى لذيذَ النِّكاح * وتَفرَقُ من صَولة الناكح ١٥

وقال أيضا :

أنتَ من قَلبها محلُّ شرابٍ * يُشتَهى شربهُ ويُخشَى صُداعهْ

وقال أيضا :

الحرُّ يُلحَى والعصا للعبدِ * وليس للمُلحِف مثلُ الردِّ

وصاحبٍ كالدُّمَّل المُمِدِّ * حملتُه فى رُقعةٍ من جِلدى ٢٠

وقال أيضا :

و إذا جفوتَ قطعتُ عنك مَنافعى * والدَّرُّ يقطعــه جفـاءُ الحالب

وقال أيضا :

ولو لا الذى خَبَّروا لم أكُنْ * لِأمدحَ رَيحانةً قبـــلَ شَمّْ

وقال أيضا :

تأتِى المقيمَ — وما سعى — حاجاتُهُ * عدَد الحصَى ويَخيبُ سعىُ الناصبِ

وقال أيضا :

أنا والله أشتهِى سحــر عينيـ * ـك وأخشَى مَصارعَ العُشّاق

وقال أيضا :

نرجو غدا وغدًا كحـاملة * فى الحى لا يدرون ماتلدُ

وقال أيضا :

تسقط الطيرُ حيث ينتـثِر الحبُّ * وتُغشَى منـازلُ الكرماءِ

ليس يُعطيك للرجاءِ ولا الخو * فِ ولكنْ يَلَذُّ طعمَ العطـاء

وقال أيضا :

* والصعبُ يُمكِنُ بعــد ما جمحا * ولن تَبْلُغَ العَلْيَـا بغـيرِ الدراهم[1] *

وقال أيضا :

ولا بدّ من شكوى إلى ذى مروءة * يواسـيك أو يُسْليك أو يتوجّعُ

أبو العتاهية يقول :

* أذلّ الحرصُ أعناقَ الرجالِ * * وكلُّ غَنِيٍّ فى العيونِ جَليلُ *

* روائحُ الجنّـةِ فى الشـبابِ * * وأىُّ الناسِ ليس له عُيوبُ *

(١) فى الأغانى طبع دار الكتب المصرية (ج ٣ ص ٢١٤) : ولا تبلغ العليا بغير المكارم .

وقال أيضـا :

إنَّ الشبابَ والفَراغَ والجِدَهْ * مَفْسَدَةٌ للدِّين أىُّ مَفْسَدَهْ

وقال أيضـا :

أنتَ ما آستغنيتَ عن صا حبِـكَ الدهرَ أخــوهُ
فإذا آحتجتَ إليـــه * سـاعةً مَجَّــكَ فــوه

وقال أيضـا :

ما يَحرُزُ المرءُ من أطرافه طَرَفا * إلا تحوَّنه النقصانُ من طَرَفِ

وقال أيضـا :

يُصادُ فؤادى حين أَرمِى ورَمْيتى * تعودُ إلى نَحرى ويسلمُ من أَرمِى

وقال أيضـا :

ولربَّ شهــوةِ سـاعةٍ * قد أورثتْ حزنا طويلا

سَلْمُ بن عمرو الخاسر : وهو مولى أبى بكر الصـدّيق رضى الله عنه، وهو بصرى، لُقِّب الخاسر لأنه ورث من أبيه مصحفا فباعه وآشترى بثمنه طُنبورا ، وقيل : بل خلَّف أبوه مالا فأنفقه فى الأدب والشعر، فقال له بعض أهله : إنك لخاسر الصفقة، فلُقِّب بذلك . فمما يتمثّل به من شعره قوله :

مَنْ راقبَ الناسَ مات غمًّا * وفاز باللّــذة الجســورُ
لولا مُنى العاشــقين ماتوا * غمًّـا وبعض المنى غرورُ

وقال أيضـا :

ولو ملكتَ عِنانَ الريح تصرفُه * فى كلّ ناحيـة ما فاتك الطلبُ

وقال أيضـا :

لا تسأل المرءَ عن خلائقه * فى وجهــه شاهدٌ من الخَـبرِ

صالح بن عبد القُدّوس يقول :

ما يَبلغ الأعداءُ من جاهــلٍ * ما يبلُغُ الجاهلُ من نفســه
والجــاهل الآملُ ما فى غدٍ * كحفظه فى اليوم أو أمســه
والشــيخ لا يَترُك أخلاقَه * حتى يُوارَى فى ثرى رمسه
٥ والحُمــقُ داءٌ ماله حيــلةٌ * تُرجَى كبُعد النجم من لمسه

(٢٥)

وقال أيضــا :

وإنَّ عنــاءً أن تُفهِّمَ جاهــلا * فيَحْسَبَ جهلًا أنه منك أفهمُ
متى يبلغ البنيانُ يوما تمــامَهُ * اذا كنتَ تبنيه وغيرُك يهــدمُ

وقال أيضــا :

١٠ إذا وَترتَ آمرأً فاحذرْ عداوتَه * من يزرع الشوكَ لايحصُدْ به عِنبَا

وقال أيضــا :

شرّ المواهب ما تجود به * من غير محْمَدَة ولا أجر

وقال أيضــا :

لا تَجُــدْ بالعطــاء فى غير حقٍّ * ليس فى منع غير ذى الحقّ بخلُ
١٥ إنمــا الجود أن تجــودَ على من * هو للجود منك والبذل أهــلُ

وقال أيضــا :

يَشقَى رجالٌ و يشْقَى آخرون بهم * ويُســعِدُ اللهُ أقواما بأقــوامِ
وليس رزقُ الفتى من لُطفِ حيلته * لكنْ جدودٌ بأرزاقٍ وأقسامِ
كالصَّيد يُحْرَمُه الرامى المجيدُ وقد * يَرْمى فيرزُقُه مَن ليس بالرامى

وقال أيضا :

إنْ يكنْ ما به أصبتَ جليلا * فذهابُ العـزاءِ منــه أجلُّ
كلّ آتٍ لاشك آتٍ وذو الجهـ * ـل مُعَنًّى والغمُّ والحزنُ فضلُ

ابن مَيَّـادة : هو الرمّاح بن أبرد كنيته شُرَحْبيل يقول :

واعجبا من خالدٍ كيف لا * يُخطئ فينا مرّةً بالصواب ٥

وقال أيضـا :

وأرانا كالزرع يحصده الدهـ * ـرُ فمن بين قائم وحصيد
وكأنّا للموت رَكْبٌ مُخِبُّو * ن سراعٌ لمنهلٍ مورودِ

أبو نُواس الحسن بن هانِئٍ يقول :

* دع عنك لَومى فإن اللومَ إغراءُ * * ألا ربَّ إحسان عليك ثقيـلُ * ١٠

وقال :

* وللرجاء حرمةٌ لا تُجهلُ * * وأىُّ جِـدٍّ بلَغ المـازحُ *

وقال أيضـا :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشَّفتْ * له عن عدوٍّ فى ثياب صديقِ

وقال أيضـا : ١٥

لا أَذودُ الطيرَ عن شجرٍ * قـد بلَوتُ المرّ من ثمرِهْ

وقال أيضـا :

وليس لله بمسـتنكَرٍ * أن يجمعَ العالَمَ فى واحدِ

وقال أيضـا :

صار جدًّا ما مزحتُ به * ربَّ جِدٍّ ساقـه اللعِبُ ٢٠

وقال أيضا :

كفى حَزَنًا أنّ الجواد مُقَـتَّرٌ * عليه ولا معروفَ عند بخيلِ

وقال أيضا :

وأوبةُ مشتاقٍ بغير دراهـم * إلى أهله من أعظم الحَدَثان

٥ أبو عُيَيْنَة المُهلَّبيّ يقول :

* وكيف بجُحود القلبِ والعينُ تشهدُ * * ولا خيرَ فيمن لا يدوم له عهـدُ *

* وشتّانَ ما بين الولاية والعزْلِ *

وقال أيضا :

وإذا تطـاولت الرءو * س فغطِّ رأسَك ثم طاطِهْ

١٠ عبد الله بن أبي عُتْبة المُهلّبي يقول :

كل المصائب قد تمرّ على الفتى * فتهونُ غيرَ شمـاتة الأعداءِ

وقال أيضا :

ما كنتَ إلا كلحم ميْتٍ * دعا إلى أكله آضطرارُ

العبّاس بن الأحنف يقول :

١٥ لو كنتِ عاتبـةً لسكّن رَوْعتى * أمَلى رضاكِ وزرتُ غيرَ مراقَبِ

لكن مللْتِ فما لصدِّكِ حيلةٌ * صدُّ المَلُول خلافُ صدِّ العاتبِ

وقال أيضا :

صرتُ كأنّى ذبالةٌ نُصبتْ * تُضىءُ للناس وهى تحترقُ

وقال أيضا :

٢٠ أرى الطريقَ قريبًا حين أسلكُهُ * إلى الحبيبِ بَعيـدًا حين أنصرِفُ

وقال أيضـا :

كفى حَزَنًا أنّ التباعدَ بيننا * وقد جمعتْنا والأحبَّـةَ دارُ

وقال أيضـا :

أقمنا مكَرهين بهـا فلمّا * أَلِفناها خرجنا مُكرَهينا

وقال أيضـا : ٥

* ولا خيرَ فى ودٍّ يكون بشافع * من عالج الشوقَ لم يستبعد الدارا *

مُسلم بن الوليد : هو مولى الأنصار، ثم مولى آل أبى أُمامة : أسعد بن زُرارَة الخَزْرَجى ولُقِّب صريعَ الغوانى، وممّـا يُتَمثَّل به من شعره قوله :

دلّتْ على عيبها الدنيـا وصــدَّقها * ما آسترجعَ الدهرُ ممّـا كان أعطانى

وكان يقول أخذتُ معنى هذا البيت من التوراة . ١٠

وقال أيضـا :

تعُدّ الفتى مرّ الليالى سليمةً * وهنّ به عمـا قليـلٍ عواثر

وقال أيضـا :

أما الهجاء فدَقَّ عِرضُـك دونَه * والمدحُ عنك كما علمتَ جليـلُ

فآذهب فأنتَ طليقُ عِرضِك إنّه * عِرْضٌ عزَزتَ به وأنت ذليل ١٥

منصور النَّمَرِىّ : هو منصور بن الزِّبْرِقان بن سَلَمَة . وقيل منصور بن سَلَمَة ابن الزِّبْرِقان بن شريك، مُطعِمُ الكبشِ الرَّخَم، سمى بذلك لأنه أطعم ناسا نزلوا به ونحرَ لهم، ثم رفع رأسه فاذا هو بِرَخَم يَحُمن حول أضيافه، فأمر أن يُذْبَح لهنّ كبشٌ و يُرمى لهنّ فَفُعِل ذلك ونزلن عليه فمزّقنه، وهو آبن مالك بن سعد بن عامر الضَّحْيان، سمى بذلك لأنه كان سيد قومه وحاكِمَهم وكان يجلس لهم اذا أضحى النهارُ، وهو آبن سعد ٢٠

ٱبن الخَزْرَج بن تَيْم الله بن النَّمِر بن قاسِط بن هِنبْ بن أَفْصَى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة ٱبن أسد بن رَبيعة بن نِزَار . فمما يُتَمَثَّل به من شعره قوله :

لعــلّ لهــا عذرًا وأنت تلوم * وربّ ٱمرئٍ قد لام وهو مُليم

وقال أيضــا :

ما كنتُ أُوفِي شبابي كُنْهَ عِزَّته * حتى ٱنقضى فاذا الدنيــا له تَبَــع

وقال أيضــا :

أقلل عتابَ من ٱستربتَ بوُدّه * ليست تُــال مــودةٌ بعتاب

العَتَّابِيّ : هو كُلْثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش بن أوس بن مسعود ٱبن عمرو بن كُلْثوم الشاعر ٱبن مالك بن عَتّاب بن سعد بن زُهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تَغْلب . فمما يُتَمَثَّل به من شعره قوله :

وإن عظيمات الأمور مَشُوبةٌ * بمستودعاتٍ في بطون الأساود

وقال أيضــا :

ولله في عَرْض السموات جَنّة * ولكنهــا محفوفة بالمَــكاره

وقال أيضــا :

قلت للفرقدين والليل مُلقٍ * سُــودَ أكنافه على الآفاق

اِبقيا ما بقيتما ســوف يُرمَى * بين شخصيكما بسهم الفِراق

أَشْجَع السُّلَمِيّ : هو أشجع بن عمرو أبو الوليد، وقيل: أبو عمرو من أهل الرَّقّة . فمما يتمثل به من شعره قوله :

نسيبُك من أمسى يناجيك طرفه * وليس لمن تحت التراب نسيبُ

وقال أيضا :

سبق القضاءُ بكلِّ ما هو كائن * فليَجهــد المتقلِّب المحتــالُ

وقال أيضا :

داءٌ قديم فى بنى آدمٍ * فتنــةُ إنسان بإنسان

وقال أيضا :

وعلى عـــدوّك يا بن عمّ محمدٍ * رَصَدان ضوءُ الصبح والإظلامُ
فاذا تنبــه رعتَه وإذا غفــا * سلّتْ عليه سـيوفَك الأحلامُ

الجُرْهُمِىُّ :

وأعددتُه ذخرا لكل مُلِمــةٍ * وسهمُ الرزايا بالذخائر مولعُ

وقال أيضا :

إذا ما مات بعضُك فابك بعضًا * فإن البعضَ من بعضٍ قريبُ

وقال أيضا :

أرى الحلمَ فى بعضِ المواطِنِ ذِلةً * وفى بعضها عزًّا يُسَــوَّدُ فاعلُهْ

وقال أيضا :

ودون النــدى فى كل قلبٍ ثَنيَّةٌ * لها مَصْعَدٌ حَزْن ومُنحَدرٌ سهلُ

وقال أيضا :

العيش لا عيش إلا ما قَنِعت به * قد يكثر المــالُ والإنسان مُفتَقِر

وقال أيضا :

وهل حازم إلا كا ٓخر عاجز * اذا حل بالإنسان ما يتوقّعُ

محمود الورّاق : هو محمود بن الحسن البغدادى مولى بنى زُهرة، ويُكنى أبا الحسن . فما يُتمثّل به من شعره قوله :

و إذا غلا شىءٌ علىّ تركتُه * فيكون أرخصَ ما يكون إذا غلا

وقال أيضا :

٥ ما كدتُ أفحص عن أخى ثقةٍ * إلّا ذممتُ عواقبَ الفحصِ

وقال أيضا :

الدهر لا يبقى علــى حالة * لا بدّ أن يُقبِلَ أو يُدبرا

فإن تلقّاك بمكروهــه * فٱصبرْ فإن الدهرَ لن يَصبرا

وقال أيضا :

١٠ إذا كان وجهُ العُذرِ ليس بواضحٍ * فإنّ ٱطراحَ العذرِ خيرٌ من العذر

محمود بن حازم الباهلىّ :

ألا إنمـا الدّنيا على المرء فتنةٌ * على كل حال أقبلتْ أم تولّتِ

وقال أيضا :

وقائـلٍ كيف تفرّقتما * فقلتُ قولا فيـه إنصافُ

١٥ لم يك لى شكلا ففارقتُـه * والناسُ أشـكالٌ وأُلّافُ

السَّمَوءلُ بن عَادياء :

اذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللؤمِ عِرضُه * فكلُّ رداء يرتديه جميـلُ

وقال أيضا :

اذا كنت مَلْحيًّا مُسِيئا ومُحسِنا * فغِشيانُ ما تهوى من الأمر أكيسُ

محمد بن أبى ذُرْعَة الدِّمَشْقى :

لا يُؤنِسَنَّك أن ترانى ضاحكا * كم ضَحْكَة فيهـا عُبوسٌ كامِنُ

وقال أيضا :

قد يُهَزُّ(١) الهنــدىُّ وهو حُسام * ويُحَثّ الجــوادُ وهو جــوادُ

أبو الشيص : واسمه محمد بن رُزَين بن تَميم بن نَهْشَل ، وأبو الشِّيص لَقَبٌ غَلَب عليه، وكُنْيَتُه أبو جعفر وهو عم دِعْبِل بن علىّ . فما يُتمثل به من شعره قوله :   ٥

اذا لم تَكُنْ طُرْقُ الهوى لى ذليــلةً * تنكّبتُها وانحزتُ من جانبِ السَّهل

على بن جَبَلَة بن عبد الرحمن الأنبارىّ، وهو المُلقّب بالعَكَوَّك قال :

وأرى الليالىَ ما طوتْ من شِرَّتى * ردّتْه فى عِظَتى وفى إفهـامى

وعلمتُ أن المرءَ من سَنَن الردى * حيثُ الرميَّةُ من سِهام الرامى   ١٠

وقال أيضا :

وخافت على التطواف قومى وانما * تُصاب غِرار الوحش وهى رُتُوعُ

التَّجلاجُ الحــارثىّ :

وما كنتُ زوّارا ولكنّ ذا الهـوى * الى حيث يَهوَى القلبُ تَهوِى به الرِجْلُ

وقال أيضا :   ١٥

اذا ما أهانَ آمرؤٌ نَفْسَه * فلا أكرم اللهُ من يُكرمه

عبد الصمد بن المعذَّل :

ليس لى عُذْرٌ وعندى بُلْغةٌ * إنمــا العذر لمن لا يستطيع

(١) الذى فى الأصول : «يمهن» وهو تحريف .

وقال أيضا :

وأعلم أن بات الرجاء * تُحِلّ العزيزَ مَحَلّ الذليلِ
وان ليس مُستغنيا بالكثير من ليس مُستغنيا بالقليل

وقال أيضا :

أرى النــاسَ أُحدوثةً * فكونوا حديثًا حَسَنْ
كأن لم يكن ما أتى * وما قــد مضى لم يكن
اذا وطنٌ رابنى * فكل بلادٍ وطن
اذا عزّ يومًا أخــو * ك فى بعض أمر فَهُن

الحَمْدونىّ :

إن المُقَدّمَ فى حِذْقٍ بصنعته * أنّى توجه فيها فهــو محروم

العتبى :

قالت عهِدتُك مجنونًا فقلتُ لها * إن الشبابَ جنون برؤُه الكِبَر

وقال أيضا :

وحسبُك من حادثٍ بامرئٍ * يرى حاسـديه له راحمينا

أبو سعيد المخزومىّ : وآسمه عيسى بن خالد بن الوليد، والصحيح أنه أبو سعد لا سعيد . فمما يُتمثل به من شعره قوله :

وكم رأينا للدهر من أسَدٍ * بالت على رأسِـه ثعالبُهُ

وقال أيضا :

إذا ضنّ الجَـوادُ بمـا لديه * فمـا فضلُ الجواد على البخيل

وقال أيضا :

ليس لبسُ الطيَالِس * من لبـاس الفوارس

لا ولا حَوْمة الوغى * كصـدور المجالِس
وظُهـورُ الجيـادِ غـير ظهـور الطنـافس
ليس من مارس الخطو * ب كمن لم يمارس

(٣٧) دِعْبِل بن علىّ الخزاعىّ : هو أبو جعفر واسمه محمد ودعبل لقبٌ غَلَب عليه ، والدِّعْبِلُ : البعيرُ المسنُّ ، وقيل : الناقةُ التى معها أولادها . فما يُتمثّل به من شعره قوله : ٥

لا تعجبى ياسَلْم من رجل * ضَحِك المشيبُ برأسه فبكى

وقال أيضا :

هى النفس ما حسّنتَه فمُحسَّن * إليها وما قبّحتَـــه فمُقَبّح

وقال أيضا :

جئنـا به يشـفع فى حاجةٍ * فاحتاج فى الإذن إلى شافع ١٠

وقال أيضا :

تلك المساعى اذا ما أخّرتْ رجلا * أحب للناس عيبًا كالذى عابهْ
كذاك من كان هَدْمُ المجد عادتَه * فإنّه لبِنـاء المجـدِ عَيّابهْ

إسحاق بن إبراهيم المَوْصِلى :

وكلُّ مسافرٍ يزداد شوقًا * إذا دنتِ الديارُ من الديارِ ١٥

المؤمل بن أميل :

إذا مَرِضنا أتيناكم نَعودكمُ * وتذنبون فنأتيكم ونعتـــذرُ
لاتحسَبونى غنيًّا عن مودّتكم * إنى إليكم وإن أيسرتُ مفتقرُ

إبراهيمُ بن العباس بن محمد بن صُول مولى يزيد بن المُهَلَّب يُكنى أبا إسحاق ، وأصله من خُراسان . فما يُتمثّل به من شعره قوله : ٢٠

ورب أخ ناديتُـه لمُلمة * فألفيتُه منها أجلَّ وأعظما

وقال أيضا :

وكنت أذُمّ إليك الزمانَ * فأصبحتُ فيك أذمّ الزمانا

وكنت أعدّك للنائبات * فهأنا أطلبُ منك الأمانا

وقال أيضا :

٥ دَنَتْ بأناس عن تناءٍ زيارةٌ * وشطّ بليلى عن دُنوٍّ مَزارُها

وإنّ مقيماتٍ بمُنقَطِع اللوى * لأقرب من ليلى وهاتيك دارها

أبو علىّ البصير : وهو الفضل بن جعفر الكوفىّ يقول :

فلا تعتذرْ بالشُّغل عنّا فإنّما * تناطُ بك الآمال ما آتصل الشُّغْل

وقال أيضا :

١٠ لعمر أبيكَ ما نُسب المعلَّى * إلى كرم وفى الدنيا كريمُ

ولكنّ البلادَ إذا آقشعرّت * وصوّح نبتُها رُعى الهشيمُ

سعيد بن حميد يقول :

* إنّ جَهد المقلّ غير قليل * * وعلى المريب شواهدٌ لا تُدفعُ *

وقال أيضا :

١٥ وإنك كالدنيا تُذَمّ صروفها * ونوسعها سبًّا ونحن عبيدها

علىّ بن الجهم يقول :

ولكلّ حال مُعْقَبٌ ولربما * أجلَى لك المكروهُ عمّا تحمَدُ

وقال أيضا :

وعاقبةُ الصبر الجميل جميلة * وأفضل أخلاق الرجالِ التفضُّل

٢٠ ولا عار إن زالت عن المرء نعمةٌ * ولكنّ عارا أن يزولَ التجمُّلُ

وقال أيضا :

ارضَ للسائل الخضوعَ وللقا * رفِ ذنبًا مَذلّة الأعـذارِ

ابن أبي فنن : هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور يقول :

أرى الدهرَ يُخلِقُنى كلّمــا * لبستُ من الدهرِ ثوبًا جديدا

وقال أيضا :

سَرَّ من عاش مالُه فإذا حا * سَـبهُ اللهُ سَرَّهُ الإعدامُ

وقال أيضا ،

ربَّ أمرٍ سرَّ آخرُهُ * بعد ماساءَتْ أوائلُهُ

يزيد بن محمد المهلبيّ يقول :

* لا عار إن ضامك دهرٌ أو مَلِكْ *

وقال :

وإن الناسَ جمعهُمُ كثيرٌ * ولكنْ من تُسَرُّ به قليلُ

وقال أيضا :

ومن ذا الذى تُرضى سجاياه كلُّها * كفى المرء نُبلًا أن تعدَّ معايبُــهْ

عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقول :

فإن تلحظى حالى وحالَك مرّةً * بنظرة عين عن هوى النفس تُحجَبُ

تَرىْ كلَّ يوم مرَّ من بؤْس عيشتى * عليك بيوم من نعيمك يُحسبُ

أحمد بن أبي طاهر يقول :

وَدِين الفتى بين التماسك والنهى * ودنيا الفتى بين الهوى والتغرّر

وقال أيضا :

حسن الفتى أن يكون ذا حسبٍ * من نفســه ليس حسنَه حسبُهْ

أبو تمام حبيب بن أوس الطائى يقول :

* ما الحبّ الا للحبيب الأول * * لسان المرء من جِذْم الفؤاد *

٥ * وذو النقص فى الدنيا بذى الفضل مولع *

وقال :

ما آبَ مَنْ آبَ لم يظفَر بحاجته * ولم يَغِبْ طالبٌ للنُّجح لم يَخِبِ

وقال أيضا :

ومن لم يُسلِّم للنوائب أصبحتْ * خلائقــه طرًّا عليـــه نوائبَا

١٠ وقال أيضا :

لأمرٍ عليهم أن يتمَّ صدورُه * وليس عليهم أن تتم عَواقِبُهْ

وقال أيضا :

لا تنكرى عَطَلَ الكريم من الغِنى * فالسيلُ حَرْبٌ للمكانِ العــالى

وقال أيضا :

١٥ واذا تأملتَ البلادَ رأيتهــا * تُثرِى كما تُثرِى الرجالُ وتُعدِمُ

وقال أيضا :

واذا آمرؤ أهدى اليك صنيعةً من جاهه فكأنهــا من ماله

وقال أيضا :

خلقنا رجالا للتجــلد والأسى * وتلك الغوانى للبــكا والمآتم

وقال أيضا :

ينال الفتى من عيشه وهو جاهلٌ * ويُكدِى الفتى فى دهره وهو عالمُ
ولو كانت الأرزاق تجرى على الحِجا * هلكن إذًا من جهلهنّ البهائمُ

وقال أيضا :

أآلفــة النحيب كم آفتراق * أظلَّ فكان داعيةَ آجتماعِ
وليست فرحةُ الأوبات إلا * لموقوف على ترَح الوَداعِ

وقال أيضا :

واذا أراد الله نشرَ فضــيلة * يوما[1] أتاح لهـا لسان حَسودِ
لولا آشتعال النار فيما جاورت * ما كان يُعرف طِيبُ عَرفِ العودِ

وقال أيضا :

خشعوا لصولتك التى هى عندهم * كالموت يأتى ليس فيـــه عار

وقال أيضا :

ذاك الذى قَرِحتْ بطونُ جفونه * مَرَهًا وتربة أرضــه من إثمِـد

وقال أيضا :

وتَرى سرعة الصَّدَر آعتباطًا * يدلّ على موافقــة الورود

وقال أيضا :

ولم أر كالمعروف تُدعى حقوقُه * مغارمَ فى الأقوام وهى مَغانمُ

وقال أيضا :

و إن آمرأً ضنّت يداه على آمرئٍ * بنيــلِ يدٍ من غيره لبخيــلُ

---

(١) كذا فى الأصول . والرواية المشهورة كما فى ديوان أبى تمام طبع مصر ص ٤٣ : «... طويت...الخ» .

أبو عُبَادة البُحترىّ، وهو الوليد بن عُبَيد بن يحيى بن عُبَيد بن شَمْلان بن جابر ابن مَسْلمة بن مُسهِر بن الحارث بن خَيْثَم بن أبى حارثة بن جدى بن تَدْوَل بن بُحتُر الطائىّ . فمما يتمثل به من شعره قوله :

* وأبرحُ ممّـا حَلّ ما يُتَوَقَّعُ *

٥ وقال أيضا :

* وليس تقترن النعماءُ والحسدُ *

وقال أيضا :

* إن المعنَّى طالبٌ لا يظفَرُ *

وقال أيضا :

١٠ * أرى الكفرَ للنعماء ضربا من الكفرِ *

وقال أيضا :

* يزين اللاّلى فى النظام ٱزدواجها *

وقال :

وكان رجائى أن أؤوب مملَّكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلَّما

١٥ وقال أيضا :

متى أَحرجتَ ذا كرم تخطَّى * اليـــك ببعض أخلاق اللئيم

وقال أيضا :

والشيء تُمْنَعُــه يكون بفَــوتِه * أجدى من الشيء الذى تُعطاهُ

وقال أيضا :

٢٠ تناسَ ذنوبَ قومك إن حفظَ الـذُّنوبِ اذا قدُمنَ من الذنوبِ

وقال أيضا :

واذا ما خَفيتُ كنتُ حَرِيًّا * أن أرى غيرَ مُصبح حيث أُمسِى

وقال أيضا :

متى أرتِ الدنيـا نباهةَ خاملٍ * فلا تنتظـرْ إلا خُمولَ نبيـــهِ

وقال أيضا : ٥

وأرى النجابةَ لا يكون تمـامُها * لنجيب قوم ليس بآبن نجيب

وقال أيضا :

واذا ما الشريفُ لم يتواضعْ * للأخلّاء فهو عينُ الوضيـــع

وقال أيضا :

ولم أر أمثـالَ الرجال تفاوتتْ * الى المجد حتى عُدَّ ألفٌ بواحد ١٠

وقال أيضا :

ليس الذى يُعطيــك تالدَ ماله * مثلَ الذى يُعطيك مالَ الناسِ

وتَفاضُل الأخلاقِ إن حصَّلتَها * فى الناس حيثُ تفاضل الأجناسِ

وقال أيضا :

لا ييأس المرء أن ينجّيه * ما يحسَبُ النـاسُ أنه عَطَبُهْ ١٥

يسرّك الشيءُ قد يسوءُوكم * نوه يوما بخـامل لقبُـــهْ

وقال أيضا :

اذا محاســـنِيَ اللاتى أدلُّ بهـا * كانت ذنوبى فقل لى كيف أعتذرُ

وقال أيضا :

وعطـاءُ غـيرك إن بذل * ـتَ عنـايةً فيه عطاؤكْ ٢٠

ديك الجن، وآسمه عبد السلام بن رَغْبان بن عبد السلام بن حبيب بن عبد الله بن رغبان بن زيد بن تميم بن مجد من أهل حمص يقول :

وشافى النُّصْح يُعدَل بالأشافِى[1] * وليس القِدر إلّا بالأثافى

وقال :

اذا شجر المودّة لم تجُدهُ * بغيث البِرّ أسرع فى الجفافِ

وقال أيضا :

يرقدُ الناسُ آمنين وريب الدّهر يرعاهُمُ بمقلة لِصّ

آبنِ الرومى يقول :

وكم داخلٍ بين الحميمين مصلح * كما آنغلّ بين العينِ والجفنِ مِروَدُ

وقال أيضا :

هو بازٍ صائد أرسلتُهُ * فآرجعوه سالما إن لم يَصِدْ

وقال أيضا :

وما الحمد إلا توءم الشكر فى الفتى * وبعض السجايا ينتسبن الى بعضِ

اذا الأرض ردّت رَيْع ما أنت زارعٌ * من البذر فهى الأرض ناهيك من أرضِ

وقال أيضا :

وإذا أتاك من الأمور مقدَّرٌ * ففررتَ منه فنحوهُ تتوجّهُ

وقال أيضا :

كيف تَرضَى الفقر عِرسا لامرئٍ * وهو لا يَرضَى لك الدنيا أمَهْ

وقال أيضا :

عدوُّك من صديقك مستفادٌ * فلا تستكثرنّ من الصحابِ

فإنّ الداءَ أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشرابِ

(١) هكذا ورد فى جميع الاصول ولم نوفّق الى تحقيقه فى المراجع التى بين أيدينا .

عبد الله بن المعتز يقول :

* فإن العيون وجوهُ القلوبِ *

وقال أيضا :

* أتم الكرام قليـلةُ الأولاد *

وقال أيضا :

* أَبطأُ فيض الدِّلاء أملؤها *

وقال أيضا :

اِصبر على كيد الحسو * د فإن صـبرك قاتلُهْ
فالنـار تأكل بعضها * إذ لم تجـد ما تأكله

وقال أيضا :

ولا همَّ إلا سوف يُفْتحُ قُفْلُه * ولا حالَ إلا للفتى بعدها حالُ

وقال أيضا :

لا تأمنوا من بعد خيرٍ شرًّا * كم غُصُنٍ أخضرَ عاد جمـرَا

وقال أيضا :

وإنى على إشفاق عينى من البكا * لتجمح منى نظـرة ثم أُطرقُ
كما حُلِّئت عن ماء وِرْد طريدةٌ * تمدّ اليـه جيدَها وهى تَفـرقُ

وقال أيضا وإشارته الى الديك :

صفّق إما ٱرتياحةً لسَـنا الـ * ـفجر وإما على الدجى أسفا

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

ألم ترأنــ المرءَ تَدْوَى يمينُه * فيقطعها عمــدا ليسـلَم سائرُهْ
فكيف تراه بعــد يمناه صانعا * لمن ليس منه حين تدوَى سرائرُهْ

وقال أيضا :

ألا قبّح الله الضرورةَ إنّها * تكلّف أعلى الخَلْقِ أدنى الخلائق

وقال أيضا :

وكم قائل قد قال مالَك راجلا * فقلت له من أجل أنّك فارس

٥ وقال أيضا :

ومن سرّه ألّا يرَى ما يسوءُه * فلا يتّخِذْ شيئا يَخاف له فقدَا

ابن طَبَاطَبَا العلوىّ : هو أبو الحسن محمد بن أحمد العلوى الأصبهانى يقول :

إن فى نيل المُنَى وشكَ الردَى * وقياس القصد عند السرَف

كسراج دهنه قوتٌ له * فإذا غرّقته فيه طَفِى

١٠ وقال أيضا :

لقد قال أبو بكر * صوابا بعد ما أنصتْ

خرجنا لم نصد شيئا * وما كان لنا أفلتْ

وقال أيضا :

يا عيشنا المفقودَ خذ من عمرنا * عاماً ورُدَّ من الصِّبا أياما

١٥ منصور الفقيه المقرِئ يقول :

يا من يخاف أن يكو * ن ما أخاف سرمدَا

أما سمعتَ قولَهم * إنَّ مع اليوم غدَا

وقال أيضا :

المِلح يُصلِح كلّ ما * يُخشى عليه من الفسادِ

٢٠ فإذا الفساد جرى عليـ * ـه فحكمه حُكْمُ الرَّماد

(٣٩)

وقال أيضا :

كلُّ مذكورٍ من الناس اذا ما * فقـــدوه صار فى حكم الرَّماد

وقال أيضا :

كلّ مذكورٍ من النـ * ـاس اذا ما فقدوه

صار فى حكم حديث * حفظوه ونسوه ٥

وقال أيضا :

كلّ من أصبح فى دهـ * ـرك ممن قد تراهْ

هو من خلفك مقرا * ض وفى الوجه مِراهْ

ابن بسّام : هو على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسّام كنيته أبو الحسن يقول

* وكم أُمنيّة جلبتْ منيّهْ * ١٠

وقال :

ولولا الضرورةُ ما جئتـــكُم * وعند الضرورة يؤتَى الكنيف

وقال أيضا :

قل لأبى القاسم المرجّى * قابلك الدهر بالعجائبْ

مات لك ابنٌ وكان زينا * وعاش ذو الشين والمعايبْ ١٥

حياة هذا كموت هـذا * فلست تخلو من المصائبْ

وقال أيضا :

ربَّ يوم بكيت منـه فلما * جزت فى غيره بكيت عليه

وقال أيضا :

قد يحمل الشيخُ الكبيـ * ـرُ جنازةَ الطفل الصغيرِ ٢٠

جَحْظَة : هو أبو الحسن أحمـد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك النديم يقول :

* وللساكين أيضا بالندى وَلَعٌ *

وقال أيضـا :

٥ * وآفة التـبر ضَعفُ منتقِـدهْ *

وقال أيضـا :

* متى يلتقى الميْتُ والغاسـلُ *

وقال أيضـا :

لا تعدّنّ للزمان صـديقا * وأعدّ الزمان للأصـدقاء

١٠ وقال أيضـا :

وما كَذَب الذى قد قال قبلى * اذا ما مرَّ يوم مرَّ بعضِى

وقال أيضـا :

اذا الشهر حلَّ ولا رزقَ لى * فَعَـدِّى لأيامه باطلُ

وقال أيضـا :

١٥ واذا جفانى جاهـلٌ * لم أستخر ما عشتُ قطعَهْ

وجعلتـه مثل القبـو * ر أزوره فى كلّ جمعه

الصنوبرىّ يقول :

مِحَن الفتى يُخبرنَ عن فضل الفتى * كالنار مخبرةٌ بفضل العنبرِ

وقال أيضـا :

٢٠ ربَّ حال كأنها مُذْهَبُ الديـ * ـباج صارت من رقة كاللاذِ (١)

(١) اللاذة : ثوب حرير أحمر صينىّ ، والجمع لاذ .

وزمانٍ مثل ٱبنة الكَرْم حُسنا * عاد عندالعيوف[1] مثلَ الدّاذِى[2]

أوَ ما من فساد رأى الليالى * أنّ شعرىَ هذا وحالىَ هذِى

أبو الفتح كُشاجم : هو محمود بن الحسين بن السندىّ بن شاهك، وشاهك أمه يقول :

يُعاد حديثـه فيزيد حُسنا * وقد يُستقبَحُ الشىءُ المُعـادُ ٥

وقال أيضـا :

شخَص الأنامُ الى جمالكَ فاستعِذْ * من شرّ أعينهم بعيبٍ واحد

* * *

وممـا يتمثّل به من أشعار المولّدين : منهم

أبو فراس الحمدانىّ : ١٠

غِنَى النفس لمن يعقـ * ـل خير من غِـنَى المـالِ

وفضل النـاس فى الأنفـ * ـس ليس الفضل فى الحال

وقال أيضـا :

ونحن أناسٌ لا توسّـــط عندنا * لنا الصـدر دون العالمين أو القبرُ

تهون علينا فى المعـالى نفوسُـنا * ومن خطَبَ الحسناءَ لم يغلِها مهرُ ١٥

وقال أيضـا :

وندعو كريمـا مَن يجود بماله * ومَن يبذل النفس النفيسة أكرمُ

وقال أيضـا :

وجميل العـدوّ غير جميلٍ * وقبيحُ الصـديق غير قبيح

(١) العيوف : الأبىّ وفى الأصول : (العيون) وهو تحريف . ٢٠

(٢) الداذىّ : حب على لفظ الحب وليس بحب — شراب مسكر، قال الشاعر :

شربنا من الداذى حتى كأننا * ملوك لنا برّ العراقين والبحر

أبو الطيب المتنّبى يقول :

* مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائد *

وقال أيضا :

* إن المعارفَ فى أهل النُّهى ذِممُ *

وقال أيضا :

* وخير جليس فى الزمان كتابُ *

وقال أيضا :

* وتأبَى الطباعُ على الناقلِ *

وقال أيضا :

* ومنفعة الغوث قبل العطاب *

وقال أيضا :

* ومن فرح النفس ما يقتلُ *

وقال أيضا :

* اذا عظم المطلوب قَلّ المساعدُ *

وقال أيضا :

* أنا الغريق فما خوفى من البللِ *

وقال أيضا :

* فإن الرفق بالجانى عتابُ *

وقال أيضا :

* بغيضٌ الىّ الجاهلُ المتعاقلُ *

وقال أيضا :

وكل آمرئٍ يولى الجميلَ محبّبٌ * وكلّ مكان يُنبت العزَّ طيِّبُ

وقال أيضا :

اذا أنتَ أكرمتَ الكريم ملكتَه * وإن أنتَ أكرمتَ اللئيمَ تمــرّدا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعُلا * مضرٌّ كوضع السيف فى موضع الندى

وقال أيضا :

والأمر لله ربَّ مجتهــدٍ * ما خاب إلا لأنّه جاهدْ ٥

وقال أيضا :

وليس يصحّ فى الأفهام شىء * اذا احتاج النهار الى دليــــلِ

وقال أيضا :

ومن نكدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى * عــدوّا له ما من صــداقته بُدُّ

وقال أيضا : ١٠

وإذا كانت النفوسُ كِبارًا * تعبتْ فى مرادها الأجسام

وقال أيضا :

وإن يكن الفعلُ الذى ساء واحدا * فأفعــاله اللّاتى سَررنَ أُلوفُ

وقال أيضا :

واذا أتتك مذمّتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنّىَ فاضلُ ١٥

وقال أيضا :

وما الحُسنُ فى وجه الفتى شرفا له * اذا لم يكن فى فعــلِه والخلائقِ

وقال أيضا :

وما يوجع الحرمانُ من كفّ حارمٍ * كما يوجع الحرمانُ من كفِّ رازقِ

وقال أيضا :

إنّا لفى زمن تركُ القبيح به * من أكثر الناس إحسانٌ و إجمالُ
ذكرُ الفتى عمرُه الثانى وحاجته * ما قاته وفضول العيش أشغالُ

وقال أيضا :

٥ وقيَّدتُ نفسى فى ذَراك[1] محبّةً * ومَنْ وجَد الإحسان قيدًا تقيّدا

وقال أيضا :

ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يُدركه * تجرى الرياحُ بما لا تشتهى السفُنُ

السرىّ بن أحمد بن السرىّ الموصلىّ يقول :

اذا العبءُ الثقيل توزَّعتْه * أكفّ القوم هان على الرقاب

١٠ وقال أيضا :

فإنك كلّما ٱستُودعتَ سرًّا * أنمّ من النسيم على الرياض

وقال أيضا :

إلى كم أحبّر فيك المديحَ * ويَلقى سواى لديك الحُبورا

أبو بكر محمّد بن هاشم الخالدىّ يقول :

١٥ إن خانك الدهرُ فكن عائذا * بالبيد والظّلْماء والعِيس
ولا تَكن عبدَ المُنى فالمُنى * رءوس أموال المفاليس

وقال أيضا :

وأخٍ رَخُصتُ عليه حتى ملّنى * والشىء مملول اذا ما يَرخُصُ
ما فى زمانك ما يَعِزّ وجودُه * إن رمتَه إلا صديق مخلصُ

٢٠ (١) كذا فى الأصول . وفى ديوانه طبع مصر : « فى هواك » .

أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدىّ [أخوه] يقول :

يا هذه إن رحتُ فى * خَلَق فما فى ذاك عارُ

هذى المُدام هى الحيا * ة قميصها خَرَقٌ وقَارُ

وقال أيضا :

صغيرٌ صرفتُ اليه الهوى * وما خاتِمٌ فى سوى خِنْصَر ٥

الخَبّاز البلدىّ : هو أبو بكر محمد بن أحمد بن حمدان، نسبة الى "بلد" وهى من بلاد الجزيرة التى منها المَوصِل يقول :

اذاآستثقلتَ أو أبغضتَ خَلْقا * وسَرّك بعـدُه حتى التّنادِ

فشرّده بقـرض دُريهمات * فإن القَرض داعيةُ الفسادِ

أبو إسحاق الصابئ يقول : ١٠

نِعَمُ الله كالوحوش وما تأ * لف إلّا الأخايرَ النُّسا كا

نفّرتها آثامُ قوم وصارتْ * لأولى البِرّ والتُّقى أشرا كا

وقال أيضا :

ومن الظلم أن يكون الرضا سـِـرا و يبدو الإنكار وسْطَ النادى

وقال أيضا : ١٥

الضبّ والنون قد يُرجى آلتقاؤهما * وليس يرجى التقاء اللبِّ والذَهبِ

عبد العزيز عمر بن نُباته يقول :

فلا تَحقِرنّ عدوّا رماك * وإن كان فى ساعِديه قِصَرْ

فإن السيوف تَحُزّ الرقاب * وتعجز عما تنال الإبر

وقال أيضا :

مثلٌ خلعتُ على الزمان رداءه * عَوَزُ الدراهم آفةُ الأجواد

وقال أيضا :

يهوى الثناءَ مُبرِّز ومُقصِّر * حُبُّ الثناء طبيعة الإنسان

وقال أيضا :

ونَبَتْ بنا أرضُ العِرا * ق فما مَحَنّاها بِمِحْنه

غير الرحيل كفى البلا * د برِحلة النجباء مُجنه

ابن لنكك البصرىّ : هو أبو الحسين محمد بن محمد يقول :

وماذا أرجّى من حياةٍ تكدّرت * ولو قدصفت كانت كأضغاث أحلام

وقال أيضا :

عــدّنا فى زماننــا * عن حديث المــكارمِ

من كفى الناس شرّه * فهو فى جود حاتمِ

وقال أيضا :

جار الزمانُ علينــا فى تَصرّفه * وأىّ دهر على الأحرار لم يَجُــرِ

عندى من الدهر ما لو أنّ أيسره * يُلقَى على الفَلَك الدوّار لم يَدُرِ

أبو الحسن عبد الله بن محمد بن محمد السلامىّ يقول :

تبسّطنا على الآثام لمــا * رأينا العفو من ثمر الذنوب

وقال أيضا :

والمرء ما شغلته فرصة لذة * ناسى الحوادث آمن الحِدْثان

وقال :

وكان رقادى بين كأس وروضــة * فصار مُهادى بين طِرْف وصارمِ

وقال أيضا :

ركوبُ الهولِ أركبك المَذاكى[1] * ولُبْسُ الدرعِ ألبسك الغلائلْ

أبو الفرج البَبَّغاء يقول :

ما الذل إلا تحمُّــل المِنَنِ * فكن عزيزاً إن شئتَ أوفَهِنِ

وقال أيضا :

ومن طلب الأعداءَ بالمـال والظُبا * وبالسـعد لم يبعُد عليـه مرامُ

وقال أيضا :

ولم أر مُذ عرفتُ محلَّ نفسى * بلوغَ مُنًى تساوى حمــلَ مَنِّ

وقال أيضا :

أكلُّ وميض بارقة كذوبُ * أما فى الدهر شيءٌ لا يريب

ابن سُكَّرة الهاشمىّ : هو محمد بن عبد الله يقول :

* وعِلّة الحال تُنسى علَّة الجسد *

وقال أيضا :

* وقد ينبت الشـوك بين الأقاحى *

وقال أيضا :

الموت أنصف حين عدّل قِسْمَة * بين الخليفـــة والفقير البائسِ

ابن الحَجَّاج : هو عبد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يقول :

* وربَّ كلام تُستثار به الحربُ *

وقال أيضـا :

* خَود تُزَف الى ضريرٍ مُقعـد *

(١) المذاكى : الخيل التى تم سنها وكملت قوتها .

وقال أيضـا :

واللوزة المـــزة يا سادتى * يفسـد فى الطّعم بها السكّرُ

وقال أيضـا :

ما زلتُ أسمع كم من واقفٍ خجِـلٍ * حتى آبتليتُ فكنتُ الواقفَ الخَجِلَا

٥ وقال أيضـا :

وبى مرضان مختلفان حال الـ * ـعليلة منهمـــا تُمْسِى بحـالى

اذا عالجتُ هـذا جفّ كِبْدى * وإن عالجتُ ذاك رَبَا طِحالى

أبو الحسن المُوسوىّ النقيب : هو محمد بن الحسين بن موسى يقول :

أمسيتُ أرحمُ من قد كنتُ أغبطه * لقـد تقارب بين العـــزّ والهُونِ

١٠ ومنظـــرٍ كان بالسرّاء يضحكنى * يا قـــرب ما عاد بالضّراء يبكينى

وقال أيضـا :

والحزم من حذر الهوا * ن يزاول الأمر الجسيما

وهو العظـــيم وغير بدْ * عٍ منه إن ركب العظيما

وقال أيضـا :

١٥ ما السُّؤددُ المطلوب إلّا دون ما * يُومِى اليــه السـؤدد المولودُ

فاذا هما آتفقا تكسرت القنا * إن غالَبَـا وتضعضع الجُلمـودُ

وقال أيضـا :

اشـــترِ العزّ بمـا بيـ * ـع فمـا العـزّ بغـــالى

بالقِصار البيض إن شئـ * ـتَ أو السُّمُرِ الطِوالِ

٢٠ ليس بالمغبون عقلا * مشـــتر عزًّا بمـال

إنمـا يُدّخر المـا * ل لحـاجات الرجالِ
والفتى من جعـل الأمـ * ـوال أثمـان المعـالى

أبو طالب المأمونىّ يقول :

لى فى ضمير الدهر سرٌ كامنٌ * لا بدّ أن تستـلّه الأقـدارُ

وقال أيضـا : ٥

وما شرفُ الإنسان إلا بنفسه * أكان ذووه سادة أم مواليا

وقال :

اذا الغيث وفّى الروضَ واجبَ حقّه * وزاد فإن الغيث للروض ظالمُ

(٣١)

ابن العميد : هو أبو الفضل محمد بن أبى عبد الله الحسين بن محمد، عُرف بابن العميد، كان أبوه أبو عبدالله وزير مرداويج توفى آبن العميد بالرّى فى محرّم ١٠ سنة ستين وثلثمائة يقول :

لن يصرف الدهرَ من سجيّته * أرب أريب وحول ذى حِيَلِ
أىُّ معين صـفا على كدر الدّهر وأىّ النعـيم لم يزلِ

وقال أيضـا :

من يُشفَ من داءٍ بآخر مثلِه * أثرتْ جوانحـه من الأدوء ١٥
داوى جوى بجوى وليس بحازم * من يستكفّ النـارَ بالحَلْفاء

الصاحب بن عَبّاد : هو أبو القاسم إسمـاعيل بن عبّاد . توفى فى صفر سنة خمس وثمانين وثلثمائة وعمره خمس وستون سنة وسمىّ بالصاحب لصحبة آبن العميد يقول :

* بقدر الهموم تكون الهمم * * كم صارم جُرِّبَ فى خنزيرِ * ٢٠

وقال أيضـا :

لقد صـدقوا والراقصات الى منى * بأن مودّات العـدا ليس تنفعُ
ولو أننى داريت دهرىَ حيّـة * اذا آستمكنت يوما من اللسع تَلسعُ

الحسن بن علىّ بن عبد العزيز القاضى يقول :

٥ * القلبُ يُدرِكُ مالايُدرِكُ البصر * * يُملّك الأحرارُ بالإينـاسِ *

وقال أيضـا :

وما أعجبتنى قطّ دعوى عريضـةٌ * ولو قام فى تصديقها ألفُ شاهدِ

وقال أيضـا :

يقولون لى فيـك آنقباض وإنّمـا * رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
١٠ اذا قيل هذا موردٌ قلت قد أرى * ولكنّ نفس الحُـرّ تحتمل الظما

وقال أيضـا :

وقالوا آضطرب فى الأرض فالرزقُ واسع * فقلتُ ولكن مطلب الرزق ضـيّقُ
اذا لم يكن فى الأرض حرّ يُعينني * ولم يك لى كسبٌ فمن أين أُرزقُ

أبو بكر محمد بن العباس الخُوارَزْمىّ يقول :

١٥ * ومن عجب الأيام تَرْكُ التعجّبِ *

وقال أيضـا :

* لكلّ صناعة يوما مُديلُ *

وقال أيضـا :

واذا مدة الشـىء تناهت * جاءه من شـقائه متقاضى

٢٠ وقال أيضـا :

عليك بإظهار التجلّد للعـدا * ولا تظهرنْ منك الدنو فتُحقرا

بديع الزمان أبو الفضل الهمَذانىّ، أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد تُوفّى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما، وأوفى على الأربعين سنة يقول :

يا حريصا على الغـــنى * قاعـــدًا بالمراصـــدِ
لست فى سعيك الذى * خضت فيه بقاصـــدِ
إن دنيـاك هـــذه * لست فيهـا بخـالدِ ٥
بعض هـــذا فإنمـا * أنت سـاعٍ لقاعـــدِ

إسماعيل الناشئ يقول :

* وللشباب تُرَاعى حرمةُ الكَتَم[1] *

وقال أيضـا :

وكنت أرى أنّ التجارب عُدّة * فخانت ثقات الناس حتى التجاربُ ١٠

وقال أيضـا :

فركضا فى ميادينـــ التصابى * أحقُّ الخيـــل بالركض المُعارُ[2]

وقال أيضـا :

ولا تجـــزعنّ على أيكة * أبت أن تُظلّك أغصانُهـا

أبو الفتح علىّ بن محمد البستى يقول : ١٥

إذا مرّ بى يوم ولم أتخـــذ يدًا * ولم أستفدْ علما فما ذاك من عمرى

وقال أيضا :

أنا كالوَردِ فيــه راحةُ قومٍ * ثُمَّ فيــه لآخرينـــ زكامُ

(١) الكتم : نبات يخضب به .
(٢) المعار : الفرس المضمّر . ٢٠

وقال أيضا :

لا ترجُ شيئًا خالصا نفعُــه * فالغيث لا يخلو من العيثِ

وقال أيضا :

ولم أرَ مثلَ الشكر جَنّــة غارسٍ * ولا مثلَ حسنِ الصبرِ جُنّةَ لابسِ

٥ وقال أيضا :

ولن يشرب السمّ الزُّعاف أخو الحجا * مُــدِلًّا بدرياقٍ لديه مجــرَّب

وقال أيضا :

ما آســتقامتْ قناةُ رأيِىَ إلا * بعدَ أن عوّج المشيبُ قناتى

وقال أيضا :

١٠ وطول جِمامِ المــاء فى مُستقرّه * يغــيّره لونا وريحا ومطعما

وقال أيضا :

إذا حيوانٌ كان طعمةَ ضدّه * توقّاه كالفأر الذى يتّقى الهرّا

ولا شكّ أن المرءَ طعمةُ دهره * فما باله يا ويحه يأمن الدهرا

وقال أيضا :

١٥ لا تحقِر المــرءَ إن رأيت به * دمامــةً أو رثاثةَ الحُلَــلِ

فالنحل شىء على ضــؤولته * يَشتارُ منه الفتى جَنَى العسل

البـاب الثـانى
من القسم الثانى من الفن الثـانى

فى أوابد العرب

ومعنى الأوابد ها هنا : الدواهى؛ وهى مما حمى الله تعالى هذه الملّة الإسلاميّة منها، وحذّر المؤمنين عنها . فقال تعالى : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ﴾ وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ . وكانت للعرب أوابدُ جعلوها بينهم أحكاما ونسكا وضلالة وعادة ومداواة ودليلا وتفاؤُلا وطِيرَةً . فمنها :

البَحِيرَةُ :

قالوا : كان أهل الوبر يُعطون لآلهتهم من اللحم ، وأهلُ المدر يُعطون لها من الحرث ، فكانت الناقة اذا أنتجت خمسة أبطن عمدوا الى الخامس ما لم يكن ذكرا فشقّوا أذنهـا ، فتلك : البحيرة ؛ فربما اجتمع منها هَجمةٌ من البُحُر فلا يُجَزُّ لها وبر ولا يذكر عليها إن ركبت اسم الله، ولا إن حمل عليها شىء، فكانت ألبانهـا للرجال دون النساء .

الوصـيلة :

كانت الشاة اذا وضَعتْ سبعة أبطن عمدوا الى السابع ، فان كان ذكرا ذُبِح ، وإن كانت أنثى تُركت فى الشاء، فان كان ذكرا وأنثى قيل : وَصلتْ أخاها، فحُرِّما جميعا، وكانت منافعها، ولبن الأنثى منها للرجال دون النساء .

السائبـــة :

(٣٢) كان الرجل يسيّب الشيء من ماله، إما بهيمةً أو إنسانا، فتكون حراما أبدا، منافعها للرجال دون النساء .

الحـامى :

كان الفحل اذا أدركتْ أولادُه فصار ولده جَدًّا[(١)] قالوا : حمى ظهرَه، آتركوه؛ فلا يحمل عليـه ولا يركب ولا يمنع ماء ولا مرعى . فإذا ماتت هـذه التى جعلوها لآلهتهم، آشترك فى أكلها الرجال والنساء، وذلك قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَ إِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيـهِ شُرَكَاءُ﴾ قالوا : وكانـ أهل المدر والحرث اذا حرثوا حرثا، أو غرسـوا غرسا، خطّوا فى وسـطه خطًّا، فقسموه بين آثنين فقـالوا : ما دون هـذا الخط لآلهتهـم ؛ وما وراءه لله ؛ فإن سـقط مما جعلوه لآلهتهم شىء فيما جعلوه لله ردّوه، و إن سقط مما جعلوه لله فيما جعلوه لآلهتهم أقرّوه، واذا أرسلوا المـاء فى الذى لآلهتهم، فانفتح فى الذى سموه لله سدّوه، و إن آنفتح من ذاك فى هذا قالوا : آتركوه فإنه فقير اليه، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيباً فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ .

الأزلام :

قالوا : كانوا اذا كانت مداراة أو نكاح أو أمر يريدونه، ولا يدرون ما الأمر فيـه ولم يصحّ لهم أخذوا قداحا لهم؛ فيها : أفعل ولا أفعل لا يفعل، نعم لا خير،

(١) هكذا فى الأصول، والذى فى بلوغ الأرب للآلوسى ولسان العرب مادة حمى عن الحامى جملة أقوال منها قول الفراء : هو الفحل اذا لقح ولد ولده فقد حمى ظهره، وقيل : الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن، وقيل غير ذلك.

شرٌّ بطيءٌ سريع ،فأما المداراة : فإن قداحا لهم فيها بيضا ليس فيها شيء فكانوا يجيلونها فمن خرج سهمه فالحقّ له . وللحضر والسفر سَهمان ؛ فيأتون السادن من سدنة الأوثان فيقول السادن : اللّهم أيّهما كان خيرا فأخرجه لفلان ، فيرضى بما يخرج له . فاذا شكّوا فى نسب الرجل أجالوا له القـداح وفيها : صريحٌ ، وملصَقٌ ؛ فإن خرج الصريح ألحقوه بهم ، وإن خرج الملصق نفوه وإن كان صريحا ، فهذه قـداح ٥ الاستقسام .

المَيسر :

قالوا فى الميسر : إن القوم كانوا يجتمعون فيشترون الجَزُورَ بينهم ، فيفصّلونها على عشرة أجزاء ؛ ثم يؤتَى بالحُرْضَة وهو رجل يتألَّهُ عندهم لم يأكل لحما قطّ بثمن ، ويؤتَى بالقِداح وهو أحد عشر قِدْحا ، سبعة منها لها حظّ إن فازت ، وعلى أهلها ١٠ غرم إن خابت ، بقدر ما لها من الحظّ إن فازت ، وأربعة يُثقل بها القداح ، لا حظّ لها إن فازت ، ولا غرم عليها إن خابت .

فأما التى لها الحظّ : فأولها الفَذُّ فى صدره حزٌّ واحد ، فإن خرج أخذ نصيبا ، وإن خاب غرِم صاحبه ثمن نصيب ؛ ثم التوءم ، له نصيبان إن فاز ، وعليه ثمن نصيبين إن خاب ؛ ثم الضَّرِيب ، وله ثلاث أنصباء ؛ ثم الحِلْس ، وله أربعة ؛ ثم النافِس ، ١٥ وله خمسة ؛ ثم المُسْبِل ، وله ستة ؛ ثم المُعَلَّى ، وله سبعة . قالوا : والمسبِل يسمّى : المُصْفَح ، والضريب يقال له : الرقيب .

وقد جمع الصاحب بن عبّاد هذه الأسماء ونظمها فى أبيات فقال :

إن القِـداحَ أمرُها عجيبُ * الفـذُّ والتـوءمُ والرقيبُ
والحِلْسُ ثم النّافِسُ المصيبُ * والمُصْفَحُ المشتهر النجيبُ ٢٠
ثم المعـلّى حظّه الترغيبُ * هاك فقـد جاء بها الترتيبُ

وأما الأربعة التى ينقل بها القِداح، فهى : السَّفيح، والمَنيح، والمُضْعَف، والوغد .

قال ابن قتيبة : والمنيح له موضعان : أحدهما لا حظّ له، والثانى له حظّ، فكأنه الذى يُمنح حظّه، وعلى ذلك دلّ قول عمرو بن قَبيصة :

٥ بأيديهـم مَقرومةٌ ومَغالقٌ * يعودُ بأرزاق العيال مَنيحها

قالوا : فيؤتى بالقِداح كلها وقد عرف كلّ ما اختار من السبعة ولا يكون الأيسار إلا سبعة، لا يكونون أكثر من ذلك، فإن نقصوا رجلا أو رجلين، فأحب الباقون أن يأخذوا ما فضل من القداح، فيأخذ الرجل القِدح والقِدحين فيأخذ فوزهما إن فازا، ويغرَم عنهما إن خابا، ويدعى ذلك التَّتميم قال النابغة :

١٠ إنى أتمِّمَ أيسارى وأمنحهم * من الأيادى وأكسو الجفنة الأدَما

فيعمد الى القداح، فتَشدّ مجموعة فى قطعة جِلد ثم يعمد الى الحُرضة فيلفّ على يده اليمنى ثوب لئلا يجد مَسّ قِدح له فى صاحبه هوى، فيحابيه فى إخراجه، ثم يؤتى بثوب أبيض يُدعى المِجْوَل، فيبسط بين يدى الحُرْضة، ثم يقوم على رأسه رجل يدعى الرقيب، ويدفع رِبابةَ القِداح الى الحُرْضَة وهو محوّل الوجه عنها،

١٥ والربابة : ما يجمع فيها القداح، فيأخذها ويدخل شماله من تحت الثوب، فينكر القِداحَ بشماله، فإذا نهد منها قدح تناوله فدفعه الى الرقيب . فإن كان مما لا حظّ له رُدّ الى الرِّبابة، فإن خرج بعده المُسْبِلُ، أخذ الثلاثة الباقية، وغرِم الذين خابوا ثلاثة أنصباء من جزور أخرى، وعلى هذه الحال يفعل بمن فاز ومن خاب، فربما نحروا عدة جزر ولا يغرَم الذين فازوا من ثمنها شيئا، وإنما الغرم على الذين خابوا ولا يحلّ

٢٠ للخائبين أن يأكلوا من ذلك اللحم شيئا، فإن فاز قِدحُ الرجل فأرادوا أن يعيدوا قدحه ثانية على خطار فعلوا ذلك به .

ومنها : نكاحُ المقت : كان الرجل اذا مات قام أكبر ولده فألقى ثوبه على امرأة أبيــه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها حاجة تزوجها بعض إخوته بمهر جديد، فكانوا يرثون نكاح النساء كما يرثون المــال، فأنزل الله تعــالى : (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ) .

٥ ومنها : رمى البعرة: كانت المرأة فى الجاهليّــة اذا توفى عنها زوجها، دخلَتْ حَفْشًا، والحَفْشُ : الخُصّ، ولبست شرّ ثيابها ولم تمسَّ طِيبا ولا شيئا، حتى تمرَّ لها سنةٌ ثم تأتى بدابةٍ : حمــارٍ أو شاةٍ أو طيرٍ فتفتضُّ به أى تمسح به ، فقلّما تفتضّ بشىء إلا مات ، ثم تخرج على رأس الحول ، فتعطى بعرة فترمى بهــا ، ثم تراجع ما شاءت من طِيب أو غيرِه ومعنى رميها بالبعرة : أنها ترى أن هذا الفعل هيّن عليها ١٠ مثل البعرة المرميّة، فنسخ الإسلام ذلك بقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ .

ومنها : ذبح العتائر ، قالوا : كان الرجل منهم يأخذ الشاة ، وتسمّى العَتِيرة والمعتورةَ فيذبحها ويصبّ دمها على رأس الصنم، وذلك يفعلونه فى رجب، والعَتْرُ قيل : هو مثل الذبح، وقيل : هو الصنم الذى يعتر له . قال الطرمّاح

١٥ * فخر صريعاً مثلَ عاترة النسك *

أراد بالعاترة : الشاة المعتورة .

عقد السَّلَع والعُشَرِ : وقد تقدم ذكره عند ذكر أسماء نيران العرب .

ذبح الظبي[1] : كان الرجل ينذر أنه إذا بلغت إبله أو غنمه مبلغا فأذبح عنها كذا، فإذا بلغت ضنّ بها، وعمد الى الظّباء فيصطادها ويذبحها وفاء بالنذر، قال الشاعر:

٢٠ عَنَتًــا باطلًا وزُورًا كما يُعْــ * ـتَرُ عن حُجْرة الرَّبِيض[2] الظباءُ

(١) لعله : «ذبح عنها» . (٢) الربيض : الغنم نفسها .

ومنها : حبس البلايا ، كانوا اذا مات الرجل يشدّون ناقته الى قبره ، ويعكسون رأسَها الى ذَنَبها، ويغطّون رأسها بوَليَّة وهى : البردعة، فإن أفلتت لم تُرَدّ عن ماء ولا مرعًى، ويزعمون أنهم إنما يفعلون ذلك ، ليركبها صاحبها فى المَعاد، ليحشر عليها، فلا يحتاج أن يمشى؛ قال أبو زبيد :

٥ كالبلايا رءوسها فى الولايا * مانحاتِ السّمومِ حرَّ الخدودِ

ومنها : خروج الهامة ، زعموا أن الإنسان اذا قُتل،ولم يطالَبْ بثاره، خرج من رأسه طائرٌ يسمّى : الهامة ، وصاح على قبره : آسقونى ! آسقونى ! الى أن يطلب بثأره ؛ قال ذو الإصبع :

يا عمرو إلّا تدعْ شتمى ومَنْقَصَتى * أضربْكَ حتى تقول الهامةُ آسقونى

١٠ ومنها : إغلاق الظهر ، كان الرجل منهم اذا بلغت إبله مائة،عمد الى البعير الذى أمأت به[1] ، فأغلق ظهره لئلا يُركب ، ويعلم أن صاحبه حمى ظهره، وإغلاق ظهره أن ينزع سناسِنَ فقرته ويَعْقِرَ سنامَه .

ومنها : التعمية والتفقئة ، وكان الرجل إذا بلغت إبله ألفا فقأ أعين الفحل يقول : إن ذلك يدفع عنها العين والغارة ؛ قال الشاعر :

١٥ وهبتَها وأنت ذو آمتنانِ * تفقأ فيها أَعين البُعرانِ

فإن زادت عن ألف فقأ العين الأخرى، فهو التعميَة .

ومنها : بكاء المقتول ، كان النساء لا يبكين المقتول إلا أن يُدركَ بثأره ، واذا أُدرك بثأره بكينه ؛ قال شاعر :

من كان مسرورا بمقتل مالكٍ * فليأتِ نسوتَنا بوجهِ نهارِ
٢٠ يجد النساء حواسرا يندبنه * يلطمن حُرَّ الوجهِ بالأسحارِ

(١) أمأت به : صارت به مائة .

ومنها : رمى السن فى الشمس ، يقولون : إن الغلام اذا ثغر ، فرمى سِنّه فى عين الشمس بسبّابته وإبهامه وقال : أبدلينى أحسن منها ، أمن على أسنانه العوج، والفَلَجَ، والثَّعَلَ؛ قال طرفة :

بدّانــه الشمسُ من مَنبِتهِ * بَرَدا أبيضَ مصقولَ الأُشُرْ

ومنها : خضاب النحر ، كانوا اذا أرسـلوا الخيل على الصّـيد فسبق واحد منها، خضبوا صدرَه بدم الصّيد علامة له ؛ قال الشاعر :

كأن دماء العاديات بنحـره * عصارة حنّاءٍ بشيبٍ مرجَّلِ

ومنها : التصفيق ، كانوا اذا ضلّ الرجل منهم فى الفلاة، قلَبَ ثيابه، وحبس ناقته، وصاح فى أذنها كأنه يومئ الى إنسان، وصفق بيديه : الوحا الوحا، النجا النجا! هكيكل[1]، الساعة الساعة! اليّ اليّ ! عجّل ؛ ثم يحرّك الناقة فيهتدى ؛ قال الشاعر :

وأذّن بالتصفيق من ساء ظنُّــه * فلم يدرِ من أيّ اليدين جوابها

يعنى يسوء ظنّه بنفسه اذا ضل .

ومنها : جزّ النواصى ، كانوا اذا أسروا رجلا ، ومنّوا عليه فأطلقوه جزّوا ناصيته ووضعوها فى الكنانة ؛ قال الحطيئة :

قُدنا سَلولَ فسلُّوا من كنانتهم * مجدا تليدا ونبلًا[2] غيرَ أنكاسِ

---

(١) هكذا فى أحد الأصلين الفتوغرافيين . وفى الأصل الآخر والنسخة الراعبية : «هيكل» .

(٢) ورد هذا البيت مع تفسيره هكذا فى الأصول، وقد روى هذا البيت فى ديوانه (النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٣ أدب ش) وفى ترجمته فى الأغانى الجزء الثانى طبع دار الكتب ص ١٨٥ ضمن قصيدته فى هجو الزبرقان ومناضلته عن بغيض هكذا :

قدناضلوك فسلوا من كنانتهم * مجدا تليدا ونبلا غير أنكاس

وورد فى لسان العرب مادة نكس :

قد ناضلوا فسلوا من كنانتهم * مجدا تليدا وعزا غير أنكاس

وفسره الأزهرى بأن العرب كانوا اذا أسروا أسيرا خيروه بين التخلية وجز الناصية والأسر فان اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر فى كنانتهم فان افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم .

يعنى بالنبل : الرجالَ، وقالت الخنساء :

جززنا نواصىَ فرسانهم * وكانوا يظنون ألّا تُجزّا

ومنها : كىّ السليم عن الجَرِب ، زعموا أن الإبل اذا أصابها العُرُّ فأخذوا الصحيح وكووه زال العُرّ عن السقيم؛ قال النابغة :

(٣٤)

وكلّفتنى ذنبَ امرئ وتركته * كذى العُرّ يُكوَى غيرُه وهو راتعُ

ويقال : إنهم كانوا يفعلون ذلك، ويقولون : تؤمن معه العدوى .

ومنها : ضرب الثور ، وزعموا أن الجنّ تركب الثيرانَ فتصدّ البقر عن الشرب؛ قال الأعشى :

وإنى وما كلّفتُمانى وربِّكم * لَيعلَمُ من أمسى أعقَّ وأحوبا

لكالثور والجنىّ يركب ظهره * وما ذنبه إن عافت الماء مشربا

وما ذنبه إن عافت المـاء باقر * وما إن تعاف المـاء إلا ليُضرَبا

وقال آخر :

كذاك الثور يُضرب بالهَراوَى * اذا ما عافت البـــقرُ الظِّماءُ

ومنها : كعب الأرنب، كانوا يعلّقونه على أنفسهم ويقولون : إن من فعل ذلك لم تصبه عين ولا سِحر ، وذلك أن الجنّ تهرب من الأرنب ، لأنها ليست من مطايا الجنّ لأنها تحيض؛ قال الشاعر :

ولا ينفع التعشـــيرُ إن حُمّ واقع * ولا دَعْدَعٌ[1] يغنى ولا كعب أرنبِ

وقيل لزيد بن كُثْوَةَ : أحقّ ما يقولون : إن من علّق على نفســه كعبَ أرنب لم يقربْه جِنّانُ الحىّ وعُمّار الدار؟ فقال : إى والله ! ولا شيطان الحَماطة ـــ الحماطة :

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ ، ودعدع : كلمة يقولونها عند للعثار . وفى الأصلين الفتوغرافيين : «عدع» وفى هامش إحداهما : «صـــوابه دعع» . وفى النسخة الراعية : « جدع » بالدال المهملة . وفى بلوغ الأرب للالوسى (ج ٢ ص ٣٤٨ طبع بغداد) : «زعزع» .

شجرة التين — وجان العُشرة، وغول القَفرة، وكلّ الخوافى ، إى والله يطفئ نيرانَ السّعالي .

ومنها : حيض السَّمُرة ، يزعمون أن الصبى اذا خيف عليه نظرة أو خطفة، فعُلّق عليـه سنّ ثعلب، أو سنّ هرة، أو حيض سَمُرة أمن ، فإن الجنيّة اذا أرادته لم تقدر عليه، فاذا قال لها صواحباتها فى ذلك، قالت : ٥

كانت عليــه نُفَرَهْ * ثعـالبٌ وهِـــرَرَهْ

* والحيض حيض السمُرَهْ *

ومنها : الطارف والمطروف ، يزعمون أن الرجل اذا طرف عين صاحبه، فهاجت فمسح الطارفُ عين المطروف سبع مراتٍ وقال فى كلّ مرة : بإحدى جاءت من المدينة، باثنتين جاءتا من المدينة، بثلاث جئن من المدينة، الى سبع سكن هيجانها. ١٠

ومنها : وطء المقاليت ، يزعمون أن المرأة المقلات اذا وطئت قتيـلا شريفا بقى أولادها، وفى ذلك يقول بشر بن أبى خازم :

تظلّ مقاليتُ النساء يطأنه * يقلن ألا يُلقَى على المرء مِئزرُ

ومنها : تعليق الحلى على السليم ، كانوا يعلّقون الحلَى على الملسوع ويقولون إنه اذا علّق عليـه أفاق ، فيلقون عليه الأسورة والرِّعاث، ويتركونها عليه سبعةَ أيام ويمنع من النوم؛ قال النابغة : ١٥

يُسهَّدُ فى وقت العشاءِ سليمُها * لحلْى النسـاءِ فى يديْهِ قَعاقعُ

ومنها : ذهاب الخَدَر، يزعمون أن الرجل اذا خدِرت رجلُه فذكر أحبّ الناس اليه ذهب عنه؛ قال كثير :

اذا خدِرتْ رِجلى دعوتك أَشتفى * بذكراك من مَذْلٍ بها فيهونُ ٢٠

وقالت آمرأة من كلاب :

اذا خدرتْ رِجلي ذكرتُ آبن مُصعب * فإن قلتُ عبـد الله أجلَى فتورُها

وقيل ذلك لآبن عمر وقد خدرت رجله فقال : يا محمّداه .

ومنها : الحَلَأُ ، زعموا أنه اذا ظهرت بشفة الغلام بُثورٌ، يأخذ مُنخُلا على

٥ رأسه و يمرّ بين بيوت الحيّ، وينادى : الحَلَأُ الحلأ، فيلق فى منخله من هاهنا تمرة، ومن هاهنا كسرة ، ومن ثمّ بضعة لحم، فإذا آمتلأ ، نثره بين الكلاب، فيذهب عنه البثر، وذلك البثْر يسمّى : الحَلَأ .

ومنها : التعشير ، يزعمون أن الرجل اذا أراد دخول قرية، نخاف و باءَها ، فوقف على بابها قبل أن يدخلها فعشر كما ينهق الحمار، ثم دخلها لم يصبه وباؤها ، قال

١٠ عُرْوة بن الوَرْد :

لعمرى لئن عشّرت من خشية الردى * نُهـاق الحمـير إنى لجزوعُ

ومنها : عقد الرَّتَم ، كان الرجل منهم اذا أراد سـفرا ، عمد الى رَتَم فعقده ، والرتم : نبت ، فإن رجع ورآه معقودا ؛ زعم أنّ آمرأته لم تخنه ، و إن رآه محلولا زعم أنها قد خانته ؛ قال الشاعر :

١٥ هل ينفعنْك اليوم إن هِمْتَ بهم * كثرة ما توصى وتعقـادُ الرَّتمْ

وقال آخر :

خانته لـما رأت شيبا بمَفرِقه * وغَرّه حَلفُها والعَقـدُ للرَّتَمِ

ومنها : دائرة المهقوع ، وهو الفرس الذى به الدائرة التى تسمّى : الهَقْعَةُ، يزعمون أنه اذا عرق تحت صاحبـه ، آغتلمتْ حليلتُـه وطلبتْ الرجال ؛ قال

٢٠ الشاعر :

اذا عَرِق المهقوعُ بالمرء أنعظتْ * حليلتُـــه وآزدادَ حَرًّا عِجـانُها

ومنها : شقّ الرداء والبرقع ، زعموا أن المرأة اذا أحبّت رجلا أو أحبّها ثم لم تشقّ عليه رداءه ، ويشقّ عليها برقعها ، فسد حبهما ، فاذا فعل ذلك دام حبهما ، قال الشاعر :

اذا شُق بُردٌ شُقَّ بالبُردِ بُرقُعٌ * دَواليْك حتى كلُّنا غير لابِس

فكم قد شققنا من رداءٍ محبّرٍ * ومن برقع عن طَفلة غيرِ عانِس ٥

ومنها : نوء السماك ، كانوا يكرهونه ويقولون فيه داء الإبل، قال الشاعر:

ليت السماك ونوءَه لم يخلُقا * ومشى الأُفَيرقُ فى البلاد سليما

ومنها : النسىء، وقد تقدّم خبره فى الفن الأوّل من الكتاب .

(٣٥) ومنها : وأد البنات، وقد نهاهم الله عز وجل عنه فى قوله : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾. وكانوا يقتلونهنّ خشية الإملاق أو من الإملاق، ١٠ وقد قيل: إنهم كانوا يقتلونهنّ خوف العار أو أن يُسبيْنَ ، فمِنْ قتلهن خشية الإملاق ما رُوى عن صَعْصعة بن ناجية المُجَاشِعى جدّ الفرزدق : أنه لمـا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله، إنى كنت أعمل عملا فى الجاهليّة ، أفينفعنى ذلك اليوم؟ قال : «وما عملك»؟ قال : أضللت ناقتين عُشَراوَيْن، فركبت جملا ومضيت فى بُغَائهما فرُفع لى بيت حريد[1]، فقصدته فاذا رجل جالس بفنائه، فسألته عن الناقتين، ١٥ فقال : ما نارهما؟ قلت : مِيسَم بنى دارِم، قال : هما عندى ، وقد أحيا الله تعالى بهما قوما من أهلك من مضر ، واذا عجوز قد خرجت من كِسْر البيت ، فقال لها : ما وَضَعَتْ؟ فان كان سَقْبا شاركنا فى أموالنا، وإن كانت حائلا وأَدْنَاهَا — معنى قوله سقبا أى ذكرا، وحائلا أى أنثى — فقالت العجوز : وضَعتْ أنثى، فقلت أتبيعها؟

(١) الحريد : المعتزل المتنحى عن الناس . ٢٠

قال : وهل تبيع العرب أولادَها ! قال قلت : آحتكم، قال بالناقتين والجمل، قلت : لك ذلك، على أن ينقلنى[(١)] الجمل وإياها ففعل؛ فآمنت بك يا رسول الله، وقد صارت لى سُنَّةً على أن أشترى كلّ موءودة بناقتين عشراوين وجمل، فعندى الى هذه الغاية ثمانون ومائتا موءودة قد أنقذتها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا ينفعك[(٢)] ذلك لأنك لم تبتغ به وجه الله تعالى وإن تعملْ فى إسلامك عملا صالحا تُثَبْ عليه" ففى ذلك يقول الفرزدق مفتخرا :

وجدى الذى منع الوائدين * وأحيا الوئيد فلم توءَدِ

وممن قتلهم خشية العار : قيس بن عاصم المنقرىّ وكان من وجوه قومه ومن ذوى الأموال فيهم وكان يئد بناته ، وسبب ذلك : أن النعمان بن المنذر لما منعته بنو تميم الإتاوة التى كانت تؤدّيها له جهّز اليهم أخاه الرّيان بن المنذر،ومعه بكر بن وائل فغزاهم، فاستاق النَّعَم وسبى الذّرارى، فوفدت اليه بنو تميم فلما رآها أحب البقاء عليها، فقال النعمان :

ما كان ضرّ تميما لو تعمّدها * من فضلنا ما عليه قيس عيلان

فأناب القوم وسألوه النساء، فقال النعمان : كلّ آمرأة آختارت أباها ردّت اليه وإن آختارت صاحبها تُركتْ عليه، فكلّهن آخترن آباءهن إلا آبنة لقيس بن عاصم آختارت صاحبها عمرو بن المُشَمرَج، فنذر قيس لا يولد له آبنة إلا قتلها ، فاعتلّ بهذا مَن وأد وزعم أنه حميّة .

---

(١) كذا فى النسخة الراعبية . وفى باقى الأصول : «تبلغنى الجمل» وهو تحريف .

(٢) فى الأغانى (ج ١٩) فى الكلام على الفرزدق ، ساق أبو الفرج هذا القصة وقال فقال : هل لى فى ذلك من أجر يا رسول الله فقال عليه السلام : «هذا باب من البر ولك أجره اذ منّ الله عليك بالإسلام» .

البـاب الثـالث
من القسم الثـانى من الفن الثـانى

فى أخبـار الكهنة

ويتصل به الزجر والفأل والطِّيرةُ والفِراسة والذكاء، وكانت كهنة العرب لهم أتباع من الشـياطين يسترقون السـمع ويأتونهم بالأخبار، فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيّات الأمور حتى جاء الإسلام، فمُنعت الشياطين من آستراق السمع، كما أخبر الله تعالى عنهم فى كتابه العزيز: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ فعند ذلك آنقطعت الكهانة فلم يسمع فى الإسلام بكاهن، وهذا من معجزات سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوال الإشكال فى الوحى . فمن أخبار الكهنة : خبر سطيح الكاهن حين ورد عليــه آبن أخته عبـد المسيح وهو يعـالج الموت ، فأخبره خبر ما جاء لأجله ، وذلك أنه لـما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم آرتجس إيوان كسرى، وسقط منــه أربع عشرة شُرفةً ، وخمَدت نارُ فارس ، ولم تكن خمدتْ قبــل ذلك بألف عام ، وغارت بحيرة ساوة ، ورأى المُوبَذان إبلا صـعابا تقود خيــلا عرابا قد قطعت دجلة وآنتشرت فى بلاد فارس، فلما أصبح [وأخبر] كسرى تصبّر تشجُّعا ثم رأى ألّا يكتم ذلك عن وزرائه ومَرازبتــه، فلبس تاجه، وقعـد على سريره، وجمعهـم وأخبرهم الخبر فبيناهم كذلك إذ ورد عليهم كتاب بخمود النار فآزداد غمّـا وسأل المُوبَذان وكان أعلمهم فقال : حادِثٌ يكون من قِبَل العرب، فكتب كسرى الى النُّعمان بن المُنْذِر : أن وجّه الىَّ رجلًا عالمـا بما أريد أن أسأله عنه فوجّه إليــه عبـد المسيح بن حسّان بن نُفيلة الغَسّانى، فقال له كسرى : أعندك علم بمـا أريد

أن أسألك عنـه ؟ قال : ليخبرني المَلِكُ فإن كان عندى منـه علم ، وإلّا أخبرتُه بمن يُعلمه ، فأخبره بما رآه فقال: عِلْمُ ذلك عند خالٍ لى يسكن مشارف الشام يقال له : سَطِيح، فأرسله كسرى اليه فورد على سطيح وقد أشفى على الموت فسلّم عليه وحيّاه فلم يُحِر سطيحٌ جوابا فأنشد يقول :

أَصَمٌّ أم يسمع غِطريفُ اليمنْ * أم فاز فَازْلَمَّ به شأوُ العَنَنْ
يا فاصل الخُطة أعيت مَن ومَنْ * وكاشفَ الكُربةِ عن وجه الغَضَن
أتاك شيخ الحى من آل سَنَنْ * وأمّه من آل ذئب بن حَجَنْ
أزرقُ مُمْهَى الناب صَرّار الأُذُنْ * أبيضُ فَضْفَاض الرِّداء والبدنْ
رسول قَيْل العُجم يَسْرِى بالوسنْ * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمنْ
يجوب فى الأرض على ذاتِ شَجَنْ * ترفعنى وَجْناً وتهوى بى وَجَنْ
حتى أتى عارى الجَآجى والقَطَنْ * تَلُفّه فى الريح بَوغاءُ الدِّمَنْ
* كأنما حُثحِثَ من حِضْنَىْ ثَكَنْ *

ففتح سطيح عينيه ثم قال : عبد المسيح ، على جَمَلٍ مُشيح ، أتى الى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك مَلِك بنى سَاسَان ، لآرتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا المُوبَذَان : رأى إبلا صِعَابا ، تقود خيلا عِرابا ، قد قطعتْ دِجلة وآنتشرت فى بلاد فارس ، يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة ، وبُعث صاحب الهِرَاوه ، وفاض وادى السماوه ، وغاضت بحيرة سَاوه ، وخَمَدت نار فارس ، فليس الشام لسطيح شاما ، ولا بابل للفرس مُقاما ، يملك فيهم ملوك وملِكات ، بعدد الشُّرُفات ، وكلّ ما هو آت آت ، ثم قضى سطيح لوقته ، فثار عبدُ المسيح الى رحله وهو يقول :

شَمِّر فإنك ماضى العزم شِمّيرُ * لا يفزعنّك تفريقٌ وتغييرُ
إن كان ملك بنى ساسان أفرطهم * فإن ذا الدهر أطوارٌ دهاريرُ

فربّمـا ربّمـا أضحوا بمـــنزلة * تهاب صولهم الأسدُ المهاصيرُ
منهم أخو الصّرح بهرام وإخوته * والهُرمُزان وسابورٌ وشـابورُ
والناس أولاد علّاتٍ فمن علموا * أن قد أقلّ فحقورٌ ومهجورُ
وهم بنو الأمّ أمّا إن رأوا نشبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصورُ
والخير والشرّ مقرونان فى قرنٍ * فالخـير متّبعٌ والشرّ محـذورُ ٥

فلمـا قص الخبر على كسرى قال : إلى أن يملك منا أربعة عشر تكون أمورٌ، فملك منهم عشرة فى أربع سنين ، وملك الباقون الى زمن عثمان رضى الله عنه .

ومن أخبارهم : أن سُعدى بنت كُرَيز بن ربيعة كانت قد تطرّقت وتكهّنت وهى خالة عثمان بن عفّان رضى الله عنهُ، روى عنه أنه قال : لمـا زَوّجَ النبىُّ صلى الله عليـه وسلم آبنته رُقيّـة من عُتبة بن أبى لهب وكانت ذات جمال رائع، دخلتنى ١٠ الحسرة أو كالحسرة ألا أكون سبقت اليها ، ثم لم ألبث أن آنصرفت الى منزلى فالفيت خالتى فلما رأتنى قالت :

أَبشرْ وحيِّيتَ ثلاثا تترَى * ثمّ ثلاثا وثـلاثا أُخرَى
ثمّ بأُخرى كى تتمّ عشـرا * أتاك خير ووُقيت شرّا
نكحت والله حَصانا زَهرا * وأنتَ بِكرٌ ولقيتَ بِكرا ١٥
وافيتها بنت نفيس قدرا * بنت نبىّ قد أشاد ذكرا

قال عثمان : فعجِبتُ من قولها، وقلتُ : ماذا تقولين؟ فقالت :

عثمان يآبن أختَ يا عثمانُ * لك الجمـال ولك البيانُ
هـــذا نبىّ معه البرهانُ * أرسـله بحقّه الديّانُ
وجاءه التنزيل والفُـرقانُ * فاتبعْه لا تجتالك[1] الأوثانُ ٢٠

(١) اجتاله : حوّله عن قصده ، ومنه اجتالتهم الشياطين أى صرفتهم عن هداهم الى ضلالتها .

فقلت : يا خالة ، إنك لتذكرين ما قد وقع ذكره فى بلدتنا فأثبتيه لى ، فقالت : إن محمد بن عبد الله رسولٌ من عند الله ، جاء بتنزيل الله ، يدعو الى الله ، مِصباحه مصباح، وقولُه صلاح، ودينه فلاح، وأمرُه نجاح، وقَرْنه نطّاح، ذلّت له البطاح، ما ينفع الصياح،لو وقع الذباح، وسُلّت الصِفاح، ومدّت الرماح، قال: ثم قامت فانصرفتُ ووقع كلامها فى قلبى، وجعلت أفكّر فيه،وذكر بعد ذلك إسلامه وتزويجه رقية؛ فكان يقال : أنهما أحسن زوجين آتفاقا وجمالا .

ومنها أنّ هندا بنت عُتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه بن المُغيرة، وكان من فتيان قريش، وكان له بيت الضيافة خارجا من البيوت، تغشاه الناس من غير إذن، فخلا البيتُ ذات يوم وآضطجع هو وهند فيه،ثم نهض لبعض حاجته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولَجه ، فلما رآها ولّى هاربا وأبصره الفاكه فأقبل اليها فضربها برجله وقال لها : من هذا الذى خرج من عندك ؟ قالت : ما رأيتُ أحدا، ولا آنتبهتُ حتى أنبهتنى! فقال لها : آرجعى الى أبيك، وتكلّم الناس فيها، فقال لها أبوها : يا بنيّة ، إن الناس قد أكثروا فيك ، فأنبئينى نبأك، فإن يكن الرجل عليك صادقا دَسستُ عليه من يقتله ، فتنقطع عنك المقالةُ ، وإن يك كاذبا حاكمته الى بعض الكُهّان، فقالت : لا والله ! ما هو علىّ بصادق، فقال له : يافاكه! إنك قد رميتَ آبنتى بأمر عظيم، فحاكمنى الى بعض كُهّان اليمن ، فخرج الفاكه فى جماعة من بنى مخزوم، وخرج عُتبة فى جماعة من بنى عبد مناف، ومعهم هند ونسوةٌ، فلما شارفوا البلاد،وقالوا: غدا نَرِد على الرجل، تنكّرتْ حالُ هند، فقال لها عتبةُ: إنى أرى ما بك من تنكّر الحال، وما ذاك إلّا لمكروه عندك، فهلّا كان هذا قبل أن يشتهر عند الناس مسيرنا! فقالت : لا والله! ولكنّى أعرف أنكم تأتون بَشَرًا يخطئ ويصيب ولا آمنه أن يسمنى مِيسما يكون علىّ سُبّةً فقال: إنى سوف أختبره لك، فصفّر لفرسه

حتى أدلَى ثمّ أدخل فى إحليله حبّةَ حِنْطة وأوكأ عليها بسير، فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم، فلما تغدّوا قال له عتبة: قد جئناك فى أمر وقد خبأنا لك خبيئا أختبرك به، فانظر ما هو؟ فقال: ثمرهْ، فى كَرَهْ. قال: إنّى أريد أبين من هذا، قال: حَبّة برّ، فى إحليل مُهر، قال. آنظر فى أمر هؤلاء النسوة، فجعل يدنو من إحداهن فيضرب بيده على كتفها ويقول لها، آنهضى، حتى دنا من هند فقال لها: آنهضى غير رسحاء ولا زانية، ولتلدنّ ملكا آسمه معاوية؛ فنهض اليها الفاكه فأخذ بيدها فجذبتْ يدَها من يده، وقالت. اليك عنّى فوالله لأحرصن أن يكون من غيرك؛ فتزوّجها أبو سفيان.

ومنها: أن أميّة بن عبد شمس دعا هاشم بن عبد مناف الى المنافرة[(1)]، فقال هاشم: إنّى أنافرك على خمسين ناقة سود الحَدَق ننحرها بمكة، أو الجلاء عن مكّة عشر سنين، فرضى أميّــة وجعلا بينهما الخُزاعىّ الكاهن وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا نخبأ له خبيئًا فان أصابه تحاكمنا اليه، وإن لم يصبه تحاكمنا الى غيره، فوجدا أبا هَمْهَمَة وكان معهم أطباق جُمجمة، فأمسكها معه ثم أتوا الــكاهن فأناخوا ببابه وكان منزله بعُسْفان. فقالوا. إنا قد خبأنا لك خبيئا فأنبئنا عنه. قال: أحلفُ بالضَّوء والظلمة، وما بتهامة من تهمة، وما بنجدٍ من أكمه، لقد خبأتم لى أطبــاق جمجمة، مع القَلَنْدَح أبى همهمة. فقالوا. صدقت آحكم بين هاشم بن عبد مَناف وبين أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف أيهما أشرف بيتًا ونَفْسًا، قال. والقمر الباهر، والكوكب الزاهر، والغمام المــاطر، وما بالجو من طائر، وما آهتدى بعَلَمٍ مُسافر، من مُنجد وغائر، لقــد سبق هاشم أميّةَ الى المــآثر، أوّلا منه وآخر؛ فأخذ هاشم

(١) المنافرة: المحاكمة فى الحسب.

الإبل ونحرها وأطعمها من حضر وخرج أميّة إلى الشام فأقام بها عشرَ سنين؛ فيقال : إنها أوّل عَداوة وقعتْ بين بنى هاشم و بين بنى أميّة .

ومنها : أن بنى كِلاب و بنى رِبَاب من بنى نَضْر خاصموا عبدَ المُطّلِب فى مال قريبٍ من الطائف فقال عبدُ المطّلب : المال مالى فسلونى أعطكم، قالوا: لا، قال: فآختاروا حاكمًا، قالوا : ربيعة بن حُذار الأسدىّ فتراضَوْا به وعقَلوا مائة ناقة فى الوادى وقالوا : الإبل والمال لمن حُكِم له ، وخرجوا وخرج مع عبدِ المطّلب حَرْبُ بن أميّة، فلما نزلوا بربيعة بعث إليهم بجزائر فنحرها عبدُ المطّلب، وأمر فصنع جزرا وأطعم من أتاه ، ونحر الكِلابيّون والنضريّون و وشَقوا[(١)]، فقيل لربيعة فقال: إنّ عبد المطلب آمرؤ من ولَدِ خُزيمة فتى يُملِق يصله بنو عمّه، وأرسل إليهم أن آخبئوا لى خبيئًا، فقال عبد المطّلب : قد خَبَأتُ كلبا آسمه سَوّار فى عنقه قِلادة، فى خرزة مَزادة ، وضممتها بعين جَرادة، فقالوا الآخرون : قد رضينا ما خَبَأتَ وأرسلوا إلى ربيعة، فقال : خبأ ثمّ خبيئا حيًّا، قالوا : زد، قال : ذو بُرْثن أغبر، وبَطْن أحمر، وظَهْر أنمر، قالوا : قربت، قال : سما فَسطع، ثمّ هبط فلطع، فترك الأرض بَلْقَع، قالوا : قَرُبت فَطَبِّق، قال : عين جَرادة، فى خرزة مَزادة، فى عنق سوّار ذى القلادة قالوا : زه زه! أصبتَ فاحكم لأشَدّنا طِعانا، وأوسعنا مَكانا، قال عبدُ المطلب : آحكم لأَولانا بالخيرات، وأبعدنا عن السوءات، وأكرمنا أمهات؛ فقال ربيعةُ : والغَسَق والشَفَق، والخلق المتّفق، ما لبنى كلاب و بنى رِبَاب من حقّ، فانصرف يا عبد المطّلب على الصواب، ولك فصل الخطاب؛ فوهب عبد المطّلب المال لحرب بن أميّة .

---

(١) وشقوا من وشق اللحم : شرحه وقدّده .

وأخبار الكهنة كثيرةٌ نذكر منها إن شاء الله تعالى فى السيرة النبويّة جملة تقف عليها فى المبشرات برسول الله صلى الله عليه وسلّم وذلك فى السِّفْر الرابع عشر من كتاب الأصل .

الزَّجْـــــر

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فى زجر الطير : إنّ العلماء بهذا الفنّ قالوا: ٥
اذا خرجتَ من منزلك تطلب حاجةً، أو تخطب آمرأةً، فنَعب غرابٌ عن يمينك وعن يسارك أو سَنَح أو برح فآمض فإنك مُدرِكٌ حاجتك إن شاء الله تعالى ، فإن نعب أمامَك أو فوقك فآرجع ففيها تأخير .

و إن خرجتَ تريد خصومةً فنعب فوق رأسِك فآمض فإنك مُدرِكٌ حاجتك إن شاء الله تعالى . ١٠

(٣٨) فإن خرجتَ تطلب دابّةً فنعب عن يمينك أو يسارك على حائط مرتفع فامض لحاجتك، فإن نَعَب أمامك فارجع .

و إن خرجتَ تطلب مالاً ضلّ عنك أو سُرِق، فنعَبَ غرابٌ على شجرة يابسة فلا تطلبه فقــد آستهلك وقد يأتيك بعضُــه ، فإن نعب على جِدار جديد أو شجرة خضراء فإنك تصيب مالك إن شاء الله تعالى . ١٥

فإن خرجتَ تريد الضَّالّ فنعَب من و رائك فارجع فليس لك فى ذلك خَيَرة ، و إن نعب عن يسارك فإنى خائف على نفسك إلا أن يشاء الله .

فإن خرجت تريد الصـيد فنعب من فوقك فارجع ، فإن نعب أمامك فامض فإنّك تدرك خيرا .

وإن خرجت تطلب سلطاناً فى طلب مال أو حاجة فنعب عن يمينك ثمّ طار ثمّ نعب أدركت منه طلبتك إن شاء الله تعالى .

وإن خرجتَ تريد شراء شيء فنعب عن يمينك فإنه صالح، وإن نعب عن يسارك فلا خير فيه .

٥ وإن خرجتَ من منزلك فرأيت غرابًا يمسح مِنقاره على الأرض فإنك تصيب أو تأتيك هديّة من مكان بعيد .

وإن خرجتَ تطلب حاجةً فنعَب عن يمينك ثم قطع الطريق الى يسارك فنعب فإنك تدرك حاجتك عجلا إن شاء الله تعالى ، فإن نعب فوق رأسك فارجع فإنى أخاف عليك بعض أعدائك .

١٠ وإن خرجت تريد سلطانا فنعب غراب وهو مستقبل الشرق فامكث يومك ذلك فإنى أخاف عليك .

فإن خرجتَ فرأيت غرابا ينفض ريشه، فإنه يأتيك خير عاجل .

وإن خرجتَ تريد أرضًا بعيدة فرأيتَ غرابا ينتفض فامض لحاجتك، فإنك تدرك أَملك إن شاء الله تعالى .

١٥ وإن خرجتَ تريد السلطانَ فوقع غرابٌ على شيء فنعب ثلاث مرّات فامض لحاجتك، فهو خيرٌ عاجل وتيسيرٌ للحوائج إن شاء الله تعالى .

وإن خرجتَ فرأيتَ غرابًا ناشراً جناحيه يريد الطيران فامض، فإن نعب فارجع يومَك .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعَب من فوقِك فامض، وإن نعب فأجابه الآخر

٢٠ فهو جيّد صالح .

وإن خرجتَ تريد خصومةً فنعب من فوقك أو شَحج فامض ، فإنك تلقى فى يومك ذلك ما تريد إن شاء الله تعالى .

وإن خرج جماعةٌ وفيهم رجل شريف فشحج[1] غرابٌ على رأس الشريف، ثم أتوا ملكًا فإنهم يصيبون خيرا إن شاء الله تعالى .

وإن خرج يطلب حاجةً الى سلطان فواجهه غراب فليمكث يومه ذلك ولا يمض فى تلك الحاجة، وإن نعب عن يمينه فقطع الطريق ثمّ وقع فهو يُدرك حاجتَه .

وإن خرج يريد السلطان أو بعث اليه وهو لا يدرى فرأى غرابًا يطير قليــلا ثم يقع فيلقط من الأرض شيئا فليمض فإنّه يصيب سلطانًا ويلى قوما، وإن رأى غرابًا يبحث فى الأرض فإنّ بعض أهله يموت سريعا، وإن رآه ينقر فى الأرض فذلك ملك .

وإن خرج فرأى غرابًا يطير ثمّ وقع ثلاث مرات وهو ساكت لا ينعب، فذلك غمّ يصيبه إلا أن يدفع الله عزّ وجلّ عنه .

وإن خرج فرآه ينتفض ثم ينعب ثم يطير فذلك سلطان يناله ويتزوج، والعلم عند الله .

وإن خرج فرأى غرابا يطير ثمّ يقع فذاك خير وسرور يأتيه .

وإن خرج فرأى غرابًا يطير نحو عين الشمس فذاك همّ يصيبه شديد .

وإن خرج فلقى بقرا فليرجع فإن لقى من البغال شيئًا لم يركب فليرجع والمركوبة صالحة لا بأس بها .

وإن خرج يعود مريضا فنهق حمار عن يمينه أوعن يساره فالمريض صالح، وإن نهق خلفه فقد آشتدّ بالمريض مرضه وأنا خائف عليه .

---

(١) فى الأصلين الفتوغرافيين : « سنح » بالحاء المهملة . وفى النسخة الراغبية : « شنح » وما أثبتناه هو الأنسب بالمقام . وشحج الغراب : غلظ صوته .

وإن خرج يريد حاجةً فاستقبله غلامٌ يبكى وهو متلطّخ بِعَذِرَة وهو ذاهب والغلام راجع فليمض فإنّ حاجته تقضى ، وإن آستقبله غلام يعدو ويتلهف فإن حاجته تعسر وتطول .

وإن خرج فى حاجته فرأى وَرَشانًا يطير، يرتفع ويَهبط فليمض فإن ذلك أنجح لحاجته، وإن رآه يطير مستعليا فليرجع، وإن رأى حمامة مسرولة تطير من فوق رأسه وتدور فإنّ حاجته مقضيّة بعد بطء ومَطْل، وإن رأى حمامةً هابِطةً واقعةً تقع وتطير فإنّ ذلك خير صالح وسرور إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فآستقبلته جنازةٌ وجماعةٌ فليرجع يومَه ذلك، ولا يعود لحاجته فإنّها غير مقضية ، فإن كانت الجنازة قد جاوزته مُدْبِرة فليذهب لحاجته ؛ فإن ذلك صالح . وإن رأى نسوةً الى المقابر وهنّ مقبلات نحوه فليتعد حتى يمضين عنه فإنّه أنجح لحاجته، وإن رآهن مُدبرات فليمض فى حاجته فإنها مقضيّة .

وإن خرج من داره فرأى فى أرضها نملًا كثيرا وفى حائطها فليمض لحاجته فذلك خير وسرور يناله . فإن رأى ذُبابا كثيرا مجتمعا على حائط وهو يسمع لهنّ دبيبا فذاك مرض يصيبه فى بدنه أو يصيب بعضَ أهله . ومن رأى ذَرًّا كثيرا وقردانًا فذلك فرح ورزق عاجل يناله إن شاء الله تعالى . ومن رأى دَجَاجتين تقتتلان بنقر بعضهما فذاك يدل على أنه يقع بينه وبين آمرأته كلامٌ وغضب .

وإن خرج من منزله فرأى وَرَشانين يقتتلان فى جوّ السماء رافعين وهابطين فيأتيه ما يُسرّ به، وإن رأى كلبةً والكلاب تطوف حولها ويتبع بعضها بعضا : فإن كان عليه دين قضاه الله عنه، وإن كانت له حاجة مهمة قضيت فى وجهه ذلك، وإن أراد شيئًا يسّره الله له ، وإن أراد سفرا تهيّأ له ورجَع سالما .

وإن خرج فرأى على رجل قِربة ثمّ انشقت فليرجع الى منزله ويتعوّذ بالله من شرّ ذلك اليوم فإنّه مكروه جدّا .

وإن خرج فرأى رجلًا وهو يريد أن يملأ قربةً فليمض فى حاجته فإنه فرح وسرور وخير يناله عاجلا إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى حمارا أو بغلا عليه راوية مملوءة فشأنه غير صالح وهو مكروه ، وإن كان صاحب الراوية يريد أن يملأها فليمض لحاجته مقضية إن شاء الله تعالى .

وإن خرج من منزله فرأى جملا عليــه حطب أو بعض منافع النــاس فهو من علامات النجاح فى الخصومة والظَّفَر العاجل إن شاء الله تعالى ، فإن رآه غير محمول عليه وعليــه صاحبه فإنّ ذلك خير يأتيه وينعى اليه بعض أهله من مكان بعيــد . قال : وأرجو أن يدفع الله ، فإن رآه مُنَاخا يَرْغو فإن ذلك خير يأتيه ويُخبر عن شىء ممّــا يحبّ من تزويج أو غنيمة وهو صالح .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شَرَد ورأى من يطلبه فإن ذلك نجاة من عدوّه وفرح قريب إن شاء الله تعالى .

وإن خرج فرأى بعيرا قد شرد فاجتمع عليه الناس فإن ذلك يدلّ على ظَفَره بعدوّه وانتقامه منه فليحمد الله على ما رأى ويشكره .

ومن خرج من منزله فرأى قِردًا يتقلّب والنــاس حوله فليمض لحاجته فإنّهــا مقضية .

وإن خرج فرأى القِرد يلعب والنــاس مجتمعون عليه وقد صار لعبــه الى أن يتقلّب ظهرا لبطن فى الأرض فليرجع من وجهه ذلك فليس بموفّق وهو مكروه .

وإن خرج من منزله فرأى غلمانا يلعبون بالأُكرة ويتسابقون فليمض فى وجهه ذلك فإنّه يصيب رفعةً وشرفاً وتمكنا من السلطان ويصيب مالًا عظيما .

و إن خرج فرآهم يلعبون بالصوالجة فهو رفعة ويدلّ على مال ردىء حرام يصيبه من سلطان، و يركب أمرًا عظيما من عمله فليتق الله .

و إن رأى جوارىَ يلعبن بالطرق كأنهنّ يزففن عروسا فهو خير وسرور ودخول فى أمرٍ شريف وأنّه يربح ربحا عظيما، وهو خير الزجر .

٥ و إن خرج فرأى عصفورين يلقطان الحبّ فهو صالح، و إن رآهما يتسافدان فهو خير يناله فى يومه، و إن رآهما مدبرين فليمض لحاجته فإنها مقضية إن شاء الله تعالى .

و إن خرج فتعلق بثوبه شىء فليرجع؛ فإنى أكره له أن يذهب فى حاجته تلك .

و إن خرج فرأى حِدَأةً تسفِد حِدأةً وهى تصيح فهو نجاح فليمض لحاجته .

و إن خرج فعثر فلا يذهبن فى تلك الحاجة وليؤخّرها .

١٠ ومن الزجر ما مخرجه مخرج الكِهانة .

فمن ذلك ما حكى أنّ أُميّة بن أبى الصَّلْت الثَّقَفِىّ، بينا هو يشرب مع إخوان له فى قصر غَيْلان بالطائف إذ سقط غرابٌ على شُرْفة القصر فنَعب نعبة فقال أُميّة : بفيك الكَثْكَث أى التراب فقال له أصحابه : ما يقول؟ قال يقول : إنّك اذا شربتَ الكأس التى بيدك متَّ ، ثم نعب نعبـة أخرى ، فقال أميّـة كمقالته الأولى فقال أصحابه : ما يقول؟ قال : يزعم أنه يقع على هذه المزبلة فى أسفل القصر فيستثير عظما فيبتلعه فيشـجى به فيموت ، فوقع الغرابُ على المزبلة فأثار العظم وابتلعـه فشجى فمات، فأنكر أميّة ووضع الكأس من يده وتغيّر لونُه فقال أصحابه : ما أكثر ما سمعنا مثل هذا وكان باطلا، وألحّوا عليه حتى شرب الكأس فمال فأغمى عليه ثم أفاق فقال : لا برىءٌ فأعتذر، ولا قوىٌّ فأنتصر، ثم خرجت نفسه .

٢٠ وزعموا أن رجلا من كعب خرج فى جماعة ومعه سِقَاء من لبن فسار صدر يومه فعطِش فأناخ ليشرب، فإذا غراب ينعب فأثار راحلتـه، ثم سار فلمـا أظهر أناخ

ليشرب، فنعب الغراب وتمرّغ فى التراب فضرب الرجل السِّقاء بسيفه فاذا فيه أسودُ[1] ضخمٌ فقتله، ثم سار فاذا غراب وقع على سِدْرة، فصاح به فوقع على سَلَمة، فصاح به فوقع على صخرة، فانتهى اليها فأثار كَنْزا، فلما رجع الى أبيه قال له : إيه ما صنعت ؟ قال : سِرتُ صدر يومى، ثم أنختُ لأشرب فنعب الغراب، قال أثِرْه و إلا فلست بابنى، قال: أثرته، ثم أنخت لأشرب فنعب الغرابُ وتمرّغ فى التراب، قال: آضرب السِّقاء و إلا فلست بابنى، قال: فعلتُ، فاذا أسود ضخم، قال: ثم مه! قال: ثم رأيتُ غرابا على سِدْرة، قال: أطِرْه و إلا فلست بابنى، قال: فعلتُ فوقع على سَلَمة، قال: أطِرْه و إلا فلستَ بابنى، قال: فعلتُ فوقع على صخرةٍ، قال: أحْذِ[2] يا بنىّ ! فأحذاه

ومن الزجر : ما يُروى أن كسرى أبَرْوِيز بعث الى النبىّ صلى الله عليه وسلّم حين بُعِث زاجرا ومصوّرا وقال للزاجر : آنظر ما ترى فى طريقك وعنده، وقال للمصوّر: اِئتنى بصورته، فلمـا عاد اليه أعطاه المصوّر صورته صـلى الله عليه وسلم فوضعها كسرى على وسادته ، وقال للزاجر : ما رأيت ؟ فقـال : لم أر ما أزجره حتى الآن وأرى أمره يعلو عليك لأنك وضعت صورته على وسادتك .

وقيل: إن كُثَيِّرا تعشّق آمرأةً من خُزاعة يقال لها: أمّ الحُوَيرث، فشبّب بها فكرهتْ أن يفضحها كما فضح عَزّة فقالت له : إنّك رجل فقير لا مال لك فابتغ مالا ، ثم تعال فاخطبنى كما يخطبُ الكرامُ قال : فاحلفى لى ووثّقى أنّك لا تتزوّجين حتى أقدم عليك ففعلتْ و وثّقت له ، فمدح عبدَ الرحمن بن [ابريق][3] الأزدىّ وخرج اليه، فلقى ظباءً سوانح، ولقى غُرابًا يفحص التراب بوجهه، فتطيّر من ذلك حتى قدم على حىّ من لِهْب فقال : أيّكم يَزْجُر ؟ قالوا : كلّنـا ، فمن تريد ؟ قال : أعْلَمكم بذلك ،

(١) الأسود : العظيم من الحيات . (٢) أحذاه من الغنيمة : أعطاه منها .
(٣) الزيادة عن الأغانى، وفى الأصل بياض .

قالوا : ذلك الشيخ المنحنى الصُلْب، فأتاه فقصّ عليه القصّة فكرِه ذلك له وقال : قد ماتت أو تزوّجت رجلا من بنى عمّها، فقال كثيّر :

تيمّمتُ لِهْبا أبتغى العِــلمَ عندهم * وقد رُدّ علمُ العائفين[1] الى لِهْبِ

تيمّمتُ شــيخا منهــمُ ذا بَجَالة[2] * بصــيرًا بزجر الطير مُنحنىَ الصُّلْبِ

٥ فقلتُ له ماذا ترى فى ســوانح * وصوتِ غرابٍ يفحص الوجه بالتربِ

فقــال جرى الطير الســنيح بينها * ونادى غــرابٌ[3] بالفراق وبالسلبِ

فإلّا تكن ماتت فقــد حال دونهــا * سواك خليــل باطن من بنى كعبِ

قال : ثم مدح الرجل الأزدىّ فأصاب منه خيرًا، ثم قدِم عليها فوجدها قد تزوّجتْ رجلًا من بنى عمّها فأخذه الهُلاس[4] فكُشِح جنباه بالنار؛ فلمّا آندمل من علّته ووضع

١٠ يده على ظهره فاذا هو برقمتين فقال : ما هذا؟ قالوا : أخذك الهُلاس وزعم الأطباء أنّه لا علاج لك إلا بالكَشْح بالنار فكُشِحتَ بها، فانشأ يقول :

عفا الله عن أمّ الحويْرث ذنبَها * علام تعنّيــنى وتَكْمِى دوائيــا

ولو آدنونى قبل أن يرقوا بهــا * لقلتُ لهم أمّ الحويرث دائيــا

وحُكى أن صاحب الروم بعث الى النبىّ صلى الله عليه وسلم رسولا وقال له :

١٥ آنظر أين تراه جالسا، ومَن الى جانبه، وآنظر مابين كَتِفيه حتى الخاتمَ والشامةَ؛ فقدم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على نَشْزٍ واضعا قدميه فى المــاء، وعن يمينه علىٌّ عليه السـلام؛ فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال : "تحوّل فانظر ما أُمرتَ به" فنظر

---

(١) كذا فى الأغانى وبلوغ الأرب، وفى الأصول : «العاشقين» . وهو تحريف .

(٢) البجالة : الشرف والسيادة .

٢٠ (٣) كذا فى بلوغ الأرب للآلوسى . وفى الأصل والأغانى : * وقال غراب جد منهمر السكب *

(٤) الهلاس : الدقة والضمور ومرض السل .

ثم رجع الى صاحبه فأخبره الخبر، فقال : ليعلونّ أمرُه وليملكنّ ما تحت قدمى وقال : بالنَشْز : العُلو، و بالمـاء الحياة .

ومن الزجر: ما رُوى عن أبى ذُؤَيب الهُذَلى قال: إنّه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فأوجس أهل الحى خيفةً عليه فبتُّ بليلة ثابتة النجوم طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها ولا يَطْلُع نورها حتى اذا قَرُب السَّحَر غفوتُ فهتف لى هاتف يقول :

خَطْبٌ أجلُّ أناخ بالإســلام * بين النُّخَيْــل ومَعْقِــد الآطامِ

قُبِض النــبىّ محمد فعيوننــا * تذرى الدموعَ عليــه بالتَسجامِ

قال أبو ذؤيب : فوثبتُ من نومى فزعًا، فنظرتُ الى السماء فلم أر إلّا سعد الذابح، فتفاءلْتُ به ذبحا يقع فى العرب، وعلمت أن النبى صلى الله عليه وسلم قد مات أو هو ميّتٌ من علّته، فركبتُ ناقتى وسرتُ حتى أصبحتُ، فطلبتُ شيئا أزجره، فعنّ لى شَيْهَمٌ[1] قد قبض على صِلّ وهو يتلوّى عليه والشيهم يقضَمُه[2] حتى أكله، فزجرتُ ذلك [وقلت : شيهم][3] شىء هم، وتلوّى الصِّلّ انفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم أوّلت أكل الشيهم إياه : غَلَبَة القائم على الأمر، فحثثتُ ناقتى حتى اذا كنت بالغُلَيّة زجرتُ الطير فأخبرنى بوفاته . ونعب غراب سانحا بمثل ذلك فتعوّذتُ من شرّ ما عنّ لى فى طريقى، ثم قدِمتُ المدينةَ ولأهلها ضجيج كضجيج الحَجيج أهلّوا جميعا بالإحرام، فقلتُ: مه ! قالوا قُبِض رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فجئتُ المسجدَ فأصبته خاليًا فأتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأصبتُ بابه مُرْتَجا وقد خلا به أهلُه ؛ فقلت: أين الناس ؟ فقيل : فى سَقِيفة بنى ساعِدة صاروا الى الأنصار فجئتُ السقيفةَ فوجدتُ أبا بكر، وعمر رضى الله عنهما، وأبا عُبَيْدة، وسالمًا،

(١) الشيهم : ذكر القنفذ . (٢) كذا فى بلوغ الأرب (ج ٣ ص ٣٢١) . وفى الأصل : قد أرم . (٣) الزيادة عن بلوغ الأرب .

وجماعةً من قريش، ورأيت الأنصارَ فيهم سَعْد بن عُبادة، ومعهم شُعراؤهم، وأمامهم حسّان بن ثابت، وكَعْب فى مَلإ منهم، فأويتُ الى الأنصار فتكلّموا فأكثروا، وتكلّم أبو بكر فلله مِن رجل لا يُطيل الكلام ويعلم مواضِعَ الفصل! والله لتكلّم بكلام (٤١) لم يسمعه سامعٌ إلا آنقاد له ومال اليه؛ وتكلّم بعده عمرُ رضى الله عنه بكلام دون كلامه، ومدّ يده فبايعه؛ ورجع أبو بكر رضى الله عنه ورجَعتُ معه، فشهِدتُ ٥ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهِدت دفنه . قال : ولقد بايع الناس من أبى بكر رجلا حلّ قُداماها ولم يركب ذُناباها ، وآنصرف أبو ذؤيب الى باديته وثبت على إسلامه .

ومنه : ما روى عن مُصْعَب بن عبد الله الزُّبيرىّ أنه حَدّث عن رجل قال : ١٠ شَرَدتْ لنا إبلٌ فأتيتُ حُليسا الأسدىّ فسألتُه عنها؛ فقال لبنت له : خُطِّى، فخطّتْ ونظرت ثمّ آنقبضت وقامت مُنْصَرِفَةً ، فنظر حليس فى خطّها فضحك وقال : أتدرى لم قامت ؟ قلت لا، قال : رأت أنك تجد إبلك وأنك تتزوّجها فآستحيت فقامت، فخرجتُ فأصبتُ إبلى ثمّ تزوّجتُها بعد .

الفأل والطِّيَرة

١٥ حُكى أنه لما وُلِد لسعيد بن العاص عَنْبَسة قال سعيد لآبنه يحيى : أىّ شىء تُنْحِله ؟ قال : دجاجة بفراريجها، وإنما أراد آحتقاره بذلك لأن أمه كانت أمَةً، فقال سعيد : إن صدق الطيرُ ليكوننّ أكثركم ولدًا؛ فكان كذلك .

لما طلب عامر بن إسماعيل مَرْوان بن محمّد آعترضه بالفيّوم قومٌ من العرب فسأل رجلًا : ما آسمك ؟ فقال : منصور بن سعد، وأنا من سعد العشيرة، فتبسم ٢٠ تفاؤلًا به وتيمّنًا، وآستصحبه فظفر بمروان تلك الليلة .

ومن الطِّيَرة ما حكى عن بعضهم قال : حضرتُ الموقِفَ مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فصاح به رجلٌ من خلفه : يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ، فقال رجل من خلفــه : دعاه بٱسم ميت ، مات والله أمير المؤمنين ، ولا يَقف هــذا الموقف أبدا ، فٱلتفتَ اليــه فاذا هو اللِّهْبِىُّ ؛ فقُتِل عمر قبل الحول . ٥

وحكى أنّ عمر رضى اللهُ عنه ، خرج الى حَرّة واقِم ، فلقى رجلا من جُهينة ، فقال له : ما ٱسمك؟ قال : شِهاب ، قال : ٱبن من؟ قال : ٱبن جَمْــرة ، قال : وممن أنتَ؟ قال : من الحُرَقة ، قال : ثم ممن ؟ قال : من بنى ضِرام ، قال : وأين منزلك ؟ قال : بحَرّةِ ليــلى ، قال : وأين تريد ؟ قال : لظى ! وهو موضــع ؛ فقــال عمر : أدرِكْ أهلك ، فما أراك تُدركهم إلا وقد ٱحترقوا . قال : فأدركهم ، وقد أحاطت بهم النار . ١٠

وقال المدائنىّ : وقع الطاعونُ بمصر فى ولاية عبد العزيز بن مروان فخرج هاربا منه فنزل قريةً من الصعيد يقال لها : سُكَّر[1] ، فقدِم عليه حين نزلها رسولٌ لعبد الملك ، فقال له عبــد العزيز : ما ٱسمك؟ قال طالب بن مُدْرِك ! فقال : أوه ! ما أرانى راجعا الى الفُسطَاط أبدا ، ومات فى تلك القرية ١٥

وقيل : بينا مروان بن محمد فى إيوان له يُنَفِّذ الأمورَ ، فانصدعتْ زُجاجةُ ٱلإيوان ، فوقعت الشمسُ منهــا على مَنْكب مروان وكان هناك عَيّاف فقال : صَدْعُ الزُّجاج أمر منكر على أمير المؤمنين ، ثم قام فاتّبعه ثَوْبان مولى مروان . فقال له : ويحك!

(١) كذا فى أحد الأصلين الفتوغرافيين ومعجم ياقوت فى احدى روايته والأغانى (ج ١ ص ٣٦٠) طبع دار الكتب المصرية . وفى رواية أخرى لياقوت وتاريخ الإسلام للذهبي والنجوم الزاهرة والكندى أنه نزل الى حلوان قرب مصر ومات بها . وفى الأصل الآخر الفتوغرافى : «شكر» بالشين المعجمة وهو تحريف . ٢٠

ما قلت ؟ قال . قلتُ : صَـدْعُ الزجاج صدع السلطان، ستذهب الشمسُ بمُلك مروان، بقوم من الترك أو خُراسان: ذلك عندى واضح البرهان . قال : فما ورد لذلك شهران حتّى ورد خبرُ أبى مُسلم .

وقال إبراهيم بن المَهْدىّ : أرسل الىّ محمد الأمينُ فى ليلة مُقْمرة من ليالى الصيف فقال : يا عمّى ! إن الحرب بينى وبين طاهر قد سكنت فصر الىّ فإنى اليك مشتاق ٥ فجئتُه وقد بُسِط له على سطح ، وعنده سليمان بن جعفر ، وعليه كِساءٌ رُوذَبارِى ، وقَلَنْسوة طويلة ، وجواريه بين يديه ، وضعف جاريته عنده . فقال لها : غنّينى فقد سُررتُ بعمومتى ، فاندفعتْ تغنّيه :

هُمُ قتلوه كى يكونوا مكانَه * كما فعلتْ يوما بكِسْرى مَرازِبُهْ

١٠ بنى هاشم كيف التّواصُل بيننا * وعنـد أخيه سـيفُه ونجائبُـهْ

هكذا غنّته ، وإنما هو :

* وعند علىّ سيفه ونجائبه *

فغضب ونطيّر ، وقال : ما قِصّتُك ؟ ويحك ! غنّينى ما يسرّنى ، فغنّتْ :

هـــذا مقام مُطَرَّدٍ * هُدِمتْ منازله ودورُهْ

١٥ فازداد تطيّرا ، ثم قال : ويحك ! انتهى وغنّى غير هذا ، فغنّت :

كُلَيْب لعمرى كان أكثرَ ناصرًا * وأيسر جُرمًا منـك ضُرّج بالدّمِ

فقال لها : قومى الى لعنـةِ الله ، فوثبت ، وكان بين يديه قَدَح بِلَّور وكان لحبه إيّاه يسمّيه محمدا باسمه ، فأصابه طَرَفُ ذيلها فسقط على بعض الصوانى فانكسر ؛ فأقبل علىّ وقال : أرى والله يا عمّ أن هذا آخر أمرنا ، فقلت : كلّا ! بل يبقيك الله

٢٠ يا أمير المؤمنين ويسرّك . قال : ودِجلةٌ والله هادئة ما فيها صوت مجداف ، ولا أحد يتحرك ؛ فسمعتُ هاتفًا يهتف : (قُضِىَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) قال فقال لى :

سمعتَ يا عمّ؟ فقلتُ: وما هو؟ وقد والله سمعتُه، فاذا الصوت قد عاد، فقال: آنصرف بيّتك اللهُ بخير فمحال ألّا تكون الآن قد سمعتَ ما سمعتُ، فانصرفت وكان آخر العهد به.

وشبيه بهـذا ما حكى عن عَلُّويَه المغنى قال: كنتُ مع المأمون لما خرج الى الشام، فدخلنا دِمَشق فطفنا فيها، وجعـل يطوف على قصور بنى أميـة، ويتتبّع آثارهم، فدخلنا صحناً من صحونهم، مفروشًا بالرخام الأخضر، وفيه بِرْكَة ماء فيها سمك، وأمامها بستان، فاستحسن ذلك وعزم على الصَّبُوح ودعا بالطعام والشراب، وأقبل علىّ فقال: غنّنى ونشّطنى، فكأن الله تعالى أنسانى الغناء كله إلا هـذا الصوت من شعر عبد الله بن قيس الرُّقَيَّات:

لو كان حولى بنو أميـة لم * تنطِق رجالٌ أراهمُ نطقـوا
من كلّ قَرْمٍ محضٍ ضرائبه * عن مَنْكِبيه القميص ينخرقُ

قال: فنظر الىّ مُغْضَبًا، وقال: عليـك وعلى بنى أميّة لعنـة الله، ويلك! أقلت لك سُرّنى أو سؤنى؟ ألم يكن لك وقت تذكر فيـه بنى أميّـة إلا هذا الوقت تُعرّض بى؟ فتجلّدتُ عليه وعلمتُ أنّى قد أخطأتُ، فقلت: أتلومنى على أن أذكر بنى أميّة! هـذا مولاكم زِرْياب عنـدهم يركب فى مائتى غلام مملوك له، ويملك ثلثمائة ألف دينار [وهبوها له سوى الخيل والضياع والرّقيق][1]: وأنا عندكم أموت جوعا، فقال: أو لم يكن لك شىء تذكّرنى به نفسَك غير هـذا؟ فقلت: هكذا حضَرَنى حين ذكرتُهم، فقال: أعرض وتنبّه على إرادتى وغنّ فأنسانى الله كلَّ شىء أُحسنه إلا هذا الصوت:

الحَينُ ساق الى دِمَشق وما * كانت دمشـقُ لأهلنا بلدا
قادتك نفسك فآستقدت لها * وأرتك أمرَ غَوَايةٍ رَشَـدا

(١) الزيادة عن الأغانى .

فرمانى بالقــدح فأخطأنى وانكسر القدح ، وقال : قم الى لعنــة الله وحرّ ســقر ! فركب؛ وكانت تلك الحال آخر عهدى به حتى مرض ومات بعد ذلك بقليل .

ومثل ذلك ما حكى فى قِتْلة المتوكل، وذلك أنه جلس يوم الأربعاء لأيام خلون من شوّال سنة تسع وأربعين ومائتين،وقال للفتح بن خاقان : أحبّ أن نصطبح ؛ فأَحضَر المغنّين وفيهم أحمد بن أبى العلاء فقال له : غنّ، فغنّى :

يا عاذلَيّ مِن المــلام دعانى * إنّ البليّـــة فوق ما تصفانِ

زعمتْ بُثينة أنّ فرقتنا غدا * لا مرحبا بغدٍ فقد أبكانى

فتطيّر المتوكّل منه، وقال : أحمد، كيف وقع لك أن تغنّى بهذا الشعر! قال : فشُغِل قلبُ آبن أبى العلاء لمـا أنكر عليه ، ثم ذهب ليغنّىَ غيره ، فغنّاه ثانية، فقال المتوكّل : نسأل الله خير هذا اليوم ، وصرف المغنّين وقام لصلاة الظهر ، فلمّا فرغ قال له الفتح : يا سيّدى أتمْ يومك ، فدعا بالشراب وقال : أين آبن أبى العلاء ؟ فأُحضر فقال له : غنّ ، فاغمى عليه فأعاد البيتين فاغتمّ المتوكّل غاية الغمّ ، وقُتــل فى الليلة الآتية من ذلك اليوم .

قال القــاضى أبو على الجُوينيّ : حضرتُ بين يدى سيف الدولة أبى الحسن صَدَقَة بن منصور بن دُبَيْس ، وابنه أبو المكارم محمد اذ ذاك مريض مرضه الذى مات فيــه، وقد أُتى بديوان أبى نصر بن نُباته فتصفّحه فوقع بيــده : وقال يعزّى سيف الدولة أبا الحسن و يرثى ابنــه أبا المكارم محمدا، فأخذتُ المجلّد وأطبقتُه فعاد فتصفّحه فخرج ذلك، ومن القصيدة التى عناها قوله :

فإنّ بَمِيّاً فَارِقين حُفَــيْرَةً * تركنا عليها ناظر الجود داميا

تضمّنها أيدى فتًى تِكلتْ به * غداةَ ثَوَى أمالُنــا والأمانيا

ولمّـا عدمنا الصبرَ بعد محمد * أتينا أباه نســتفيد التعازيا

وحكى أنّ أبا الشَّمَقْمَق شَخَص مع خالد بن يزيد بن مَزيد وقد تقلّد المَوْصِل ، فلما أراد الدخول اليها ٱندقّ لواؤه فى أوّل درب منها ، فتطيّر من ذلك وعظُم عليه ، فقال أبو الشمقمق :

ما كان مندقّ اللواء لرِيبةٍ * تُخشَى ولا أمرٍ يكون مبـدَّلا
لكنّ هـذا الرمح ضَعّف متنَه * صِغَرُ الولاية فاستقلّ المَوْصلا ٥

فسُرّى عن خالد . وكتب صاحبُ البريد بذلك الى المأمون ، فزاده ديارَ ربيعـة وكتب اليه : هذا التضعيف المَوصل متن رمحك . فأعطى خالدٌ أبا الشمقمق عشرة آلاف درهم .

وقيـل : لمّـا توجّه المسترشدُ للقاء السلطان مسعود بن محمد بن مَلِكشاه السلجوقىّ، وقع على الشمسية التى تُرفع على رأسه طائرٌ من الجوارح وألحّ ، كلما نُفّر ١٠ عاد ، فتفاءل الناس له بذلك وسُرّوا به ، فقال إنسان يُعرَف بمَلِكدار : هذا جارح ومنقبض الكف وليس فيه بُشرى بل ضدّها ، وأقبـل السلطانُ فى جيشه فكانت الكسرة وقُبِض على المسترشد وقُتِل مِن بعد .

خرج بعضُ ملوك الفُرس الى الصيد، فكان أوّل من ٱستقبله أعورُ فأمر بضربه وحبسه ، ثم خرج وتصيّد صيدًا كبيرا ، فلمّا عاد ٱستدعى الأعورَ وأمر له بصِلَة ، ١٥ فقال الأعور : لا حاجة لى فى صلتك ، ولكن ٱئذن لى فى الكلام ، فقال : تكلّم ! قال : لقيتنى فضربتنى وحبستنى ، ولقِيتك فصِدتَ وسَلِمتَ فأيّنا أشأم؟ فضحك وخلاه .

الفراسة والذكاء

يقولون : عظم الجبين يدلّ على البَلَه ، وعَرْضُه يدلّ على قلة العقل ، وصِغَره على لُطف الحركة ، والحاجبان اذا ٱتصلا على ٱستقامة دلّا على تخنيث وٱسترخاء ، واذا ٢٠

تزجّجا نحو الصّدغين دلّا على طَنْز(١) وٱستهزاء؛ والعين اذا كانت صغيرة الموق دلّت على سوء دِخلةَ وخُبث شمائل، واذا وقع الحاجب على العين دلّ على الحسد ؛ والعين المتوسطة فى حجمها دليل فطنة وحسن خُلق ومروءة، والناتئة على ٱختلاط عقل، والطائرة على حِدّة، والتى يطول تحديقها على خفة وحمق، والتى تكسّر طَرْفُها على خفّة وطيش ؛ والشّعر على الأذن يدلّ على جودة السمع ؛ والأُذن الكبيرة المنتصبة تدلّ على حمق وهَذَيان .

وحُكى أن أبا موسى الأشعرى وجّه السائب بن الأقرع فى خلافة عمر بن الخطّاب رضى الله عنه الى مِهْرَجا نْقَدَق(٢) ففتحها ودخل دار الهُرْمُزان بعد أن جمع السبىَ والغنائم، ورأى فى بعض مجالس الدار تصاوير فيها مثال ظبىٍ وهو مشير بإحدى يديه الى الأرض، فقال السائب : لأمرٍ مّا صُوِّر هذا الظبىُ هكذا ، إن له لشأنا، فأمر بحفر الموضع الذى الإشارة اليه فأفضى الى موضع فيه حوض من رخام ، فيه سَفَطُ جوهر، فأخذه السائبُ وخرج به الى عمر رضى الله عنه .

وقيل: كان المعتضد يوما جالسا فى بيت يُبنى له وهو يشاهد الصُّنّاع فرأى فى جملتهم عبدا أسود منكر الخَلْق، شديد المَرَح، يصعد على السلاليم مرقاتين مرقاتين ويحمل ضِعْف ما يحمل غيرُه ، فأنكر أمرَه ، وأحضره وسأله عن سبب ذلك ، فلجلج فقال لوزيره : قد خَمّنتُ فى هذا تخميناً ما أحسبه باطلا، إمّا أن يكون معه دنانير قد ظفر بها من غير وجهها ، أو لِصّا يتستّر بالعمل ، ثم قال : علىّ بالأسود فأحضره وضربه، وحلف إن لم يصدقه ليضربنّ عنقه ، فقال الأسود : ولى الأمان يا أمير المؤمنين ، قال : نعم ! إلّا ما كان من حدّ، فظن أنه قد أمّنه ، فقال : كنت أعمل فى أتّون الآجرّ ، منذ سنين فأنا منذ شهور جالس إذ مرّ بى رجل فى وسطه

(١) الطنز: السخرية. (٢) كورة ذات مدن وقرى عن يمين القاصد من حلوان العراق الى همذان.

كيس فتبعتهُ وهو لا يعرف مكانى، فحلَّ الهِمْيان وأخرج منـه دينارا فتأمّلتهُ فاذا كله دنانير، فكتّفتهُ وسددتُ فاه وأخذت الهميان وحملتهُ على كتفى وطرحته فى التنّور وطيّنتُ عليه، فلما كان بعد أيام أخرجتُ عِظامه وطرحتها فى دجلة، والدنانير معى تقوّى قلبى، قال : فأرسل المعتضد من أحضر الدنانير، واذا على الكيس : لفلان بن فلان، فنادى فى المدينـة، فحضرت آمرأته وقالت : هذا زوجى وقد ترك طفلا صغيرا، خرج فى وقت كذا ومعه كيس فيه الف دينار، فغاب الى الآن، فسلّم الدنانير اليها وأمرها أن تعتدّ، وضرب عنق الأسود وأمر أن يوضع فى الأتّون .

وقيل : جلس المنصور فى إحدى قباب المدينة فرأى رجلا ملهوفا مهموما يجول فى الطُّرُقات، فأرسل من أتاه به فسأله عن حاله فأخبره أنّه خرج فى تجارة فأفاد مالا ورجع الى منزله به، فدفعه الى آمرأته، فذكرت المرأةُ أن المال سُرِق ولم ير نَقْبًا ولا تسلّقا، فقال له المنصور : منذ كم تزوّجتَها ؟ قال : منذ سنة، قال : فبكرًا أو ثيّباً؟ قال : ثيّبا، قال : فلها ولد من سواك؟ قال : لا، قال : شابّة أم مسنّة؟ قال : شابّة، فدعا المنصور بقارورة طِيب، وقال : تطيّب بهـذا، فهو يذهبُ همّك، فأخذها وآنقلب الى أهله، ثم قال المنصور لأربعة من ثِقاته : آقعـدوا على أبواب المدينة، فمن مرّ بكم وعليه شىء من هذا الطِّيب فأتونى به، وأشمهم من ذلك الطِّيب، ومضى الرجلُ بالطِّيب، فدفعه الى آمرأته وقال : وهبه لى أمير المؤمنين، فلمّا شمّته بعثتْ به الى رجل كانت تحبّه وقد كانت دفعتْ اليه المـال فتطيّب به، ومرّ مجتازا ببعض الأبواب، فأُخذ وأُتى به الى المنصور، فقـال له : من أين آستفدتَ هذا الطيب؟ فلجلج لسانه، فسلّمه الى صاحب شرطته وقال : إن أحضر الدنانير وإلا فآضربه ألف سوط، فـا هو إلا أن جُرِّد وهُـدِّد، فأحضر الدنانير على حالتها فأُعلم المنصورُ بذلك، فدعا صاحبَ الدنانير وقال : أرأيتك إن رددتُ عليك متاعَك بعينه أتحكّمنى فى آمرأتك؟ قال: نعم! قال: خذ دنانيرك وقد طلّقتُ آمرأتك وخبّره الخبر.

ودخل شَريك بن عبد الله القاضى على المهدىّ فأراد أن يخّره فقال للخادم: ائتِ القاضى بعُود، فذهب فجاء بالعود الذى يُلْهَى به، فوضعه فى حجر شريك، فقال شريك: ما هـذا يا أمير المؤمنين؟ قال: عود أخذه صاحبُ العَسَس البارحة فأحببنا أن يكون كسره على يد القاضى، فقال شريك: جزاك اللهُ خيرا ياأمير المؤمنين، ثم ضرب به الأرضَ فكسره ثم أفاضوا فى حديث آخر حتى نُسى الأمر، ثم قال المهدىّ لشريك: ما تقول فيمن أمر وكيلًا له أن يأتى بشىء فجاء بغيره فتَلِف ذلك الشىءُ؟ فقال: يَضْمَن يا أمير المؤمنين، فقال للخادم: آضمن ما تلِف .

البـاب الرابع

من القسم الثانى من الفن الثانى

فى الكنايات والتعريض

والكنايات لها مواضع؛ فأحسنها العُدول عن الكلام القبيح الى ما يدُلّ على معناه فى لفظ أبهى منه . ومن ذلك أن يُعظَّم الرجل فلا يُدعى باسمه ويُكنى بكُنيته، أو يكنى بآسم آبنه صيانةً لآسمه، وقد ورد فى ذلك كثير من آى القرآن فمنها قوله تعالى ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ أى كنّياه . وقد كَنّى رسول الله صلى الله عليه وسلم علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : بأبى تراب؛ وقال البحترىّ :

يتشاعفن بالغرير المسمّى (1) * من تَصابٍ دون الجليل المكنّى

(1) كذا فى ديوان البحترى طبع الأستانة سنة ١٣٠٠ هـ (ص ٢٣١ ج ١) . وفى الأصول :

يتشاغفن بالصغير المسمّى * موضعات وبالكبير المكنّى

وهذا يدل على أن المراد بالكنية التبجيل؛ وقول ابن الرومى :

بكت شجوها الدنيا فلما تبينتْ * مكانك منها آستبشرت وتثنّت [(١)]

وكان ضئيلا شخصها فتطاولتْ * وكانت تسمّى ذلةً فتكنّت

وقال أبو صخر الهذلى :

أبى القلب إلا حُبَّـهُ عامرِيّةً * لها كنيةٌ عمرٌو وليس لها عمرُو

ومن عادة العرب وشأنهم، استعمال الكنايات فى الأشياء التى يستحيا من ذكرها، قصدا للتعفّف باللسان، كما يُتعفّف بسائر الجوارح ، قال الله عز وجلّ تأديبا لعباده : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ فقرن عفّة البصر بعفّة الفرْج؛ وفى القرآن كناياتٌ عُدِلَ بها عن التصريح تنزيها عن اللفظ المستهجَن ، كقوله تعالى : ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ وقال أبو عبيد : هو كناية، شبّه النساءَ بالحَرْثِ، وقوله تعالى : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾، قيل: هو كنايةٌ عن الفروج، وفى موضع آخر: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾، وقوله تعالى : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ قال المفسرون : هذا تنبيه بأكل الطعام على عاقبة ما يصير اليه؛ وهو الحَـدَث، لأن من أكل الطعام فلا بدّ أن يحـدِث . ثم قال : ﴿انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ وهذا من ألطف الكناية، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ فالغائط : المطمئنّ من الأرض، وكانوا يأتونه لحاجتهم ويستترون به عن الأماكن المرتفعة . ومن لم يرَ الوضوء من لمس النساء جعل الملامسةَ هاهنا كناية عن الفعل .

(١) هذان البيتان لم يردا فى ديوانه المطبوع فى الأستانة والأجزاء المطبوعة منه فى مصر ولا فى النسخة الخطية المحفوظة بدار الكتب المصرية .

ومن الكنايات فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو و إن كان قد و رد فى الأمثال أشبه بالكناية — منها قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم وخضراءَ الدِّمن" يريد بهـا المرأة الحسناء فى المنبِت السوء، وتفسير ذلك : أن الريح تجمع الدِّمنَ؛ وهو البعر فى البقعة من الأرض فاذا أصابه المطر نبت نبتـا غضًّا يهتزّ وتحتـه الدِّمَنُ الخبيث، يقول : فلا تَنكحوا هـذه المرأة الحسناء لجمالها، ومنبِتُها خبيثٌ كالدِّمن ؛ فإن أعراق السوء تَنْزِع أولادها . وقال زُفَر بن الحارث :

وقد ينبتُ المرعى على دِمَنِ الثرى ⁂ وتبـقى حزازاتُ النفوس كما هيا

وقوله صلى الله عليه وسلم: "حَمِيَ الوطيسُ" قاله لما جال المسلمون يوم حُنين، والوطيس : حفيرة تحتفر فى الأرض شبيهةٌ بالتنّور. وقال الحسن : لبث أيوب عليه السلام على المزبلة سبعَ سنين، وما على الأرض يومئذ خَلْقٌ أكرمُ على الله منه، فما سأل اللهَ العافيةَ إلا تعريضا فى قوله : ﴿ إِنِّى مَسَّنِىَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ والعرب تكنى عن الفضلة المستقذرة بألفاظ كلها كنايات؛ منها : الرَّجيعُ والنَّجْوُ والبرَازُ والغائطُ والعَذِرَةُ والحُشّ، فبعض هـذه الألفاظ يراد بها نفسُ الحدَث، و بعضها يراد بهـا المواضع التى يأتى اليها المحدِثُ؛ وكذلك استعملوا فى إتيان النساء : المجامعة، والمواقعة، والمباضـعة، والمباشرة، والملامسـة، والمماسة، والخلوة، والإفضاء، والغشـيان ، والتغشّى، وكل هذه الألفاظ مذكورة فى القرآن .

وحُكى : أن رجلا من بنى العنبر كان أسيرا فى بكر بن وائل، وعزموا على غزو قومه؛ فسألهم رسولا الى قومه، فقالوا : لا ترسل إلا بحضرتنا لئلا تنذرهم، وجىء بعبـد أسود، فقال له : أتعقـل؟ قال : نعم إنى لعاقل، قال : ما أُراك عاقلا ! ثم أشار بيده الى الليـل، فقال : ما هذا؟ قال : الليل! قال : أُراك عاقلا . ثم ملأ كفّيه من الرمل فقال : كم هذا؟ قال : لا أدرى و إنه لكثير، قال : أيّما أكثر،

النجوم أم النيران؟ قال : كلٌّ كثير ،فقال : أبلغ قومى التحيّة،وقل لهم : لُيكرموا فلانا — يعنى أسيرا كان فى أيديهم من بكر — فإن قومه لى مكرمون وقل لهم : إن العَرْفَجَ قد أدْبَى، وشكَّتِ النساء، وأْمُرْهم أن يَعْروا ناقتى الحمراء، فقد أطالوا ركوبها، وأن يركبوا جملى الأصهب بآية ما أكلتُ معكم حَيْسًا، وآسألوا عن خبرى أخى الحارث؛ فلما أدّى العبد الرسالة اليهم قالوا : قد جُنَّ الأعورُ، والله ما نعرف له ناقة حمراء، ولا جملا أصهبَ ، ثم سرّحوا العبدَ ودعُوا الحارث فقصّوا عليه القِصّة ، فقال : قد أنذركم؛ أمّا قوله : قد أدبَى العرفج؛ فإنه يريد : أن الرجال قد آستلأموا ولبسوا السلاح، وقوله :وشكّت النساء، أى آتخذن الشِّكَاءَ للسفر ، وقوله :الناقة الحمراء ، أى آرتحِلوا عن الدهناء،وآركبوا الصَّمّانَ وهو الجمل الأصهب،وقوله : بآية ما أكلت معكم حيسًا ،أى أخلاطا من الناس قد غَزَوكُم؛ لأن الحيس يجمع التمر والسمن والأقِطَ؛ فآمتثلوا ما قال ، وعرفوا لَحن كلامه .

وحكى أبو الفرج الأصفهانى بسنده الى مجالد بن سعيد عن عبد الملك بن عُمير قال : قدم علينا عمر بن هبيرة الكوفة ، فأرسل الى عشرةٍ أنا أحدهم من وجوه أهل الكوفة ، فسمرنا عنده . ثم قال : ليحدثنى كلّ رجل منكم أُحدوثة . وآبدأ أنت يا أبا عمرو[1] ، فقلت : أصلح الله الأمير ، أحديث الحق أم حديث الباطل ؟ قال : بل حديث الحقّ ، قلت : إن آمرأ القيس آلى أليّة ألّا يتزوّج آمرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين ، فجعل يخطب النساء فاذا سألهن عن هذا، قلن أربعة عشر، فبينا هو يسير فى جوف الليل اذا هو برجل يحمل آبنة له صغيرة، كأنها البدر لتمّه، فأعجبته فسألها : يا جارية ! ما ثمانية وأربعة وآثنان؟ فقالت : أما ثمانية فأطْبَاءُ الكلبة، وأما أربعة فأخلافُ الناقة ، وأما آثنان

(١) فى الأغانى : «يا أبا عمر» .

فتديا المرأة، فخطبها الى أبيها ، فزوّجه إياها وشرطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خِصالٍ ، فجعل لها ذلك ، على أن يسوق اليها مائةً من الإبل ، وعشرة أعبدٍ، وعشر وصائف، وثلاثة أفراس، ففعل ذلك ، ثم إنه بعث عبدا له الى المرأة، وأهدى لها نِحْيًا من سمن، ونِحْياً من عسل، وحلّة من قصب، فنزل العبد على بعض المياه، فنشر الحلّة فلبسها فتعلّقت بسَمُرةٍ فانشقّت، وفتح النِّحيْين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا، ثم قدم على حىّ المرأة وهم خلوف فسألها عن أبيها وأمها وأخيها، ودفع اليها هديّتها، فقالت له: أعلِمْ مولاك أنّ أبى ذهب يقرِّب بعيدا، ويبعِّد قريبا، وأنّ أمّى ذهبت تشقّ النفس نفسيْن، وأنّ أخى ذهب يراعى الشمس، وأنّ سماءكم انشقّت، وأنّ وِعاءيكم نضبا، فقدم الغلام على مولاه فأخبره، فقال: أما قولها: أنّ أبى ذهب يقرّب بعيدا ويبعّد قريبا: فإن أباها ذهب يحالف قوما على قومه، وأما قولها: ذهبت أمّى تشق النفس نفسين: فإن أمها ذهبت تَقْبُل امرأة نفساء، وأما قولها: ذهب أخى يراعى الشمس: فإن أخاها فى سَرْح له يرعاه، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به، وقولها: أن سماءكم انشقّت: فإن البُرْد الذى بعثتَ به انشقّ، وأما قولها: أن وعاءيكم نضبا: فإن النِّحيْين نقصا، فاصدُقنى، فقال: يا مولاى! إنى نزلت بماء من مياه العرب، فسألونى عن نسبى، فأخبرتهم أنى ابن عمك، ونشرتُ الحلّة فلبستها وتجمّلتُ بها، فتعلّقتْ بسَمُرةٍ فانشقّت، وفتحتُ النِّحيْين فأطعمتُ منهما أهل الماء. فقال: أَوْلَى لك، ثم ساق مائةً من الابل، وخرج ومعه الغلام ليسقِىَ الإبلَ، فعجز، فأعانه امرؤ القيس فرمى به الغلام فى البئر، وخرج حتى أتى المرأة بالابل فأخبرهم أنه زوجها، فقيل لها: قد جاء زوجك! فقالت: والله ما أدرى أزوجى هو أم لا؟ ولكن انحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنَبها، ففعلوا، فأكل ما أطعموه، قالت: اسقوه لبنا حازرا (وهو الحامض) فسقوه فشرب،

فقالت : آفرشوا له عند الفَرْثِ والدم، ففرشوا له ؛ فنام . فلما أصبحت أرسلت اليه: أريد أن أسألك عن ثلاث، قال :سلى عما بدا لك ،فقالت :لم تختلج شفتاك؟ قال : من تقبيلى إياك ! قالت : لم تختلج نخذاك ؟ قال : لتوركى إياك ! قالت : فلم يختلج كَشْحاك؟ قال : لألتزامى إياك! قالت : عليكم العبد! فشدّوا أيديكم به ؛ ففعلوا . قال: ومرّ قوم فاستخرجوا آمرأَ القيس من البئر، فرجع الى حيّه وآستاق مائةً من الابل وأقبل الى آمرأته . فقيل لهـا : قد جاء زوجك ! فقالت : والله ما أدرى أزوجى هو أم لا؟ ولكن آنحروا له جزورا وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا؛ فلمـا أتوه بذلك، قال : وأين الكبد والسّـنام والمَلْحاء[1]؟ فأبى أن يأكل، فقالت :آسقوه لبنا حازرا،فأُتِىَ به ، فأبى أن يشربه وقال: أين الصَّريف[2] والرَّثيئة[3]؟ فقالت : آفرشوا له عند الفَرْثِ والدم، ففرشوا له ؛ فأبى أن ينام وقال: آفرشوا لى فوق التلعة الحمراء وآضربوا عليها خباء،ثم أرسلت اليه :هلمّ شريطتى عليك فى المسائل الثلاث، فأرسل اليها : سلينى عما شئت ، فقالت: لم تختلج شفتاك؟ قال : لشرب المشعشعات؛ قالت : فلم يختلج كشحاك؟ قال : للبس الحبرات؛ قالت : فلم يختلج نخذاك؟ قال : لركض المطهّمات؛ قالت : هذا زوجى لعمرى ! فعليكم به، وآقتلوا العبـد فقتلوه، ودخل آمرؤ القيس بالجارية؛ قال آبن هُبَيرة : حسـبكم! فلا خير فى الحديث فى سائر الليلة بعد حديثك يا أبا عمرو ولن يأتينا أحدٌ بأعجب منه، فقمنا فانصرفنا وأمر لى بجائزة .

وقيل : بعث ثَمامة بن الأعور العنبرىّ الى أهله بثلاثين شاةً ونِحْيٍ صغير فيه سمن، فسرق الرسول شاة ، وأخذ من رأس النحى شيئا ، فقال لهم الرسول : ألكم

(١) الملحاء : لحم فى الصلب من الكاهل الى العجز من البعير .

(٢) الصريف : اللبن ساعة الحلب .

(٣) الرثيئة : اللبن الحامض يخلط بالحلو ليخثر .

حاجةٌ أخبره بها؟ فقالت آمرأته : أخبره أنّ الشهر محاق ، وأن جدينا الذى كان يطالعنا وجدناه مرثوما ، فارتجع منه الشاة والسمن .

وقيل : أسرت طيّئٌ غلاما ، فتقدم أبوه ليفديَه ، فآشتطّوا عليه . فقال أبوه : لا والذى جعل الفرقدين يُمسيانِ و يصبحانِ على جبلَىْ طيّءٍ! ما عندى غيرُ ما بذلتُه ، ثم آنصرف وقال : لقد أعطيته كلاما إن كان فيه خيرٌ فهمه كأنه قال : الزم الفرقدينْ على جبلَىْ طيّءٍ ، ففهم الآبن تعريضه وطرد إبلًا لهم من ليلته ونجا .

ومن التخلّص المتوصّل اليه بالكناية ما رُوى عن عدىّ بن حاتم بن عبد الله الطائىّ ، أنه قال يوما فى حق الوليد بن عقبة بن أبى مُعَيط : ألا تعجبون لهذا؟ أشعرَ بَرَكًا[(١)] يُوَلَّى مثل هــذا المصر ، والله ما يحسن أن يقضىَ فى تمرتين . فبلغ ذلك الوليدَ فقال على المنبر : أنشُد الله رَجُلًا سمّانى أشعرَ بَرَكًا إلّا قام ، فقام عدىّ بن حاتم فقال : أيها الأمير ، إن الذى يقوم فيقول : أنا سمّيتك أشــعرَ بَرَكًا لجرىءٌ ، فقال له : آجلس يا أبا طَرِيف! فقد برّأك الله منها ، فجلس وهو يقول : ما برّأنى الله منها .

وقيل : كان شُريح عند زياد بن أبيه وهو مريض ، فلما خرج من عنده أرسل اليه مسروق رسولا وقال : كيف تركت الأمير؟ فقال : تركته يأمر و ينهى ، قال مسروق : إنه صاحب تعريض[(٢)] ، فارجع اليه وآسأله ما يأمر و ينهى ، قال : يأمر بالوصيّة و ينهى عن النَّوح .

خطب رجل الى قوم فجاءوا الى الشعبىّ يسألونه عنه ، وكان به عارفا ، فقال : هو والله ما علمت نافذ الطعنة ، رَكين الجِلسة ، فزوّجوه ، فاذا هو خيّاط فأتوه فقالوا : غررتنا فقال : ما فعلتُ و إنه لكما وصفت .

---

(١) أشعر بركا ، لأنه كان أشعر الصدر .

(٢) كذا فى العقد الفريد . و فى الأصول : «عرض» ولعلها : «عويص» .

وخطب باقلانيّ الى قوم وذكر أن الشـعبيّ يعرفه فسألوه عنـه فقال : إنه لعظيم الرماد، كثير الغاشية .

قيل : أخذ العسس رجلين فقال لهما : من أنتمـا؟ فقال أحدهما :

أنا ابن الذى لا ينزلُ الدهرَ قِدْرُهُ * وإن نزلتْ يوما فسوف تعودُ

ترى الناسَ أفواجا إلى ضوء ناره * فمنهم قيـامٌ حولهـا وقعـودُ ٥

وقال الآخر :

أنا ابن من تخضع الرقاب له * ما بين مخزومهـا وهاشمهـا

تأتيـه بالذل وهى صاغرة * يأخذ من مالهـا ومن دمها

فظنوهمـا من أولاد الأكابر، فلما أصبح سأل عنهما ؛ فاذا الأول ابن طبّاخ والثانى ابن حجّام . ١٠

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للأحنف : أىّ الطعام أحبّ اليـك ؟ قال : الزُّبدُ والكَمْأَةُ . فقال : ما هما بأحبّ الطعام اليـه ، ولكنه يحبّ الخصب للمسلميـن .

وقال لقمان لابنه : كُلْ أطيب الطعام، ونَمْ على أوطأ الفرش. كنّى عن إكثار الصيام وإطالة القيام . ١٥

ومن جيّد التورية وغريبها مع توخّى الصدق فى موطن الخوف : قولُ أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رَديفُه عامَ الهجرة، فقيل له : من هذا يا أبا بكر؟ فقال : رجل يهدينى السبيل .

ورُفِعَ الى عبيد الله بن الحسن قاضى البصرة وصيةٌ لرجل بمال أمر أن تُتَّخَذَ به حصون . فقال : اشتروا به خيلا للسبيل، أما سمعتم قول النخعىّ . ٢٠

ولقــد علمت على تجنبِ الردى * أن الحصون الخيلُ لا مدَرُ القُرَى

قيل كان البَرَاءُ بن قَبِيصة صاحبَ شرابٍ ، فدخل على الوليد بن عبد الملك، وبوجهه أثر، فقال: ما هذا؟ قال فرس لى أشقر، ركبته فكبا بى ، فقال : لو ركبت الأشهبَ لَمَا كبا بك ، يريد الماء .

قال عبد الملك بن مروان لثابت بن الزبير : ما ثابت من الأسماء! ليس باسم رجل ولا امرأة . قال : يا أمير المؤمنين لا ذنب لى لو كان اسمى الىَّ لسمّيتُ نفسى زينبَ، يُعرِّضُ به؛ فانه كان يعشق زينبَ بنت عبد الرحمن بن هشام فخطبها؛ فقالت : لا أوسّخ نفسى بأبى الذِّبَّان[1] .

قال نُمَيرىّ لفقعسىّ : إنى أريد إتيانك فأجد على بابك خُرءا، فقال له الفقعسىّ: اطرح عليه ترابا وادخل، أراد النميرىّ قول الشاعر :

ينام الفقعسىُّ وما يُصلِّى * ويخرا فوق قارعةِ الطريق

وأراد الفقعسىّ قول الآخر :

ولو وَطِئتْ نساءُ بنى نميرٍ * على تُربِ لخبّثْنَ الترابَا

قال عبد الله بن الزبير لامرأة عبد الله بن حازم السلمىّ : أَخرجى المالَ الذى وضعتِه تحت آستِك ، فقالت : ما ظننت أن أحدا يلى شيئا من أمور المسلمين يتكلّم بهذا! فقال بعض من حضر : أما ترون الخلْع الخفىَّ الذى أشارت اليه؟ فلما أخذ الحجّاج أم عبد الرحمن بن الأشعث تجنّب ما عيبَ على ابن الزبير، فكنّى عن المعنى فقال لها : عمدتِ الى مال الله فوضعتِه تحتَ ذيلك .

ماتت للهذلىّ أمُّ ولدٍ فأمر المنصورُ الربيعَ بأن يعزّيَه ويقولَ له : إن أمير المؤمنين يوجّه اليك بجارية نفيسة لها أدبٌ وظَرفٌ تُسلِيك عنها، وأمر لك بفرسٍ

(١) كنية كان يكنى بها عبد الملك بن مروان لبخره .

وكُسوةٍ وصلةٍ، فلم يزل الهذلىّ يتوقّعها ونسِيَها المنصور، ثم حجّ ومعه الهذلىّ فقال له وهو بالمدينة : أحبّ أن أطوفَ الليلة فى المدينة ، وأطلبَ من يطوف بى، فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين، فطاف به حتى وصل الى بيت عاتكةَ فقال: يا أمير المؤمنين! وهذا بيت عاتكةَ الذى يقول فيه الأحوص :

* يا بيتَ عاتكةَ الذى أتعزّلُ *

٥

فأنكر المنصور ذكرَ بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه، فلما رجع أمرّ القصيدة على خاطره فاذا فيها :

وأراك تفعلُ ما تقولُ و بعضهم * مذقُ الحديثِ يقول مالا يفعلُ

فتذكّر الموعدَ وأنجزه واعتذر اليه .

١٠

اجتمع الشعراء بباب أمير من أمراء العرب ، فمرّ رجل ببازٍ فقال رجل من بنى تميم لآخر من بنى نمير : هـذا البازى ! فقال النميرىّ : إنه يصيد القَطا ، عرّض الأوّل بقول جرير :

أنا البازى المطلّ على نُمـير * أُتيحَ من السماء لها انصبابا

وأراد الآخر قول الطِّرِمّاح :

تميم بطرق اللؤم أهـدَى من القطا * ولو سلكتْ طُرُقَ المكارمِ ضلَّتِ

١٥

قال عمر بن هُبَيْرة الفزارىّ لأيوب بن ظَبيان النميرىّ وهو يسايره : غُضّ من بغلتك! فقال : إنها مكتوبة، أراد ابن هبيرة قول جرير :

فغُضّ الطرف إنك من نمـير * فلا كعبا بلغتَ ولا كلابا

وأراد النميرىّ قول ابن دارة :

لا تأمنَنَّ فزاريًّا حلوتَ به * على قلوصك واكتبْها بأسيارِ

٢٠

وقيل : كان العزيز بن المعزّ العُبيدىّ أحد الخلفاء بمصر يلعب بالحَمَام، فتسابق هو وخادم له فسبق طائرُ الخادم طائرَ الخليفة؛ فبعث الى وزيره ابن كِلّس اليهودىّ يستعلمه عن ذلك فاستحيا أن يقول : إن طائر الخليفة سُبِقَ، فكتب إليه :

يابن الذى طاعتُه عِصمةٌ * وحُبُّــه مفترَضٌ واجبُ

٥ طائرك الســابقُ لكــنّه * جاء وفى خدمته حاجبُ

جاءت امرأة الى عمر رضى الله عنه فقالت : أشكو اليك زوجى ، خيرُ أهل الأرض إلا رجلا سبقه لعمل، أو عمل مثلَ عمله ، يقوم الليل حتى يُصبح، ويصوم النهار حتى يُمسِى ، ثم أخذها الحياء فقالت : أقِلْنى يا أمير المؤمنين ، فقال : جزاك الله خيرا! فقد أحسنتِ الثناء ؛ فلما ولّتْ قال كعبُ بن سُور[1] : يا أمير المؤمنين لقد ١٠ أبلَغَتْ اليك فى الشكوى، فإنها كنَّتْ بذلك عن عدم المباضعة .

البـاب الخـامس

من القسم الثـانى من الفن الثـانى

فى الألغـاز والأحاجىّ

قالوا : وآشتقاق اللُّغز من ألْغزَ اليَربوعُ ولَغَزَ، إذا حفر لنفسه مستقيما، ثم أخذ ١٥ يَمْنَةً ويسرة ليُورِّى بذلك ويعمّى على طالبه . وللُّغز أسماءٌ، فمنها : المُعاياة، والعويصُ، والرمز، والمحاجاة ، وأبيات المعانى، والمَلاحن، والمرموس ، والتأويلُ، والكناية، والتعريض، والإشارة، والتوجيــه، والمعمَّى، والمُمَثَّل ؛ ومعنى الجميــع واحد،

(١) كذا فى أحد الأصلين الفتوغرافيين والقاموس والمشتبه فى أسماء الرجال للذهبى . وفى باقى الأصول : «شور» بالشين وهو تحريف :

وآختلافها بحسب آختلاف وجوه آعتباراته ، فانك إذا آعتبرته من حيث إن واضعه كأنه يعاييك، أى يُظهـر إعياءك وهو التعبُ، سمّيتَه : معاياة؛ و إذا آعتبرته من حيث صـعوبة فهمه وآعتياص آستخراجه، سمّيتـه عَويصا ؛ و إذا آعتـبرته من حيث إنه قد عمـل على وجوه وأبواب، سميتـه : لُغْزًا وفعلك له : إلغازا ، واذا آعتبرته من حيث إن واضـعه لم يفصح عنه قلت : رمز، وقريب منـه الإشارة؛ و إذا آعتبرته من حيث إن غيرك حاجاك أى آستخرج مقدار عقلك، سمّيته : محاجاة؛ و إذا آعتبرته من حيث إنه آستخرج كثرة معـانيه سمّيتـه : أبيات المعانى؛ و إذا آعتبرته من حيث إنّ قائله قد يوهمك شيئا و يريد غيره، سميته : لحنا وسميتَ فعلك : المَلاحن؛ وإذا آعتبرته من حيث إنه سُتر عنك ورُمس فهو : المرموس، والرمس : القبر؛ و إذا آعتبرته من أن معناه يؤول اليك، سميتـه : مـؤوَّلا، وسميت فعلك : تأويلا؛ وإذا آعتبرته من حيث إن صاحبه لم يصرّح بغرضـه، سميتـه : تعريضا وكناية؛ وإذا آعتبرته من حيث إنه ذو وجوه، سميتـه : الموجَّه، وسميت فعلك : التوجيه؛ و إذا اعتبرته من حيث إنه مغطًّى عليك، سمّيته : مُعَمًّى .

قال الحكيم أمين[1] الدولة المعروف بابن التلميذ فى الميزان :

ما واحد مختلف الأسمـاءِ * يعدل فى الأرض وفى السماءِ
يحـكم بالقسـط بلا رياء * أعمى يُرى الرشادَ كلَّ رائى
أخرس لا من عـلّة وداءِ * يُغنى عن التصريح بالإيماء
يجيب إن ناداه ذو آمتراءِ * بالرفع والخفض عن النداءِ
* يُفصح إن عُلِّقَ فى الهواء *

(١) فى أحد الأصول : « أمير » . وهو تحريف . واسمه : « أبو الحسن بن صاعد هبـة الله الطبيب » راجع الإعجاز فى فنون الألغاز للحظيرى .

قوله : مختلف الأسماء يعنى ميزان الشمس والأصطرلاب ، وسائر آلات الرصد ؛ وهو معنى قوله : يحكم فى السماء . وميزان الكلام النحو . وميزان الشعر : العروض . وميزان المعانى : المنطق . وهذه الميزان[1] ، والذراع والمكيال .

وقال آخر فيه :

٥ ما تقولون؟ : فيما نزل من السماء ، وعُلِّق فى الهواء ، له عينٌ عمياء ، وكفٌّ شلّاء ، ليس له إن عدل ثواب ، ولا عليه إن جار عقاب ، خُلِقَ من ثلاثة أجناس ، تضعضعه الأنفاس ، جسمه عارٍ من غير لباس ، أخرسُ اللسان ، فى أذنه خِرْصان ، مكرر الذكر فى القرآن ، ينطوى اذا نام كالصِّلّ ، وفعله المستقبل معتلّ ، وله فى الآخرة أكبر محلّ .

وقال أبو نصر الكاتب فى الخاتم :

١٠ ومنكوحٍ إذا ملكتْه كفٌّ * وليس يكون فى هذا مِراءُ
له عينٌ تخلّلها ضياءٌ * فإن كُحلتْ فبالميلِ[2] العماء
يظلّ طليعةً للوصل هونا * وللجانى بزورته آحتماءُ
وقد أوضحتُه وأبنتُ عنه * ففسِّرْه فقد برِح الخفاءُ

أراد بقوله : تخلّلها ضياءٌ أى أنها مفتوحة ، وكحلها بالإصبع ؛ وقد يبعث المحبوب بخاتمه
١٥ علامةً للزيارة أو رهنا عليها ، وهو أمانٌ للجانى .

وقال آبن الرومىّ فى فتيلة السراج :

ما حيّةٌ فى رأسها دُرّةٌ * تسبح فى بحرٍ قليل المَدَى
إن غُيِّبتْ كان العمى حاضرا * وإن بدت لاح طريقُ الهدى

---

(١) كذا فى الأصول ، وهو غير ظاهر المعنى .

٢٠ (٢) كذا فى أحد الأصول وفى كتاب الإعجاز فى فنون الألغاز . وفى باقى الأصول : «فالميل» .

وقال السرىّ الرفّاء فى شبكة الصيّاد :

وكثيرة الأحـداق إلا أنها * عميـاءُ ما لم تنغمس فى ماءِ

واذاهى انغمست أفادت ربَّها * ما لا يُنال بأعينِ البصراءِ

وقال آخر فى النوم :

٥ وحامـلٍ يحملـــنى * وماله شخصٌ يُرَى

إذا حصلتُ فوقه * وهو لذيذُ الممتطى

سريتُ لا أدرى أفى * أرض سريتُ أم سما

وقال أبو العلاء المعرىّ فى ركابَىِ السرج :

خليلانِ نيطَا فى جوانب مجلسٍ * جـــداراه قـدّامٌ له ووراءُ

١٠ متى يضع الرِّجْلينِ ماشٍ عليهما * يَزُلْ عنه فى وَشْكٍ حَفًا وَحفاءُ

قوله : خليلان لتشابههما، والمجلس : السرج، وجداراه : قربوسه و رادفته، والحفا مقصور : وجعُ الرِّجل، وممدود : من مشى الرجل حافيا بغير نعل .

وقال أبو القاسم عبد الصمد بن بابك[(1)] فى القُفْل :

مُجامعٌ يَعقِد عقَـــد الكاَبهْ * إن رامه غيرك جرّ نكبَهْ

١٥ ينـام كالأمرد لا كالقحبهْ * حتى اذا شـكَّ القُمُدُّ جنبَهْ

وعالج الجذبةَ بعـــد الجذبهْ * وأنحـلَّ بالحقنة لا بالشربهْ

ألقى جنينا تجتْـــه العـزبهْ * ثم إذا عاد إليـــه أشـــبهْ

بعضَ حروفِ المُعْجَم المُنكّبَهْ * يُبغض وهو صادق المحبّـــهْ

يعتقد السِّـلم وينوى حَربهْ * وهو على ذاك طويل الصحبهْ

٢٠ (١) كذا فى أحد الأصـلين وكتاب الإعجاز فى فنون الألغاز و يتيمة الدهر ووفيات الأعيان لابن خلكان . و فى باقى الاصول : « نائل » وهو تحريف .

شَبّهه بالمجامع : لدخول الفَرَاش فى بطنه، وقوله : يعقد عقد الكلبة : فى عُسر المفارقة، وإن فتحه غيرك جرّ نكبة عليك لسرقة ما [أقفلت عليه][1] ، ينام كالأمرد لأنكبابه . والقُمُدُّ : الذكر وهو المفتاح، والجنين : الفَرَاش، وإذا عاد إليه أشبه حرف الكاف.

وقال فى اسم سعيد :

٥ يبسم عن أوّل اسمه حِبّ * ثم بثانى حروفه يسبى
ثم بحرفين لو بدا بهما * أسدى يدا صورةُ اسمها تُنبى
أربعة نصفها بجملتها * فى العدّ لم تنتقص ولم تُربى
هذا وفيه اسمُ يومٍ اتّفقت * مفاخرُ العُجْم فيه والعُرْبِ
فأعمل الفكر فى تأمله * واركب به كلّ مَرْكَب صعبِ

١٠ شبّه السين بالثغر، وثانيه العين وهى تسبي القلوب، والحرفان، يَد وهو أربعة فى العدد وستّة فى الصورة ، وإذا أخذتَ السين والعين فهى أربعة وهى جملة العدد، وفيه عيد وهو يوم التفاخر بالزينة والملبوس .

وقال ابن أبى البَغْل[2] الكاتب فى القلم :

أصمّ عن المنادى لا يجيبُ * به تخبو وتشتعل الخطوبُ
١٥ ضئيل الجسم أعْلَمُ ليس تخفَى * عليه غيوبُ ما تُخفى القلوبُ
تراه راجلًا لا رُوحَ فيه * ويُحييه ويُنطقه الركوبُ
يبين لسانُه ما كان[3] سودًا * مفارقُه ويُخرسه المشيبُ

---

(١) التصحيح عن كتاب الإعجاز فى فنون الألغاز . وفى الأصل : «ما فيه» .

(٢) هو أحمد بن محمد بن يحيى، كان أميرا على فارس لبنى العباس سنة ٣٠٠ هـ ؛ شاعر مشهور .
٢٠ (أنظر صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبي ص ٤٠ طبع ليدن) .

(٣) كذا فى كتاب الإعجاز . وفى الأصل : «ما كنّ سودا * معارفه» وهو تحريف .

يقَسِّم فى الورى بؤسى ونُعمى * ويحكم والقضـاءُ له مجيبُ
عجبت لسطوة فيـــه وضعْف * وكلّ أموره عجبٌ عجيبُ

أراد بقوله «أعلم» مَشقوق الشَّفَة .

وقال أبو العلاء المعرّى فى المِلْح :

وبيضاء من سِرّ المِلاح ملكتُها * فلما قضتْ إِرْبى حبوتُ بها صحبى ٥
فباتوا بهـا مستمتعين ولم تزل * تحثّهمُ بعـــد الطعام على الشُّرب

قوله : سرّ أى خالصة، والمِلَاح جمع مِلْح، والإرب : الحاجة .

وقال آخر فى عودى الغناء والبخور :

وما شيئان اسمهما سَـواءٌ * وأصلهما معا عنـــد آنتسابِ
إذا حضراك بتّ قـــرير عين * بـــلا طعم يـــلذّ ولا شَراب ١٠
وما إن يوجدان النفــع إلّا * بضرب أو ضريب من عذابِ

معنى آسمهما ســواء ظاهرٌ ، وأصلهما خشب، والضَّرب الأوّل : ضَرب العود، والثانى : من العذاب وهو الإحراق .

وقال آخر فى الحرب :

ما ذات شَوْكٍ لهـا جناح * يختطف الناسَ عن قريبِ ١٥
وهى عقـــيم ترى بنيهـا * ما بين مُرْدٍ وبين شِيبِ
يأكل بعض البنين بعضـا * طلوعَ شمس الى غروبِ
تصحيفها الداء غير شـــك * قـــد يُحسم الداءُ بالطبيبِ
والداء معكوسه مكان * يصلـــح للطـائر النجيبِ
يعرفها من يكون طَبّـا * بالشّعر والنحو والغـــريبِ ٢٠

هـذا لغز معمى فى الحرب ، وشوكها : السلاح، وجناحاها : جانباها، وعقيم : لأنها لا تلد ، وبنوها : رجالها ، وأكلُهم : قتلهم ، وتصحيفها : الحرب ، وعكسه : برج .

وقال آخر فى الثدى :

٥ وما أخوان مشتبهان جِدًّا * كما آشتبه الغُرَابة والغرابُ
يَضمّهما على مرّ الليالى * وما آجتمعا و لا آفترقا إهابُ
لذاك وذا دموع هاملات * ولكن كلّ دمعهما شَرابُ
يصونهما عن الأبصار دِين * ويُضرَب دون نَيْلهما حجَابُ

هما ثديا المرأة، و يضمّهما إهاب وهو الجلد .

١٠ وقال آخر فى الفخّ :

وما ميّت كفّنته ودفنته * فقام الى حىّ صحيح فأوثقَهْ

وقال آخر وهو لغز :

حلف الحبيبُ علىّ لا سمّيتُه * فكنيته ولطفت خوف تغاضُبِهْ
ظبى اذا ما زارنى حلّ آسمه * قلبى وذلك من عجيب عجائبِهْ
١٥ و يكون إن رخّمتَه ونَخَرمتَه * وقلبتَه ما تشتهى من صاحبِهْ
و يكون إن صحّفتَ مبدأه الذى * أصبحتَ تهواه لعين مراقبِهْ
وتراه بعد الجزم إن ميّزت فى التصحيف مقلوبا أشدّ معايبِهْ
وحروفها فالنصف منها جذرها * وحساب ذلك غير متعبِ حاسبِهْ
فاطلبه سادس ثانيه ثا * نيه وثالثه كذاك لطالبِهْ
٢٠ وتمامه من بعد مثل حروفه * فى البيت صحّ آسم الحبيب لقالبِهْ

هو لغز فى فرحة ، والترخيم : حذف الآخر ، والخـرم : حذف الاول ؛ فاذا رخم وخرم وقلب بقى : حر ، واذا قلبت الفاء قافا بقى : قَرْحة لعين المراقب ، واذا صحفته مقلوبا ، وجزمت آخره صار : هجر ، والنصف من حروفه آثنان ، وهما جـذر جميع حروفه ، وقوله : فآطلبه سادس سادس : يعنى البيت السادس .

٥ وقال آخر فى سَلْمى :

سَــلْ ماهرًا بالقريض والأدب * ما آسم فتـاةٍ قعيـــدة النَّسبِ
قــد صرّح الشّــعر بآسمها فتى * فكِّرتَ فيهـا ظفرتَ بالعجب

الآسم سلمى ، وهو ظاهر فى أول البيت .

وقال آخر فى الكُرة :

١٠ ومضروبةٍ تحيـا إذا ما ضربتهـا * وإن تُركت من شدّة الضرب ماتت

وقال أبو عبد الله بن المُغَلِّس فى السِّراج :

وداع الى نفسه فى الظلامِ * وما سمعتْ أذنهُ صـوتَهُ
اذا هو بيّض وجه الطريـــقِ سوّد فى وقتـه بيتـهُ

وقال آخر فى الصَّدَى :

١٥ وساكنٍ يسكن فى الفـلاةِ * ليس من الوحش ولا النبات
ولا من الجنّ ولا الحيّـاتِ * ولا الخيـام الشّـعر والأبيـاتِ
ولا بذى جســـم ولا حيـاةِ * كلّا ولا يدرك بالصفـاتِ
بلى له صــوت من الأصواتِ * يُسمع فى الأحيـان والأوقات

وقال آبن المغلِّس فى النخلة :

٢٠ وقائمـــة أبدا لا تنـام * وماقعدت قطّ مذ قامتِ
تعيش إذا غسلوا رِجلها * وإن حلقوا رأسها ماتت

وقال آخر :

ما يقول سيدنا الشيخ : فى شىء نزل من السماء، وركض فى الهواء، وخيّم فى البيداء، نطق على نفسه فأفصح، وتكلّم فبيّن وأوضح، أفقر وأغنى، وأمات وأحيا، له شوارق من غير غضب، ورقصات على غير طرب، يسبق الفرس السريع، ويسبقه الطفل الرضيع، مختلف الألوان، يوجد فى كلّ زمان، ما أكثر لغاته، وأعمّ فى البشر ذكر صفاته! وهو خفيف ثقيل، كثير قليل، كبير صغير، طويل قصير، غال رخيص، قوىّ ضعيف، سريع بطىء، بارد حارّ، نافع ضارّ، أبيض أسود أزرق، قريب بعيد، قديم جديد، متحرّك ساكن، ظاهر باطن، يتجسّر ويتكسّر، ويتعوّج ويتدوّر، سلطانه فى الشمال وبه يذلّ، وضعفه فى الجنوب وبه يعزّ، نحيل يخفى جثّة الفيل فى طيّه وعطفه، ويتخلّل جفن العين الرمدة برفقه ولطفه، يمشى على الحدق فلا يؤلمها، ويطأ القلوب فلا يكْلُمُها، على أنّه يقطع الطريق، ويخيف الفريق، كم أهلك من قوم وما أراق ولا سفك! يحمل ألف قنطار، ويعجز عن حمل دينار، وهو ليلىٌّ نهارىٌّ، عربىٌّ عجمىٌّ، برىٌّ بحرىٌّ، سهلىٌّ جبلىٌّ، رومىٌّ نوبىٌّ، هندىٌّ حبشىٌّ صينىٌّ، جاهلىٌّ إسلامىٌّ، كان مع آدم فى الجنّة، وصحب نوحا فى السفينة، وتوسّط النار مع إبراهيم، كم له مع موسى من خبر! ولموسى فيه من آية وأثر! حمل المسيح على غير ظهر، وما سار فى برّ ولا بحر، أخرجه النبىّ صلى الله عليه وسلّم من جسده، وفرّقه على صحابته، اسم هذا إذا نطقت به كان بعض اسم أحد خلفاء بنى العباس السبعة وهو ١٤٣١

وقال آخر :

ما شىءٌ وجهه قمر، وقلبه حجر، إن علّقته ضاع، وإن أدخلتَه السّوقَ أبى أن يباع، وإن فككته دعا لك، وإن ركبت نصْفَه هالك، وربّما كثّر أموالك، وإن

حذفتَ آخره، وشدّدت ثانيَه، أورثك الألم عند الفَجْر، والضجر عند العصر؟ هو الدُّملج الفضة .

* * *

ومما يتصل بهذا البـاب مسائل العويص

فمن ذلك — آمرأتان آلتقتا برجلين قالتا لهما: مرحبا بابنينا و زوجينا وآبنى زوجينا؛ وذلك أن كلّ واحد منهما تزوّج بأم الآخر، فهما آبناهما وزوجاهما و ابنا زوجيهما. ٥

رجلان كلّ واحد منهما عمّ الآخر وآبن أخيه؛ وذلك : أن كلّ واحد من أبويهما تزوج بأم الآخر، فُرزق كل واحد منهما ولدا؛ فكل من الولدين عمّ الآخر وآبن أخيه .

رجلان كل واحد منهما خال الآخر وآبن أُختـه ؛ وذلك : أنّ كلّ واحد من ابويهما تزوج بآبنة الآخر، فرزق كلّ واحد منهما ولدا ،فكلّ من ولديهما خال الآخر وآبن أخته . ١٠

رجل وآمرأتان هو خال إحداهما وهى خالته ، وعمّ الأخرى وهى عمّته ؛ وذلك : أنّ جدّته أمّ أبيه تزوّجت بأخيه لأمه، وأخته لأبيه تزوّجت بأب أمه ، فولدتا بنتين فبنت أخته خالته وهو خالها، و بنت جدّته عمّته وهو عمّها، وهذا أصل الأبيات المنظومة فى ذلك : ١٥

ولى خالة وأنا خالها * ولى عمّة وأنا عمّها

رجلان كلّ واحد منهما آبن خال الآخر وآبن عمّتـه؛ وذلك : أنّ كل واحد من أبويهما تزوّج بأخت الآخر، فرزق كلّ منهما ولدا، فكل من ولديهما آبن خال الآخر وآبن عمّته . ٢٠

رجلان كلّ واحد منهما عمّ والد الآخر؛ وذلك : أنّ كلّ واحد من أبويهما تزوج بأم أب الآخر، فكلّ من أولادهما عمّ أب الآخر

رجلان كلّ واحد منهما عمّ أمّ الآخر؛ وذلك : أنّ كلّ واحد من أبو يهما تزوّج بآبنة آبن الآخر، فكل من أولادهما عمّ أمّ الآخر .

٥ رجلان كل واحد منهما خال أمّ الآخر، وذلك : أنّ كل واحد من أبويهما تزوّج بآبنة بنت الآخر، فكل من أولادهما خال أمّ الآخر.

رجلان أحدهما عمّ الآخر والآخر خاله؛ وذلك : أن رجلين تزوج أحدهما آمرأةً وتزوّج الآخر آبنة آبنها، فولد لكل منهما ولد فآبن الأب عمّ آبن الآبن، وآبن الآبن من أمّ آمرأة الأب؛ هو أخوها وخال آبنها .

١٠ رجلان أحدهما عمّ الآخر وخاله، والآخر آبن أخيه وآبن أخته؛ وذلك : أن رجلًا له أخ لأب وأخت لأمّ فزوّج أخاه لأبيه بأخته لأمه فأولدها ولدا فهما كذلك .

القسمُ الثالث من الفنّ الثانى

فى المدح، والهجو، والمجون، والفُكاهات، والمُلَح، والخمر، والمُعاقرة، والنّدمان، والقِيان، ووصف آلات الطّرب

وفيه خمســـة أبواب

الباب الأول

من هذا القسم

فى المدح ، وفيه ثلاثة عشر فصلا

فأمّا حقيقة المدح، فقد عبّر عنها الحمدونىّ فى "غاية الاختصار والإيجاز" بقوله حقيقة المدح : وصف الموصوف بأخلاق يُحمد صاحبُها عليها، ويكون نَعْتًا حميدًا . قال الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ . وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ وقال عزّ وجلّ : ﴿ٱلتَّائِبُونَ ٱلْعَابِدُونَ ٱلْحَامِدُونَ ٱلسَّائِحُونَ ٱلرَّاكِعُونَ ٱلسَّاجِدُونَ ٱلْآمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَٱلْحَافِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ . وروى

عن النبيّ صلّى اللهُ عليه وسلّم أنه قال : "أصحابى كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم".
وقد أوّلوا الخبر المرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اذا رأيتم المدّاحين
فاحثوا فى وجوههم التراب" قال العُتْبىّ : هو المدح الباطل والكذب . وأمّا مدح
الرجل بما هو فيه فلا بأس به، ومما يَعْضُد هذا أنّ العبّاس بن عبد المطّلب وكعب
٥ ابن زهير، وحسّان بن ثابت، وغيرهم مدحوا رسول الله صلّى الله عليه سلّم فلم يَرِد
أنه حثا فى وجه أحد منهم ترابا . وقيل فى حثو التراب مَعْنَيان : أحدهما التغايظ
فى الردّ عليه، والثانى يقال له : بفيك التراب .

وللشعراء عادة فى تجاوز قدر الممدوح فوق ما يستحقّه حتى إنّ ذلك أفضى
بكثير منهم إلى الكفر والخروج عن الحدّ أعاذنا الله من ذلك . وقال أنو شِروان :
١٠ من أثنى عليك بما لم تولِهِ فغير بعيد أن يذمّك بما لم تَجْنِه . وقال وهب بن منبّه : (٥١)
من مدحك بما ليس فيك فلا تأمَنْ أن يذمّك بما ليس فيك .

وأُنشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه قولَ زُهير بن أبى سُلْمى فى هَرِم بن سِنان:

دع ذا وعَدّ القولَ فى هَرِم * خيرِ الكهول[1] وسيّد الحَضَرِ
لو كنتَ من شىء سوى بشر * كنتَ المنوّر ليلةَ القدرِ[2]
١٥ ولأنتَ أوصل من سمعتُ به * لشوائل الأرحام والصِّهْرِ
ولنعم حشو الدّرع أنت اذا * دُعِيتْ نَزَالِ ولُجّ فى الذُّعْرِ

فقال عمر رضى الله عنه : ذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم .

ولما حضر أبا بكر الصدّيق رضى الله عنه الوفاةُ قالت عائشة رضى الله عنها
وهو يُغَمَّض :

٢٠ وأبيض يُستسقَى الغَمامُ بوجهه * ثِمَال اليتامى عصمة للأرامل

(١) فى ديوان زهير : «خيرِ البداة» أى خيرِ أهل البدو. (٢) فى ديوانه : «ليلة البدر» .

فنظر اليها وقال : ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلّم .

وقال آخر :

ولو كنتِ أرضًا كنتِ مَيْثاءَ سهلةً * ولو كنتِ ليلًا كنتِ صاحبة البدرِ

ولو كنتِ ماءً كنتِ ماء غمامة * ولو كنتِ يوما كنتِ تعريسة الفجرِ

وقال محمّد بن هانئ :

أغَير الذى قد خُطّ فى اللوح أبتغى * مديحا له إنّى إذًا لعنـــودُ

وما يســتوى وحىٌ من الله منزَل * وقافيـــةٌ فى الغابرين شرودُ

وقال عمرُ بن الخطّاب رضى الله عنه لمُتَمّم بن نُوَيرة : صِف لى أخاك فإنى أراك تمدحه ، فقال : كان يركب الجملَ الثَّقالَ فى الليلة الباردة ، يَرْتمى لأهله بين المزادتيْن المضرَّجتين ، عليه الشملة الفَلُوت ، يقود الفرسَ الحَرُون ثم يصبح ضاحكا .[1]

وسأل عبــد الله بن عباس صَعْصَعةَ بن صُوحان العَبْدىّ عن إخوته فقــال : أما زيد فكما قال أخو غَنِىّ[2] :

فتى لا يبالى أن يكون بوجهه * إذا نال خلّات الكرام شحوبُ

ثم قال : كان والله يابن عباس ، عظيم المروءة ، شريف الأبوّة ، جليل القــدر ، بعيد الشرّ[3] ، كَمِيش العُروة ، زين النَّدْوة ، سليم جوانح الصدر ، قليل وساوس الفكر ،

(١) هــذه عبارة الأغانى ج ١٤ ص ٦٩ غير أنه ورد فيها لفظة الحرون محرفة الى الجرور و يصــبح محرفة الى يصبح . وعبارة الأصل : « كان أخى يحبس المزاد بين الصوحين فى الليلة القرة معتقلا الرمح الخطال عليــه الشملة القلوب يقود الفرس الحرون فيصــبح ضاحكا مستبشرا . الخطال : الطويل المضطرب . والقلوب : التى لا تضم على الرحل لقصرها » . والتحريف فيها واضح فلا محــل هنا لذكر الصوحين وهما جانبا الوادى ولأنه يحبس المراد بينهما ، وكذلك القلوب محرفة عن الفلوت وهو من الكساء الا يضم طرفاه من صغره أو ضيقه فهو يتفلت عنه كل ساعة ، والرحل محرفة عن الرحل .

(٢) كذا فى الأصلين الفتوغرافيين . وفى النسخة الراغبية : « أخو عبس » .

(٣) فى أحد الأصلين : « بعيد الأشر » .

ذاكرًا لله تعالى طَرَفى النّهار وزلفًا من الليل ! الجوع والشّبَع عنده سِيّان، لا منافس فى الدنيا، ولا غافل عن الآخرة؛ يطيل السكوت، ويديم الفكر، ويكثر الاعتبار، ويقول الحق، ويلهج الصدق؛ ليس فى قلبه غير ربه، ولا يهمه غير نفسه . فقال ابن عبّاس : ما ظنّك برجل سبقه عضو منه الى الجنّة ؟ رحم الله زيدا ! فأين كان عبد الله منه ؟ فقال : كان عبد الله سيّدا شجاعا، شيخًا مُطاعا، خيره وَساع، وشره دِفَاع؛ ليّن النَّحيزة، أحوذىّ الغَريزة، لا يُنهنهه مُنهنه عمّا أراد، ولا يركب إلّا ما اعتاد؛ سِمَام العدى، فيّاض النّدى؛ صعب المَقادة، جزل الرِّفادة؛ أخو إخوان، وفتى فتيان؛ ثم أنشد شعر حسّان بن ثابت :

اذا قال لم يترك مقالًا لقائل * بمُلتقطاتٍ لا ترى بينها فصلا
قضى فشفى ما فى النّفوس فلم يدع * لذى إربة فى القول(١) جدّا ولا هزلا

ودخل ضِرَار بن ضَمْرة الكنانىّ على معاوية بن أبى سُفيان فقال له : صِفْ لى عليّا، فقال له : أو تعفينى ؟ فقال : لا أعفيك، قال : أما إذ لا بدّ، فإنّه كان بعيد المدى، شديد القُوى؛ يقول فصلا، ويحكم عدلا؛ يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه؛ يستوحش من الدنيا وزَهْرتها، ويأنس بالليل وظُلمته؛ كان والله غزير العبْرة، طويل الفِكْرة؛ يقلّب كفّيه، ويخاطب نفسه؛ يعجبه من اللّباس ما قَصُر، ومن الطعام ما خَشُن؛ كان والله [فينا](٢) كأحدنا، يدنينا إذا أتيناه، ويجيبنا إذا سألناه؛ وكان مع تقربه إلينا وقُربه منا لا نكلّمه هيبةً له، [ولا نبتدئه(٣) لعظمته]، فان تبسّم فعن مثل لؤلؤ منظوم؛ يُعظّم أهلَ الدين، ويحب المساكين؛ لا يطمع القوىُّ فى باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله .

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢١٤) وعيون الأخبار طبع دار الكتب المصرية (ج ٢ ص ١٧٠). وفى الأصل : « القوم » . (٢) الزيادة عن الأمالى طبع دار الكتب (ج ٢ ص ١٤٧) .
(٣) وقد ورد هذا الوصف لسيدنا على فى الأمالى بزيادة عما هنا فليراجع .

وذكر عمرو بن مَعْدِ يكَرِب بنى سُلَيْم فقال: بارك الله على حىّ بنى سليم، ما أصدق فى الهيجاء لقاءَها! وأثبت فى النوازل بلاءَها! وأجزل فى النائبات عطاءَها! والله لقد قاتلتُهم فما أجبنتهم، وهاجيْتهم فما أفحمتهم، وسألتهم فما أبخلتهم .

وقال بعضُ العرب : فلان حتف الأقران غداةَ النزال، وربيع الضِّيفَان عَشيّةَ النزول . ٥

وقال آخر : فلان لَيْثٌ اذا غدا، وبدر اذا بدا، ونجم اذا هدى، وسُم إذا أردى .

ودخل النابغة على النُّعمان بن المُنذر بن آمرئ القيس بن عمرو بن عدىّ اللَّخمى فحيّاه بتحيّة الملوك، ثم قال: أيفاخرك ذو فائش وأنت سائس العَرب، وغرة الحسب؛ واللاتِ، لأمْسُك أيمن من يومه، ولعبْدك أكرم من قومه، ولقفاك أحسن من وجهـه، وليسارك أجود من يمينه، ولظنّك أصدق من يقينه، ولوعدك أنجح من رفده، ولخالك أشرف من جدّه، ولنَفَسُك[1] أمنع من جُنــده، وليومك أزهر من دهره، ولفترك أبسط من شبره؛ ثم قال : ١٠

أخلاقُ مجدك جَلَّتْ ما لها خطر * فى البأس والجود بين الحلم والخَفَرِ[2]

مُتَــوّج بالمعـالى فوق مَفْــرقه * وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر

اذا دجا الخطب جلّاه بصارمه * كما يُجلّى زمانُ المحل بالمطــر ١٥

فتهلّل وجهُ النعمان سرورًا، ثم أمر أن يُحشى فوه درًا، وكُسِىَ أثواب الرضا، وكانت جبابًا أطواقها الذهب بقصب الزمُرد . ثم قال النُّعمانُ : هكذا فليمدح الملوك .

وذو فائش : هو سَلامة بن يزيد بن سَلامة من ولد يَحْصُب بن مالك وكان النابغة

---

(١) يقال : إبل أو غنم نفش : ترعى ليلا بلا راع . وفى الأصول : «لنفسك» وهو تحريف .

(٢) الخفر بالتحريك : شدّة الحياء . والذى فى كتاب (التوضيح والبيان فى شعر نابغة بنى ذبيان) : «بين العلم والخبر» . ٢٠

مُتصلا به قبل آتصاله بالنّعمان، وله فيه مدائح كثيرة فاَقتص الله تعالى من النّعمان بن المنذر بعد ذلك لمـا حُكىَ أنه دخل حسان بن ثابت على الحارث الجَفْنِىّ فقال: آنعم صبـاحا أيها الملك ! السماء غطَاؤك، والأرض وطَاؤك، ووالدى وولدى فداؤك ؛ أنَّى ينافسك آبن المنذر ! فوالله لَقذالك أحسن من وجهه، ولأمّك خير من أبيه، ولظلك خير من شخصه، ولصَمْتك أبلغ من كلامه، ولشِمالك خير من يمينه؛ ثم قال:

قذالك أحسن من وجهـه * وأمّك خيرٌ من المنـذر

ويُسرَى يديك اذا أعسرتْ * كيُمنى يديه فـلا تمـترِ

أخذ المعنى الحسنُ بن هانئ فقال :

بأبى أنت من غزال غرير * بذّ حسنَ الوجوه حسنُ قفاكا

ونظر بعض الشـعراء الى هذا المعنى فقـال يمدح زُبيـدة بنة جعفر بن أبى جعفر المنصور أم الأمين :

أزبيـــدة بنـة جعفـر * طـوبَى لزائرك المُثـاب

تعطين من رجليـــك ما * تعطى الأكفُّ من الرِّغاب

فلما أنشد ذلك تبادر العبيدُ ليوقعوا به، فقالت زبيدةُ : كفّوا عنه فلم يرد إلّاخيرًا، ومن أراد خيرًا فأخطأ خير ممّن أراد شرًّا فأصاب، إنّه سمع النـاس يقولون : قفاك أحسن من وجه غيرك، وشمالك أندى من يمين سواك، فقدّر أن هـذا مثل ذاك، أعطوه ما أمّلَ، وعرِّفوه ما جهل . ومثله : مدح شاعرٌ أميرا فقال :

أنت الهمام آبن الهما * م الواسع آبن الواسعهْ

فقال له : من أين عرفتها؟ قال : قد جرّبتها، فقال : أسوأ من شـعرك ما أتيت به من عذرك !

قال دخل خالدُ بن عبــد الله القسرى على عمر بن عبد العزيز لمّا ولى الخلافة فقال : يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانَتْه فأنت قد زيّنتها، ومن يكن شرّفته فقد شرفتَها، وأنت كما قال الشاعر :

و إذا الدّر زان حســنَ وجــوه * كان للدّهر حسنُ وجهك زَيْنَا

فقال عمر بن عبــد العزيز : أُعْطِىَ صاحبكم مَقُولا، ولم يُعْطَ معقولا . ولمّا دخل ٥ عبــد الله المأمون بغــدادَ تلقّاه وجوه أهلها فقال له رجل منهم : يا أمير المؤمنين ، بارك الله لنــا فى مَقْدمك ، و زادك فى نعمتك ، وشكرك على رِعيّتك، تقدّمتَ من قبلك، وأتعبت من بعدك، وأيأسْتَ أن نُعاين مثلك؛ أمّا فيمن مضى فلا نعرفه، وأمّا فيمن بقى فلا نرجوه؛ فنحن جميعا ندعولك، ونُثْنى عليك؛ خَصِب لنا جنابك، وعَذُب شرابك ، وحَسُنتْ نُصرتك ، وكَرُمتْ مقدرتك؛ جبرتَ الفقير، وفككتَ ١٠ الأسير؛ فأنت — يا أمير المؤمنين — كما قال الشاعر :

ما زلت فى البذل للنوال و إطـ * ـلاق لعانــ بجرمــه غَلِقِ
حــتى تمــنّى البِرَاء أنّهــم * عندك أمسوا فى القِدّ والحَلَقِ

وقال رجل للحسن بن سَهْل : لقــد صرت لا أســتكثر كثيرَك، و إن قليلك أكثر من كثير غيرك . وقال الرشــيد لبعض الشعراء : هل أحدثتَ فينا شيئًا ؟ ١٥ قال : يا أمير المؤمنين؛ المديح كلّه دون قدرك ، والشِّعر فيك فوق قدرى، ولكنى أستحسن قول العَتّابى :

ماذا عسى مادح يُثْنى عليك وقد * ناداك فى الوحى تَقديسٌ وتطهيرُ
فتَّ الممادح إلا أنــ ألسننا * مستنطقات بمــا تخــفى الضمائرُ

وقال رجل فى خالد بن صفوان : قريع المنطق، جزل الألفاظ، عربىّ اللسان، قليل الحركات، حسن الإشارات، حلو الشمائل، كثير الطلاوة صموتا قؤولا، يهنأ الجَرِب[1]، ويداوى الدَّبِر، ويقل المحزّ، ويطبق المَفْصِل[2]؛ لم يكن بالزَّمِر فى مروءته، ولا بالهذِر فى منطقه، متبوعا غير تابع؛ كأنّه عَلَم فى رأسه نار .

٥ وقيـل لبعض الخلفاء : إن شَبِيب بن شَيبة يستعمل الكلام ليستعدّ به؛ فلو أمرتَ به أن يصعد المنبر فُجاءَة لافتضح، قال : فأمر من أخذ بيده فصعِد المنبرَ فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وسلّم، ثم قال : إن لأمير المؤمنين أشباها أربعة، فمنها : الأسد الخادر، والبحر الزاخر، والقمر الباهر، والربيع الناضر؛ فأما الأسد الخادر، فأشبهَ منه صولته ومضاءه؛ وأما البحر الزاخر، فأشبه منه جُوده وعطاءه؛ وأمّا القمر الباهر، فأشبه منه نوره وضياءه؛ وأما الربيع الناضر، ١٠ فأشبه منه حسنه وبهاءه، ثم نزل .

وقيل دخل رجل على المنصور فقال له تكلّم بحاجتك؛ فقال : يبقيك الله تعالى يا أمير المؤمنين، قال : تكلّم بحاجتك؛ فإنّك لا تقدر على مثل هـذا المُقام فى كلّ حين؛ قال : والله يا أمير المؤمنين، ما أستقصر أجلَك، ولا أخاف بخلَك، ولا أغتنم مالك؛ وإن عطاءك لشرف، وإنّ سؤالك لزين ، وما بامرئ بذَلَ اليك ١٥ وجهَه نقص ولا شَيْن؛ فأحسن جائزته وأكرمه .



(١) يهنأ الجرب، الهناء : القطران أى أنه لا يتكلم إلا فيما يجب الكلام، مثل الطالى الرفيق الذى يضع الهناء موضع الجرب .

(٢) يقل المحز ويطبق المفصل أى يقل الكلام ويصيب المعانى، شـبه بالجزار الرفيق يقل جرائمه ويصيب مفاصله . وهذه أمثال تضرب فى البلاغة . راجع عيون الأخبار طبع دار الكتب (ج ٢ ص ١٦٩ ٢٠ والعقد الفريد طبع بولاق (ج ١ ص ٢١٤) .

وقال محمد بن مالك القُرطبيّ من رسالة : ما رأيتُ وجها اسمح ، ولا حِلما أرجح ، ولا سجيّة أسجح ، ولا بشرا أبدى ، ولا كفًّا أندَى ، ولا غُرة أجمل ، ولا فضيلة أكمل ، ولا خُلُقًا أصفى ، ولا وعدا أوفى ، ولا ثوبًا أطهر ، ولا سَمْتا أوفر ، ولا أصلا أطيب ، ولا رأيا أصوب ، ولا لفظًا أعذب ، ولا عِرْضا أنقَى ، ولا بناء أبقى ، مما خصّ الله به ثالث القمرين ، وسِراج الخافقين ، وعِماد الثَّقلين ، المُعْتَصِم بالله . ٥

وقال بعض الكتّاب : إنّ من النعـمة على المُثنِي عليك ألا يخـاف الإفراط ، ولا يأمن التقصـير ، ولا يحذر أن تلحقه نقيصة الكذب ، ولا ينتهى به المدحُ الى غاية إلا وجد فى فضـلك عَونا على تجاوزها ؛ ومن سـعادة جَدِّك أنّ الداعِيَ لك لا يعدم كثرةَ المشايعين له ، والمؤمِّنين معه .

١٠ وقال آخر : إنى فيما أتعاطَى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر ، والقمر الزاهر الذى لا يخفى على كلّ ناظر ؛ وأيقنت أنى حيث انتهى بى القول الى العجز مقصرٌ عن الغاية ، فانصرفت عن الثناء عليك الى الدعاء لك ؛ ووكلت الإخبار عنك الى علم الناس بك .

وقال أبو عبدالله محمد بن الخياط من رقعة طويلة فى المظفّر قال فى أوّلها : حجب الله عن الحاجب المظفّر أعينَ النائبات ، وقبض دونه أيدى الحادثات ؛ فإنه مذ كان ١٥ أنورُ من الشمس ضياءً ، وأكمل من البدر بهاءً ؛ وأندى من الغيث كفًّا ، وأحمى من الليث أنفا ؛ وأسخى من البحر بنانا ، وأمضى من النصل لسانا ؛ وأنجبه المنصور فجرى على سَنَنِه ، وأدّبه فأخذ بسُننه ؛ وكانت الرياسة عليه موقوفة ، والسياسة اليه مصروفة ؛ قصرت الأوهام عن كنه فضله ، وعجزت الأقلام عن وصف مثله ؛ غير أن الفضائل لابد من نشرها ، والمكارم لا عذر فى ترك شكرها . ٢٠

فهذه نبذة كافية مما ورد فى المنثور فلنذكر ما ورد من المنظوم فى ذلك .

قال أبو هلال العسكرىّ[1] : سمعتُ أبا أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد يقول : أمدح بيت قالته العرب قول النابغة الذبيانىّ يمدح النّعمان بن المنذر :

ألم تر أن الله أعطاك سُورة * ترى كلّ مَلْكٍ دونها يتذبذبُ

بأنك شمس والملوك كواكب * اذا طلعت لم يبدُ منهنّ كوكبُ

٥ وهو مأخوذ من قول بعض شعراءِ كِنْدَةَ يمدح عمرو بن هند :

تكاد تميد الأرض بالناس أن رأوا * لعمرو بن هند غضبةً وهو عاتبُ

هوالشمس وافت يومَ سعدٍ فأفضلتْ * على كلّ ضوء والملوكُ كواكبُ

وقال نُصَيب :

هو البدر والناس الكواكبُ حوله * وهل يشبه البدْرَ المضىءَ كواكبُ

١٠ وقالوا : أبدع بيت قيل فى المديح قول النابغة :

فإنك كالليـل الذى هو مدركى * و إن خلْتُ أن المنتأى عنك واسعُ

وقوله : "أخلاقُ مجدك" — الأبيات وقد تقدمت — وقد تداول الناس معنى قول النابغـــة :

* فإنك كالليل الذى هو مُدركى *

١٥ فقال الفرزدق :

فـلو حملتْـنى الريحُ ثم طلبتَنى * لكنتُ كشىءٍ أدركته مقادرُهْ

وقول النابغـة أبلغ ، لأن الليل أعمّ من الريح، والريح يُمتنع منها بأشـياء ، والليل لا يمتنع منه بشىء . وأخذ سَلْمٌ الخاسرُ قول الفرزدق فقال :

---

(١) كذا فى الأصول . وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى نسـخة خطية محفوظة بدار الكتب
٢٠ المصرية تحت رقم (١٨٧٤ أدب) : « سعد » .

فأنت كالدهر مبثوتا حبـائله (١) * والدهر لا ملجأ منه ولا هربُ

ولو ملكتُ عِنانَ الريح أصرفه * فى كلّ ناحيـةٍ ما فاتك الطلبُ

وقالوا : أجود شيء قيل فى الحسن مع الشجاعة من شعر المتقدّمين والمُحْدَثين قول أبى العتاهية يمدح الرشيد بن المهدى وولده :

بنو المصطفى هارون حولَ (٢) سريره * فخـــير قيـامٍ حـوله وقعـــودِ

تُقلِّب ألحـاظَ المهـابة بيـــنهم * عيونُ ظباء فى قـــلوب أســـود

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول أبى الطَّمَحان القَيْنِىّ (٣) :

أضاءت لهم أحسابهم ووجوهُهم * دجى الليل حتى نظَّم الجَزْعَ (٤) ثاقبُهْ

نجوم سماء كلّمـا انقضّ كوكبٌ * بدا كوكب تأوى اليــه كواكبُه

وما زال منهم حيث كان مسوَّدٌ * تسير المنايا حيث سارت كتائبُه

وهذه الأبيات من قصيدة مدح بها بُجَيْرَ (٥) بنَ أوس بن حارثةِ بن لَأْمٍ الطائى ، وكان أسيرا فى يده، فلما مدحه بها أطلقه بعد أن جزّ ناصيته ، وأوّل القصيدة :

اذا قيــل أىّ الناس خيرٌ قبيلةً * وأصــبر يوما لا توارى كواكبُهْ

فإنّ بنى لأم بن عمـــرو أرومــة * علتْ فوق صعبٍ لا تُنال مراتبُهْ

أضاءت لهمْ أحسابهم الابيات .

---

(١) كذا فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى . وفى الأصول : « مشوتا » .

(٢) فى ديوان المعانى : «بين» .

(٣) كذا فى الأصـــول والأغانى والكامل للبرد وديوان المعانى . وقد ذكرت هذه الأبيات فى الشعر والشعراء لابن قتيبة فى ترجمة لقيط بن زرارة حيث قال : « و بعض الرواة يحل هـــذا الشعر أبا الطمحان القينى وليس كذلك انمـا هو للقيط » .

(٤) الجزع (بفتح الجيم وسكون الزاى) : الخرز اليمانى والصينى ، وهو الذى فيه بياض وسواد .

(٥) كذا فى أحد الأصول والأغانى وشرح القاموس . وفى باقى الأصول والمشتبه فى أسمـاء الرجال للذهبى « بحير » بفتح الباء و بالحاء المهملة .

ومثله قول ٱبن أبى السِّمْط :

فتى لا يبالى المدلجون بنـوره * الى بابه ألا تضىء الكواكبُ

له حاجبٌ من كلّ أمرٍ يَشينه * وليس له عن طالب العُرف حاجبُ

(٥٤)

ومثله قول الحُطيئة :

٥ نمشى على ضوء أحساب أضأن لنا * كما أضاءت نجومُ الليل للسارى

ومثله قول الآخر :

وجوهٌ لو ٱنّ المدلجين ٱعتَشَوْا بها * صدعن الدجى حتى يرى الليلُ ينجلى

وقال عيسى بن أوس يمدح الجُنَيد بن عبد الرحمن :

الى مستنير الوجه طال بسؤددٍ * تقاصَرَ عنه الشاهقُ المتطاولُ

١٠ مدحتك بالحق الذى أنت أهله * ومن مِدَحِ الأقوام حَقٌّ وباطلُ

يعيش الندى مادمت حيًّا فإن تمت * فليس لحىّ بعد موتك طائلُ

وما لأمرئٍ عندى مَخِيلةُ نعمةٍ * سواك وقد جادت علىّ مَخايل

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول الأعشى :

فتًى لو يُنادى الشمسَ ألقت قِناعَها * أو القمرَ السارى لألقَى المَقالدَا

١٥ وهذا من الغلو وهو مذموم عند بعضهم .

ومثله فى الغلو قول طُرَيْح بن إسماعيل :

لو قلتَ للسيل دع طريقك والـ * ـموجُ عليه كالهَضْبِ يعتلجُ

لٱرتدّ أو ساخ أو لكان له * فى جانب الأرض[1] عنك منعرَجُ

---

(١) كذا فى الأصول وديوان المعانى . وفى كتاب الشعر والشعراء : «فى سائر الأرض» .

ومن الغلو قول أبي تمّـام في المعتصم بالله :

بيُمنِ أبي إسحاق طالت يدُ العـلا * وقامت قَناة الدين(١) واشتدّ كاهلُهْ

هو البحر من أيّ النواحي أتيتَه * فلُجّتُـه المعروفُ والجود ساحلُهْ

تعوَّد بسطَ الكفِّ حتى لو انّه * أراد انقباضا(٢) لم تُطعْـه أنامِـلُهْ

ولو لم يكن في كفّـه غيرُ نفسـه * لجـاد بهـا فليتّـقِ اللهَ سائلُهْ ٥

وقال العسكريّ :

وكيف يَبيت الجارُ منك على صدًى * وكفُّك بحرٌ لُجّة(٣) الجود ساحلُهْ

وقال أبو هلال العسـكريّ يرفعه الى الأصمعيّ قال : سمعت أعرابيّا يقول : إنكم معاشرَ أهل الحضر لتخطئون المعنى ، إنّ أحدكم ليصف الرجل بالشجاعة فيقول : كأنه الأسـد ، ويصف المرأة بالحسن فيقول : كأنهـا الشمس ، ولِم لا تجعلون ١٠ هـذه الأشياء بهم أشـبه ؟ ثم قال : والله لأُنشِـدنّك شعرا يكونُ لك إماما ، ثم أنشدني :

اذا سألتَ الورى عن كلِّ مَكرُمةٍ * لم تُلفِ نِسـبتها إلا الى الهَـوْلِ

فتى جـواد أعار النيـل نائـله * فالنِّيلُ يشكر منـه كثرةَ النَّيـلِ

والمـوت يَرهَبُ أن يلقَى منيّتَـه * في شـدّة عند لفِّ الخيْل بالخيـلِ ١٥

لو عارضَ الشمس ألقى الشمسَ مظلمةً * أو زاحم الصُّمَّ ألجـاها الى المَيْـلِ

أو بارز الليـلَ غطّتـه قوادمُه * دون الخـوافي كمثلِ الليل في الليـلِ

أمضى من النجم إن نابته نائبـةٌ * وعنـد أعدائه أجرى من السـيلِ

(١) في ديوانه طبع مصر : « قناة الملك » .

(٢) كذا في الأصول وديوان المعاني . وفي ديوانه : « شاها لقبض الخ » . ٢٠

(٣) في ديوان المعاني : «لجة البحر» .

ومثله قول الآخر :

علَّم الغيثَ الندى حتى اذا * ما حكاه علَّم البأسَ الأسَدْ

فله الغيث مقــرٌ بالندى * وله الليث مقِــرٌ بالجــلَدْ

وقال أميّة بن أبى الصلت فى عبد الله بن جُدْعان :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حياؤك (١) ، إن شيمتك الحيـاءُ

كريم لا يغيّره صـباحٌ * عن الخُلُق (٢) الكريم ولا مَساءُ

وأرضك (٣) أرضُ مكرمة بنتهـا * بنــو تيْم وأنتَ لهـا سماءُ

ونحوه قوله :

لكل قبيـلة شرفٌ وعِزٌ * وأنت الرأسُ تقدمُ كلَّ هادِ

وقال ابن الرومىّ :

قوم يحلّون من مجدٍ ومن شرفٍ * ومن غَنـاء محلَّ البَيْض واليَلَبِ

حلّوا محلّهما من كلّ جُمجمة * نفعا ودفعا (٤) وإطلالا على الرتبِ

قوم هم الرأسُ إذ حسّادهم ذَنَبٌ * ومن يمثّـلُ بين الرأس والذنبِ

وقال أبو هلال العسكرى :

فأبشر فإنك رأس والعلا جَسَـدٌ * والمجد وجهٌ وأنت السمع والبصَر

لولاك لم تك للأيّام مَنقَبـةٌ * تسمو اليهـا ولا للدهر مفتخَر

(١) كذا فى الأصلين وأكثر الكتب المطبوعة . وفى النسخة الراعية : « حباؤك ... الحباء » .

(٢) فى شرح ديوان الحماسة طبع مدينة بن وشعراء النصرانية : « حليل ... * ... عن الخلق الجميل ... » .

(٣) فى شرح الديوان المتقدّم : « وأرضك كل مكرمة ... الخ » .

(٤) كذا فى الأصول وديوان ابن الرومى . وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى : « هماو رفعا » .

وقال عليّ بن جَبَلَة :

لولا أبو دُلَف لم تَحْيَ عارفــةٌ * ولم ينُــؤ نَوْءُ مأمــولٍ بآمالِ
يابنَ الأكارمِ من عدنان قد علموا * وتالد المجــد بين العمّ والخــالِ
وناقلَ النــاس من عُدْمٍ الى جِدَةٍ * وصارفَ الدهرِ من حالٍ الى حالِ
أنت الذى تُنزِل الأيّام مترلَهــا * وتُمسك الأرضَ عن خسفٍ وزِلزال ٥
وما مددتَ مدَى طرفٍ الى أحدٍ * إلا قضَــيتَ بآمــالٍ وآجال
تَزْوَرُّ سخطا فتمسى البِيضُ راضيةً * وتَســتهِلُّ فتبكى أوجــهُ المــال

وقالوا : أمدح بيت قالته العرب قول زهير :

تراه اذا ما جئتــه متهــللا * كأنك تعطيه الذى أنت سائلُهْ

وعاب بعضهم هــذا البيت وقال : جعل الممدوح يفرح بعرضٍ يناله ، وليس هــذا ١٠
صفة كبير الهمة . والجيّد قول أبى نوفل عمرو بن محمد الثقفىّ :

ولئن فرحتَ بمــا يُنيلُك إنه * لبمــا ينيلك من نداه أفرح
ما زال يعطى ناطقا أو ساكتا * حتى ظننت أبا عَقِيلٍ يمــزح

ومثله قول أبى تمّــام :

أسائلَ نَصرٍ لاتَســلْه فإنّه * أحنّ الى الإرفاد منك الى الرِّفْد ١٥

وقالوا أمدح بيت قالته العرب قول الحُطَيئة :

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجدْ خيرَ نار عندها خيرُ مُوقد

وقال القاسم بن حنبل : (٥٥)

من البِيضِ الوجوهِ بنى سِــنانٍ * لو آنك تستضىء بهــم أضاءوا
لهم شمس النهــار اذا آستقلّت * ونــورٌ لا يغيّبــه العــماءُ ٢٠

هم حلُّوا من الشرف المعلَّى * ومن حسب العشيرة حيث شاءوا
فلو أنّ السماء دنتْ لمجدٍ * ومكرمةٍ دنتْ لهمُ السماءُ

وقالوا أيضا أمدح بيتٍ قيل قول الأوّل :

قومٌ سِنانٌ أبوهم حين تنسِبهم * طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
لو كان يَقْعُدُ فوق الشمس من كرم * قومٌ بعزِّهمُ أو مجدِهمْ قَعَدُوا
مُحسَّدون على ما كان من نعم * لا ينزِع الله عنهم ماله حُسِدوا

وقالوا : أمدح بيتٍ قاله محدَث، قول مروان بن أبى حفصة فى معن بن زائدة :

بنو مَطَرٍ يومَ اللقاء كأنّهم * أسودٌ لها فى غيلِ خَفَّان[1] أشبُلُ
هم المانعون الجارَ حتى كأنما * لجارِهمُ بين السِّماكَينِ منزِلُ
بَهاليلُ فى الإسلام سادوا ولم يكن * كأوّلهم فى الجاهليّة أوّلُ
هم القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا * أجابوا وإن أَعْطوا أطابوا وأجزلوا

وقال العسكرىّ : وأنشد بعض أهل الأدب قولَ آبن أبى طاهر وقال : لو آستعمل الإنصاف لكان هذا أحسنَ مدح قاله متقدِّم ومتأخِّر، وهو :

إذا أبو أحمد جادت لنا يدُه * لم يُحْمَدِ الأجودان البحرُ والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غُرّته * تضاءل النيّران الشمسُ والقمر
وإن مضى رأيُه أو جدّ عزمته * تأخّر الماضيان السيفُ والقدَرُ
من لم يكن حَذِرًا من حدِّ صولته * لم يدر ما المزعجان الخوفُ والحذَرُ
حُلْوٌ اذا أنت لم تَبعثْ مرارتَه * فإن أمرّ فحلوٌ عنده الصَّبِرُ
سهل الخلائقِ إلا أنه خَشِنٌ * لَيْنُ المَهزَّة إلا أنه حجر

(١) خفان : موضع قرب الكوفة .

لا حَيّةٌ ذَكَرٌ فى مثـــل صولتـه * إن صال يوما ولا الصّمصامةُ الذكَرُ
اذا الرجالُ طَغَتْ آراؤهم وعَمُـوا * بالأمر رُدَّ اليـــه الرأىُ والنظر
الجود منــه عِيانٌ لا آرتيابَ به * إذ جود كلّ جوادٍ عنـده خبر

وقال : ومن المديح القليل النظير قول علىّ بن محمد الأَفْوه :

أوفَوْا من المجدِ والعلياء فى قُلَلٍ * شُمٌّ قواعدُهنّ البأسُ والجـودُ
سُبْط اللقاء اذا شيمت مخايلهم * بُسْلُ اللقاء اذا صيد الصناديدُ
مُحسَّـدون ومَن يعـلَقْ بحبلهِم * من البريّة يُصْبِحْ وهو محسودُ

وقالوا : أمدح بيت قاله محدَث قول على بن جَبَلَة فى أبى دُلَف :

إنمـا الدنيـا أبو دُلَـفٍ * بين باديـه[1] ومحتضَــرِهْ
فاذا ولّى أبــو دُلَــفٍ * ولّتِ الدُّنيـا على أثــرِهْ

وهى من القصائد المشهورة، وأولها :

ذاد وِرد الغىّ عن صَـدَرِهْ * وآرعوى واللهوُ من وَطَرِهْ

جاء منها فى مدحه :

يا دواء الأرض إن فســدتْ * ومُجـيرَ اليسر من عُسُرِهْ
كل من فى الأرض من عربٍ * بين باديه الى حضره
مســتعيرٌ منـــه مكرمةً * يكتسيها يومَ مفتخَـرِهْ
إنمـا الدنيـا أبــو دلف * ... ...

قال العسكرىّ : ومن المديح البارع قول بشار :

ألا أيـا الطـالبُ المبتغِى * نجـومَ السماء بسـعِى أَمَمْ

(١) كذا فى الأصول : وفى ديوان المعانى : « مبداه » .

سمِعتَ بمكرمة آبن العلاءِ * فانشأت تطلبُها لستَ ثَمّ

اذا عَرَض الهمُّ فى صدره * لهَا بالعطاء وضرب البُهَمْ

فقل للخليفة إن جئته * نصيحا ولا خيرَ فى المتَّهمْ

اذا أيقظتْك(١) جسامُ الأمورِ * فنبِّهْ لها عُمَرًا ثمّ نَمْ

٥ فتًى لا يبيت على دِمنة * ولا يشرب الماء إلا بدَمْ

يحبّ العطاءَ وسفك الدماءِ * فيغدو على نِعَمٍ أو نِقَمْ

قال ومن المديح القليل النظير : قول أُمَامة بنت الجُلَاح الكلبيّة :

اذا شئت أن تلقى فتى لو وزنتَه * بكلّ معَدّىّ وكلّ يمانى

وفَى بِهمُ جودًا وحلما وسؤددًا * وبأسًا فهذا الأسود بن قنان

١٠ فتى كالفتاة البكر يُسفِرُ وجهُهُ * كأن تلالِى وجهِه القمران

أغرُّ(٢) أبرُّ آبنى نِزار ويعرُبٍ * وأوثقُهم عَقْدا بقول لسان

وأوفاهُمُ عهدًا وأطولُهم يدا * وأعلاهُمُ فِعْلا بكلِّ مكانِ

وأضربُهم بالسيف من دون جارِه * وأطعنُهم من دونِه بسنانِ

كأنّ العطايا والمنايا بكفّه * سحابانِ مقرونانِ مؤتلفانِ

١٥ ومن المديح البارع قول أبى تمّام :

رأيت لعيّاشٍ خلائقَ لم تكن * لتكمُل إلّا فى اللُّباب المهذّبِ

له كَرمٌ لو كان فى الماء لم يَغِضْ * وفى البرق ما شام آمرؤ برقَ خُلّبِ

أخو عزماتٍ بذله بذلُ محسنٍ * الينا ولكن عذره عذر مذنبِ

(١) كذا فى الأصول وديوان المعانى . وفى كتاب الشعر والشعراء : * اذا أيقظتك حروب العدا *
٢٠ وفى الأغانى : * إذا دهمتك عظام الأمور *

(٢) فى أحد الأصلين «أعز» .

يهولُك أن تلقاه فى صــدر مَحفِلٍ * وفى نحرِ أعداء وفى قلب موكبِ[1]
وما صيقُ أقطار البلاد أضافـنى * اليك ولكن مذهبِى فيك مذهبِى
وهذى ثياب المدح فاْجرُرْ ذيولها[2] * عليك وهذا مركب الحمد فاْركبِ

وقد أحسن التّنوخىّ فى قوله :

وفتيةٍ من حِمْيَرٍ حُمرِ الظُّبَا * بيض العطايا حين يَسودُّ الأملْ
شُموسِ مجــدٍ فى سموات علاً * وأُسْــدِ مَوتٍ بين غاباتِ أَسَلْ

وقالت الخنساء فى أخيها صخر :

طــويل النجاد رفيــع العما * د ســاد عشــيرتَه أمردا
اذا القــوم مدّوا بأيديهِــمُ * الى المجــدِ مدَّ اليــه يدا
فنـال الذى فــوق أيديهِــمُ * من المجد ثم مضى مُصْعِدا
فكلّفه القــومُ ما عالهــم * وإن كان أصــغَرهم مَوْلدَا
ترى الحمــد يهوِى الى بيتــه * يرى أفضلَ الكسب أن يُحمَدا

وقال آخر :

ومُصْعِدٍ هضباتِ المجد يطلُعها * كأنه لسكون الجاش منحدرُ
ما زال يسبِق حتى قال حاسِدُه * له طريقٌ الى العَلياء مُخْتَصَرُ

وقال إبراهيم بن العباس :

تَلِجُ السّنون بيوتَهم وترى لها * عن بيت جارهم ازورار مناكب

---

(١) فى ديوانه : يهولك أن تلقاه صدرا لمحفل * ونحرا لأعداء وقلبا لموكب

(٢) كذا فى ديوانه وديوان المعانى . وفى الأصول : «وهذى بنات المدح الخ» وهو تحريف .

وتراهمُ بسيوفهم وشفارهم * مستشرفين لراغب أو راهبِ
حامين أو قارِين حيث لقيتهم * نهبَ العفاة ونزهة[١] للراغبِ

وقال أيضا :

اذا السَّنَةُ الشهباءُ مدّتْ سماءَها * مددت سماءً دونها فتجلّتِ
وعادت بك الريح العقيم لدى القِرى * لِقاحا فدرّت عن نداك وطلّتِ

وقال ابن الرومىّ :

كأن مواهبه فى المحو * ل آراؤه عند ضِيق الحيلْ
فلو كان غيثا اعمّ البلاد * ولو كان سيفا لكان الأَجَلْ
ولو كان يُعطى على قدره * لأغنى النفوس وأفنى الأملْ

وقال أبو الحسن بن أبى البغل البغدادىّ يمدح أبا القاسم بن وهب وقد تقدّم ذكر بعضها لابن أبى طاهر :

اذا أبو قاسم[٢] جادت لنا يدُه * لم يُحمد الأجودان البحر والمطرُ
وإن أضاءت لنا أنوارُ غرّته * تضاءل النَّيّران الشمس والقمرُ
وإن بدا رأيه أو جدّ عَزْمته * تأخر الماضيان السيف والقَدرُ
ينال بالظنّ ما كان اليقين به * والشاهدان عليه العين والأثرُ
كأنّه وزمام الدهر فى يده * يدرى عواقب ما يأتى وما يَذَرُ

وقال ذو الرمّة :

يطيب تُراب الأرض أن ينزلوا بها * وتختال أن تعلو عليها المنابرُ

---

(١) كذا فى الأصول . وفى الأغانى ج ٩ ص ٣٣ طبع بولاق : «نهزة» أى فرصة « يقال : هو نهزة المختلس أى صيد لكل أحد » .

(٢) الذى تقدم : «اذا أبو أحمد» .

وما زلت تسـمو للمعـالى وتجتنى * جنى المجد مذ شُدّتْ عليك المآزِرُ
الى أن بلغتَ الأربعــين فأُلقِيَت * اليـــك جمـاهير الأمور الأكابرُ
فأحكمْتَها لا أنت فى الحكم عاجز * ولا أنت فيها عن هُدى الحقّ جائرُ[1]

وقال الشّريف الرّضىّ :

يا مُخْرِس الدّهر عن مقالته * كلّ زمانٍ عليك متّهمُ
شخصُك فى وجه كلّ داجية * ضُحًى وفى كل مَجْهَـلٍ عَلَمُ

وقال أبو الحسن السَّلامىّ :

اذا زرتَه لم تلق من دون بابه * حجابا ولم تدخل عليـه بشافع
كماء الفرات الجمّ أعرض وِرْدُه * لكلّ أناس فهو سهل الشرائع
تراه اذا ما جئتَـــه متهـــللا * تهـلُّل أبكار الغُيُوث الهوامـع

وقال محمّد بن الحسين الأرمدىّ[2] :

من القوم لمـا ٱستغرب المجدَ غيرُهم * من الناس أمسَوْا فيه فوق الغرائبِ[3]
اذا سالموا كانوا صـدور مراتب * وإن حاربوا كانوا قلوب مواكبِ
جواد متى ما رامت الريحُ شـأوه * كبت دون مَرْمى خطوه المتقاربِ
وبحر ندًى لو زاره البحر حدّثت * عجائبُـه عن فعـله بالعجائب

وقال الأصمعى : كنتُ بالبادية فرأيتُ ٱمرأةً على قبر تبكى وتقول :

فمن للسؤال ومن للنوال * ومن للمقـال ومن للخُطبْ
ومن للحُماة ومن للكُماة * اذا ما الكماة جثوْا للرُّكَبْ

---

(١) كذا فى النسخة الراعبية . وفى الأصلين المتوعراويين : «حائر» .
(٢) فى النسخة الراعبية : «الآمدى» .
(٣) فى النسخة الراعبية : «منه» .

اذا قيــل مات أبو مالكٍ * فتى المكرمات قريع العربْ
[فقــد مات عزّ بنى آدم * وقد ظهر النّكد بعد الطرب][1]

قال : فملتُ إليها، وسألتُها عنه، فقالت : فديتُك ! هذا أبو مالك الحجّام، ختن أبى منصور الحائك. [قلت: عليك لعنة الله][1] فما ظننتُ إلا أنه من سادات العرب.

٥ وقال العماد الأصفهانىّ :

حييّون يُخفون إحسانهم * و يعتذرون كأن قــد أساءوا
اذا ظلم الدهر أعدوا عليــه * و إن أظلم الخطبُ يوما أضاءوا
بمثــلكُمُ قــد أقرّ الرجال * فمثلكُمُ لم تلده النّســاءُ
وللنـاس من حسن أيّامكم * بدولتــكم كلّ يوم هنـاءُ

١٠ وقال أيضا :

فَـلأطوينّ عـلى أغرّ مُحَجّل * عرضَ الفـلاة الى أغرّ محبّبِ
ليث الوغى غوث الورى غَيْث النّدى * بدر النّـدِىّ نعم وصـدر الموكبِ
واذا آستوى فى دَسْـته مالت له * أعنـاقُ كل متوّج ومُعَصّبِ
وتُميت رأفتُــه حُقودَ عُـداته * وتَحُــلّ هيبتُــه عقـود المُحتبى
إنّ الممالك ما تزال برأيه * فى صـائب و بجـوده فى صيّبِ
يحبـوك معتـــذرا اليـك فيـا لَه * من محسن تعروه خجلة مُذنبِ
يُزْهَى بأصــلٍ فى العَـلاء مُخَيِّمٍ * شــرفا وفرعٍ بالكرام مطنّبِ

وقال أحمد بن محمد النامىّ :

له سُورة فى البِشر تُقرأُ فى العلا * وتُثْبَتُ فى صُحْفِ العطاء وتُكتَبُ
٢٠ اذا ما علىٌّ أمطرتك سماؤه * رأيتَ العـلا أنواؤهـا تتحلّبُ

(١) الزيادة عن أمالى القالى ج ١ ص ٦٣

وأزهر يَبيضّ الندى منه فى الرضا * وتحمرُّ أطرافُ القناحين يغضبُ
أميرَ الندى ما للندى عنك مَذهبٌ * ولا عنك يوما للرغائب مَرْغَبُ

وقال أبو حامد أحمد بن محمد الأنطاكىّ :

سـيّدٌ شادت علاه له * فى العـلا آباؤه النجبُ
وله بيتٌ تُمَـدّ له * فوق مجرى الأنجمِ الطُّنُبُ ٥
حسـبه بالمصطفى شرفًا * وعـلىٍّ حين ينتسبُ
رتبــةٌ فى العز شـامخةٌ * قصُرتْ عن مثلها الرتبُ

وقال ابن نباتة السعدىّ :

يَرَى الشمسَ أمًّا والكواكبَ إخوةً * وينظرُ مِنْ بدر السماء الى تِرْبِ
غنيتُ عن الآمال حين رأيتُـه * وأصبح من بين الورى كلّهم حسبى ١٠
فلم أطلب المعروفَ من غيرِ كفّـه * وهل تطلب الأمطار إلا من السحب

وقال أبو حامد أحمد الأنطاكىّ :

لو نيـل بالمجد فى العلياء منزلةٌ * لنـال بالمجد أعنـانَ السمواتِ
يرمى الخطوبَ برأيٍ يُستضاء به * اذا دجا الرأىُ من أهل البصيراتِ
فليس يلقاه إلا عنــد عارفـة * أو واقفا فى صدور السمهريّاتِ ١٥

وقال أبو طالب المأمونىّ :

قد وجدنَا خطا الكلامِ فِساحَا * فجعلنا النسيبَ فيـك امتداحا
وأفضنا ما فى الصدور ففاض الـ * ـمدح قبلَ النسيب فيك انفساحا
وعمَـدنا الى علاك فصـغنا * لصدور القريض منها وشاحا
وصدعنا فى أوجه الشِّعرِ من بيـ * ـض مَساعيكَ بالندى أوضاحا ٢٠

كم كسيرٍ جبرتَه وفقـيرٍ * مستميح رددتَه مُستَماحا
وأمانٍ خُرسٍ بسطتَ لها فى الـ * ـقول حتى أعدتهن فِصاحا
وبلادٍ جـوامحٍ رُضْتَها بالـ * ـعزم حتى أنسيتهنّ الجماحا
شهرَتْ منك آلُ سامانَ عضبا * يُنجح السـعىَ غربُه إنجاحا
٥ لا يذوق الإغفاء إلا رجاءً * أن يرى طيف مستميح رواحا

وقال أحمد بن محمد النامىّ :

أميرَ العـلا إن العوالِى كواسبٌ * عَلاءَك فى الدنيا وفى جَنّة الخُلدِ
يَمرُّ عليك الحولُ سيفُك فى الطُّلَا * وطرفُك ما بين الشكيمةِ واللّبْـدِ
ويَمضى عليك الدهرُ فعلُك للعُلا * وقولُك للتقـوَى وكفُّك للرِّفـدِ

١٠ وقال أيضا :

فتى قسّم الأيّام بين سـيوفه * وبين طريفاتِ المكارمِ والتـلد
فسـوّد يوما بالعَجاج وبالردى * وبيّضَ يوما بالفضائل والمجـد(١)

وقال الصاحب بن عبّاد :

أيّها الآملون حُطّوا سريعا * برفيـع العماد وارى الزنادِ
١٥ فهو إن جاد ذُمّ حاتم طىء * وهو إن قال فَلّ قُسّ إيادِ
وإذا ما أرتْنِي فأين زيادٌ * من علاه وأين آل زيادِ

وقال أبو طالب المأمونىّ من قصيدة :

فـتًى مُلئتْ بردتاه عُـلًا * ونُبـلا وفضلًا ومجـدًا وخِيرا
اذا ضمّـه الدَّستُ ألفيتَـه * سحابًا مَطـيرًا وبدرًا مُنـيرا

٢٠ (١) كذا فى يتيمة الدهر (ج ١ ص ١٦٨) . وفى الأصول : «والحد» .

وإن أبرزَتْه وغَى خلتَــه * حُساما بَتورا وليثا هَصــورا
فطورا مُفيــدا وطورا مُبيدا * وطورا مجــيرا وطورا مبيرا (١)
ترى فى ذراه لسانَ المنى * طويلا وباعَ الليالى قصــيرا
تضمّ الأسرّة منــه ذُكــاءً * وتحمل منــه المــذاكى ثبــيرا

وقال أبو الطيّب المتنبي :

يمشى الكرام على آثار غــيرهمُ * وأنت تَخــلُقُ ما تأتى وتبتــدعُ
من كان فوق محلِّ الشمس موضعُه * فليس يرفعــه شيء ولا يضــع

وقال أبو المعالى محمد بن مسعود الأصفهانىّ شاعر الخريدة :

قــد حلَّ فى مَدرَج العلياء مرتبــةً * مطــامحُ الشهبِ عن غاياتها تقِفُ
أُغْرِىَ بوصف معاليه الورى شغَفًا * لكنه والمعــالى فوق ما وصــفوا
إن ناصبتْه العــدا فالدهر معتــذر * أو أنكروا فضــله فالمجد معــترِف

وقال السَّلامىّ شاعر اليتيمة :

يزور نائلُك العــافى وصارمــك الـ * ـعاصى فتحويهــما أيدٍ وأعنــاقُ
فى كلّ يوم لبيت المجــد منك غنًى * وثروةٌ ولبيت المــال إمــلاقُ
كم خضتَ من لجــةٍ للنفع زاخرة * ماءُ المنون بها ــ حاشاك ــ دفّاقُ

وقال المتنبي :

أنت الجوادُ بلا مَنّ ولا كدرٍ * ولا مطالٍ ولا وعدٍ ولا مَذَلِ (٢)

---

(١) كذا فى يتيمة الدهر . وفى الأصول : « وطورا أميرا » والمبير : المهلك .

(٢) كذا فى الأصلين و يتيمة الدهر وديوانه . و فى النسخة الراغبية : « ملل » وهو تحريف . والمذل : الضجر والقلق .

وقال أبو الفرج البّبغاء :

لا غيثُ نعماه فى الورى خلّب الـ * ـبرق ولا وِردُ جوده وشَـلُ

جاد الى أن لم يبق نائله * مالًا ولم يبــقَ للــورى أملُ

وقال محمد بن الحسن الحاتمىّ شاعر اليتيمة :

ومَن عوّدته المكرماتُ شمائلا * فليس له عنها – ولو شاء – ناقلُ

و إن راسل الأعداء فالجرد رُسْلُه (١) * اليهم وأطراف العوالى الرسائلُ

عظُمتَ فهذا الدهرُ دونك همةً * وجُدتَ فهذا القَطرُ عندك باخلُ

وقال مؤيد الدين الطغرائىّ :

لو دبّ رأيُك فى كعوبِ قنًا * ما مسّها طَنَبٌ (٢) ولا خطلُ (٣)

أو كان ضوءُك للغــزالة لم * يَحجبْ ضياءَ جبينها الطَّفَلُ

أو كان لطفُك فى الحياة لما * طافت بها الأسقام والعللُ

أنت الذى لولا علاه عَفَتْ * طُرْقُ الهدى وآستبهم السُّبُلُ

فى كلّ شِعْبٍ من رويّتــه * شُعَبٌ ومن آرائه شُعَلُ

يرتدّ عنــه جفنُ حاسدِه * فكأنه بالنــار يكتحــلُ

وجهٌ كيوم الصحو مبتسمٌ * و يدٌ كلَيْــل الدَّجنِ تَنهملُ

مَسحَتْ على الأنواء راحتُه * فآنساق منها العارِض المطِلُ

إن ضنّ غيثٌ أو خبا قمرٌ * فجبينــه و يمينه البــدَلُ

(١) كذا فى أحد الأصلين و يتيمة الدهر . و فى الأصــل الآخر والنســخة الراغبية : « فالجود » وهو تحريف .

(٢) الطنب : العوج .

(٣) كذا فى النسخة الراغبية وأحد الأصلين . و فى الأصل الآخر : « ولا خلل » .

وقال ابن الرومى :

آراؤكم ووجوهكم وسـيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجومُ
فيها معالم للهـدى ومصابحٌ * تجلو الدجى والأخريات رجومُ

وقال أبو الطيب المتنبى :

قومٌ بلوغُ الغلام عنـدهمُ * طعنُ نحورِ الكماة لا الحُلُمُ
كأنما يولَد النـدى معهم * لا صِغرٌ عاذرٌ ولا هَرَمُ
إذا تولّوا عـداوةً كشفوا * وإن تولّوا صنيعـةً كتموا
تظن من فقدك اعتـدادهم[(1)] * أنهـمُ أنعموا وما علمـوا
إن برقوا فالحتـوفُ حاضرة * أو نطقوا فالصواب والحِكَمُ
أو شهدوا الحربَ لاقحا أخذوا * من مُهَج الدارعين ما احتكموا
أو ركبوا الخيـلَ غيرَ مُسرجة * فإن أفخاذَهم لها حُزُمُ
تُشرق أعراضُهم وأوجهُهم * كأنها فى نفوسهم شِيَمُ
أعيذكمْ من صروفِ دهركُمُ * فإنه فى الكرام متَّهَـمُ

وقال أيضـا :

ودانت له الدنيا فأصبح جالسا * وأيامُـه فيما يريد قيـامُ
وكلّ أناس يبتغون إمامهم * وأنت لأهل المكرمات إمامُ

وقال أيضـا :

هم المحسنون الكرَّ فى حَومة الوغى * وأحسنُ منـه كرُّهم فى المكارمِ
ولولا احتقار الأسد شبّهتُها بهـم * ولكنها معـدودةٌ فى البهائم

(١) كذا فى ديوان المتنبى و يتيمة الدهر للثعالبى . والمعنى : أنهـم لا يعتدّون بصنيعهم وانعامهم كأنهم لم يعلموا بذلك . وفى الاصول : « تظنّ من كثرة إعتذارهم ... الخ » .

وقال المشوّق الشامىّ شاعر اليتيمة :

يروح الى كسبِ الثناءِ و يغتدى * اذا كان همّ الناس كسبَ الدراهمِ
و إن جلس الأقوامُ عن واجبِ الندَى * وحقّ العطايا كان أوّلَ قائمِ
يزيد ٱبتهاجا كلّما جاء قاصد[(1)] * كأنّ به شوقًا إلى كلّ قادمِ

٥ وقال السلامىّ شاعرها :

تُشبّهه المُدّاح فى البأس والندَى * بمن لو رآه كان أصغرَ خادمِ
ففى جيشه خمسون ألفا كعنترٍ * وأمضَى وفى خُزّانه ألف حاتمِ

وقال أبو طالب المأمونىّ من قصيدة :

يُعمِّم بالهندىّ حين يسُلُّه * أسودَ الوغى بالضرب فوق العمائمِ
١٠ فلا مُلكَ إلا ما أقمت عروشَه * ولا غيث إلا ما أفضتَ لشائمِ
ولا تاجَ إلا ما توليتَ عقْدَه * على جبهة المَلْكِ المكنّى بقاسمِ
فرأيك نجمٌ فى دُجى الليل ثاقبٌ[(2)] * وعزمُك عضبٌ فى طُلى كلّ ناجمِ

وقال المشوّق الشامىّ :

ما زال يبنى كعبةً للعلا * ويجعل الجود لها ركنا
١٥ حتى أتى الناسُ فطافوا بها * وقبّلوا راحته اليُمنَى

وقال المأمونىّ من قصيدة :

همام يُبكّى المشرفيّةَ ساخطا * ويُضحك أبكارَ الأمانىّ راضيا
ولو أنّ بحرا يستطيع ترقّيًا * اليه لأمّ البحرُ جدواه راجيا

---

(1) كذا فى النسخة الراغبية و يتيمة الدهر . وفى الأصلين الفتوغرافيين : « كلما زار قاصدا » .
٢٠ وفى اليتيمة أن هذه الأبيات من شعر عبد المحسن بن محمد الصورى .
(2) فى يتيمة الدهر : « الخطب » .

ذكر ما قيل فى الأفتخار

قالوا : أفخر بيت قالته العرب قول جرير :

إذا غضِبتْ عليك[1] بنو تميم * حسبتَ الناس كلَّهمُ غضابا

قال : دخل رجل من بنى سعد على عبد الملك بن مروان فقال له : ممن الرجل؟ قال : من الذين قال لهم الشاعر :

اذا غضبت عليك بنو تميم * البيت .

قال : فمن أيّهم أنت؟ قال : من الذين يقول فيهم القائل :

يزيدُ بنُو سعدٍ على عَدَد الحصى * وأثقلُ من وزن الجبال حُلومُها

قال : فمن أيّهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

ثيابُ بنى عوفٍ طَهارَى نقية * وأوجههمْ عند المشاهِدِ[2] غُرّانُ

قال : فمن أيّهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

فلا وأبيــكَ ما ظَلَمتْ قُرَيعٌ * بأن يبنوا المكارمَ حيث شاءوا

قال : فمن أيهم أنت؟ قال : من الذين يقول لهم الشاعر :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهُمُ * ومن يسوّى بأنف الناقة الذنَبا

قال : آجلس، لا جلَست، والله لقد خفت أن تفخر علىّ ! .

وقالوا : أفخر بيت قالته العرب قول الفرزدق :

ترى الناس ما سِرنا يسيرون خلفنا * وإن نحن أومأنا الى الناس وقَّفوا

---

(١) فى ديوان المعانى : « إذا غضبت علىّ » .

(٢) فى لسان العرب مادة «غر» : «بيض المسافر ...» فى احدى روايتيه .

وقال عمرو بن كلثوم وهو أبلغ ما قاله جاهليّ فى الافتخار :

ونحن الحاكمون إذا أُطِعنا * ونحن العارمون[1] اذا عُصِينا

ونحن التاركون لما سَخِطْنَا * ونحن الآخذون لما رَضِينا

وقال إبراهيم بن العبّاس :

٥ إما ترينى أمامَ القوم مُتَّبَعًا * فقد أُرى من وراء الخيل أَتَّبِعُ

يوما أُبيحُ فلا أرعى على نَشَب * وأستبيح فلا أُبقِى ولا أدَعُ

لا تسألى القومَ عن حىّ صبَحْتُهُم * ماذا صنعتُ وماذا أهلُه صنعوا

وقالوا : من أحسن ما مدَح به الرجلُ نفسَه قولُ أعشى ربيعة :

وما أنا فى نفسى ولا فى عشيرتى * بمهتضَمٍ حقِّ ولا قارعٍ سِنِّ

١٠ ولا مُسلِمٍ مولاى عند جنايةٍ * ولا خائفٍ مولاى من شرِّ ما أجنى

وإن فؤادى بين جنبيّ عالمٌ * بما أبصرتْ عينى وما سمِعتْ أذنى

وفضّلنى فى الشِّعر واللُّبِّ أننى * أقول على علمٍ وأعلمُ ما أعنى

فأصبحتُ إذ فضّلتُ مروانَ وآبنَه * على الناس قد فضّلتُ خيرَ أبٍ وآبنِ

وقال أبو هفّان :

١٥ لعمرى لئن بِيعت فى دارِ غُربةٍ * ثيابىَ إذ ضاقت علىّ المآكلُ

فما أنا إلا السيف يأكلُ جَفنَه * له حليةٌ من نفسه وهو عاطِلُ

قال أبو هلال العسكرىّ : ولا أعرف فى الافتخار أحسن مما أنشده أبو تمام وهو :

فقل لزُهَير إن شتمتَ سَراتَنا * فلسنا بشتّامين للمُتَشَتِّمِ

٢٠ (١) كذا فى جمهرة العرب . والعارم : صاحب العرام وهو الشدّة والقوّة والشراسة . وفى النسخة الراغبية وشرح المعلقات : «العازمون» بالزاى المعجمة . وفى باقى الأصول : «العائفون» .

ولكننا نأبى الظِّلامَ[1] ونقتضى * بكلِّ رقيق الشفرتين مصمِّمِ
وتجهل أيدينا ويحلمُ رأيُنا * ونَشتُمُ بالأفعالِ لا بالتكلُّمِ

ومن الافتخار قول السموءل بن عادياء من كلمته التى أولها :

اذا المرء لم يَدنَسْ من اللؤم عِرضُه * فكلّ رداء يرتديه جميلُ
وإن هو لم يَحمِل على النفس ضَيْمَها * فليس إلى حُسن الثناء سبيلُ ٥
وقائلةٍ ما بالُ أُسرةِ عاديًا * تُنادِى وفيها قِلّةٌ وخُمولُ
تُعيِّرنا أنّا قليلٌ عَديدُنا * فقلتُ لها إنّ الكرامَ قليلُ
وما قَلَّ من كانت بقاياه مثلنا * شبابٌ تَسامَى للعلا وكُهولُ
وما ضَرَّنا أنّا قليلٌ وجارُنا * عزيز وجار الأكثرين ذليلُ
وأنّا أناس لا نَرى القتلَ سُبّةً[2] * اذا ما رأته عامرٌ وسَلُولُ ١٠
يُقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنا لنا * وتكرهُه آجالُهم فتطولُ
وما مات منّا سيدٌ حتفَ أنفه * ولا طُلَّ منّا حيثُ كان قتيلُ
تَسيلُ على حدِّ الظُّباة نفوسُنا * وليست على غير الظُّباة[3] تسيلُ
صفونا فلم نكدُر وأخلص سِرَّنا * إناثٌ أطابتْ حَملَنا وفحولُ
علونا الى خير الظهور وحطّنا * لوقت الى خير البطون نُزولُ ١٥
فنحن كماء المُزنِ ما فى نِصابنا * كَهامٌ ولا فينا يُعدّ بخيلُ
ونُنكر إن شئنا على الناس قولَهم * ولا يُنكرون القولَ حين نقولُ
اذا سيّد منا خلا قام سيّد * قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ

(١) الظلام : الظلم .
(٢) رواية الأمالى : «وانا لقوم ما نرى ...» . ٢٠
(٣) رواية الأمالى : « السيوف » .

وما أُخمدتْ نارٌ لنا دونَ طارقٍ * ولا ذمَّنا فى النازلين نزيلُ
وأيامُنا مشهورة فى عَدوِّنا * لها غُرَرٌ معلومة وحُجولُ
وأسيافنا فى كلِّ شرق ومغربٍ * بها من قِراع الدراعين فلُولُ
معوّدة ألا تُسَلَّ نِصالُها * فتُغمدَ حتى يُستباحَ قبيلُ
٥ سلى إن جهلتِ الناس عنا وعنهمُ * وليس سَواء عالمٌ وجَهولُ
فإن بنى الديّانِ قطبٌ لقومهمْ * تدورُ رحاهم حولهم وتجولُ

وقال أبو هلال العسكرى من قصيدة :

وما ضاع مثلى حيث حلّت ركابُه * بلى حيث ضاع المجد مثلىَ ضائعُ
ومِثلىَ مخضوعٌ له غيرَ أنه * اذا كان مجهول الفضائل خاضعُ
١٠ ومثلىَ متبوعٌ على كل حالة * فإنْ ينقلب وجه الزمان فتابعُ

وقال عبد الله بن المعتز :

سائلكما بالله هل تعلمانِنى[1] * ولا تكتما شيئا فعندكما خُبْرِى
أأرفعُ نيرانَ القِرى لعُفاتِها * وأصبر يوم الرَّوْع فى ثُغرةِ الثَّغرِ
وأُسأل نَيْلا لا يُجاد بمثله * فيفتحُه بِشرى ويختمه عُذرى

١٥ ومن الافتخار قول بعض الشعراء، ويروى لحسّان بن ثابت من قصيدة أوّلها :

أنسيمُ ريحِكِ أم خِيارُ العنبرِ * يا هذه أم ريحُ مسكٍ أذفرِ
قولى لطيفك أن يصدّ عن الحَشى * سطواتِ نيرانِ الأسى ثمّ آهجرى
وآنهى رُماتَك أن يُصبنَ مَقاتِلى * فينالَ قومَك سطوةٌ من مَعشرى
إنّا من النَّفَرِ الذين جِيادُهم * طلعتْ على عاد بريح صَرْصرِ

٢٠ (١) فى ديوان المعانى : « ما ».

وسَلَبْن تاجى مُــلك قيصرَ بالقنــا * وآجتزْن باب الدرب لآبن الأصفرِ
كم قــد وَلَدنا من كــريم ماجدٍ * دامى الأظافــرِ أو ربيع مُمْطــرِ
خُلِقتْ أنامــلهُ لقــائمِ مُرْهَفٍ * ولِبذْل مَكْرُمة وذِروة مِنــبرِ
يَلْــقَ الرماحَ بوجهِهِ وبصــدره * ويُقــيم هامته مَقــام المِغفَــرِ
ويقول للطِّرف آصطبر لِشَبا القَنا * فهدمتَ ركنَ المجــدِ إن لم تَصبِرِ ٥
واذا تأمّل شخصَ ضيفٍ مُقبِــلٍ * مُتسربِلٍ سِربالَ ثــوبٍ أَغــبرَ
أوما الى الكَوْماء هــذا طارقٌ * نحــرتْنىَ الأعداءُ إن لم تُنْحَــرى

ذكر ما قيل فى الجود والكرم وأخبار الكرام

حقيقة الجود بذل المال، قال الله عزّ وجلّ : ﴿لَنْ تَنَالُوا ٱلْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ ١٠ نَفْسِهِ فَأُلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ . ورُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن الله آستخلص هــذا الدِّينَ لنفسه ولا يصلح لدينكم إلا السخاءُ وحسنُ الخُلُق ألَا فزيِّنوا دينكم بهما" وقال صلى الله عليه وسلم : "تجاوزُوا عن ذنب السّخىّ فإن الله عز وجل آخذ بيده كلما عثَر وفاتح له كلما آفتقر" وقال صلى الله عليه وسلم : "الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله عليكم" . "ألا إن السخاء شجرة فى الجنة أغصانها ١٥ متدلية فى الأرض فمن تعلّق بغصن منها أدخله الجنة" . "ألا إن السخاء من الإيمان والإيمــان فى الجنة" . وقال علىّ بن عبد الله بن عبّاس : سادةُ الناس فى الدنيــا الأسخياء . وقال بعضُ الحكماء : الجوَاد من جاد بمــاله وصان نفسه عن مالِ غيره . وقيل لعمرو بن عبيد : ما الكرم؟ فقال : أن تكون بمالك متبرّعا، وعن مال غيرك متورّعا . ويقــال : مراتب السخاء ثلاثة : سخاء وجودٌ و إيثــارٌ، فالسخاءُ إعطاء ٢٠

الأقل و إمساك الأكثر، والجود إعطاء الأكثر و إمساك الأقل، والإيثـارُ إعطاء الكل من غير إمساك لشيء، وهو أشرف درجات الكرم، و به ٱستحقّوا ثنـاء الله عزّ وجلّ عليهم فى قوله : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ . ومن كلامٍ يُنْسَب الى جعفر بن محمّد : لا يتمّ المعروفُ إلا بثلاثة : تعجيله ، وتصغيره ، وسَتْره . الجُودُ زكاةُ ٱلسّعادة ، وٱلإيثار على النفس موجب لٱسم الكرم ، وقال : لا تَسْتَحيِ مَن بَذْل القليل فإن الحِرْمان أقلّ منه . قال بعضُ الشّعراء :

أَعطِ القليـلَ ولا يمنعك قِلّتُه ... فكلُّ ما سدّ فقرًا فهو محمودُ

(٦٠)

وقال علىُّ بن الحسين : الكريم يبتهج بفضله ، واللئيم يفتخر بمـاله .

وقال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما : أيّها الناس من جَاد سَاد ، ومن بخُـل رذُل ، و إن أجود ٱلناس من أعطى من لا يرجوه . وقيل ليزيد بن معاوية : ما الجود ؟ قال : أن تُعطى المـال من لا تعرِف ، فإنّه لا يصير اليـه حتى يتخطّى من تعرِف .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه : لو لم يكن فى الكرم إلا أنه صفة من صفات الله تعالى تَسَمَّى بها ، فهو الكريم عزّ وجلّ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه" . وقيل لعبد الله بن جعفر : إنك قد أسرفتَ فى بذل المـال ، قال : إن الله عز وجل قـد عوّدنى بعادة أن يتفضـل علىّ ، وعودته أن أتفضل على عباده ، وأخاف أن أقطعِ العادة فيقطعَ عنى . وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلّبىّ : إنك مِتْلاف ، قال : منعُ الموجود[1] ، سوء ظنّ بالمعبود . قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ . وقال أكثم بن صيفىّ حكيمُ

(١) كذا فى هامش أحد الأصلين الفتوغرافيين وكتب عليه كلمة «صواب» . وفى سائر الأصول والعقد الفريد (ج ١ ص ٨٤) : «منع الجود» .

العـــرب : ذلّلـوا أخلاقكم للطـالب، وقودوها الى المحامد، وعلّموها المكارم، ولاتقيموا على خلق تَذُمُّونَه من غيركم، وصِلُوا من رغب اليكم، وتحلّوا بالجود يكسبكم[1] [2] المحبة، ولا تعتقدوا البخل تتعجلوا الفقر . أخذه شاعر فقال :

أَمِنْ خوف فقر تعجّلتَه ⁂ وأخّرتَ إنفـاق ما تجمـعُ

فصرتَ الفقير وأنت الغنيّ ⁂ وما كنتَ تعدو الذى تصنعُ ٥

وكتب رجل من البخلاء الى رجل من الأسخياء يأمره بالإنفاق على نفسه ويخوّفه الفقر، فأجابه : ﴿ ٱلشَّيْطَانُ يَعِـدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِٱلْفَحْشَاءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا ﴾ وإنى أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر لعلّه لا يقع .

وكان سعيد بن العاصى يقول على المنبر : من رزقه الله رزقا حسنا فلينفق منه سرا وجهرا حتى يكون أسعد الناس به ، فإنمـا يترك ما يترك لأحد رجلين : ١٠ إما لمُصْلِح فلا يقلّ عليه شيء، وإما لمفسد فلا يبقَى له شيء . أخذ بعض الشعراء هذا المعنى فقـال :

اسْعَد بمالِكَ فى الحياة فإنمـا ⁂ يبقى خلافك مصلِحٌ أو مفسِدُ

وإذا جمعت لمفســد لم يُغنـه ⁂ وأخو الصّـلاح قليـلَه يتزيّد

وقال أبو ذرّ رضى الله عنه : لك فى مالك شريكان: الحَدَثان، والوارث، فإن ١٥ آستطعتَ ألّا تكون أبخَس الشركاء حظًّا فآفعل . وقال بُزُرْجِمْهر الفارسىّ : إذا أقبلتْ عليك الدنيا فأنفق منهـا، فإنهـا لا تفنى، وإذا أدبرت عليـك فانفق منها،[3] فإنها لا تبقى . أخذ الشاعر هذا المعنى فقال :

---

(١) كذا فى العقد الفريد وفى الأصول : « ولا تقيموها » .

(٢) كذا فى النسخة الراعية . وفى الأصلين الفتوغرافيين والعقد الفريد : « يلبسكم » . ٢٠

(٣) فى أحد الأصلين والعقد الفريد والنسخة الراعية : «لا تبقى» .

لا تبخلَنَّ بدُنْيَا وهى مقبِلةٌ * فليس ينقُصها التبذير والسَّرَفُ
و إنْ تولّت فأحرى أن تجودَ بها * فالحمد منها إذا ما أدبَرَتْ خَلَفُ

وكان كسرى يقول : عليكم بأهل السخاء والشجاعة، فإنهم أهل حسن ظنّ بالله؛ ولو أن أهل البخل لم يدخل عليهم مِنْ ضرّ بُخلهم، ومذمّة الناس لهم، و إطباق القلوب على بغضهم إلّا سوءُ ظنّهم بربهم فى الخلَف، لكان عظيما. أخذه محمود الورّاق فقال :

من ظنّ بالله خيرا جاد مبتدِئا * والبخل من سوء ظنّ المرء باللهِ

وقيل لأبى عقيل البليغ العراقىّ : كيف رأيت مروان بن الحَكم عند طلب الحاجة اليه ؟ قال : رأيتُ رغبتَه فى الإنعام فوق رغبتِه فى الشكر، وحاجتَه الى قضاء الحاجة أشدّ من حاجة صاحِبها .

وقال زياد : كفى بالبخيل عارا أن آسمه لم يقع فى حمد قطّ ، وكفى بالجود مجدا أن آسمه لم يقع فى ذم قطّ .

وقال أسماء بن خارجة : ما أُحِبُّ أن أردّ أحدا عن حاجة طَلَبها، لأنه لا يخلو أن يكون كريما فأصون له عِرْضَه، أو لئيما فأصون عِرْضى منه .

وقال إبراهيم بن المهدىّ : قلت لرجل من أهل الكوفة من وجوه أهلها كان لا يجفّ بيده قلم، ولا يستريح قلبُه، ولا تسكن حركتُه فى طلب حوائج الرجال، و إدخال المرافق على الضعفاء : أخبِرْنى عن الحالة التى خفّفتْ عنك النَّصَبَ، وهوّنت عليك التعبَ فى القيام بحوائج الناس، ما هى ؟ قال : قد والله سمعتُ تغريد الطَّير بالأسحار، فى فروع الأشجار، وسمعتُ خَفْقَ أوتار العيدان وترجيع أصوات القيان، فما طرِبتُ من صوت قطّ، طَرَبى من ثناء حسن، بلسان حسن،

على رجل قد أحسن؛ ومن شُكْر حرّ لمنعِم حرّ؛ ومن شفاعة محتسب، لطالب شاكر؛ قال إبراهيم : فقلت، لله أبوك ! لقد حشيت كرما .

وكان طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرىّ من أجود قريش فى زمانه، فقالت له آمرأته : ما رأيت قوما ألأم من إخوتك! فقال لهـا : لمه ؟ وأنَّى قلت ذاك ؟ فقالت : أراهم إذا أيسرتَ أتوك، وإذا أعسرت تركوك ، قال : هـذا والله من كرمهم ، يأتوننا فى حال القوّة عليهـم ، ويتركوننا فى حال العجز عنهـم .

وحكى أن رجلا شيخا أتى سعيد بن سالم، وكلّمه فى حاجة وماشاه، فوضع الشيخ زُجَّ عصاه التى يتوكأ عليها، على رجل سعيد حتّى أدماها، فما تأوّه لذلك، وما نهاه؛ فلما فارقه، قيل له : كيف صبَرتَ على هذا منه ؟ فقال : خفتُ أن يعلَم جِنايته، فينقطعَ عن ذكر حاجته .

ذكر من آنتهى إليهم الجود فى الجاهلية

وذكر شىء من أخبارهم

والذى آنتهى إليهم الجود فى الجاهلية : حاتم بن عبد الله بن سعد الطائىّ، وهَرِم ابن سِنان المُرّىّ، وكعب بن مَامَة الإيادىّ، وضرب المثل بحاتم وكعب، والمشهور حاتم . وكعب هذا : هو الذى جاد بنفسه، وآثر رفيقة بالمـاء فى المفازة، ولم يشهر له خبرٌ غير هذا . وأما حاتم فأخباره مشهورة

منها : أنه كان إذا آشتد البَرْد، أمر غلامه يسارا، فأوقد نارا فى يفاع من الأرض، لينظر إليها مَنْ ضلّ عن الطريق [ليلا] (١)، وفى ذلك يقول :

أوقِدْ فإن الليـل ليـلٌ قَرٌّ والريح يا واقِـد رِيحٌ صِرٌّ
عسى يرى نارَك مَنْ يمـرُّ إن جلبتْ ضيفا فأنتَ حرٌّ

(١) الزيادة عن العقد الفريد .

قالوا : ولم يك حاتم يُمسك غير سلاحه وفرسه ، ثم جاد بفرسه فى سنة أزْمة .
قالت النَّوار امرأة حاتم : أصابتنا سنة اقشعرّت لها الأرض، واغبرّ أُفُق السماء، وضنّت المراضعُ عن أولادها، لا تَبِضّ بقطرة، وأيقنّا بالهلاك ؛ فوالله، إنّى لفى ليلة صِنَّبْرة[1]، بعيدة ما بين الطرفين، إذ تَضاغى صِبْيَتُنا جُوعا : عبد الله، وعدىّ، وسَفّانة ؛
٥ فقام حاتم الى الصبيّين، وقمت الى الصبيّة ؛ فوالله ما سكتوا إلا بعد هَدْأة من الليل ؛ وأقبل يعلّلنى، فعرفت ما يريد، فتناومت ؛ فلما تهوّرتِ النجوم[3]، إذا بشىء قد رفع كِسْر البيت، فقلت : مَنْ هذا؟ فولّى، ثم عاد آخرَ الليل ؛ فقال مَنْ هذا؟ فقالت : جارتك فلانة، أتيتُك من عند صِبْيَة يتعاوَوْن عُواء الذئاب ، فما وجدتُ معوَّلا إلا عليك أبا عدىّ، فقال : أعجليهم، فقد أشبعكِ الله وإياهم ؛ فاقبلت المرأة تحمل اثنين،
١٠ ويمشى بجانبيها أربعة كأنها نَعامة حولها رِئالُها ؛ فقام الى فرسه ، فوجأ لَبَّته[4] بمُدية، فخرّ، ثم كَشَط عن جلده، ودفع المدية الى المرأة، وقال : شأنك ؛ فاجتمعنا على اللحم نَشْوِى ونأكل ثم جعل [يمشى فى الحى][5] يأتيهم بيتا بيتا ، فيقول : هبّوا، عليكم بالنار، والتفع بثوبه ناحية ينظر الينا، لا والله إن ذاق منه مضغة، وإنه لأحوج اليه منّا ! فأصبحنا وما فى الأرض إلا عظم أو حافر .

١٥ وقيل : كان مبدأ الأمر لحاتم فى الجود، أنه لما تَرَعْرَع، جعل يُخرج طعامَه فإن وجد من يأكله معه أكله، وإن لم يجد طرحه ؛ فلما رأى أبوه أنه يُهلك طعامَه، قال له : الْحَقْ بالإبل، فخرج إليها، فوهب له جارية وفرسا وفلْوَها .

(١) ليلة صنبرة أى شديدة البرد .
(٢) تضاغى الصبيان : تضوروا من الجوع .
٢٠ (٣) تهورت النجوم : أدبرت .
(٤) وجأ لبته أى ضرب به فى منحره .
(٥) الزيادة عن العقد الفريد .

وقيل : بل هلك أبو حاتم وهو صغير ، وهذه القصّة كانت مع جدّه سعد بن الحَشْرج، فلمـا أتى حاتم الإبل طفِقَ يبتغى النـاس فلا يجـدهم، و يأتى الطريق فلا يجد عليـه أحدا؛ فبينا هو كذلك، إذ بَصُر برَكْب على الطريق فأتاهم، فقالوا : يافتى، هل من قِرًى ؟ فقال : تسألوننى عن القِرَى وقد تَرَوْن الإبل ! وكان الذى بَصُر بهم : عَبِيدَ ابنَ الأبرص وبِشر بن أبى خازم والنابغــةَ الذُّبيانىّ وكانوا يريدون النعمان، فنحر لهم ثلاثة من الإبل، فقال عَبِيد : إنمـا أردنا اللبن ، وكانت تكفينا بَكْرة إن كنت لا بدّ متكلّفا لنا شيئا؛ فقـال حاتم : قـد عرفتُ، ولكنى رأيت وجوها مختلفــة وألوانا متفرّقة، فظننت أن البلدان غير واحدة، فأردت أن يذكر كلّ واحد منكم ما رأى إذا أتى قومه؛ فقالوا أشعارا امتدحوه بها وذكروا فضله؛ فقال حاتم : أردت أن أُحسِن اليكم، فصار لكم الفضل علىّ، و إنّى أعاهد الله أن أَضرِب عراقيبَ إبلى عن آخرها أو تقوموا اليها فتقتسموها؛ ففعلوا ، فأصاب كل واحد تسعة وثلاثين بعيرا ، ومضوا على سفرهم إلى النعمان ؛ وإن أبا حاتم أو جدّه سمع بمـا فعل، فقال : أين الإبل؟ فقال : يا أبت طوقتُك بهـا طوق الحمامة مجدا وكَرَما ، لا يزال الرجل يحمـل بيت شـعر أثنى به علينا عِوَضا من إبلك ؛ فلمـا سمع أبوه ذلك، قال : أبإبلى فعلتَ ذلك؟ قال : نعم، قال: والله لا أُساكنك أبدا، فخرج أبوه بأهله ، وترك حاتما ومعه جاريته وفرســه وفِلْوها . قال : فبينا حاتم يوما نائم إذ انتبه وحوله نحو مائتى بعير تجول ويحطِمُ بعضها بعضا، فساقها الى قومه، فقالوا : يا حاتم، أبقِ على نفســك فقد رزقتَ مالا، ولا تعــودَنّ الى ما كنت فيــه من الإسراف، قال : فإنها نُهْبَى[1] بينكم، فانتُهِبت . ثم أقبل ركب من بنى أسد ومن قيس يريدون النعمان، فلقوا حاتمـا فقالوا له : إنا تركنا قوما يُثْنُون عليــك خيرا ، وقـد

(١) النهبى : اسم للنهوب .

أرسلوا اليك برسالة، قال : وما هى؟ فأنشده الأسديّون شعرا لعَبيد، وأنشده القيسيّون[1] شعرا للنابغة، ثم قالوا : إنا لنستَحِي أن نسألك شيئا و إنّ لنا لحاجة، قال: وما هى ؟ قالوا : صاحب لنا راجل، فقال حاتم : خذوا فرسى هذه، فاحملوا عليها صاحبكم، فأخذوها، و رَبَطتِ الجارية فِلْوها بثوبها، فأفلت فأتبعته الجارية لتردّه، فقال حاتم : ما لحقكم من شىء فهو لكم، فذهبوا بالفرس والفلو والجارية .

وأما هرِم بن سِنان ، فمن أخباره : أنه آلى على نفسه أنه لا يسلّم عليه زُهَير إلا أعطاه فقلّ مال هَرِم، وكان زهير يمرّ بالنادى وفيه هرِمٌ فيقول : أنعموا صباحا ما خلا هرما، وخيرَ القوم تركتُ .

قالوا : وكان عبد آلله بن جُدعان، حين كَبِر، أخذتْ بنو تميم على يده، ومنعوه أن يعطى شيئا من ماله ، فكان الرجل اذا أتاه يطلب منه قال له : آدن منّى ، فاذا دنا منه لَطَمه، ثم قال : آذهب فاطلب لطمتك أو تُرْضَى، فترضيه بنو تميم من ماله؛ وفيه يقول الشاعر :

والذى إن أشار نحوك لَطْمًا * تبع اللّطمَ نائلٌ وعطاءُ

ومن أخبار الكرام : ماحُكى أنّ خالد بن عبد الله القَسْرىّ أميرَ العراق كان يكثر الجلوس ثم يدعو بالبِدَر و يقول : إنما هذه الأموال ودائع لا بدّ من تفرقتها ، فقال : ذلك مرّة، وقد وفد عليه أخوه أسد بن عبد الله من خُراسان، فقام فقال : أيها الأمير إن الودائع تُجمع لا تُفرّق؛ فقال : ويحك ! إنها ودائع المكارم، وأيدينا وكلاؤها، فإذا أتانا المُملِق فأغنيناه، والظمآن فأرويناه، فقد أدّينا فيها الأمانة .

(١) كذا فى الأغانى وهو الأنسب . وفى الأصول : «اللبثيون» .

ومرّ يزيد بن المهلّب بأعرابية فى هروبه من سجن عمر بن عبــد العزيز وهو يريد البصرة، فقدّمت له عَنْزا فقبلها ، ثم قال لابنه معاوية : ما معك من النفقة ؟ قال ثمانمائة دينار، قال : آدفعها إليها! فقال له آبنه : إنك تريد الرجال، ولا تكون الرجال إلا بالمــال ، وهــذه يرضيها اليسير، وهى بعدُ لا تعرفك، فقال : إن كانت ترضى باليسير، فانى لا أرضى إلا بالكثير ؛ وإن كانت لا تعرفنى، فأنا أعرف ٥ نفسى، آدفعها اليها، فدفعها اليها .

قال الأحنف : كثرت علىّ الديّات بالبصرة، لما قُتِل مسعود ، فلم أجدها فى حاضرة تميم ، فخرجت نحو يَبْرِينَ، فسألت : مَن المقصودُ هناك ؟ فأرسلت إلى قبّة ، فاذا شيخ جالس بِفِنائها، مؤتزر بشمْلة، مُحتَبٍ بحبل، فسلمت عليــه، وآنتسبت له ، فقــال : ما فعل رسول الله صلى الله عليــه وسلم ؟ قلت : تُوُفِّىَ ؛ قال : فمــا فعل ١٠ عمر بن الخطاب الذى كان يحفظ العرب ويحوطها؟ قلت : مات، قال : فأىّ خير فى حاضرتكم بعدهما ؟ قال : فذكرت الديات التى لزمتنا للأزد وربيعــة ، قال : أقم ، فإذا راع قد أراح عليه بألف بعير ، فقال : خذها، ثم أراح عليه آخر بمثلها، فقال : خذها، قلت : لا أحتاج اليها ، فانصرفت بالألف، ووالله ما أدرى من هو الى الساعة . ١٥

وروى عن مَعْن بن زائدة ، قال : لمــا هربت من المنصــور ، خرجت من باب حرب[1] ، بعــد أن أقمت فى الشمس أياما ، وخفّفتُ لِحْيتى وعارضى، ولبست جُبّةُ صوف غليظة[2]، وركبت جملا ، وخرجت عليه لأمضى إلى البادية، قال : فتبعنى

(١) باب حرب : أحد أبواب بغداد (وينسب لحرب بن عبد الملك) أحد قوّاد أبى جعفر المنصور ، وعنده مقبرة ضمت كثيرا من أعلام المسلمين منهم : الامام الجليل أحمد بن حنبل وبشر الحافى رضى عنهما . ٢٠ راجع ياقوت .

(٢) كذا فى أحد الأصلين والنسخة الراغبية : وفى الأصل الآخر : «عريضة» .

أسودُ متقلد سيفا ، حتى إذا غبت عن الحرس ، قَبَض على خِطام الجمل فأناخه ، وقبض علىّ، فقلت : ما شأنك؟ فقال : أنت بغية أمير المؤمنين، فقلت له : ومن أنا حتّى يطلبنى أمير المؤمنين؟ فقال مَعْن بن زائدة، فقلت: يا هذا آتق الله! وأين أنا من معن ؟ فقال : دع هـذا عنك ، فأنا والله أعرف بك، فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهـذا جوهر حملتُه معى بأضـعاف ما بذله المنصور لمن جاءه بى ، فخـذه ولا تَسفِك دمِى ، فقال : هاته ، فأخرجتُه إليه، فنظر اليـه ساعة، وقال : صـدقتَ فى قيمته ، لستُ قابله حتى أسألك عن شىء، فإن صـدقتنى أطلقتك، فقلت : قل، فقال : إن الناس قد وصفوك بالجود، فأخبرنى هل وهبتَ قطّ مالَك كلَّه ؟ قلت : لا ، قال : فنصفه؟ قلت : لا، قال : فثلثه؟ قلت : لا، حتى بلغ العشر فآستحييت وقلت : إنى أظن قد فعلت هذا، فقال : ما ذاك بعظيم، أنا والله راجل ، ورزقى على أبى جعفر كل شهر عشرون درهما ، وهذا الجوهر قيمته ألف دينار، وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك، لجودك المأثور بين الناس ؛ ولتعلم أن فى الدنيا من هو أجود منك، ولا تعجبك نفسك ، ولتُحَقِّر بعد هذا كلّ شىء تفعله ولا تتوقف عن مكْرُمة ؛ ثم رمى بالعقد إلىّ : وخلّى خِطام الجمـل وانصرف، فقلت : يا هـذا قد والله فضحتَنى ! ولسَفْكُ دمى أهونُ علىّ مما فعلت ، فخذ ما دفعته اليك، فإنى عنه فى غنًى، فضَحِك ، ثم قال : أردت أن تكذّبنى فى مقامى هـذا ، فوالله لا آخذه ، ولا آخذ لمعروف ثمنا أبدا ، ومضى . فوالله لقد طلبته بعـد أن أمنتُ ، وبذلت لمن جاءنى به ما شاء، فما عرفت له خبرا ، وكأنّ الأرض آبتلعته . وكان سبب غضب المنصـور على مَعْن بن زائدة أنه خرج مع عمرو بن يزيد بن عمر بن هُبَيْرة وأَبْلَى فى حربه بلاء حسنا .

(٦٣) ويقال : إن شاعرا أتى وهب بن وهب ، وكان جوادا ، فمدحه فهَشّ له وبشّ ، وثنى له الوِسَادة وأضافه ورفده وحمله ؛ فلمــا أراد الرجل الرحلة لم يخدمْه أحد من غلْمــان وهب ، فأنكر الرجل ذلك مــع جميــل فعــله ، فعاتب بعضهــم ، فقــال له الغلام : إنّا انّما نُعين النازل على الإقامة ولا نُعين الراحل على الفراق .

وكان الحارث بن هشام المخزومى فى وقعة اليرموك ، وبها أصيب فأثبتته الجراح ، فاستسقى ماء ، فأُتِىَ به ، فلما تناوله ، نظر الى عِكْرِمة بن أبى جهل صريعا فى مثل حاله ، فردّ الإناء على الساقى ، وقال : آمض الى عِكْرِمة بن أبى جهل ، فمضى اليه ، فأبى أن يشرب قبله ، فرجع الى الحارث ، فوجده ميتا ، فرجع الى عِكْرِمة ، فوجده قد مات ، فلم يشرب واحد منهما .

وقد وصف الناس أهل الجود والكرم بمدائح ، سنذكر ما آستجودناه منها . فمن ذلك ما حــكى عن أبى العباس أحمــدَ بن يحيى المعروف بثعلب ، قال : كان ببغداد فتى يُجَنّ ستة أشهر ، فاستقبلته ببعض السكك ذات يوم ، فقال : ثعلب ؟ قلت : نعم ، قال : فأنشِدْنى فأنشدته :

وإذا مررتَ بقبره فاعقِــرْ به * كُومَ الهجانِ وكلَّ طِرْفٍ سَابِحِ
وآنضحْ جوانبَ قبره بدمائهــا * فلقد يــكون أخا دم وذَبائِحِ

فتضاحك ، ثم سكت ساعة ، وقال : ألا قال :

آذهبا بى إن لم يكن لكما عَقْـ * ـرٌ على تُرب قــبره فاعقِرَانى
وآنضحا من دمى عليه فقد كا * نَ دمى من نَدَاه لو تعلمانِ

ثم رآنى يوما بعــد ذلك فتأملنى ، وقال : ثعلب ! قلت : نعم ، قال : أنشِــدنى فأنشدته :

أعار الجَـــوْدَ نائِلَه * إذا ما مالُهُ نَفِـــدَا
وإنْ لَيثاً شَكَا جُبنا * أعار فؤادَه الأســدا

فضحك، وقال : ألا قال :

عَلَّم الجَوْدَ النّدى حتّى اذا * ما حكاه علّمَ البأسَ الأسدْ
فـله الجَوْدُ مقِرٌّ بالنـدى * وله الليثُ مقِرٌّ بالجَـــلَدْ

وقال مسلم بن الوليد وهو ممـا يجوز إيراده فى الشجاعة والكرم :

يجود بالنفس إن ضنّ الجوادُ بها * والجود بالنفس أقصى غايةِ الجودِ

وأول من أتى بهذا المعنى علقمة بن عَبَدَة حيث قال :

تجود بنفس لا يُجَـاد بمثلها * فأنتَ بها يوم اللّقاء خَصِيبُ

وهذا مثل قول يزيد بن أبى يزيد الشيبانى : من جاد بنفسه عند اللقاء، وبماله عند العطاء، فقد جاد بنفسيه كلتيهما .

قالوا : وأجود ما قيل فى ذلك قول أبى العتاهية (١) يمدح العباس بن محمد :

لو قيـل للعباس يا بنَ محمـد * قل لا وأنت مخـلّد ما قالَهـا
إنّ السماحة لَم تَزَل معقولةً * حتّى حللتَ براحتيك عقالَهـا
وإذا الملوك تسايرتْ فى بلدة * كانوا كواكِبها وكنتَ (٢) هِلالَهـا

فلم ينْبه العباس، فقال :

هززتُك (٣) هِزَّةَ السيف المحلَّى * فلما أن ضربت بك آنثنيتُ
فهبها مِدْحةً ذهبت ضَـياعا * كَذَبتُ عليك فيهـا وآفتريتُ

(١) سيروى المؤلف عن الأغانى أن هذه الأبيات لربيعة الرق .
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصول «وأنت» . وفيه مخالفة لروى الشعر ولما يأتى بعده
(٣) سيذكر المؤلف فى ص ٢١٣ هذا البيت برواية أخرى نقلا عن الأغانى .

فلمـا سمع العباس الأبيات غضب ، وقال : والله لأجهدن فى حتفـه . قال : فمرّ أبو العتاهية بإسحاق بن العباس، وقال له إسحاق : أنشدنى شيئا من شعرك فأنشده

ألا أيها الطالبُ المستَغيثُ * بمن لا يُفيـدُ ولا يَرْفِدُ
ألا تسأل الله من فضـله * فإنّ عطاياه لا تَنْفَـدُ
اذا جئت أفضلهم للسـؤا * ل ردّ وأحشاؤه تُرْعَـدُ ٥
كأنّك من خشـيةٍ للسـؤا * ل فى عينه الحيّـةُ الأسودُ
ففِـرّ الى الله من لؤمهـم * فإنى أرى الناس قد أصْلَدُوا
و إنى أرى الناس قد أبرقُوا * بلؤم الفِعَال وقـد أرْعَدُوا

ثم مضى، فقيل لإسحاق : إنّ هذا الشعرله فى أبيك، فقال إسحاق : أولى له ، لم عرّض نفسه وأحوج أبا العتاهية إلى مثل هذا مع ملكه وقدرته ! . ١٠

وقد أورد أبو الفرج الأصفهانىّ خبر هذه الأبيات، فقال : امتدح ربيعةالرَّقّى العباسَ بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس بقصيـدة لم يُسْبق اليها حسنا، وهى طويلة يقول فيها :

لو قيل للعباس يا ابن محمّدٍ * قل لا وأنت مخلّد ما قالهَـا
ماإن أعُدّ من المكارم خَصْلة * إلا وجدْتك عمّها أو خَالَهَا ١٥
واذا الملوك تسايرت فى بلدة * كانوا كواكِبَهاوكنتَ هِلاَلهَا
إن المكارم لم تَزَلْ معقولةً * حتّى حللتَ براحتيك عقالهَا

قال : فبعث إليـه بدينارين ، وكان يقـدّر فيه ألفين ، فلمـا نظر الى الدينارين، كاد أن يُجَنّ غضبا، وقال للرسول : خذ الدينارين فهما لك على أن تردّ إلىّ الرُّقعة، من حيث لا يدرى العباس، ففعل الرسول ذلك. فأخذها ربيعة، وأمر من كتب فى ظهرها : ٢٠

مدحتُك مِدْحةَ السيفِ المُحلَّى * لتجْرِىَ فى الكرام كما جريتُ (١)

فهبها مِدْحة ذهبت ضياعا * كذبتُ عليك فيها وآفتريتُ

فأنت المـــرء ليس له وَفَاءٌ * كأنى إذْ مدحتُك قد زَنَيتُ

(٦٤) ثم دفعها الى الرسول وقال : ضعها فى الموضع الذى أخذتَها منه . ففعل ، فلما كان

٥ من الغد أخذها العباس فنظر فيها ، فلما قرأ الأبيات غضب ، وقام من وقته ، فركب إلى الرشيد ، وكان أثيرا عنده يجلّه و يقدّمه ، وكان قد همّ أن يخطب اليه آبنته ، فرأى الرشيد الكراهة فى وجهه ، فقال ما شأنك ؟ قال : هجانى ربيعة الرَّقّىّ ، فأحضره الرشيد ، وقال له : يا ماصّ كذا وكذا من أمّه ! أتهجو عمّى ، وآثر خلق الله عندى ! لقد هممت أن أضرب عنقك ! فقال : يا أمير المؤمنين ، والله لقد آمتدحته

١٠ بقصيدة ما قال أحد مثلها من الشعراء فى أحد من الخلفاء ، ولقد بالغت فى الثناء ، وأكثرت الوصف ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بإحضارها فعل ؛ فلما سمع الرشيد ذلك ، سكن غضبه ، وأحب أن ينظر فى القصيدة ، فأمر العباس بإحضارها فتلكأ عليه ؛ فقال له الرشيد : سألتك بحق أمير المؤمنين ، إلا أمرتَ بإحضارها ؛ فأُحضرتْ ، فإذا فيها القصيدة بعينها ، فاستحسنها واستجادها وأعجب بها ، وقال :

١٥ والله ما قال أحد من الشعراء فى أحد من الخلفاء مثلها ! ولقد صـدق ربيعة فبرّ ، ثم قال للعباس : كم أثبتَه عليها ؟ فسكت العباس ، وتغيّر لونه ، وجرِض بريقه (٢) ؛ فقال ربيعة : أثابنى عنها يا أمير المؤمنين دينارين ، فتوهم الرشيد أنه قال ذلك من المَوْجِدة عليه ، فقال : بحياتى يا رَقّىّ كم أثابك ؟ فقال : وحياتك يا أمير المؤمنين ما أثابنى

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «لتجرى فى الكرام فما جريت» .

٢٠ (٢) كذا فى الأغانى والأصلين . وجرض بريقه أى ابتلعه بجهد على هم وحزن . وفى النسخة الراغبية : «وغص بريقه» .

إلا بدينارين، فغضب الرشيد غضبا شديدا، ونظر فى وجه العباس، وقال : سوءةً لك! أيّةُ حال قعدَتْ بك عن إثابته ! أقلّة مال ؟ فوالله لقد نولتُك جهــدى، أم انقطاع المــادة[1] عنــك ؟ فوالله ما انقطعتُ بك، أم أصلُك ؟ فهو الأصــل الذى لا يدانيه شىء، أم نفسك؟ فلا ذنب لى، بل نفسك والله فعلت بك ذلك، حتى فضحتَ آباءك وأجدادَك وفضحتَنى، وفضحت نفسَك، فنكَس العبــاس رأسَه، ولم ينطِق، فقال الرشيد : ياغلام، أعطِ ربيعةَ ثلاثين ألف درهم، وخِلْعَةً، واحمله على بغلة، ثم قال له : بحياتى لا تذكره فى شىء من شعرك تعريضا ولا تصريحا، وفتر الرشيد عما كان قد همّ به من أن يتزوج اليه، وأظهر له بعد ذلك جفاء واطراحا .

وقال محمد بن هانئ :

الواهب الألفَ إلا أنهــا بِدَرٌ * والطاعنُ الألفَ إلا أنها نَسَقُ
تأتى عطاياه شــتَّى غير واحدة * كما تدافعَ موجُ البحر يَصطَفقُ

وقال الرضىّ الموسوىّ :

ريّانَـــ والأيام ظمآنةٌ * من النّدى نَشْوان بالبِشْرِ
لا يُمسك العذلُ يديه ولا * تأخُذ منــه نَشْوةُ الخمـــر

وقال أيضا :

ذخائِرُه العُــرْف فى أهــله * وخُزّانُــ أمواله السائلونا

وقال أمية بن أبى الصلت الثقفىّ يمدح عبد الله بن جُدْعان :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى * حَياؤك إنـــ شيمتَك الحياءُ
وعلمك بالأمــور وأنت قَرْمٌ * لك الحسبُ المهذّبُ والسناءُ

---

(١) كذا فى الأغانى . وفى الأصول : «أم انقطاع المال» .

كريمٌ لا يغيّره صَباحٌ * عن الخُلُق السنىّ ولا مَساءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يوما * كفاه من تَعرُّضه الثناءُ

وقال الشمّاخ بن ضِرار[1] :

تَزورُ آمرأً يُعطِى على الحمد مالَه * ومن يُعْطِ أثمانَ المحامدِ يُحْمَدِ
وأنتَ آمرؤ مَن تُعطِه اليوم نائلا * بكفّك لا يمنعْك من نائِل الغدِ
ترى الجودَ لا يُدْنى من المرء حتفَه * كما البخل والإمساك ليس بمُخلِدِ[2]
مُفيدٌ ومِتلافٌ اذا ما سألته * تهلّل وآهتزّ آهتزاز المهنَّدِ
متى تأتِه تعشو الى ضوءِ نارِه * تجدْ خيرَ نارٍ عندَها خيرُ مُوقِدِ

قال : ولما سمع عمر رضى الله عنه هذا البيت ، قال : كَذَبَ ، تلك نار موسى عليه السلام .

وقال السرىّ الرفّاء :

كالغيثِ والليثِ والهلالِ اذا * أقمر بأسًا وبهجةً وندَى
ناسٍ من الجودِ ما يجود به * وذاكرٌ منه كلّما وعدا

وقال أبو الفرج الوأواء :

من قاسَ جدواك بالغمام فما * أنصف فى الحكم بين الآثنينْ
أنت اذا جدت ضاحكا أبدا * وهو اذا جاد باكىَ العينْ

وقال آبن نباتة السعدىّ من قصيدة :

لم يُبقِ جودُك لى شيئا أؤمّله * تركتنى أصحَب الدنيا بلا أمل

(١) كذا فى الأصول . وفى زهر الآداب لأبى اسحاق الحصرى القيروانى طبع مصر (ج ٤ ص ٥٠) وخزانة الأدب للبغدادى (ج ٣ ص ٦٦٢) : أن الشعر للحطيئة .

(٢) الذى فى زهر الآداب وخزانة الأدب :

يرى البخل لا يبقى على المرء ماله * و يعلم أن الشح غير مخلد

ذكر ما قيل فى الإعطاء قبل السؤال

قال سَعيد بن العاصى : قبح الله المعروف، اذا لم يكن آبتداءً من غير مسألة، فالمعروف عوضٌ[1] من مسألة الرجل، اذا بذل وجهَه، فقلبُه خائفٌ، وفرائصه تُرْعَد، وجبينــه يرشح، لا يدرى أيرجع بنُجح الطاب ، أم بسوء المنقلَب؛ قد بات ليلتــه يتململ على فراشــه، يعاقب بين شِقيْه، مرّة هكذا، ومرّة هكذا ، مَنْ لحاجتــه؟ ٥ خطرتُ بباله أنا وغيرى ، فمثّــل أرجاهم فى نفسه، وأقربَهم من حاجته؛ ثم عزم علىَّ، وترك غيرى، قد انتُقِع لونُه، وذهب دمُ وجهــه ، فلو خرجتُ له مما أملك لم أكافئه، وهو علىَّ أَمَنُّ منّى عليه؛ اللهم فإن كانت الدنيا لها عندى حظ فلا تجعل لى حظًّا فى الآخرة .

١٠ وقال أكثم بن صــيفىّ : كلّ سؤال و إن قلّ أكثر من كلّ نوال و إن جلّ .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه لأصحابه : من كانت له إلىّ منكم حاجة فليرفعها فى كتاب، لأصونَ وجوهكم عن المسألة .

وقال عبــد العزيز بن مروان : ما تأمّلنى رجل قط إلا سألتــه عن حاجتــه، ثم كنت من ورائها .

١٥ وقال حبيب :

عطاؤك لا يفنَى ويستغرقُ المُنَى * وتبقى وجوهُ الراغبيـــن بمائها

وقال أيضــا :

ما ماء كفك إن جادت و إن بخلت * من ماء وجهى إذا أفنيتُــه عوضُ

---

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٨٨) وهو الأنسب . وفى الأصول : «فما المعروف» .

وقالوا : مَنْ بذَلَ إليك وجهَه فقد وفّاك حقَّ نعمتك .

وقال معاوية لصَعْصَعَةَ بن صُوحان : ما الجود؟ فقال : التبرّع بالمال ، والعطاء قبل السؤال .

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

كريمٌ على العِلّاتِ جَزْلٌ عطاؤه * يُنيلُ وإن لم يُعتمَدْ لنوالِ

وما الجَوْد مَنْ يُعطى إذا ما سألته * ولكنّ مَنْ يُعطى بغير سؤالِ

وقال حبيب الطائىّ :

لئن جحَدْتُك ما أوليتَ من كَرَمٍ (1) * إنى لفى اللؤم أمضى (2) منك فى الكرمِ

أنسى (3) ٱبتسامَك والألوانُ كاسفةٌ * تبسُّمَ الصبح فى داجٍ من الظُّلَمِ

رددتَ رونَق وجهى فى صحيفَته (4) * ردَّ الصِّقالِ صفاءَ الصارم الخَذِمِ (5)

وما أبالى وخيرُ القول أصدقُه * حقنتَ لى ماء وجهى أم حقنتَ دمى

ذكر ما قيل فى الشجاعة والصبر والإقدام

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "الشجاعة غريزة يضعها الله فيمن شاء من عباده إن الله يحبّ الشجاع ولو على قتل حيّة" .

وقالوا : حدّ الشجاعة سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة .

(1) فى ديوان أبى تمام : « من حسن » . وفى العقد الفريد : « من نعم » .

(2) فى ديوان أبى تمام : « أحظى » .

(3) فى ديوان أبى تمام : « أمسى » .

(4) كذا فى ديوان أبى تمام والعقد الفريد وفى الأصول : «صفيحته» .

(5) الخذم : السيف القاطع .

وسئل بعضهم عن الشجاعة فقال : جِبِلَّةُ نفس أبيّة ، قيل له : فما النجدة ؟ قال : ثقة النفس عند ٱسترسالها الى الموت ، حتى تحمد بفعلها دون خوف .

وقيل لبعضهم : ما الشجاعة ؟ فقال : صبر ساعة . وقال بعض أهل التجارب : الرجال ثلاثة : فارس، وشجاع، و بطل؛ فالفارس : الذى يَشُدّ إذا شدّوا، والشجاع : الداعى الى البِراز والمجيب داعيَهُ، والبطل : الحامى لظهور القوم إذا ولّوْا . ٥

قال يعقوب بن السِّكِّيت فى كتاب الألفاظ : العرب تجعل الشجاعة فى أربع طبقات، تقول : رجلٌ شجاعٌ ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : بطلٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : بُهْمَةٌ(١)، فإذا كان فوق ذلك، قالوا : أَلْيَس .

وقال بعض الحكماء : جسمُ الحرب : الشجاعة، وقلبها : التـدبير، ولسانها : المكيدة، وجَناحها : الطاعة، وقائدها : الرفق، وسائقها : النصر . ١٠

قالوا(٢) : لما ظفِر المهلّب بن أبى صُفرة بالخوارج، وَجّهَ كعبَ بنَ مَعْـدَان الى الحجّـاج، فسأله عن بنى المهلّب؛ فقـال : المغيرةُ فارسهم وسـيّدهم، وكفى بيزيد فارسـا شجاعا، وجوادُهم وسخيهم : قَبِيصـةُ، ولا يستحيى الشجاعُ أن يفرّ من مدرك، وعبـدُ الملك : سمٌّ ناقعٌ ، وحبيبٌ : موتٌ زعافٌ، ومحمدٌ : ليثُ غابٍ، وكفاك بالمفضَّل نَجدةً؛ قال : فكيف خلّفتَ جماعةَ الناس ؟ قال : خلّفتهم بخير، قد أدركوا ما أمّلوا، وأمنوا ما خافوا؛ قال : فكيف كان بنو المهلّب فيهم ؟ قال : ١٥

(١) البهمة : الفارس الذى لا يدرى من أين يؤتى له من شـدّة بأسه . والأليس : الشجاع الذى لا يبالى هولا .

(٢) ورد هـذا الخبر فى الكامل للبرد مطابقا لما هنا فى نسق الجمل وترتيبها اللهم إلا زيادة بعض فقرات رأينا ضرورة إثباتها فأضفناها ونبهنا عليها . وورد أيضا فى الجزء الثانى من تذكرة الصفدى المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٤٢٠ أدب : باطناب فى كثير من المواضع مع تقديم وتأخير عما هنا . ٢٠

كانوا حُماة السَّرح نهارا، فإذا أُلِيلُوا ففُرسان البيات؛ قال : فأيّهم كان أنجدَ ؟ قال: كانوا كالحلْقــة المفْرغة، لا يُدرَى أين طَرَفُها ؛ قال : فكيف كنتم أنتم وعدوّكم ؟ قال : كنّا إذا أخذنا عفونا ، [واذا أخذوا يئسنا منهــم] (١) واذا آجتهدوا وآجتهدنا ، [طمعنا] (١) فيهم؛ فقال الحجّاج : إنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ .

٥ وقالوا : أشجعُ بيت قالته العرب قول العباس بن مِرْداس السُّلَمىّ :

أَشُــدُّ على الكتيبة لا أبالى * أحتفى كان فيها أم ســواها

وقد مدح الشعراءُ الشجاعةَ وأهلَها، وأوسعوا فى ذلك، فمن ذلك قول المتنبّى :

شجاعٌ كأنّ الحربَ عاشــقةٌ له * اذا زارها فدّته بالخيل والرَّجْلِ

وقال أيضــا :

١٠ وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتهــم * تركتَ جمعَهُــمُ أرضًا بلا رجُلِ

ما زال طِرْفُك يجرى فى دمائِهِمُ * حتى مشى بك مشيَ الشاربِ الثَّمِلِ

وقال العِمَاد الإصفهانىّ :

قوم إذا لبِسوا الحديدَ الى الوغى * لبِس الحِــدَاد عدوُّهم فى المهربِ

المُصدِرون الدُّهْمَ عن وِرْدِ الوغى * شُـــقْرًا تُجَلَّلُ بالعَجاج الأشهبِ

١٥ وقال أبو الفرج الببّغاء :

واليومُ من غَسَقِ العَجاجةِ ليــلةٌ * والكرُّ يخــرُق سَجْفَها المــدودا

وعلى الصِّفاحِ من الكِفاحِ وصِدقه * رَدْعٌ (٢) أحالَ بياضَــها توريدا

---

(١) الزيادة عن الكامل للبرد .

(٢) الردع : أثر الدم

والطعنُ يغتصبُ الجيادَ شَـباتَها[1] * والضربُ يقدح فى التريك[2] وقودا

وعلى النفوس من الحِمام طلائعٌ * والخوف يَنشُد صبرَها المفقودا

وقد استحال البَرُّ بحـرًا والضحا * ليـلا ومنخَرِق الفضاء حديدا[3]

وأجلّ ما عند الفوارس حثُّهـا * فى طاعة الهربِ الجيـادَ القُودا

حتى إذا ما فارق الرأىُ الهـوى * وغدا اليقينُ على الظنون شهيـدا

لم يُغنِ غيرُ أبى شجاعٍ والعلا * عنـه تُنـاجِى النصرَ والتأييـدا

وقال أيضا ورُوى للبحترىّ[4] :

مِن كلّ متَّسِع الأخلاق مبتسِم * للخطب إن ضاقت الأخلاقُ والحِيلُ

يسـعى به الـبرق إلا أنه فَـرَسٌ * فى صورة المـوتِ إلا أنه رجلُ

يلقَى الرماحَ بصــدرٍ منه ليس له * ظَهـرٌ وهادِى جوادٍ ما له كَفَلُ

وقال البحترىّ :

معشر أمسكت حلومُهُـمُ الأر * ضَ وكادت لولاهُمُ[5] أن تميدا

فإذا الجـدبُ جاء كانوا غيوثا[6] * وإذا النقع ثار ثاروا أسـودا

وكأن الإلهَ قال لهم[7] فى الـ * ـحرب كونوا حجارةً أو حديدا

(١) فى أحد الأصلين : « شباتها »

(٢) كذا فى يتيمة الدهر . والتريك جمع للتريكة وهى بيضة الحديد . وفى الاصول : «التليل» وهو العنق .

(٣) كذا فى الأصلين و يتيمة الدهر . ولم يوجد هذا البيت فى باقى الأصول .

(٤) نسبت هـذه الأبيات فى يتيمة الدهر لأبى الفرج الببغاء . ولم توجد فى ديوان البحترى طبع الأستانة ولا فى ترجمته فى الأغانى .

(٥) فى ديوان البحترى : « وكادت من عزهم ... الخ » .

(٦) رواية الديوان : «فاذا المحل جاء جاءوا سيولا ... الخ .

(٧) رواية الديوان : « ... قال لنا ... الخ » .

وقال مُسْلِم :

لو أنَّ قوما يخلُقون منيّةً * من بأسهم كانوا بنى جبريلا
قوم إذا حِمِى الوطيسُ لديهمُ[1] * جعلوا الجماجمَ للسيوفِ مَقيلَا

وقال آخر :

٥ عِقبانُ رَوْع والسروجُ وُكورها * وليوثُ حربٍ والقنا آجامُ
وبدورتمّ والشوائك فى الوغَى * هالاتُها والسابرىّ[2] غَمام
جادوا بممنوع التلادِ وجوّدوا * ضربا تُخَدُّ به الطُّلا والهامُ
وتجاورت أسيافُهم وجيادُهم * فالأرض تُمطَرُ والسماء تُغام

وقال آخر :

١٠ قوم شرابُ سيوفِهم و رماحِهم * فى كلّ معتَرَكٍ دمُ الأشرافِ
رَجعتْ إليهم خيلُهم بمعاشرٍ * كلٌّ لكلِّ جسيم أمرٍ كافِ
يتحنّنون إلى لقاء عدوّهم * كتحنّن الأُلّاف للأُلّافِ
و يباشرون ظُبَا السيوف بأنفسٍ * أمضَى وأقطع من ظُبَا الأسيافِ

وقال ابن حَيّوس :

١٥ إن تُردْ خُبْرَ حالهم[3] عن قريبٍ * فأْتِهِم يومَ نائلٍ أو نزال
تلْقَ بيضَ الوجوه سودَ مَثار الـ * ـنقع[4] خُضْرَ الأكنافِ حُمْرَ النصال

---

(١) رواية ديوان مسلم بن الوليد طبع مصر ص ٩١ : «قوم اذا حمى الهجير من الوغى ... الخ» .
(٢) السابرىّ : الدروع السابرية المنسوبة الى سابور .
(٣) رواية ديوان ابن حيوس (نسخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩١ أدب) :
٢٠ « ... علم حالهم عن يقين * فالقهم فى مكارم أو قتال» .
(٤) فى ديوانه : « ... بيض الاعراض ... الخ » .

ومما قيل فى الصبر والإقدام :

قال الله عز وجل : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تمنّوا لقاءَ العدو وسلوا الله العافية إذا لقيتموهم فاثبتوا وأكثروا من ذكر الله وإن جلبوا وضجّوا فعليكم بالصمت"[1] .

ومن كلام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : ربَّ حياةٍ سببُها التعرّض للموت، وربَّ منيّة سببُها طلبُ الحياة .

وقالوا : أجمع كلمة قيلت فى الصبر قول بعضهم : الصبر مطيّة النصر .

وقال آخر : الصبر مَطيّةٌ لا تكبو وإن عَنُفَ عليه الزمان .

وقال آخر : الصبر شَرْيَةٌ[2] تمر أرْيَةً[3] .

وقيل للمهلّب بن أبى صفرة : إنك لتُلقِى نفسك فى المهالك، فقال : إن لم آت الموت مسترسلا أتانى مستعجلا، إنى لست آتى الموت من حُبِّه، وإنما آتيه من بغضه، وتمثّل بقول الحُصَيْن بن الحُمَام :

تأخرتُ أستبقِ الحياةَ فلم أجدْ * لنفسِى حياةً مثلَ أن أتقدّما

وهى قصيدة مشهورة منها :

فلسنا على الأعقابِ تَدمَى كُلومُنا * ولكن على أقدامنا تقطُرُ الدَّما

نفلِّقُ هامًا من كِرامٍ أعزّةٍ[4] * علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

(١) ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى ومسلم برواية تختلف عما هنا فى شطره الأخير .

(٢) الشرية : الحنظلة . (٣) الأرية : العسل .

(٤) فى تذكرة الصفدى والشعر والشعراء لابن قتيبة وشرح ديوان حماسة أبى تمام : « من رجال ... » .

ولما رأينا الصبرَ قد حِيلَ دونه * وإن كان يوما ذا كواكبَ مُظلِما

صبرنا وكان الصبرُ منا سجيةً * بأسيافنا يقطعن كفًا ومعصما

ولما رأيت الودَّ ليس بنافعى * عمدتُ الى الأمر الذى كان أحزما

فلستُ بمبتاعِ الحياة بسُبّةٍ * ولا مرتقٍ من خشيةِ الموتِ سُلَّما

٥ وقالت العرب: الشجاعة وقاية، والجُبْن مَقْتلة . وكذلك : إن مَنْ يُقتل مدبرا أكثر ممن يقتل مقبلا .

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لخالد بن الوليد : آحرِصْ على الموت، توهَبْ لك الحياة .

وقالت الحكماء : آستقبال الموت خير من آستدباره .

١٠ وقال العلوىّ :

محرّمةٌ أكفالُ خيلى على القنا * وداميةٌ لبّاتُها ونحورُها

حرامٌ على أرماحِنا طعنُ مدبِرٍ * وتندقُّ منها فى الصدور صدورها

وقال أبو تمّام :

قلُّوا ولكنّهم طابوا فأنجدهم * جيشٌ من الصبر لا يُحصَى له عَددُ

١٥ اذا رأَوا للمنايا عارضًا لبسوا * من اليقين دروعا ما لها زَرد

نأوا عن المُصرِخِ[1] الأدنَى فليس لهم * إلا السيوفَ على أعدائهم مددُ

وما زالت العرب يتمادحون الموت قَعْصًا ، ويتسابّون بالموت على الفراش ، ويقولون فيه : مات فلانٌ حتفَ أنفه ، وأوّل من قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠ ومدح أعرابىّ قوما فقال : يقتحمون الحربَ كأنما يَلقونها بنفوس أعدائهم .

(١) كذا فى ديوان أبى تمام . وفى الأصول : «عن المصرح» بالحاء المهملة وهو تحريف .

وقال عبد الله بن الزبير لما بلغه قتل أخيه مُصْعَب : إن يُقتلْ فقد قُتِل أخوه وأبوه وعمـه ، إنا والله لا نموت حتفاً[1] ولكن قَعْصًا بأطـراف الرماح ، وموتاً تحت ظِلال السيوف .

وقال السموءل بن عادياء :

وما مات منا سيّد فى فراشه[2] * ولا طُلّ منا حيث كان قتيلُ

تسيل على حدّ الظُّباة نفوسُنا * وليست على غير الظُّباة تسيلُ

وقال آخر :

و إنا لتستحلى المنايا نفوسُـنا * ونترك أخرى مُرَّةً ما نذوقها

(٦٧) وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه يوم صِفّين، وقد قيل له : أتقاتل أهل الشأم بالغـداة ، وتظهر بالعشىّ فى إزار ورداء ؟ : أبالموت تخـوفوننى ! فوالله ما أبالى، أسقطت على الموت، أم سقط الموت علىّ. وقال لأبنه الحسن : لا تدعوَنَّ أحدا الى المبارزة، و إنْ دعيت اليها فأجب، فانّ الداعىَ اليها باغٍ، وللباغى مصرعٌ . وقال رضى الله عنه : بقية السيف أنمى عددا [وأطيب ولدا][3] يريد أن السيف اذا أسرع فى أهل بيتٍ كثر عددُهم ونمى [ولدهم][3] .

وقال آبن عباس رضى الله عنه : عُقِمت النساء أن تأتى بمثل علىّ بن أبى طالب رضى الله عنـه، لَعَهْدى به يومَ صِفّين، وعلى رأسه عِمامة بيضاء، وهو يقف على

(١) فى عيون الأخبار طبع دار الكتب (ص ٢٤٠) من المجلد الثانى : «إنا والله ما نموت حبجا ولا نموت الا قتلا قعصا ... الخ» والحبج : أن يأكل البعير لحاء العرفج فيرم بطنـه سمنا وربما قتـله ذلك . وفى لسان العرب بعد أن ذكر كلام ابن الزبير : «يعرض بنى مروان لكثرة أكلهم وإسرافهم فى ملاذ الدنيا وأنهم يموتون بالتخمة» وقعصه . (من باب قطع) : قتله مكانه .

(٢) الرواية المشهورة : «وما مات منا سيد حتف أنفه» .

(٣) الزيادة عن العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٣٨) .

شِرذِمةٍ شرذمة من النـاس ، يحضّهم على القتال، حتى آنتهى إلىّ ، وأنا فى كنف من الناس، وفى أُغيلمة من بنى عبـد المطّلب، فقال : يا معشر المسلمين، تجلببوا[1] السكينة، وأكملوا اللامةَ[2]، وأقلقوا السيوف فى الأغماد، وكافحوا بالظُّبا، وصِلوا السيوف بالخُطَا، فإنكم بعين الله، ومع آبن عم رسول الله صـلى الله عليه وسلم، عاودوا الكرّ، وآستحيوا من الفرّ، فإنه عار فى الأعقاب، ونار فى الحساب، وطيبوا على الحيـاة أنفسا، وسيروا الى الموت سيرا سُجُحا[3]، ودونكم هذا الرواق الأعظم، فاصبروا، فإن الشيطان راكب صَعْدَته[4]، قدِّموا للوثبة رِجلا ، وأخِّروا للنكوص أخرى، فصمدًا صمدًا، حتى يبلغ الحقُّ أجلَه ، والله معكم، ولن يَتِرَكم أعمالَكم، ثم صدَر عنا، وهو يقرأ : ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾.

وكان معاوية بن أبى سفيان يتمثل يوم صِفّين بهذه الأبيات :

أبتْ لى شيمتى وأبَى بلائى * وأخذى الحمدَ بالثمن الربيـــح
وإقدامى على المكروه نفسى * وضربى هامة البطلِ المُشيح
وقولى كلّمـا جشأت لنفسى[5] * مكانَك تُحمَـدِى أو تستريحى
لأدفع عن مآثرَ صالحـاتٍ * وأحمِىَ بعدُ عن عِرضٍ صحيح

(١) وردت هذه الخطبة فى نهج البلاغة لسيدنا على رضى الله عنه طبع بيروت مع بعض الاختلاف : بزيادة أو تغيير فى بعض الكلمات .

(٢) اللامة : الدرع ، وإكمالها أن يزاد عليها البيضة والسواعد .

(٣) السجح بضمتين : اللين السهل .

(٤) كذا فى الأصول . وفى نهج البلاغة : «فان الشيطان كامن فى كسره» .

(٥) الرواية المشهورة : «وقولى كلما جشأت وجاشت» كما فى العقـد الفريد وعيون الأخبار المجلد الثانى ص ١٩٣

وقال قَطَرِىُّ بن الفُجَاءة أمير الخوارج :

وقولى كلّمـا جشأت لنفسى (١) * من الأبطال ويحكِ لا تُراعِى

فإنكِ لو سألتِ بقـاءَ يومٍ (٢) * على الأجل الذى لك لم تطاعِى

فصـــبرا فى مجال الموت صبرًا * فمـا نَيْـل الخلود بمستطاعِ

سبيلُ الموت غايةُ كلِّ حىٍّ * وداعيه لأهل الأرض داعِى ٥

وقال عبد الله بن رواحة الأنصارىّ :

يا نفس إن لم تُقْتلى تموتِى * إن تسـلمى اليومَ فلا تفـوتِى

أو تُبتَـــلَىْ فطالمـا عُوفيتِ * هذى حياضُ الموت قدصَليتِ

وما تمنّيتِ فقـــد لَقيتِ * إن تفعـلى فعلَهما هُديتِ

* وإن تولّيت فقد شَقِيتِ * ١٠

يريد بقـــوله :

* إن تفعلى فعلهما هديُتِ *

فعلَ زيد بن حارثة ، وجعفر بن أبى طالب رضى الله عنهما ، وكانا قُتـلا فى ذلك اليوم بمُؤْتَةَ .

وكان على بن أبى طالب رضى الله عنـه ، يخرج كلّ يوم بِصفّين حتى يقف ١٥ بين الصفّين ويُنْشد :

من أىِّ يومىَّ من الموتِ أفرّْ * أيومُ لايُقـدَرُ أم يومُ قُدِرْ

فيومُ لا يُقـدَرُ لا أرهبـهُ * ثمَّ من المقدورلا ينجوالحذِرْ

---

(١) روى هذا المصراع فى حماسة أبى تمام وتذكرة الصمدى هكذا :

أقول لهـا وقد طارت شعاعا * من الأبطال ... ... الخ ٢٠

(٢) فى العقد الفريد : « ... حياة ... * سوى الأجل ... الخ » .

ومثله قول جرير من قصيدة أولها :

* هاجَ الفراق لقلبك المهتاجِ [(١)] *

منها :

قل للجبــان إذا تأخر سَرجُه * ما أنت من شَرك المنية ناج

٥ وقالت آمرأة من عبد القيس :

أبوا أن يَفرُّوا والقنــا فى نحورهم * ولم يبتغوا من خشية الموتِ سُلَّما

ولو أنهـــم فرُّوا لكانوا أعزَّةً * ولكن رأَوا صبراً على الموت أكرما

وقال حبيب بن أوس الطائى :

فأثبتَ فى مستنقع الموت رِجلَه * وقال لها من تحت أخْمَصك الحشرُ

١٠ وقد كان فوتُ الموت سهلًا فردَّه * عليه الحفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوعْرُ

غدَا غدوةً والحمــدُ نسجُ ردائه * فلم ينصرف إلا وأكفانُه الأجْرُ

تردَّى ثيابَ المو ت حُمْراً فما أتى [(٢)] * لها الليلُ إلا وَهْيَ من سندس خُضرُ

وقال :

قومٌ [(٣)] اذا لبسوا الحديدَ حسبتهم * لم يحسَبوا أن المنية تُخلَقُ

١٥ أُنظرْ بحيثُ ترى السيوف لوامعًا * أبدًا وفوق رءوسهـــم تتألّق

وقال الببّغاء :

يسعى الى الموت والقنا قِصَدٌ * وخيـــله بالرءوس تنتعلُ

كأنه واثق بأن له * عُمــرًا مُقيما وما له أجل

(١) رواية الشعر والشعراء لابن قتيبة : «هاج الهوى بفؤادك ... الخ» .

٢٠ (٢) كذا فى الأصول وفى ديوان أبى تمام : « فما دجى » .

(٣) فى العقد الفريد وديوان أبى تمام : « بله اذا ... الخ » .

وقال كعب بن مالك :

نَصِلُ السيوفَ اذا قصُرن بخطوِنا * قُـدُماً ونلحقُهـا اذا لم تَلحقِ

ومثله لبعض بنى قيس بن ثعلبة :

لو كان فى الألف منّا واحد فدعوا * مَنْ فارسٌ خالهم إياه يعنونا

إذا الكماة تنحّوا أن يُصيبهُـمُ * حدُّ الظبـاة وصلنـاها بأيدينـا

ومثله قول الآخر :

إذا قصُرتْ أسيافُنا كان وصلُها * خُطانا الى أعدائنـا فنقـاربُ (١)

ومثله قول وَدّاك بن ثُمَيْل المـازنىّ :

مَقاديمُ وصّالون فى الرَّوْع خَطوَهم * بـكلِّ رقيق الشَّفرتين يمـانى

اذا آستُنجِدوا لم يسألوا مَن دعاهُمُ * لأية حرب أم بأىّ مكان

وقال أبو تمـام فى سعة الخطو :

خَطْوٌ ترى الصارم الهندىّ منتصرا * به من (٢) المـازن الخَطّىّ منتصفا

وقال آخر :

كأنّ سيوفَه صيغت عقودا * تجول على الترائب والنحور

وسُمْرَ رماحه جُعلتْ هموما * فمـا يخطُرنَ إلا فى ضمـير

وأجود ما قاله محدَثٌ فى الصبر قول آبن الرومىّ :

أرى الصبر محمـودا وفيه مذاهبٌ (٣) * فكيف اذا مالم يكن عنـه مذهبُ

هناك يحقّ الصـبر والصبر واجبٌ * وما كان منـه كالضرورة أوجبُ

---

(١) فى تذكرة الصفدى : «فنضارب» بالضاد المعجمة .

(٢) رواية ديوان أبى تمام : «خطوا ... * فيه من المـازن الخ» .

(٣) كذا فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى وديوان ابن الرومى . وفى الأصول : «عنه» .

فشدَّ امرؤ بالصبر كفًّا فانه * له عصمةٌ أسبابُها لا تقضّبُ
هو المهربُ المنجى لمن أحدقتْ به * مكارهُ دهر ليس عنهنّ مَهرَبُ[(1)]
لبوس جمال جُنّةٌ من شَماتةٍ * شفاء أسى يُثْنَى به ويُثوَّبُ
فيا عجبا للشيء هذى خلالُه * وتارك ما فيه من الحظ أعجبُ
وقد يتظنّى الناس أنّ أساهمُ * وصبرَهمُ فيهم طباعٌ مُركَّبُ
فإنهما ليسا كشيء مُصرَّف * يصرّفه ذو نكبة حين يُنكَبُ
فإن شاء أن يأسَى أطاع له الأسى * وإن شاء صبرا جاءه الصبر يُجلَبُ
وليسا كما ظنوهما بل كلاهما * لكلّ لبيب مستطاعٌ مسبّبُ
يصرّفه المختارُ منا فتارةً * يُراد فيأتى، أو يُذاد فيذهبُ
اذا احتجّ محتجٌّ على النفس لم تكد * على قدر يُمنَى لها تتعتَّبُ[(2)]
وساعدَها الصبرُ الجميلُ فاقبلتْ * إليها له طوعا جنائبُ تُجنَبُ
وإن هو ماشاها الأباطيلَ لم تزل * تقاتل بالعتب القضاءَ وتُغلَبُ
فتضحى جزوعا إن أصابت مصيبةٌ * وتمسى هلوعا إن تعذّر مطلَبُ
فلا يعذرنّ التاركُ الصبرَ نفسَهُ * بأن قيل إن الصبرَ لا يُتكسَّبُ

ذكر ماقيل فى وفور العقل

قال الله تعالى : (إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) قال المفسرون : عبّر عن العقل بالقلب، لأنه محلّه وسكنه، وقال تعالى : (وَلِيَذَّكَّرَ

(١) كذا فى ديوان المعانى والأصول . وفى ديوان ابن الرومى : «منهنّ» .

(٢) كذا فى ديوان ابن الرومى . وفى الأصول وديوان المعانى : « ... لم يكد * على قدر ما يمنى له يتعتب » .

أُولُو ٱلْأَلْبَابِ)، وقال تعالى : (وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُو ٱلْأَلْبَابِ) . وقال تعالى : (هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِى حِجْرٍ) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أوّل ماخلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال وعزتى وجلالى ما خلقتُ خلقا أكرم علىّ منك بك آخذ وبك أعطى وبك أثيب وبك أعاقب" .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنّ الله تعالى قسّم العقل على ثلاثة أقسام فمن كنّ فيه كمُل عقلُه ومن لم يكنْ فيه جزءٌ منها فلا عقل له" ، قيل : يا رسول الله، ما أجزاء العقل ؟ قال : " حسن المعرفة بالله وحسن الطاعة لله وحسن الصبر على أمر الله " . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما آكتسب رجل مثل فضلِ عقلٍ يَهدى صاحبَه الى هدًى ويردّه عن ردًى وما تمّ إيمان عبدٍ ولا استقام دينُه حتى يكمُلَ عقله» .

وعن عمر رضى الله عنه أنه قال لتَميم الدّارِىّ : ما السؤدد فيكم ؟ قال : العقل، قال : صدقتَ، سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم كما سألتُك، فقال كما قلتَ، ثمّ قال : "سألت جبريل ما السؤدد فقال العقل" .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يارسول الله ، بأىّ شىء يتفاضل الناسُ فى الدنيا؟ قال : "بالعقل" قلت : وفى الآخرة؟ قال: "بالعقل" قلت: أليس إنما يُجزَوْن بأعمالهم ! فقال : " يا عائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله تعالى من العقل، فبقدر ما أُعْطُوا من العقل كانت أعمالهم و بقدر ما عملوا يُجزَوْن" .

وعن سعيد بن المسَّيب : أن عمر وأُبَىّ بن كعب وأبا هُريرة دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم،فقالوا : يا رسول الله، مَن أعلم الناس؟ قال :"العاقل" قالوا :

فمن أعبد الناس ؟ قال : "العاقل" قالوا : فمن أفضـل الناس ؟ قال : "العاقل" قالوا : أليس العاقلُ من تمّت[1] مروءتُه ، وظَهَرت فصاحتـه ، وجادتْ كفّـه ، وعظُمت منزلته؟ فقال عليه الصلاة والسلام : ﴿وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْـدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ . إن العاقل هو التقيّ وإن كان فى الدنيا خسيسا دنيـا .

وورد فى الأثر : «أن الله تعالى أنزل على آدم عليه السلام العقلَ والدينَ والحياءَ فاختار العقلَ؛ فقيل للدين والحياء آرتفعا، قالا : لا؛ قال : أفعَصَيتما أمرَ ربّكما؟ قالا : ما عَصَينا أمرَ ربّنا ولكنّا أُمِرنا أن نتبَع العقلَ حيث كان» .

وقال لقمان لابنه : إن غايةَ الشرف والسؤدد فى الدنيا والآخرة حسنُ العقل ، لأن العبدَ إذا حسُن عقلُه غطّى ذلك عيوبَه، وأصلح مساوِيَهُ، ورضى عنه خالقُه، وكفى بالمرء عقلا أن يسلَم الناس من شرّه .

وقيل : مكتوبٌ فى حكمة آل داود عليه السلام : على العاقل أن يكون عالمـا بأهل زمانه، مالكا للسانه، مقبلا على شانه .

وقال بعض الحكماء : كلّ شيء يعزّ إذا قلّ ، والعقل كلّما كان أكثر كان أعزّ وأغلى، ولو بيع لمـا آشـتراه إلا العاقلُ لمعرفته بفضـله؛ وأوّل شرف العـقل أنه لا يُشتَرى بالمـال .

قال أبو عطاء السندىّ :

فإن العـقلَ ليس له إذا ما * تذكّرتَ الفضائلَ من كِفاء

---

(١) كذا فى تذكرة الصفدى والإحياء للغزالى . وفى الأصول : «طهرت» .

وقالوا : العـلم قائد ، والعـقل سائق ، والنفس بينهما حرون[1] ، فاذا كان قائدٌ بلا سـائق هلكتْ ، وإن كان سائق بلا قائد أخذَتْ يمينا وشمـالا ، فاذا آجتمعا أجابت[2] طوعا أو كَرْها .

ذكر ما قيل فى حدّ العقل وماهيته وما وصف به

وقـد آختلف الحكماء فى حد العقل، فقيـل : حدّه الوقوف عنـد مقادير الأشياء قولا وفعلا . وقيل : النظر فى العواقب . وقال المتكلّمون : هو آسم لعلوم اذا حصلت للإنسـان صحّ تكليفُه . وقيـل : العـاقل من له رقيب على شهواته . وقيل : هو مَن عقَل نفسه عن المحارم. وقال عمرو بن العاص : أن يَعرِفَ خيرَ الخيريْن، وشرّ الشريْن .

قال أبو هلال : ومن العجب أن العرب تمثّلت فى جميـع الخصـال ، بأقوام جعلوهم أعلاما فيها ، فضربوا بها المثل اذا أرادوا المبالغة؛ فقالوا : أحلم من الأحنف ومن قيس بن عاصم؛ وأجودُ من حاتم ومن كعبِ بن مامة ؛ وأشجعُ من بِسطام؛ وأبين من سَحبان؛ وأرمَى من آبن تِقْنٍ ، وأعلمُ من دَغْفَل؛ ولم يقولوا : أعقـلُ من فلان ؛ فلعلّهم لم يستكملوا عقلَ أحدٍ ، على حسب ما قال الأعرابىّ ، وقد قيل له : حُدَّ لنا العقلَ ، فقال : كيف أحُدُّه ولم أره كاملا فى أحدٍ قطّ ؟ ! .

وقيـل لحكيم : ما جِماعُ العقل؟ فقال : ما رأيتـه مجتمعا فى أحدٍ فأصِفَه ، وما لا يوجد كاملا فلا حدّ له .

وقالوا : لكلّ شيء غاية وحدّ، والعقـل لا غاية له ولا حدّ، ولكن النـاس يتفاوتون فيه كتفاوت الأزهار فى الرائحة والطِّيب .

(١) فى العقد الفريد (ج ١ ص ١٩٨) : «ذود» .
(٢) فى العقد الفريد : «أنابت» .

وآختلفوا فى ماهيّة العقل، كما آختلفوا فى حدّه، فقال بعضهم : هو نور وضعه الله تعالى طبعا وغريزةً فى القلب، كالنور فى العين وهو البصرُ؛ فالعقل نورٌ فى القلب، والبصرُ نورٌ فى العين؛ وهو ينقص و يزيد، و يذهب و يعود، وكما يُدرَكُ بالبصر شواهدُ الأمور، كذلك يُدرَكُ بالعقل كثيرٌ من المحجوب والمستور؛ وعَمَى القلب كعَمَى البصر، قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ليس الأعمى من عَمِىَ بصرُه ولكنْ من عَمِيَتْ بصيرتُه" .

وقال عبد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتبةَ المعروف بالعتبىّ : العقل عقلان : عقلٌ تفرّدَ الله تعالى بصنعه، وهو الأصل؛ وعقلٌ يستفيده المرء بأدبه وهو الفرع ؛ فاذا آجتمعا قوّى كلّ واحدٍ منهما صاحبَه، تقويةَ النار فى الظُّلمة للبصر . نظم بعض الشعراء هذا اللفظ فقال — و يروى لعلىّ بن أبى طالب رضى الله عنه — :

رأيتُ العقلَ عقلين * فمطبوعٌ ومسموعُ
ولا ينفع مسموعٌ * اذا لم يك مطبوعُ
كما لا تنفع الشمسُ * وضوءُ العين ممنوعُ

وأكثرُ الناس على أنَّ العقلَ فى القلب، ودليله قوله عزّ وجلّ : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلٰكِنْ تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ .

و روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "العقل فى القلب يفرق به بين الحقّ والباطل" .

وقال بعضهم : هو فى الدماغ، وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه .

وأما ما وُصف به، فقيل : العقلُ وزير رشيد، وظهير سعيد؛ مَن عصاه أرداه، ومن أطاعه أنجاه .

وقال سَعيد بن جُبَير : لم ترعيناى أجلّ من فضلِ عقلٍ يتردّى به الرجلُ، إن آنكسر جبَره، وإن تصدّع أنعشَه، وإن ذلّ أعزّه، وإن آعوجّ أقامه، وإن عثر أقاله، وإن آفتقر أغناه، وإن عَرِى كساه، وإن غوَى أرشده، وإن خاف أمّنه، ٥
وإن حزِن أفرحه، وإن تكلّم صدّقه، وإن أقام بين أظهرِ قومٍ آغتبطوا به، وإن غاب عنهم أسفوا عليه، وإن بسط يدَه قالوا : جوادٌ، وإن قبضها قالوا : مقتصدٌ، وإن أشار قالوا : عالم، وإن صام قالوا : مجتهد، وإن أفطر قالوا : معذور . قال بعض الشعراء :

يُعَدُّ رفيعَ القوم من كان عاقلا * وإن لم يكن فى قومه بحسيبِ ١٠
وإن حلّ أرضا عاش فيها بعقله * وما عاقلٌ فى بلدةٍ بغـــريب

وقال بعض الحكماء : إذا غلَب العقلُ الهوى ، صرف المساوى الى المحاسن، فجعل البلادةَ حِلما، والحدّةَ ذكاءً، والمكرَ فطنةً، والهذرَ بلاغةً، والعِيَّ صمتًا، والعقوبةَ أدبا، والجُبنَ حَذَرا، والإسرافَ جُودا .

وقيل : لو صُوِّر العقلُ لأضاء معه الليلُ، ولو صُوِّر الجهلُ لأظلم معه النهارُ . ١٥
قال المتنبّى :

لولا العقولُ لكان أدنَى ضيغمٍ * أدنَى الى شرَف من الإنسـان

وقد نُدبَ الى صحبة العقلاء .

قال الزُّهرِىّ : اذا أنكرتَ عقلكَ، فاقدحْه بعاقلٍ . وقال آبن زُرارةَ : جالِس (٧٠)
العقلاءَ أعداءً كانوا أم أصدقاءَ، فإنّ العقلَ يقع على العقل . قال بعض الشعراء : ٢٠

عدوُّك ذو العقل أبقَى عليكَ * وأبقى من الوامقِ الأحمـقِ

وقال آخر :

لله دَرُّ العقـل من رائـد * وصاحبٍ فى اليسرِ والعسرِ
وحاكم يقضِى على غائبٍ * قضـيَّةَ الشاهـد للأمْرِ
وإنَّ شـيئًا بعضُ أحواله * أن يفصِلَ الخيرَ من الشرّ
له قُوًى قـد خصّـه ربُّه * بخالِص التقـديس والطُّهْرِ

٥

وقال آخر :

إذا لم يكن للمـرء عقـلٌ فإنه * وإن كان ذا قدر على الناس هيِّنُ
وإن كان ذا عقـل أُجِلَّ لعقـله * وأفضـلُ عقلٍ عقلُ من يَتَبيَّنُ

وقال آخر :

العقلُ حُلَّةُ فخـرٍ مَنْ تَسربلَها * كانت له نَسـبًا(١) يُغْنِي عن النَّسَب
والعقل أفضـل ما فى الناس كلِّهِمِ * بالعقل ينجو الفتى من حومة العطب

١٠

وقال ابن دُرَيد(٢) :

وأفضلُ قَسْمِ الله للمـرء عقلُه * فليس من الخيرات شيءٌ يقاربُهْ
فَزَينُ الفتى فى الناس صحّةُ عقله * وإن كان محظورا عليه مَكاسبُهْ
ويُزرِى به فى الناس قِلَّةُ عقله * وإن كَرُمتْ أعراقُه ومَنَاسِـبُهْ
اذا أكمل الرحمنُ للمرء عقلَه * فقـد كَمُلتْ أخلاقُـه ومآربُهْ

١٥

(١) كذا فى أحد الأصلين المفتوغرافيين . وفى الأصل الآخر : « ... نشبا يغنى عن النشب » . وفى الراغبية : « ... نسبا يغنى عن النشب » .

(٢) كذا فى الأصول . وفى أدب الدنيا والدين لأبى الحسن البصرى ص : طبع بولاق : أن هذه الأبيات من شعر إبراهيم بن حسان ، مع اختلاف يسير فى بعض كلماتها .

٢٠

وقال آخر :

ما وهبَ اللهُ لامرئٍ هِبـةً * أشرفَ من عقله ومن أدبهْ
هما جمـال الفتى فإن عُدِمَا * فإنَّ فقـدَ الحياة أنفعُ به

وقال آخر :

ولم أرَ مثـلَ الفقر أوضـعَ للفـتى * ولم أرَ مثل المـال أرفعَ للنَّـذْلِ ٥
ولم أرَ من عُدْمٍ أضرَّ على الفـتى * اذا عاش بين الناس من عَدَمِ العقلِ

ذكر ما قيل فى الصـدق

قال الله عزّ وجلّ مبشّرا للصادقين : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ ٱلصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُـمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ . ١٠

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "تحرَّوْا الصـدقَ فإن الصدقَ يَهدى الى البِرّ والبِرَّ يَهدى الى الجنة، و إن المرء ليتحرّى[1] الصدقَ حتى يُكتَبَ صِدِّيقا" .

وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله، ما عَمَلُ أهلِ الجَنة؟ قال : "الصدق اذا صـدق العبد بَرّ واذا بَرّ أمِنَ واذا أمِنَ دخل الجنَّـة" . قال : يا رسول الله، ما عمل أهل النار؟ ١٥
قال : "الكذب اذا كَذَب العبدُ فَجَر واذا فجر كفر واذا كفر دخل النار" .

وعن عائشـة رضى الله عنها قالت : سألت رسولَ الله صلى الله عليـه وسلم، بمَ يُعرَفُ المؤمنُ؟ قال : "بوقاره ولِين كلامه وصدقِ حديثـه" . ومن كلام علىّ

(١) فى الإحياء للغزالى : « ... و إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا » .

رضى الله عنه : [علامة] الإيمان أن تؤثر الصدقَ حيث يضرّك، على الكذب حيث ينفعك .

وقال بعض الحكماء : الصدق أزينُ حلية، والمعروف أربح تجارة، والشكر أدوم نعمة . وقال بعضهم : رأيت أرسطاطاليس فى المنام، فقلت : أىّ الكلام أحسن؟ فقال : ما صدق قائله ، قلتُ : ثمّ ما ذا؟ قال : ما آستحسنه سامعه، قلت : ثمّ ما ذا ؟ قال : كل كلام جاوز هذا فهو ونهيقُ الحمارِ بمنزلةٍ .

وقال الأحنف لأبنه : يا بنىّ، يكفيك من شرف الصدق، أن الصادق يُقبَل قولُه فى عدوّه، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يُقبل قولُه فى صديقه ولا عدوّه ؛ لكلّ شىء حليةٌ، وحليةُ المنطق الصدقُ . الصدق يدل على آعتدال وزن العقل .

قال عامر بن الظَّرِب العَدْوانىّ فى وصيّته : إنى وجدتُ صدق الحديث طرفا من الغيب فآصدُقوا. من لزم الصدق وعوّده لسانه، فلا يكاد يتكلّم بشىء يظنّه، إلا جاء على ظنّه .

وقالوا : ما السيف الصارم فى كفّ الشجاع بأعز من الصدق .

وقيل : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه، بعجوز تبيع اللبن [فى سوق الليل] ، فقال لها : يا عجوز، لا تَغُشِّى المسلمين، ولا تشوبى لبَنك بالماء، قالت : نعم يا أمير المؤمنين؛ ثم مرّ بها بعد ذلك، فقال : يا عجوز، ألم أعهَد إليك ألّا تشو بى لبَنك بالماء؟ فقالت : والله ما فعلتُ يا أمير المؤمنين، فتكلّمت بنتٌ لها من داخل الخِباء ، فقالت : يا أمّاه، أغِشًّا وحِنْثًا جمعتِ على نفسك ! فسمعها عمر

(١) زيادة عن تذكرة الصفدى يقتضيها السياق .

فأعجبته، فقال لولده : أيّكم يتزوجها ؟ فلعلّ الله أن يُخرج منها نَسَمةً طيّبةً ، فقال ٱبنه عاصم : أنا أتزوّجها يا أمير المؤمنين، فزوّجها منه، فأولدها أمّ عاصم، تزوّجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز .

ورُوِىَ أنّ بلالا لم يكذب منــذ أسلم، فبلغ ذلك بعض من يحسُــده [فأراد أن يُعنِته] [1]، فقال : اليوم أُكَذِّبه، فسايره فقال له : يا بلال ما سنّ فرسك؟ قال: عَظْمٌ، قال : فمــا جريه ؟ قال : يُحضِر ما استطاع، قال : فأين تنزل؟ قال : حيث أضع قدمى، قال : ٱبنُ من أنت ؟ قال : ٱبن أبى وأمى، قال : فكم أتى عليك؟ قال : ليالٍ وأيامٌ، الله أعلم بعددها ، قال : هيهات، أعيتْ فيك حيلتى، ما أتعنت [2] بعد اليوم أبدا .

ذكر ما قيل فى الوفاء والمحافظة والأمانة

قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ . وقال تعالى : ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ . وقال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ . وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ .

وروى : أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصدّيق رضى الله عنه : "عليك بصدق الحديث ووفاءِ العهد وحفظِ الأمانة فإنها وصيّة الأنبياء" .

كان أبو العاص بن الربيع بن عبــد العُزّى بن عبد شمس ، خَتَن [3] رســول الله صلى الله عليه وسلم على ٱبنتــه زينب تاجرا تُضاربه قريشٌ بأموالهم، فخرج الى الشام

---

(١) زيادة عن تذكرة الصفدى تناسب المقام .

(٢) كذا فى تذكرة الصفدى . وفى الأصول : «ما أتعب ...» وهو تحريف .

(٣) الختن : الصهر أو كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ .

سنة الهجرة، فلما قَدِم عرَض له المسلمون فأسروه، وأخذوا ما معه، وقدموا به المدينة ليلا، فلما وصلوا الفجرَ، قامت زينب على باب المسجد، فقالت : يا رسول الله، قد أجرتُ أبا العاص وما معه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قد أجَرْنا من أجَرتِ" ودفع إليه ما أخذوه منه، وعرضَ عليه الإسلام، فأبَى، وخرج الى مكّة، ودعا قريشا، فأطعمهم، ثم دفع إليهم أموالَهم، ثم قال : هل وفَيتُ ؟ قالوا : نعم، قد أدّيتَ الأمانةَ ووَفَيْتَ، قال : آشهدوا جميعا أنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وما منعنى أن أُسلم إلا أن تقولوا : أخذ أموالَنا، ثمّ هاجر، فأقرّه رسول الله صلى الله عليه وسلم على النكاح، وتُوفّى فى سنة آثنتى عشرة .

وقيل لمّا قوى أمرُ بنى العباس وظهر قال مروان بن محمد لعبد الحميد بن يحيى كاتبه : إنّا نجد فى الكتب، أن هذا الأمرَ زائل عنا لامحالةَ، وسيظهر اليك هؤلاء القوم، يعنى ولد العباس، فصِرْ إليهم، فإنى لأرجو أن تُمكّن منهم، فتنفعنى فى مخلفى وفى كثير من أمورى، فقال : وكيف لى بعلم الناس جميعا أنّ هذا عن رأيك، وكلّهم يقول : إنى غدرت بك، وصرت إلى عدوّك ؟ وأنشد :

أُسِرّ وفاءً ثم أُظهرُ غَدْرَةً * فمَن لى بعُذرٍ يوسع الناسَ ظاهِرُهْ

ثم قال :

ولومٌ ظاهرٌ لا شكّ فيه * للائمه وعذرى بالمغيبِ

فلما سمع مروان ذلك، علم أنه لا يفعل؛ ثم قال له عبد الحميد : إن الذى أمرتَنى به، لأنفعُ الأمرين لك وأقبحهما بى، ولك علىّ الصبر معك، الى أن يفتح الله عليك، أو أقتلَ معك .

والعرب تضرِب المثل فى الوفاء بالسموءل بن عادياء الأزدىّ، وقيل : إنه من ولد الكاهن بن هارون بن عمران، وكان من خبره، أن آمرأ القيس بن حُجْر أودعه

أدراعا مائة، فأتاه الحارث بن ظالم، ويقال الحارث بن أبى شمر الغسّانىّ، ليأخذها منه، فتحصّن منه السموءل، فأخذ آبنا له غلاما وناداه: إما أن أسلمتَ إلىّ الأدرع، وإما أن قتلتُ آبنك، فأبى أن يسلمَها، فقتل آبنه بالسيف، ففى ذلك يقول:

وفَيتُ بأدْرُعِ الكِنْدىِّ إنى * اذا ما القومُ قد غدَرُوا[1] وفَيتُ
وأوصَى عادِيَا يوما بألّا * تُهَــدِّم يا سموءلُ ما بَنَيتُ

وفيه يقول الأعشى:

كن كالسموءل إذْ طاف الهُمامُ به * فى جَحْفَـلٍ كَسَواد الليـل جرّارِ
الأبلقُ الفرد من تَيْمَاء منزِلُه * حِصن حصينٌ وجارٌ غيرُ غَدّارِ
قـد سامه خُطّتَىْ خسفٍ فقال له * قـل ما بدَا لك إنى سامعٌ حَارِ[2]
فقـال ثكل وغدر أنت بينهما * فآختَر وما فيهما حظٌّ لمختـارِ
فشـكّ[3] غير طـويل ثم قال له * اقتـلْ أسيرَك إنّى مانع جارى

ومن وفاء العرب ما فعـله هانئ بن مسعود الشّيْبانى، حتى جرّ ذلك يوم ذى قار؛ وكان من خبره: أن النعمان بن المنـذر لما خاف كسرى، وعلم أنه لا منجى منه ولا ملجأ، رأى أن يضع يده فى يده، فأودع ماله وأهله عند هانئ، ثمّ أتى كسرى فقتله، وأرسل الى هانئ يطالبه بوديعـة النعمان، وقال له: إن النعمان كان عاملى، فابعث الىّ بوديعته، وإلّا بعثتُ اليك بجنود تقتل المقاتلة وتَسْبِى الذُّرّية؛ فبعث اليه هانئ: إن الذى بلغك باطل، وإن يكن الأمر كما قيل، فأنا أحد رجلين: إما رجل

---

(١) فى الكامل المبرد ص ٣٤١ طبع ليبزج: «اذا عاهـدت أقواما ... الخ». وفى المحاسن والأضداد للجاحظ والمحاسن والمساوى للبيهقى: «اذا ما خان أقوم .. الخ». وفى تذكرة الصفدى: «اذا ما ذم أقوام ... الخ».

(٢) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة: «خيره ... الخ».

(٣) كذا فى الشعر والشعراء. وفى جميع الأصول: «فكر ... الخ».

استُودع أمانةً، فهو حقيق أن يردّها على من آستودعه إياها، ولن يسلّم الحرّ أمانته، أو رجل مكذوب عليه، وليس ينبغى للملك أن يأخذه بقول عدوّ؛ فبعث كسرى اليه الجنود، وعقد لإياس بن قبيصة على جميع العرب، وبعث معه الكَتيبة الشّهْباء والأساوِرة[1]، فلما آلتقوا، قام هانئ بن مسعود، وحرّض قومه على القتال، وجرى بينهم حروب كثيرة ليس هذا موضع ذكرها، وسنذكرها إن شاءالله فى وقائع العرب، فانتصر هانئ وآنهزمت الفُرْس، وكانت وقعة مشهورة .

قيل : وكان مِرْداس فى سجن عبيد الله بن زياد بن أبيه ، فقال له السّجان : أنا أُحِبّ أن أُولِيَك حسنة ، فإن أذنتُ لك فى الآنصراف الى دارك أتُدلج علىّ ؟ قال : نعم، فكان يفعل ذلك به؛ فلما كان ذات يوم، قتل بعضُ الخوارج صاحبَ شرطة آبن زياد ، فأمر أن يقتل مَن فى السجن من الخوارج، وكان مرداس إذ ذاك خارجا، فقال له أهله : آتّق الله فى نفسك، فإنك مقتول إن رجعت، فقال : ما كنت لألقى الله غادرا، وهذا جبّار، ولا آمن أن يقتلَ السجّانَ؛ فرجع وقال للسجّان : قد بلغنى ما عزم صاحبك عليه من قتل أصحابنا ، فبادرت لئلا يلحقَك منه مكروه؛ فقال له السجّان : خذ أىّ طريق شئت، فانج بنفسك .

خرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المُهَلّب الى بعض جبابين الشأم، وإذا بامرأة جالسة عند قبر تبكى ، فجاء سليمان ينظر اليها . فقال لها يزيد ، وقد عجب سليمان من حسنها : يا أَمَةَ الله، هل لك فى أمير المؤمنين؟ فنظرت إليهما، ثم نظرت الى القبر، وقالت :

---

(١) الأساورة جمع اسوار بالضم والكسر : وهو قائد الفرس . وفى تذكرة الصفدى : «ومعه كتيبته الشهباء والدوسر» . والدوسر : كتيبة النعمان .

فإن تسألانى عن هواىَ فإنّه * بِحَـوماء هـذا القبرِ يا فتيانِ
و إنى لأَستحْيِيه والتُّربُ بيننا * كما كنتُ أستحييه وهو يرَانِي

ومن أحسن الوفاء ما حكى عن نائلة بنت الفَرَافِصة زوج عثمان بن عفّان رضى الله عنه : أن معاوية خطبها فردّته، وقالت : ما يُعجِب الرجالَ منّى؟ قالوا : ثناياك، فكسرتْ ثناياها، و بعثت بها الى معاوية، فكان ذلك مما رغّب قريشا فى نكاح نساء كلب . وآمرأة هُـذْبة لمـا قُتِـل زوجها قَطَعت أنفَها وشفَتيْهَا، وكانت جميـلة الوجه، لئلا يُرغَبَ فيها .

وحيث ذكرنا الوفاء والمحافظة فلنذكر بيعة خليفـة ويَمِينٍ، ذكرها بعض أهل الأدب فى تصنيفه، وهى: تُبَايِع عبدَالله الإمام أميرالمؤمنين، بيعة طوع و إيثار، ورِضا وآختيار، وآعتقاد و إضمار، و إعلان و إسرار؛ و إخلاص من طويّتك، وصدق من نيتك، وآنشراح من صدرك، وصحة من عزيمتك؛ طائعا غير مُكْرَه، ومنقادا غيرَ مُجْبَرَ، مقرًّا بفضلها، مُذْعِنا بحقها، ومعترِفا ببركتها، ومُعتدًّا بحسن عائدتها، وعالِمـا بما فيها؛ وفى توكيدها من صلاح الكافّة، وآجتماع كلمة الخاصة والعامّة، ولمّ الشَّعثِ، وأمْنِ العواقب، وسكون الدّهْمَاء، وعِزّ الأولياء، وقَمْع الأعداء؛ على أن فلانا عبـد الله وخليفته المفتَرَض عليك طاعتُه، الواجبة على الأمة إمامته وولايته، اللازم لهم القيام بحقّـه والوفاء بعهده؛ لا تَشُكّ فيه، ولا ترتاب به، ولا تُداهِن من أمره، ولا تميل [الى غيره][(1)]؛ ولكنك ولىّ أوليائه، وعدوّ أعدائه، من خاصّ وعامّ، وقريب و بعيد، وحاضر وغائب؛ متمسك فى بيعته بوفاء العهد، وذمّة العقد؛ سريرتُك مثل علانيَتِك، وضميرك فيه وَفْق ظاهرك، على أن إعطاءك هذه البيعة من نفسك، وتوكيدك إياها فى عنقك، لفلان أمير المؤمنين، على سـلامة من قلبك، وآستقامة من عزمك،

(١) التكملة من تذكرة الصفدى .

وآستمرار من هواك ورأيك ؛ على ألّا نتأول عليـه فيها ، ولا تسعى فى نقض شىء منها ، ولا تقعد عن نصرة له فى الرخاء والشدّة ، ولا تدع النُّصْح له فى كل حال راهنة وحادثة ؛ حتى تلقى الله مُوفِيا بها ، مؤدّيا للأمانة فيهـا ، إذ كان الذين يبايِعون وُلَاة الأمر وخلفاء الله فى الأرض ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ﴾ . عليك بهـذه البيعة التى طوّقتها عنقك ، وبسطت لهـا يدكَ ، وأعطيت ما شُرط عليك فيها : من وفاء ونُصْح ومُوَالاة ومشايعة ، وطاعة وموافقة ، وآجتهاد ومبالغة ؛ عهد الله إن عهده كان مسئولا . وما أخذ الله على أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وعلى من أخذ من عباده من مؤكّدات[1] مواثيقه ، ومُحْكَمَات عهوده ، وعلى أن تُمسك بهـا فلا تُبدل ، وتسـتقيم فلا تميل . وإن نكثتَ هـذه البيعة ، وبدّلتَ شرطا من شروطها ، أو عفّيتَ رسما من رسومها ، أو غيّرتْ حكما من أحكامها ، معلنا أو مسرّا ، محتالا أو متأولا ، أو زُغْتَ عن السبيل التى يسلكها من لا يخفِر[2] الأمانة ، ولا يستحِلّ الغدر والخيانة ، ولا يستجيز حلّ العقود و[ختر][3] العهـود ، فكلّ ما تملكه من عين أو وَرِق ، أو آنية أو عَقَار ، أو سائمـة أو زرع أو ضرع أو غير ذلك من صنوف الأملاك المعتقدة ، والأموال المدّخرة ، صدقة على المساكين ، يحرّم عليك أن ترجع شيئا من ذلك الى مالك بحيلة من الحيل على وجه من الوجوه ، أو سبب من الأسباب ، أو مخرج من مخارج الإيمان ؛ فكلّ ما تفيده عمرَك من مال يقلّ خطره أو يجلّ فتلك سبيله الى أن نتوفاك [منيتك[4] ، أو يأتيـك

---

(١) كذا فى تذكرة الصفدى . وفى الأصول : « من وكدات » .

(٢) كذا فى تذكرة الصفدى . وفى الأصول : « من لا يحتقر الأمانة » وهو خطأ .

(٣) زيادة عن تذكرة الصفدى .

(٤) الكلام الذى يبتدئ بهذا المربع ينتهى فى صحيفة ٢٥٠ بمربع مثله هو ساقط بالأصل الفتوغرافى ويقع فى صحيفتى (٧٣ و ٧٤) وقد نقلناه من النسخة الراغبية والأصل الفتوغرافى الآخر .

أجلك؛ وكل مملوك لك اليوم من ذكر أو أنثى أو تملكه الى آخر أيامك؛ أحرار سائبون لوجه الله تعالى، ونساؤك يوم يلزمك الحِنْث ومن تتزوج[1] بعدهن مدة بقائك طوالق ثلاثا، طلاق الحَرَج والسنّة لا مثنويّة فيها ولا رجعة؛ وعليك المشى الى بيت الله الحرام، ثلاثين حِجّة حافيا راجلا، لا يرضى الله منك إلا بالوفاء بها، ولا يقبل الله صرفا ولا عدلا، وخَذَلك يوم تحتاج اليه، و برَّأك من حوله وقوّته، وألجأك الى حولك وقوّتك؛ والله عز وجلّ بذلك شهيد. وَكَفَى بِاللهِ شَهِيداً، والله على ما نقول وكيل.

ذكر ما قيل فى التواضع

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. وقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾. وقال قتادة فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ قال: هم المتواضعون. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل على الأرض تواضعا.

وقال أنس بن مالك: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المريض و يتبع الجنائز ويجيب دعوة المملوك و يركب الحمار، ولقد رأيته يوم حُنَين على حمار خِطَامه ليف. وقال صلى الله عليه وسلم: "إن العفو لا يزيد العبد إلا عزّا فاعفُوا يُعزّكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رِفْعة فتواضعوا يرفعكم الله وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدّقوا يزدكم الله". وقال عروة[2] بن الزبير: التواضع أحد مصايد الشرف، وفى لفظ: التواضع سلّم الشرف. وقال جعفر بن محمد:

(١) كذا فى تذكرة الصفدى. وفى الأصول: «ما سروح».

(٢) كذا فى الأصول. وفى تذكرة الصفدى: «قال عمرو بن الزبير... الخ». وفى المعارف لابن قتيبة: أن عروة وعمرا كلاهما من ولد الزبير.

رأس الخير التواضع، فقيل له : وما التواضع ؟ فقال : أن ترضى من المجلس بدون شرفك،وأن تُسَلِّم على من لَقِيت، وأن تترك المِرَاء و إن كنت مُحِقًّا . وقد روى عن على رضى الله تعالى عنه ولم يذكر المِرَاء فيه، و زاد فيه : وتكره الرياء والسمعة . وقيل : ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة . وقيل : التواضع نعمة لا يفطن لها الحاسد . وقيل : التواضع كالوَهْدة يجتمع فيها قَطرها وقطر غيرها . وقال عبد الله بن المعتز : متواضِع العلماء أكثرهم علما، كما أن المكان المنخفض أكثرُ الأماكن ماءً.

وكان يحيى بن خالد يقول : لست أرى أحدا تواضع فى إمارة إلا وهو فى نفسه أكبر مما نال من سلطانه .

ومن التواضع المأثور ما رُوِى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه مرَّ ويَدُه على المُعَلَّى بن الجارود، فلقيته آمرأة من قريش، فقالت له : يا عمر، فوقف لها، فقالت له : كنا نعرفك مرّة عُمَيْرا ثم صرتَ بعدَ عُمَيْرٍ عُمَرَ ثم صرت بعد عمرَ أميرَ المؤمنين، فاتق الله يابنَ الخطّاب، وآنظر فى أمور الناس، فإنه من خاف الوعيد، قرب عليه البعيد، ومن خاف الموت خشى الفوت؛ فقال لها المعلّى : إيهًا ! إليك يا أمَةَ الله لقد أبكيتِ أمير المؤمنين! فقال له عمر : أتدرى مَنْ هذه؟ ويحك! هذه خَوْلة بنت حكيم التى سمع الله قولها من سمائه، فعمرُ أحرى أن يسمع قولها ويقتدىَ به .

وقال عدىّ بن أرْطاة لإياس بن معاوية : إنك لسريع المِشْية؛ قال : ذلك أبعد من الكِبْر وأسرع الى الحاجة .

وقال عمر رضى الله عنه — وقد قيل له مثل هذا — : هو أنجح للحاجة وأبعد من الكِبْر، أما سمعت قوله عز وجل : ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ .

وقد مدح الشعراء أهل التواضع، فمن ذلك قول أبى تمّام حبيب :

مُتَبَذِّلٌ فى القوم وهو مُبَجَّلٌ * متواضع فى الحَىِّ وهو مُعَظَّمُ

وقال آخر :

متواضع والنُّبْلُ يَحْرُسُ قدرَه * وأخو النباهة بالنباهة يَنْبُـلُ

وقال البحترىّ :

دَنَوْتَ تواضعًا وعلَوْتَ مجـدًا * فشأناك آنحـدارٌ وآرتِفـاعُ

كذاك الشمسُ تبعد أن تُسامَى * و يدنو الضوء منهـا والشُّعَاع

وقال أبو محمد التيمىّ :

تواضعَ لمـا زاده اللهُ رِفعةً * وكلُّ رفيع قدرُه متواضعُ

وقال آخر :

دَنوتَ تواضعا وعلوتَ قدرا * ففيك تواضـعٌ وعُلُوُّ شانِ

ذكر ما قيل فى القناعة والنزاهة

جاء فى تفسير قوله تعـالى : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ أن المراد بالحياة الطيبة : القناعة .

وقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : " القناعة مالٌ لا يَنْفَدُ " . وقال عليه السـلام : " ما عَالَ مَنِ آقتَصَد " .

ومن كلام على رضى الله عنه : كفى بالقناعة مُلْكا، و بحسن الخُلُق نعيما .

وقال جعفر بن محمد : ثمرة القناعة الراحة .

وقال علىّ بن موسى : القناعة تجمع الى صيانة النفس وعز القدرة، طَرْحَ مُؤَن الآستكثار والتعبّد لأهل الدنيا ، ولا يسلُك[1] طريقَ القناعة إلا رجلان : إما متقلِّلٌ يريد أجرَ الآخرة، أو كريمٌ يتنزّه عن آثام[2] الدنيا .

(١) كذا فى تذكرة الصفدى وهو الأنسب بالمقام : وفى الأصول : « ولا ملك » .

(٢) فى تذكرة الصفدى : « عن لئام » .

وقال : الراضى القانع يعيش آمنا مطمئنا مستريحا مريحا ، والشَّرِهُ [الحريص][1] لا يعيش إلا تعِباً نَصِباً فى خوف وأذًى .

وقال بعض الحكماء : عزّ النزاهة أحبّ الىّ من فرح الفائدة، والصبر على العسرة أحبّ الىّ من ٱحتمال المِنَّة . وقال أبو ذؤيب الهُذَلِىّ :

والنفسُ راغبةٌ اذا رغّبتَها * وإذا تُرَدُّ الى قليل تَقْنَعُ

وقال سالم بن وابصة[2] :

غِنَى النفسِ ما يكفيك فِى سَدِّ فاقةٍ * فإن زاد شيئا عاد ذاك الغنَى فَقْرا

وقال أبو هلال العسكرى :

أَلَا إنَّ القناعة خيرُ مالٍ * لِذى كَرَمٍ يروح بغيرِ مالِ

وإن يَصبِرْ فإن الصبرَ أولى * بمَنْ عَثَرتْ به نُوَبُ الليالى

تَجمّلْ إن بُلِيتَ بسوء حالٍ * فإنّ من التجمُّلِ حسنَ حالِ

ذكر ما قيل فى الشكر والثناء

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ فالشكر مما يوجب الزيادة .

وقال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : لا يُزَهِّدك فى المعروف من لا يشكرك عليه ، فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشىء منه ، وقد يُدرِكُ من شكر الشاكر أكثر مما أضاع الكافر ، وٱللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ .

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) كذا فى شرح القاموس وتهذيب التهذيب وتذكرة الصفدى . وفى الأصول : « وامضة » وهو تحريف .

ومما تَعْزُوه الفرس الى إسفنديار : الشكر أفضل من النعمة ، لأنه يبقى وتلك تفنى .

وقال موسى بن جعفر : المعروف لا يَفُكُّه إلا المكافأة أو الشكر . وقال : قلّة الشكر تُزَهِّد فى ٱصطناع المعروف .

وقيل : إذا قصُرت يدك عن المكافأة فليَطُلْ لسانك بالشكر . وقيل : للشكر ثلاث منازل : ضمير القلب، ونشر اللسان، ومكافأة اليد . قال الشاعر :

أفادتكُمُ النَّعْماءُ منِّى ثلاثةً * يدى ولسانى والضميرَ المُحَجَّبا

وقال يحيى بن زياد الحارثىّ بن كعب :

حلفتُ بربِّ العِيس تَهْوِى بركْبِها * الى حَرَمٍ ما عنه للناس مَعْدِلُ

لَمَا يبلُغُ الإنعامُ فى النفع غايةً * على المرء الّا مبلغُ الشكر أفضلُ

ولا بلغتْ أيدى المُنيلينَ بَسْطةً * من الطَّول إلّا بسطةُ الشكرِ أطولُ

ولا ثقُلتْ فى الوزن أعباءُ مِنّةٍ * على المرء إلا مِنّةُ الشكر أثقلُ

فمَنْ شكرِ المعروفَ يوما فقد أتى * أخا العرف من حُسن المكافاة مِنْ عَلُ

وقال رجل من غَطَفان :

الشكر أفضلُ ما حاولتَ ملتَمِساً * به الزيادةَ عند الله والناس

وقال أبو نُخَيْلة[1] :

شكرتُك إنّ الشكرَ حَبْلٌ من التُّقَى * وما كلّ من أوليتَه نِعمةً يقْضِى

ونبّهتَ لى ذِكْرى وما كان خامِلاً * ولكنّ بعضَ الذِّكْرِ أنبهُ منْ بعضِ

(١) كذا فى الأغانى طبع بولاق (ج ١٨ ص ١٤٠) والقاموس . وفى الأصول : «أبو بجيلة» بالياء والجيم ، وهو تحريف .

وقال آخر :

ساشكُرُ عمرًا ما تراختْ مَنيَّتي * أَيادِيَ لم تُمْنَنْ و إن هِي جَلَّتِ

فتًى[(١)] غيرُ محجوبِ الغِنى عن صديقه * ولا مُظهِرُ الشكوى إذا النعلُ زَلَّتِ

رأى خَلَّتي من حيث يَخفَى مكانُها * فكانتْ قَذَى عينيهِ حتَّى تَجَلَّتِ

٥ وقال أبو تمام :

كَمْ نِعمةٍ منك تَسَرْبلتُها * كأنها طُرَّة بُردٍ قَشيب

من اللواتى إن وَنَى شاكر * قامت لمُسْديها مقامَ الخطيب

وقال أبو عُيَيْنة[(٢)] بن محمد بن أبي عيينة المُهَلَّبي :

ياذَا اليَمِينَين قد أوليتَني مِنَنًا * تَتْرَى هي الغايةُ القُصْوى من المِنَنِ

١٠ ولستُ أستطيع من شكرٍ أجىءُ به * إلّا ٱستطاعة ذِي جِسْمٍ وذي بدنِ

لو كنتُ أعرِف فوقَ الشكر منزلةً * أوفى من الشكر عند الله في الثَّمَنِ

أخلصتُها لك من قلبي مُهَذَّبةً * حَذْوًا على مثل ماأوليتَ من حَسَنِ

قالوا : وأجود ما قيل في عِظَم النعمة وقصور الشكر من قديم الشِّعر، قول طُرَيح ابن إسماعيل :

١٥ سعيتُ ٱبتغاء الشكر فيما صنعتَ لى * فقصّرتُ مغلوبا و إنى لشاكرُ

لأنك تُولِينى الجميلَ بَدَاهةً * وأنت لما ٱستكثرتُ من ذاك حاقِرُ

فأَرْجِعُ مَغْبوطا وترجِعُ بالّتِي * لها أوّلٌ في المَكرماتِ وآخِرُ

وقال دِعْبِل :

هجَرتُك لا عن جَفوةٍ وملالةٍ * ولا لِقِلًى أبطأتُ عنك أبا بكرِ

٢٠ (١) في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري : * فتى غير مفراح إذا الخير مسه *

(٢) كذا في الشعر والشعراء لابن قتيبة والاغاني (ج ٥ ص ٩) طبع بولاق. وفي الاصول : «عتبة».

ولكنّى لما أتيتك راغبًا * فأفرطتَ فى برِّى عجزتُ عن الشكر
فَلَآن[1] لا آتيك إلّا تعذُّراً * أزورك فى الشهرين يوما وفى الشهر
فان زدتَ فى برّى تزايدتُ جفوةً * فلا نلتقى حتى القيامة والحَشْر

وقال البحترىّ :

هاتِيك أخلاقُ إسماعيل فى تَعَبِ * من العُلَا والعُلا منهنّ فى تعبِ ٥
أدأبت[2] شكرى فأمسى منك فى نَصَبِ * أقصِرْ[3] فمالىَ فى جَدْواك من أَرَبِ
لا أقبلُ الدهرَ نَيْلا لا يقوم له * شكرى ولو كان يُسديه إلىّ أبِى
لما سألتُك وافانى نَدَاك على * أضعافِ شكرى[4] فلم أظفَرْ ولم أخِبِ

وقال أيضا :

إنى هجرتُك إذ هجرتك وَحْشةً * لا العَودُ يُذْهبُها ولا الإبداءُ ١٠
أخجلتَنِى بندَى يدَيْك فسوّدتْ * ما بيننا تلك اليدُ البيضاءُ
وقطعتنى بالجود حتّى إنّنى * مُتَخوِّفٌ ألّا يكون لِقاءُ
صِلةٌ غدَتْ للناس وهى قَطِيعةٌ * عَجَبًا وبِرٌّ راح وهو جَفَاءُ
لَيُوَاصِلَنّك ركْبُ شِعرٍ سائرٍ * يرْويه فيك لحسنه الأعداءُ
حتى يَتِمّ لك الثناءُ مُخَلَّدًا * أبدا كما تمّتْ لك[5] النّعماءُ ١٥
فتظلّ تحسُدُك الملوكُ الصِّيدُ بى * وتظلّ تحسُدنى بك الشعراءُ

(١) فلآن ، أى فمن الآن .
(٢) فى ديوان البحترى (ج ٢ ص ٦٤) طبع الاستانة : «أتعبت»
(٣) فى ديوان البحترى : «فاذهب ... الخ» .
(٤) فى ديوان البحترى : « ... ظنى فلم أحفق ... الخ» .
(٥) فى ديوان البحترى : « لى » . ٢٠

وقال الحسن بن هانئ :

قـد قلتُ للعبّاس معتـذرًا * من ضَعْفِ(1) شكريهِ ومعترفا

أنت آمرؤ جلّلتَـنِي نِعَـمًا * أوهتْ قُوَى شكرى فقد ضَعُفَا

لا تُسْـديَنّ إلىّ عارفـةً * حتّى أقومَ بشكر ما سَلَفَا

٥ وقال الحسين بن الضحاك للواثق من أبيات :

إذا كنتُ من جَدْواك فى كلِّ نعمةٍ * فلا كنتُ إن لم أفنِ عُمْرى بشكركا

وقال البحترىّ :

إذا أنا لم أشكر لنُعماك جاهِـدًا * فلا نلتُ نُعْمَى بعدها تُوجب الشُّكرا

وقال عُبَيد الله بن عبد الله بن طاهر :

١٠ إنى لشاكرُ أمْسِهِ ووليُّهُ * فى يومه ومُؤَمِّلٌ فيه(2) غدَا

وقال آخر :

وكيف أنساك لا نُعْماك واحدةٌ * عندى ولا بالذى أوليتَ من قدَم

وقال عبدُ الأعلى بن حمّاد : دخلتُ على المتوكّل، فقال لى : قد هممنا أن نصلَك، فتدافعت الأمور؛ فقلت : ياأمير المؤمنين، قد بلغنى عن جعفر بن محمد الصادق أنه
١٥ قال : من لم يشكر للهِمّة، لم يشكر للنعمة، وأنشدته قول الباهلىّ :

لأشكرنّك معـروفا هممتَ به * إنّ اهتمامَك بالمعروف معروفُ

ولا ألومك إن لم يُمضِه قَـدَرٌ * فالشىءُ بالقَدَر المحتومِ مصروفُ

---

(1) كذا فى ديوان المعانى، وفى الأصل : «من عظم ...» وهو غير المناسب .

(2) فى الأصول : «عنه» .

وقال ٱبن الرومىّ :

كم من يدٍ بيضاءَ قد أسديتَها * تَثْنِى إليـــك عِنان كلِّ وِدَادِ
شَكَرَ الإلٰهُ صـــنائعًا أوليتَها * سُلِكَتْ مع الأرواح فى الأجسادِ

وقال آخر :

وأحسنُ ماقال ٱمرؤفيك مِدْحةٌ * تلاقَتْ عليهـا مِنَّـــةٌ وقَبُولُ ٥
وشكرٌ كأن الشمسَ تُغْنَى بنشره * ففى كلّ أرض مُخْـبِرٌ ورسولُ

ومن كلام الحسن بن وهب : من شكر لك على درجةٍ رفعتَه اليها، أوثروة أفدتَه إيّاها، فإن شكرى لك على مُهجة أحييتَها، وحُشاشة أبقيتَها، ورَمَق أمسكته وقمتَ بين التَّلَف و بينه؛ ولكل نعمة من نعم الدنيا حدٌّ يُنتَهى إليه، ومدًى يوقَف عليه، وغايةٌ من الشكر يسمو اليها الطرف، خلا هـذه النعمة التى فاتَتِ الوصفَ، ١٠ وطالتِ الشكرَ، وتجاوزتْ كلَّ قَدْر، وأتت من وراء كلّ غاية، وردت عنّا كَيْد العدوّ، وأرغمتْ أنفَ الحسود؛ نلجأ منهـا الى ظِلٍّ ظليل، وكَنَفٍ كريم؛ فكيف يشكر الشاكر، وأين يبلغُ جهد المجهود !

وقال الشريف الرضىّ :

ألبستنى نِعَمًا على نِعَمٍ * ورفعتَ لى عَلَمًـا على عَلَمِ ١٥
وعلوتَ بى حتّى مشيتُ على * بُسُطٍ من الأعناق والقِمَمِ
فلأشكرَنّ نداكَ ما شكرتْ * خُضْرُ الرِّياض صنائع الدِّيَمِ
فالحمـــدُ يُبْقِى ذِكرَ كلِّ فتًى * ويُبِينُ قَدْرَ مواقِـــعِ الكَرَمِ
والشكر مَهْـرٌ للصنيعة إنْ * طُلِبَتْ مُهُـورُ عقائِلِ النِّعَمِ

وقال أبو الحسن الكاتب المغربىّ : ٢٠

سأشكر نُعْمَاك التى ٱنبسطَتْ بها * يَدِى ولسانِى فهو بالحَمْدِ يَنْطِقُ

وأُثنِي بمـا أولَيْتَنِي من صنيعَـةٍ * ومن مِنَّـةٍ تَغْــدُو علَيَّ وتَطْرُقُ
وكُلُّ آمرئٍ يرجـو نداك مُوَفَّقٌ * وكُلُّ آمرئٍ يُثْنِي عليك مُصَدَّقُ

وقال آبن رشيق القَيْروانىّ :

خُذْ ثَنَاءً عليك غِبَّ الأيادى * كثَنَاءِ الرُّبَا على الأمطـارِ
سَقَطَ الشكرُ وهو موجبُ نُعْما * كَ سُقُوطَ الأنواءِ بالأثمـارِ

ومن المُنْعِمِين مَنْ رأى أنّ الشكر بإظهار النعمة أبلغ منـه بالنطق باللسان، وعاقب على ذلك بالحِرْمان .

فمن ذلك ما رواه أبو هلال العسكرىّ بسنده الى العُتْبِىّ(١) قال : أراد جعفر بن يحى حاجة كان طريقه إليها على باب الأَصْمَعِىّ، فدفع الى خادم له كيسا فيه ألفُ دينار وقال : إنى سأنزِل فى رَجْعتى الى الأَصْمَعِىّ، ثم سيحدِّثنى ويُضحكُنى، فاذا ضحِكتُ، فضـعِ الكِيسَ بين يَدَيْه ، فلمـا رجـع ودخل إليه، رأى حُبًّا(٢) مكسورَ الرأس، وجَرَّةً مكسورةَ العُنُقِ، وقَصْعة مشعبة، وجَفْنة أعشارا؛ ورآه على مُصـلًّى بالٍ، وعليـه بَرْنَكانٌ(٣) أجرَدُ ، فغمز غلامَه ألّا يضـعَ الكيسَ بين يديه ، فـلم يدع الأَصْمعِىّ شيئا ممـا يُضحك الثَّكلان والغضبان إلا أورده عليه فلم يتبسّم، ثم خرج؛ فقـال لرجل يسايره : من آسـترعى الذئب ظَلَم، ومن زَرَع سبخة حصـد الفقر؛ إنى والله لمّـا علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل، ما حفَلتُ بنشره له باللسان،

(١) كذا فى الأصل . وفى ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى : «أخبرنا أبو جعفر بن القتبىّ عن القتبي قال : أراد جعفر بن يحيى ... الخ» .

(٢) الحب : الجرة الضخمة .

(٣) البرنكان على وزن زعفران : ضرب من الأكسية ويقال له أيضا بركان .

وأين يقع مديح اللسان من آثار العِيَان! إن اللسان قـد يكذب والحال لا تكذِب، ولله درّ نُصَيب حيث يقول :

فعاجُوا فأثْنَوْا بالذى أنت أهـلهُ * ولو سَكتوا أثنتْ عليك الحقائبُ

ثم قال : أعلمت أن ناووس[1] أبرويز، أمدح لأبرويز، من [شعر][2] زُهَيْرلآل سِنَان !

٥ وقالت الحكماء : لسان الحـال أصدق من لسان الشـكوى .وقد أجاد ابن الرومىّ فى هذا المعنى فقال :

حالى تَبُوح[3] بما أَوْليتَ من حسَنٍ * فكلُّ ما تَدَّعيــه غـيرُ مردودِ

كلّى هجاءٌ وقتـلى لا يحِــلُّ لكم * فـا يداويكُمُ منّى سوى الجُـودِ

وقالوا : شهادات الأحوال أعدل من شهادات الرجال .

ذكر ما قيل فى الوَعْد والإنجاز ١٠

رُوى عن رسول الله صــلى الله عليــه وسـلم أنه قال : "وعد المؤمن كأخذٍ باليد" . وقال الحسن بن على رضى الله عنهما : الوعد مرض فى الجود، والإنجاز دواؤه . ومن كلامه : المسئول حُرٌّ حتّى يعِـد، ومسترَقٌّ بالوعد حتى يُنْجِزَ . وقال الزُّهْرِىُّ : حقيق على من أزهر[4] بالوعد أن يُثْمِرَ بالفعل .

١٥ وقال مسلم بن الوليد عن أبيه قال : سألت الفضل بنَ سَهْلٍ حاجة، فقال : أشرِّفك اليوم بالوعد، وأحبوك غدا بالإنجاز، فإنى سمعتُ يحيى بنَ خالد يقــول :

---

(١) الناووس والناموس : مقبرة النصارى معرب ، ويطلق على الحجر المنقور تجعل فيه جثة الميت .

(٢) التكلة عن ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى .

(٣) فى ديوان ابن الرومى : * حالى تصيح بما اوليت معلنة *

٢٠ (٤) فى العقد الفريد : «على من أورق بوعد ... الخ» .

المواعيد شَبَكة من شِباك الكرام، يَصيدون بها محامِد الأحرار، ولو كان المُعْطى لا يعِد لأرتفعتْ مفاخر إنجاز الوعد، ونَقَص فضلُ صدقِ المقال .

وقال الأَبْرَش الكلبيُّ لهشام بن عبد الملك : يا أمير المؤمنين، لا تصنع إلىّ معروفا حتى تَعِدَنى، فإنه لم يأتنى منك سَيْب على غير وعد إلّا هان علىّ قَدْرُه، وقلّ منّى شكره؛ فقال له هشام : لئن قلتَ ذلك لقد قال سيّدُ أهلك أبو مسلم الخَوْلَانىّ : أنجعُ المعروف فى القلوب وأبردُه على الأكباد معروف منتظَر بوعد لا يُكَدّر بالمَطْل . وكان يحيى بن خالد لا يقضى حاجةً إلا بوعد .

وقالت أعرابيّة لرجل : مالَك تُعطِى ولا تَعِد؟ فقال : مالكِ والوعد؟ قالت ينفسِح به البصرُ، وينشر فيه الأملُ، وتطيب بذكره النفسُ، ويَرْخَى به العيشُ، وتربح أنت به المدحَ بالوفاء .

قيل : كلّم منصور بن زياد يحيى بن خالد فى حاجة لرجل فقال : عِدْه عنّى قضاءَها، قال : وما يدعوك أعزّك الله الى العِدَة مع وجود القُدْرة ؟ فقال يحيى : هذا قول من لا يعرف موضِعَ الصنائع من القلوب؛ إنّ الحاجة إن لم نتقدمها بوعد ينتظر به نُجْحها، لم تتجاذب الأنفسُ بسرورها، ولم تتلذّذ بتأميلها؛ وإن الوعد تطعّم، والإنجاز طعام، وليس من فاجأه طعام، كمن وجد رائحته، وتمطّق له وتطعّمه، ثم طَعِمه؛ فدع الحاجة تختَمِر بالوعد، ليكون لها عند المصطَنَع اليه حسنُ موقع، ولطفُ محلّ .

وقال عيسى بن ماهان : إنى أُحِبُّ أن أَهَب بلا وعد، وأُحِبُّ أن أعِد، لأَخرجَ من جملة المخلفين، وأدخلَ فى عدد الوافين، ويُؤْثَر عنّى كرم المُنْجزين؛ فإن من سبق فعلُه وعدَه وُصِف بكرم فَرْد، وسقط عنه جميع ما ذكرت .

قال: ذكر العباسُ المأمونَ فقال: إنه أَلْقَح معروفَه عندى بالوعد، وتمّمه بالنُّجح، وأرضعه بالزيادة، وشبّبه بالتعهد، وهرّمه باستتمامه من جهاته، وهَنأه[1] بترك الامتنان به.

وشكا رجلٌ جعفرَ بن يحيى لأبيه: أنه وعده وعدا ومَطَله به؛ فوقّع: يا بنىّ، أنتم معائل الأحرار ومَظانّ المطالب ومعادنُ الشكوى، فكونوا سواءً فى الأقوال والأفعال؛ فإن الحُرّ يدّخر وعدَ الحر ويعتقده وينفقه قبل مَلْكته، فإن أخفق أمله كان سببا لذمّه واتّهامه وسوءِ ظنّه، حتّى يوارِىَ قُبْحُ ذلك حُسنَ يقينه؛ فأَنجِز الوعد، وإلا فأَقْصِرِ القول، فإنه أعذر، والسلام.

قال: كُلِّم المأمون فى الحسين بن الضحّاك الخليع أن يردّ عليه رزقَه؛ فقال: أليس هو القائل فى الأمين:

فلا فَرِح المأمونُ بالمُلْك بعدَه * ولا زال فى الدُّنيا طَرِيدًا مشرَّدا

فما زالوا يتلطّفون معه فى القول، إلى أن أَذِن له أن يُنْشِده فأنشده:

أَجِنْ[2] لى فإنّى قد ظَمِئْتُ الى الوعدِ * متى تُنجِزِ الوعد المؤكَّدَ بالعهدِ
أُعيذُك من صَدِّ[3] الملوك وقد ترى * تقطُّعَ أنفاسى عليك من الوَجْدِ
فما لى شَفِيعٌ عند حسنك غيره * ولا سببٌ إلا التمسّك بالوُدِّ
أيَخْلُ فَرْدُ[4] الحُسنِ فردُ صفاته * علىّ وقد أفردتُه بهوى فرد
رأى اللهُ عبد الله خيرَ عباده * فملّكَهُ والله أعلم بالعبد

(١) هنأه: طلاه بالهناء، وهو القطران.
(٢) رواية الأغانى طبع بولاق (ج ٦ ص ١٨٠): «أجرى... الخ».
(٣) فى الأغانى: «من خلف الملوك وقد بدا».
(٤) كذا فى الأغانى. وفى الأصلين: «بهوى وحدى».

فقال له المأمون : هــذه بتلك ، وقد عفونا عنك ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، فأتبع عفوَك إحسانك ؛ فأمر بردّ أرزاقه عليــه ، وكانت فى كلّ شهر خمسمائة دينار. فقال المأمون : لولا أنى نويتُ عفوا عنــه ، وجعلت ذلك وعدا له من قبل ، ما فعلته ، وإنمــا ذِكْر الوعد فى تشبيبه يذكرنيه .

٥ وقال بعض ملوك العجم : البخل بعد الوعد ، يُضْعِفُ قبحه على البخل قبلَه ، فمــا قولك فى أمرٍ، البخل أحسن منه ؟

وقال بعض الشعراء :

ولى منــك مَوْعودٌ طلبتُ نجاحه * وأنت امرؤٌ لاتُخلف الدهرَ مَوْعِدَا

وعوّدتَنى ألّا تزالَ تُظِــلّنِى * يدٌ منــك قد قدّمتَ من قبلها يَدَا

١٠ فلو أنّ مجدًا أو ندًى أو فضــيلة * تُخَلِّد شيئا كنت أنت المخــلَّدَا

وقال بشّار :

وعد الكريم يَحُثُّ نائلَه * كالغَيْث يَسْبِقُ رعدُه مَطَرَهْ

وقال ابن الرومىّ :

يتخطّى العِداتِ عمدا الى البَذْ ـ لِ كَسَحّ الحَيَا بلا إيمــاضِ

١٥ ذكر ما قيل فى الشفاعة

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا ﴾ .

وقال رســول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلتُ لك جاها فهــل نصرت به مظلوما أو قمعتَ به ظالمــا أو أعنتَ به مكروبا". وقال صلى الله عليه وسلم : "أفضل الصدقة أن تعين

بجاهـك من لا جاهَ له " وقال : " الخلق عيال الله فأحبهم اليه أنفعُهم لعياله "(١) .
وقال : "الشفيعُ جَناحُ الطلب" .

وقيل : قصد آبن السماكِ الواعظ رجلا فى حاجةٍ لرجلٍ سأله الشفاعة فيهـا ، فقال آبن السماك : إنى أتيتك فى حاجةٍ ، وإن الطالب والمطلوبَ اليه عزيزان إن قُضيت الحاجةُ ، وذليلان إن لم تُقْضَ ؛ فاختر لنفسك عزّ البـذل على ذلّ المنع ، وآختر لى عزّ النُّجح على ذلّ الردّ؛ فقضى حاجته .

قال أبو تمام :

واذا آمرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

وقال رجل لبعض الملوك : إنّ الناس يتوسّلون اليـك بغيرك، يسألون معروفك ويشكرون غيرك ؛ وأنا أتوسّل اليك بك ، ليكون شكرى لك لا لغيرك . قال بعض الشـــعراء :

إذا أنتَ لم تَعطفْك إلّا شفاعةٌ * فلا خيرَ فى ودّ يكون بشـافِع

ذكر ما قيل فى الآعتذار والآستعطاف

رأيتُ جمـاعةً من أهل الأدب قد ألحقوا الآعتـذار والآستعطاف بالمدح ، كالحمدونىّ فى تذكرته ؛ وغيره ؛ فلذلك أضفته اليه ، وجعلته من فصوله . قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ .

ورُوىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنه قال : " من آعتذر اليه أخوه المسلمُ فلم يقبلْ لم يَرِدْ على الحوض" .

(١) فى الجامع الصغير : « الخلق كلهم » ... الى الله ... الخ» .

وقال علىّ رضى الله عنه : أَوْلَى النـاس بالعفو أقدرهم على العقوبة . وقال : العفو زكاة الظَّفر . وقال : اذا قَدَرتَ على عدوّك فاجعل عفوك عنه شكر المقدرة عليـــه .

وقال الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : لا تُعاجِل الذنبَ بالعقوبة ، وآجعـل بينهما للآعتذار طريقا . وقال : أوسعُ مايكون الكرمُ بالمغفرة، إذا ضاقت بالذنب المعـذرة .

وقال جعفر بن محمد الصادق : شفيع المذنب إقراره، وتوبة المجرم الآعتذار. وقالوا : ما أذنب من آعتذر، ولا أَسِىء من آستْغفر .

وأوصى بعض الحكماء ولده فقال : يا بُنىّ لا يعتذر اليك أحد من الناس، كائنا من كان، فى أى جرم كان، صادقا كان أو كاذبا، إلا قبلتَ عذره، فكفـاك بالآعتذار بِرًّا من صديقك، وذُلًّا من عدوّك .

قال بعض الشعراء :

فإن كنتَ ترجو فى العقوبة راحةً * فلا تزهَدَنْ عند التجاوُز فى الأجْرِ

وقال أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكرىّ : الِآعتذار ذِلّة، ولا بدّ منـه، لأن الإصرار على الذنب، فيما بينك وبين خالقـك هلكةٌ، وفيما بينك وبين صـديقك فُرقةٌ ، وعنـد سائر الناس مَثلبةٌ وهُجنةٌ ؛ فعليك به اذا واقعتَ الذنب وقارفت الجرم، ولا تستنكف من خضوعك وتذلّلك فيه، فربمـا آستثير العزُّ من تحت الذلة، وآجتُنِىَ الشرفُ من الشجرة النذلة، وربّ محبوب فى مكروه؛ والمجدُ شهدٌ يُجتَنَى من حنظل .

قال : وممـا خُصّ به الآعتذار أنّ الحقّ لا يثبت لباطله، والحقيقةَ لا تقوم مع تخييله وتمويهه، وأنّ ردّه لا يسع مع الكذب اللائح فى صفحاته .

وقالوا : لا عذرَ فى ردِّ الأعتذار ، والمعتذرُ من الذنب كمن لا ذنب له . وهذه خَصلة لا يَشْرَكه فيها غيرُه .

قال بعضهم : كنت بحضرة عُبيد الله بن سليمان، فوردت عليه رقعة من جعفر[(١)] آبن ثَوابة، نسختُها : قد فتحتَ للظلوم بابَك ، ورفعتَ عنــه حجابَك، فأنا أحاكم الأيّام الى عدلك ، وأشكو صُروفَهـا الى عطفك، وأستجير من لؤم غلَبتها بكرم قدرتِك وحسن ملكَتِك ؛ فإنهـا تؤخّرنى اذا قدّمتْ ، وتَحرِمنى اذا قسّمتْ؛ فإن أعطت أعطت يسيرا، وإن آرتجعتْ آرتجعتْ كثيرا؛ ولم أشكُها الى أحد قبلك، ولا أعددت للإنصاف منها إلا فضلك؛ ولى مع ذمام المسألة لك، وحقّ الظُّلامة اليك، حقُّ تأميلك، وقَدمُ صدقٍ فى طاعتك. والذى يملأ من النَّصَفة يدى، ويُفرغ الحقَّ علىّ، حتى تكونَ لى محسِـنا وأكونَ بك الى الأيام مفترِبا، أن تخلِطنى بخواصّ خدمك الذين نقلتهم من حال الفراغ الى الشغل ، ومن الخمول الى النباهة والذِّكْر. فإن رأيتَ أنْ تعـدِينى فقد آستعديتُ اليك، وتنصُرَنى فقد عذت بك، وتُوسعَ لى كنفَك فقد أويتُ اليه، وتسِمَنى بإحسانك فقد عولت عليه، وتستعملَ يدى ولسانى فيما يصلحان له من خدمتك ، فقد درستُ كتبَ أسلافك وهم القدوة فى البيـان، وآستضأتُ بآرائهم، وآقتفيتُ آثارَهم آقتفاءً جعلنى بين وحشىّ الكلام وأنيسـه، ووقفنى منـه على جادّةٍ متوسطةٍ، يرجع اليها العالى، ويسمو نحوها المقصّر التالى، فعلتَ إن شاء الله . فجعل عبيد الله يردّدها ويستحسنها؛ ثم قال : هذا أحقّ بديوان الرسـائل .

---

(١) وردت هذه الرقعة فى معجم الأدباء لياقوت (ج ٢ ص ٤١٧) لجعفر بن محمد بن خالد بن ثوابة، وهى تختلف يسيرا فى بعض كلماتها عما فى الاصول، وقد أثبتنا منها هنا ما يناسب المقام مع تصويب كلمة «ثوابة» بالثاء المثلثة التى وردت فى الاصول : «توابة» بالتاء محرّفة .

ومن الاستعطاف: ما حكى أن محمد بن الحنفيّة، جرى بينه و بين أخيه الحسين كلام افترقا بسببه متغاضبين؛ فلما وصل محمد الى منزله، كتب الى الحسين رقعة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإن لك شرفا لا أبلغه، وفضلا لا أُدركه، أبونا علىّ، لا أفضُلُك فيه ولا تفضُلُنى، وأمّى امرأة من بنى حنيفة، وأمّك فاطمةُ بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان ملء الأرض نساءً مثلَ أمى ما وَفَيْنَ بأمّك. فاذا قرأتَ رقعتى هذه فالبس رداءك ونعليك وتعال لتترضّانى، و إياك أن أسبقك الى هذا الفضل الذى أنت أولى به منى، والسلام. فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء الى محمد وترضّاه.

وقيل: وقّع جعفر بن يحيى فى رقعة معتذر: قد تقدمتْ طاعتُك ونصيحتُك، فإن نبت منك هفوة فلن تغلبَ سيئةٌ حسنتين.

وقال شاعر:

إرضَ للسائل الخضوعَ وللقا * رف ذنبًا مذلّةَ الإعتذارِ

قال أبو هلال العسكرىّ: لم يُروَ عن أحد قبل النابغة الذبيانىّ فى الاعتذار شعر؛ فمن أجود ما روى له فيه، قوله حين سعى به المنخّل اليشكُرىُّ الى النّعمان، وزعم أنه غَشِى المتجرّدةَ حظيّة النعمان، وذلك حين وصفها النابغة فى شعره فقال:

واذا لمستَ لمستَ أخثَم[1] جاثما * متحيرا[2] بمكانه ملءَ اليدِ

واذا طعنتَ طعنتَ فى مستهدِف * رابى المجسّة بالعبير مُقرمَدِ

واذا نزعتَ نزعتَ من مستحصِف * نزعَ الحَزوَّر بالرِّشاء المحصَدِ

(١) كذا فى اللسان فى إحدى روايتيه مادّة «خثم». وفى الاصول وديوان النابغة الذبيانى طبع باريس واللسان فى روايته الاخرى مادّة «جثم»: «أجثم».

(٢) كذا فى الاصلين الفتوغرافيين واللسان فى احدى روايتيه مادّة «حير» وديوان المعانى لابى هلال العسكرى. وفى النسخة الراغبية وديوان النابغة المتقدّم واللسان فى روايته الاخرى مادّة «خثم»: «متحيزا».

فقال المنخّل للنعمان : هــذا وصفُ من ذاقها، فوقَر ذلك فى نفس النعمان، ثم وفد عليه رهط من بنى سعد بن زيد مناة من بنى قُريع، فأبلغوه أن النابغة ما يزال يذكرها ويصف منها، فأجمع النعمان على الإيقاع بالنابغة، فعرّفه بذلك عِصام حاجب النعمان، وهو الذى قيل فيه :

* نفسُ عِصامٍ سوّدتْ عِصاما *

فانطلق النابغــة الى آل غسّان وكانوا قتلوا المنذر والد النعمان، فزادهم لحاق النابغــة بهم حشمة، ثم آتصلت بالنعمان كثرة مدائح النابغة لهم، فحسدهم عليه وأمّنه وراسله فى المصير اليه، فأتاه وجعل يعتذر ممـا قُرِف(١) به ومن مدحه لآل غسّان، فقال :

حلفتُ فلم أترك لنفسك رِيبَــةً * وليس وراء الله للــرء مَذْهبُ
لئن كنتَ قد بُلِّغْتَ عنّى جنايةً(٢) * لَمُبلغُك الواشى أغشُّ وأكذبُ
ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تَلُمُّــه * على شَعَثٍ أىُّ الرجال المهذَّبُ
فإنْ أكُ مظلومًا فعبــدٌ ظلمتَه * وإن تك ذا عُتْبى فمثلك يُعْتِبُ

يقول : مثلك(٣) يعفو ويُحسنُ وإن كان عاتبا، وفى كرمك ما يفعل ذلك، ولك العتبى والرجوع الى ما تحبّ . ومنه قوله أيضا للنعمان :

أتانى أبَيْتَ اللّعنَ أنك لُمتَــنى * وتلك التى تستكُّ منهـا المسامعُ
مقالةُ أن قد قلتَ ســوف أنالُه * وذلك من تِلقـاء مثلِكَ رائعُ
فبتُّ كأنّى ســاورتْنى ضئيــلةٌ * من الرُّقش فى أنيابهـا السمُّ ناقعُ
لكلّفتنى ذنبَ آمرئٍ وتركــتَه * كذى العُرّ يُكوَى غيرُه وهو راتعُ

---

(١) كذا فى ديوان المعانى، وقرف : اتهم . وفى الأصل : « ممـا قذف به » .

(٢) فى ديوان النابغة وديوان المعانى : «خيانة» .

(٣) كذا فى الاصول . ولعلها أولك ... الخ .

الى أن قال :

فإن كنتُ لا ذو الضِّغْن عنى مكذِّبٌ * ولا حلِفى على البراءة نافع

ولا أنا مأمون بشىء أقوله * وأنت بأمرٍ لا محالة واقعُ

فإنك كالليل الذى هو مدركى * وإن خلتُ أن المنتأى عنك واسعُ

٥ وقال أيضا :

أُنبئت أنّ أبا قابوس أوعدنى * ولا قرارَ على زأرٍ من الأسدِ

مهلاً فداءٌ لك الأقوام كلّهمُ * وما أُثمّرُ من مالٍ ومن ولدِ

لا تقذفنّى بركن لا كِفاءَ به * وإن تأثّفك الأعداءُ بالرِّفدِ (١)

ما قلتُ من سيّءٍ ممّا أُتيتَ به * إذًا فلا رفعتْ سوطى الىّ يدى

١٠ قال : فخلع عليه النعمان خِلعَ الرضا ، وكُنّ حِبَراتٍ خُضرا مطرّفةً (٢) بالجوهر .

قال العسكرىّ : ولم يسلُك أحد طريقته فأحسن فيها كإحسان البحترىّ ، فمن آعتذاراته قوله فى قصيدته التى أوّلها :

* لوتْ بالسلام بنانا خضيبا *

قال منها :

١٥ فديناك من أىّ خطبٍ عرَى * ونائبةٍ أو شكتْ أن تنوبا

وإن كان رأيك قد حَالَ (٣) فىَّ * وأوليتنى بعد بِشْرٍ قطوبا

---

(١) تأثفوه : تكنفوه ، أى لا ترمنى منك بركن لا مثل له وان اجتمع حولك الأعداء متآزرين متألبين علىّ . والرفد : جمع رفدة بكسر الراء .

(٢) قد تقدّم فى صفحة (١٧٢) من هذا الجزء : «وكسى أثواب الرضا وكانت جبابا أطواقها الذهب بقصب الزمرد» .

٢٠ (٣) كذا فى ديوان البحترى طبع الاستانة (ج ١ ص ٥٨) والنسخة الراعبية . وفى أحد الاصلين الفتوغرافيين وديوان المعانى لابى هلال العسكرى : «قد جال» بالجيم . وفى الاصل الآخر الفتوغرافى : «قد خال» بالخاء المعجمة وكلاهما تحريف .

يريبُـــنىَ الشىءُ تأتى به * وأُكبرُ قدرَك أن أستريبا
وأكره أن أتمادى على * سَبيل آغترارٍ فألقى شَعوبا
أكذّب نفسى بأن قد سخِطتَ(1) * وما كنتُ أعهد ظنّى كذوبا
ولو لم تكن ساخطا لم أكن * أذمّ الزمان وأشكو الخطوبا
أيُصبح وِرْدِى(2) فى ساحتيـ * ـك طَرْقا(3) ومرعاىَ مَحْلاً جديبا
وما كان سخطك إلّا الفراق * أفاض الدموعَ وأشجى القلوبا
ولو كنتُ أعرف ذنبا لما كا(4) * ن خالجنى الشك فى أن أتوبا
سأصبر حتى ألاقى رضا * ك إما بعيدا وإما قريبا
أراقب رأيك حتى يصحّ * وأنظرُ عطفَك حتى يثوبا

وقوله

عَذيرِى من الأيّام رنّقنَ مشربى * ولقّيننى نحسا من الطير أشأما
وألبسننى(5) سخط آمرئٍ بتُّ مَوْهِنا * أرى سخطه ليلا مع الصبح مظلما
تبلّج عن بعض الرضا وآنطوى على * بقيّةِ عتبٍ شارفت أن تَصَرّما
اذا قلتُ يوما قد تجاوز حدَّها * تلبَّثَ فى أعقابها وتلوّما
وأصْيد إن نازعتُه الطرف ردّه * كليلا وإن راجعتُه القول جمجما
ثناه العِدَا عنّى فأصبح مُعرِضا * ووهّمه الواشون حتى توهّما

(1) كذا فى ديوان البحترى . وفى الأصول وديوان المعانى : «بأن قد جنيت» .
(2) كذا فى ديوان البحترى والنسخة الراعبية وديوان المعانى والورد : الماء الذى يورد . وفى الأصلين الفتوغرافيين : «ودى» وهو تحريف .
(3) الطرق : الماء الذى خوضته الإبل و بولت فيه .
(4) كذا فى الديوان . وفى الأصول وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى : لما «تخالجنى» .
(5) كذا فى الاصول وديوان المعانى . وفى ديوان البحترى : «أكسبتنى» .

وقد كان سهلا واضحا فتوعّرت * رُباه وطَلْقًا ضاحكا فتجهّما
أمتّخذٌ عندى الإساءة محسنٌ * ومنتقم منى آمرؤ كان مُنعما
ومكتسِبٌ فىّ الملامةَ ماجد * يرى الحمد غُنْماً والملامةَ مَغْرما
يخوّفنى من سوء رأيك معشرٌ * ولا خوف إلّا أن تجور وتظلما
أُعيذك أن أخشاك من غير حادثٍ * تَبَيَّنَ أو جُرمٍ إليك تقدما
ألستُ الموالى فيك نظمَ قصائدٍ * هى الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
أعِدْ نظرا فيما تسخّطْتَ هل تَرى * مقالا دنيئًا أو فَعالا مذمَّما
وكان رجائى أن أؤوب مملّكا * فصار رجائى أن أؤوب مسلّما
حياء فلم يذهب بىَ الغىُّ مذهبا * بعيدا ولم أركب من الأمر مُعظَما
ولم أعرف الذنب الذى سؤتنى له (١) * فأقتلَ نفسى حسرةً وتندّما
ولو كان ما خُبّرْتَه أو ظننتَهُ * لما كان غروا أن ألوم وتكْرُما
أُذكّرك العهدَ الذى ليس سؤددا * تناسيه والودَّ الصحيح المسلّما
وما حمل الركبان شرقا ومغربا * وأنجد فى أعلى البلاد وأتهما
أقرّ بما لم أجنه متنصّلا * إليك على أنى إخالك ألوما
لىَ الذنب معروفا فإن كنتُ جاهلا * به فلك العتبى علىّ وأَنْعِما
ومثلك إن أبدى الفَعال أعاده * وإن صنع المعروف زاد وتمّما

وقال سعيد بن حُميد :

لم آت ذنبا فإن زعمت بأن * أتيتُ ذنبا فغير معتمِد
قد تطرِف الكفُّ عينَ صاحبها * فلا يرى قطعَها من الرشد

---

(١) كذا فى ديوان البحترى وأحد الأصلين الفتوغرافيين وديوان المعانى . وفى الأصل الآخر والنسخة الراغبية : « به » .

وقال آخر :

وكنتُ اذا ما جئتُ أدنيتَ مجلسى * ووجهك من ماء البشاشــة يقطُرُ
فمن لىَ بالعين التى كنتَ مرّةً * الىَّ بهـا فى سالف الدهر تنظرُ

وقال آخر :

اِغتفر زَلّتى لتُحرز فضل الـ * ـعفو عنى ولا يفوتك أجرِى ٥
لا تكلْنى الى التوسّــل بالعذ * ر لعلّى ألّا أقوم بعــذرى

وقال بعض فضلاء الأندلس :

إنى جنيتُ ولم يزل أهلُ النهى * يَهَبُون للجانيـــن ما يجنــونَهُ
ولقد جمعتُ من الذنوب فنونها * فاجمع من الصفح الجميل فنونَهُ
من كان يرجو عفوَ مَن هو فوقه * فليعفُ عن ذنب الذى هو دونَهُ ١٠

البـاب الثـانى

من القســـم الثـالث من الفن الثـانى

فى الهجاء وفيه أربعة عشر فصلا

ما قيل فى الهجاء ومن يستحقّه .

ما قيل فى الحسد . ١٥

ما قيل فى السعاية والبغى .

ما قيل فى الغِيبة والنميمة .

ما قيل فى البخل واللؤم وأخبار البخلاء وآحتجاجهم .

ما قيل فى التطفيل ويتّصل به أخبار الأَكَلَة والمؤاكلة .

ما قيل فى الجبن والفرار .

ما قيل فى الحمق والجهل .

ما قيل فى الكذب .

٥ ما قيل فى الغدر والخيانة .

ما قيل فى الكبر والعجب .

ما قيل فى الحرص والطمع .

ما قيل فى الوعد والمَطْل .

ما قيل فى العىّ والحَصَر .

١٠ ذكر ما قيل فى الهجاء ومن يستحقه

قال الله تعالى : ﴿وَٱلشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ . فهذه رخصة لمن ظلم فى الانتصـار .

١٥ وقال حسّان بن ثابت الأنصارى يردّ على أبى سفيان بن الحارث :

ألا أبلغ أبا سُفيانَ عنى * مغلغَلةً[1] فقد برح الخفاءُ

هجوتَ محمدًا فأجبتُ عنه * وعند الله فى ذاك الجزاءُ

أتهجوه ولستَ له بكفء * فشرُّكما لخيركما الفداءُ

لنا فى كلّ يومٍ من مَعَدّ * سِبابٌ أو قتالٌ أو هجاءُ

٢٠ (١) يقال رسالة مغلغلة : أى محمولة من بلد الى بلد .

لســانى صارم لا عيب فيه * وبحــرى لا تكدّره الدِّلاءُ

فانّ أبى ووالدتى وعرضى * لعــرض محمدٍ منكــم وِقاء

ويستحقّ الهجاءَ من آتصف بسوء الخصال، وآتسم باخلاق الأرذال والأنذال، وجعل اللؤم جلبابه وشعاره، والبخل وِطاءه ودثاره. وسأذكر جماع ما آتصفوا به من سوء الفعال، وأسّسوا بنيانهم عليه من قبح الخلال .

قال بعض الحكماء : أربعة من علامات اللؤم : إفشاء السرّ، وآعتقاد الغدر، وغِيبة الأحرار، وإساءة الجوار .

وسأل عبد الملك بن مروان الحجاج بن يوسف عن خُلُقه، فتلكأ عليه وأبى أن يخبره، فأقسم عليه. فقال : حسود، كنود، حقود؛ فقال عبد الملك : ما فى إبليس شرٌّ من هذه الخلال ؛ فبلغ ذلك خالد بن صفوان فقال : لقد انتحل الشرَّ بحذافيره، ومرق من جميع خلال الخير، وتأنّق فى ذمّ نفسه، وتجرّد فى الدلالة على لؤم طبعه، وأفرط فى إقامة الحجّة على كفره، وخرج من الخلال الموجبة رضا ربّه .

قال أبو تمّــام :

تأنّستْ بذميم الفعلِ طلعتُه * تأنُّسَ المقلةِ الرمداء بالظُّلَمِ

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "أربعةٌ[1] مَنْ كنّ فيه فهو منافق مَن اذا حدّث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا آؤتمن خان" .

وقالوا : اللئيم كذوب الوعدِ، خؤون العهد، قليل الرفد . وقالوا : اللئيم اذا آستغنى بَطِر، واذا آفتقر قَنِطَ، واذا قال أفحش، واذا ســئل بَخِل، وإن سأل

(١) ورد هذا الحديث فى الجامع الصغير بصيغة تختلف عما هنا ونصها : "أربع من كنّ فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدّث كذب واذا وعد أخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر" .

ألحّ، وإن أُسدِىَ اليه صنيع أخفاه، وإن آستكُتِمَ سراً أفشاه؛ فصديقه منه على حذر، وعدوّه منه على غَرر[1] .

وإنّ للشعراء والبلغاء فى الذّم والهجاء نظما ونثرا سنورد منه طَرَفا ، ونشرح ما يجعل ضوء النهار على المقول فيه سَدَفا[2] .

فمن ذلك ما قاله أحمد بن يوسف الكاتب فى بنى سعيد بن مسلم بن قتيبة : محاسنهم مساوئ السِّفَل ، ومساوئهم فضائح الأمم، وألسنتهم معقودة بالعِىّ، وأيديهم معقولة بالبخل، وأعراضهم أعراض النَّعم؛ فهم كما قيل :

لا يَكْثُرون وإن طالتْ حياتهمُ * ولا تَبِيد مخازيهم وإن بادوا

وذمّ أعرابى قوما فقال :

هم أقلّ الناس ذنوبا الى أعدائهم ، وأكثرهم تجرما[3] على أصدقائهم ، يصومون عن المعروف، ويُفطِرون على الفحشاء .

وذمّ أعرابىّ قوما فقال : قوم سُلِخت أقفاؤُهم بالهجاء، ودُبغت جلُودهم[4] باللؤم، فلباسهم فى الدنيا الملامة، وفى الآخرة[5] الندامة .

وكان عيسى بن فرخان شاه يتيه على أبى العَيْناء حال وزارته، فلما صُرِف عن الوزارة لقى أبا العيناء فى بعض السكك فسلّم عليه سلاما خفيفا، فقال أبو العيناء لقائده : من هذا؟ قال : أبو موسى، فدنا منه حتّى أخذ بعِنان بغلته وقال : لقد كنت أقنع بإيمائك دون بَنَانك، وبلحظك دون لفظك، الحمد لله على ما آلت اليه حالك، فلئن كانت أخطأت فيك النعمة ، لقد أصابت فيك النِّقْمة ؛ ولئن كانت

(١) الغرر : التعرض للهلكة . (٢) السدف : الظلمة . (٣) فى النسخة الراغبية : « تجرءا » . (٤) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١٠٩) : « دبغت وجوههم » .
(٥) كذا فى الأصول . وفى العقد الفريد : « وزادهم فى الآخرة ... الخ » .

الدنيا أبدت صفحاتها بالإقبال عليك، لقد أظهرت محاسنَها بالإدبار عنك؛ ولله المِنّةُ إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزّهنا عن قول الزور فيك؛ فقد والله أسأتَ حمل النعمة، وما شكرتَ حقّ المنعم؛ ثم أطلق يده من عِنانه، ورجع الى مكانه. فقيل له: ياأبا عبد الله! لقد بالغتَ فى السّبِّ، فما كان الذنب؟ قال: سألته فى حاجة أقلّ من قيمته، فردّنى عنها بأقبح من خلقته. ٥

قال بعض الأعراب: نزلت بذاك الوادى[1]، فإذا ثياب أحرار على أجسام عبيد، إقبال حظهم إدبار حظ الكرام. ألَمّ بهذا المعنى شاعر فقال:

أرى حُلَلاً تُصانُ على رجال * وأعراضاً تُذَالُ ولا تُصانُ
يقولون الزمانُ به فسادٌ * وهم فسدوا وما فَسَد الزمانُ

وسئل بعضُ البلغاء عن رجل فقال: هو صغير القَدْر، قصير الشِّبْر، ضيِّق الصدر، لئيم النَّجْر[2]، عظيم الكِبْر، كثير الفخر. ١٠

وذم أعرابىّ رجلا فقال: هو عبد البدن[3]، حُرُّ الثياب، عظيم الرّواق، صغير الأخلاق؛ الدهرُ يرفعه، ونفسه تَضَعُهُ.

وقال آخر: فلان غَثٌّ فى دينه، قَذِر فى دنياه، رَثٌّ فى مُرُوءته، سَمِج فى هيئته، منقطع الى نفسه، راضٍ عن عقله؛ بخيل بما أنعم الله عليه، كتوم لما آتاه الله من فضله؛ حَلّاف لجُوج، إن سأل ألحف، وإن وعد أخلف؛ لايُنْصف الأصاغر، ولا يعرف حقّ الأكابر. ١٥

---

(١) فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) «قال أعرابى دخلت البصرة ... الخ».

(٢) النجر: الأصل.

(٣) فى العقد الفريد: «عبد الفعال حر المقال عظيم الرواق دنىء الأخلاق الخ». ٢٠

وترجم الفتحُ بن عبد الله القَيْسى صاحبُ قلائد العِقيان فى كتابه عن أبى بكر بن ماجه المعروف بآبن الصائغ فقال : هو رَمَدُ جَفْن الدِّين ، وكَمَدُ نفوس المهتدين ؛ آشتهر سخفا وجنونا ، وهَجَر مفْروضا ومَسْنُونا ؛ فما يتشرّع ، ولا يأخذ فى غير الأضاليل ولا يشرع ؛ ناهيك به من رجل ماتَطَهّر من جنابة ، ولا أظهر مَخِيلةَ إنابة ؛ ولا آستنجى من حَدَث ، ولا أشْجَى[(1)] فؤادَه مُوارًى فى جَدَث ؛ ولا أقرّ بباريه ومُصوِّره ، ولا فرّ عن تباريه فى ميدان تهوّره ؛ الإساءة اليه أجدَى من الإحسان ، والبهيمة أهدَى عنده من الإنسان ؛ نظر فى تلك التعاليم ، وفكّر فى أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم ، ورفَض كتاب الله الحكيم العليم ؛ ونبذه وراء ظهره ثانِىَ عِطْفِه ، وأراد إبطال مالا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؛ واقتصر على الهيئة ، وأنكر أن يكون له عند الله تبارك وتعالى فيئة ؛ وحكم للكواكب بالتدبير ، وآجترم على الله اللطيف الخبير ؛ واجترأ عند سماع النهى والإيعاد ، وآستهزأ بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ ﴾ ؛ فهو يعتقد أن الزمان دَوْر ، وأن الإنسان نبات له نَوْر ؛ حِمامُه تَمَامُه ، وآختلافه[(2)] فطامه ؛ قد مُحِىَ الإيمان من قلبه فما له فيه رسم ، ونَسِىَ الرحمنَ لسانُه فما يمرّ له عليه آسم ؛ وآنمحت نفسه للضلال وآنتسبت ، ونفت يوما تُجْزَى فيه كُلُّ نَفْسٍ بما كسبتْ ؛ فقصَر عمرَه على طَرَب ولهو ، وآستشعر كل كبر وزهو ؛ وهو يَعْكُفُ على سماع التلاحين ، ويقف عليها كلَّ حين ؛ يعلن بذلك الآعتقاد ، ولا يؤمن بشىء قادنا الى الله فى أسلس مَقَاد ؛ مع منشإ وخيم ، ولؤم أصلٍ وخيم[(3)] ؛ وصورةٍ شوّهها الله وقبّحها ، وطلعةٍ لو رآها كلب لنبحها ؛ وقذارة يو بِئُ[(4)]

(١) كذا فى قلائد العقيان للفتح بن خاقان طبع بولاق (ص ٣٠٠) وفى الأصول : «ولا أسجى ... الخ» بالسين المهملة . (٢) فى قلائد العقيان : «واختطافه اقتطافه» .

(٣) الخيم : السجية .

(٤) يو بئ : يكثرفيها الوباء . وفى قلائد العقيان : «يؤذى البلاد ... الخ» .

البلادَ نفسُها، ووضارةٍ يحكى الحِدَادُ[1] دَنَسُها، وفَنَدٍ لا يعمُر إلا كنفه، ولدٍ لا يُقَوِّم إلا الصِّفَادُ جَنَفه[2].

وكتب أحمد بن يوسف : أما بعد، فإنى لا أعرف للعروف طريقا أوعر من طريقه إليك، لأنه يحصل منك بين حسب دنىء، ولسان بَذِىء، وجهل قد ملك عليك طِباعَك، فالمعروف لديك ضائعٌ، والشكر عندك مهجورٌ، وإنما غايتك فى المعروف أن تُحْرِزه[3]، وفى وَلِيّه أن تَكْفُره .

* * *

ومما قيل فى الهجاء من النظم

فمن ذلك قول جرير وهو أهجى بيت قالته العرب :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنك من نُمَيْرٍ * فلا كَعْبًا بلغتَ ولا كِلَابَا

ولو وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنِى نُمَيْرٍ * على خَبَثِ الحَدِيدِ إذًا لَذَابَا

وقال عبد الملك بن مروان يوما لجلسائه : هل تعلمون أهل بيت قيل فيهم شعرٌ ودُّوا أنهم افتدَوْا منه بأموالهم، وشعرٌ لم يسرّهم به حُمْر النَّعم؟ فقال أسماء بن خارجة : نحن يا أمير المؤمنين؛ قال : وما قيل فيكم؟ قال : قول الحارث بن ظالم:

وما قومى بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشُّعْرِ الرِّقَابا[4]

فوالله يا أمير المؤمنين ! إنى لَأَلْبَسُ العِمامة الصفيقة فيخيَّل إلىّ أن شعر قفاى قد بدا منها؛ وقول قيس بن الخطيم :

هَمَمْنا بالإقامة يومَ سِرْنا * مَسِيرَ حُذَيْفةِ الخيرِ بن بدرِ

---

(١) الحداد : ثياب سود تلبس فى المآتم. (٢) الجنف : الميل. (٣) فى الأصول : «تحوّزه» وفى العقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٠) : «تحقره» وكلاهما محرف عما أثبتناه وقد رويت هذه الحكاية فى الأمالى ج ٢ ص ١٩٢ طبع دار الكتب ببعض مخالفة عما هنا ونسبت الى محمد بن مكرم كتب بها الى أبى العيناء. (٤) الشعر الرقاب : يريد الشعر رقابا، فلما أدخل الألف واللام نصب على التشبيه بالضارب الرجل (راجع شرح الحماسة للتبريزى طبع مدينة بن ص ٢٧٣) .

فما يسرّنا أنّ لنا بها أو بِهِ حُمْرَ النَّعم. فقال هانئُ بن قَبِيصة النُّمَيْرىّ : أولئك نحن يا أمير المؤمنين؛ قال : ما قيل فيكم ؟ قال قول جرير :

* فَغُضَّ الطَّرْف إنك من نُمَيْرٍ *

والله لودِدْنا أنّا آفتديناه بأملا كنا، وقول زياد الأعجم :

لعمـرك ما رِماح بنِي نمـيرٍ * بطائشةِ الصـدور ولا قِصار

فوالله ما يسرّنا به حُمْر النَّعم .

قال العسكرىّ : وذُكِر أن جريرا لما قال :

والتَّغلَبىُّ إذا تَنَحْنَحَ لِلقِـرَى * حَكَّ آسْـتَهُ وتَمَثَّلَ الأَمْثالَا

قال : قلت فيهم بيتا لو طُعِنَ أحدُهم فى آسـته لم يَحُكّها . وقالوا : مرّت آمرأة بنى نُمَير فتغامزوا إليها، فقالت : يابنى نمير، لم تعملوا بقول الله ولا بقول الشاعر، يقول الله تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ويقول الشاعر :

* فَغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ مِنْ نُمَيرٍ *

فخجلوا . وكان النُّميرىّ إذا قيـل له : ممن أنت ؟ قال : من نُمَير، فصار يقول : من بنى عامر بن صَعْصَعَةَ .

قال العسكرى : ولو قيل إنّ أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق لم يبعد، وهو :

ولو تُرْمَى بِلُؤْمِ بَنِي كُلَيْبٍ * نُجومُ الليل ما وضَحَتْ لِسَارِى

ولو يُرْمَى بلُؤْمِهِـمُ نهـار * لدنّس لؤمُهم وَضَحَ النَّهـارِ (١)

وما يَغْدُو عَزِيزُ بنى كُلَيْبٍ * ليطلبَ حاجةً إلا بِجـار

(١) كذا فى الأصول وديوان المعانى لابى هلال العسكرى . وفى النقائض طبع ليدن ص ٢٣٣ : «ولو لبس النهار بنو كليب» .

ومثله قول الآخر :

وَلَوْ أَنَّ عَبْدَ القَيْسِ تَرمِي بلؤمها * على اللّيل لم تَبْدُ النجومُ لِمَنْ يَسْرِى

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأعشى :

تَبِيتون فى المَشْتَى مِلاءً بطونُكم * وجاراتُكم غَرثَى يَبِتْنَ خمائصَا

وهـذا البيت من أبيات، ولها سبب نذكره الآن فى هذا الموضع وإن كان خارجا عن مكانه، وذلك : أن عامر بن الطُّفَيل بن مالك وعلقمة بن عُلاثَةَ تنازعا الزعامة، فقال عامر : أنا أفضل منك، وهى لعَمّى ولم يمت، وعمه عامر بن مالك بن جعفر آبن كلاب وكان قد أُهتِر وسقط؛ وقال علقمة : أنا أفضل منك، أنا عفيف وأنت عاهر، وأنا وفيٌّ وأنت غادر، وأنا وَلُود وأنت عاقر، وأنا أدنَى الى ربيعة؛ فتداعيا الى هَرِم بن قُطْبة(١) ليحكم بينهما، فرحلا اليه ومع كل واحد منهما ثلثمائة من الإبل: مائة يطعمها مَنْ تبعه، ومائة يُعْطيها للحاكم، ومائة تُعقر إذا حكم؛ فأبى هرم بن قُطْبة أن يحكم بينهما مخافةَ الشرّ، وأبيا أن يرتحلا؛ فخلا هَرِم بعلقمةَ وقال له : أترجو أن ينفِّرك(٢) رجل من العرب على عامرٍ فارسِ مُضَر، أندى الناس كفًّا، وأشجعهم لِقاءً! لَسِنانُ رمح عامر أذكَرُ فى العرب من الأحوص؛ وعمّه مُلاعب الأسِنّة، وأُمّه كبشة بنْت عُروة الرّحال، وجَدّتُه أم البنين بنت عمرو بن عامر فارس الضَّحْياء، وأمك من النَّخَع، وكانت أُمّه مَهيرة، وأم عُلاثة أخيذة من النَّخَع؛ ثم خلا بعامر فقال له : أعَلى علقمة تفخَر! أأنت تسـاوئه! أعلى آبن عوف بن الأحْوَص أعفّ بنى عامر وأيمنهم نقيبة، وأحلمهم وأسودهم، وأنت أعور عاقر مشئوم! أمَا كان لك رأى يَزَعُك

(١) كذا فى الأغانى وديوان المعانى والقاموس والمعـارف لابن قتيبة . وفى الأصول : « هرم بن قطنة » بالنون وهو تحريف .

(٢) نفر عليه : قضى له بالغلبة عليه .

عن هـذا! أ كُنتَ تظنّ أن أحدا من العرب يُنفّرك عليه ! فلمـا ٱجتمعا وحضر الناس للقضاء قال : أنتما كركبتَي الجمل فتراجعا راضيين .

قال العسكرى : والصحيح أنه توارى عنهما ولم يقل شيئا فيهما، ولو قال: أنتما كركبتى الجمل لقال كل واحد منهما : أنا اليُمْنَى،فكان الشرّ حاضرا — قال : وسأله عمر ابن الخطاب رضى الله عنه بعد ذلك بحين : لمن كنتَ حا كما لو حكمت؟فقال : أعفِنى يا أمير المؤمنين ! فلو قلتها لعادت جَذعةً . فقال عمر : صدقتَ ! مثلُك فَلْيَحكُمْ — قال : فارتحلوا عن هَرِم لمـا أعياهم نحوَ عُكاظ، فلقيهم الأعشى منحدرا من اليمن — وكان لمّـا أرادها قال لعلقمة : ٱعقد لى حَبْلا، فقال : أعقد لك من بنى عامر؟ قال : لايغنى عنّى، قال : فمن قيس ؟ قال : لا، قال : فما أنا بزائدك؛ فأتى عامر بن الطفيل فأجاره من أهل السماء والأرض،فقيل له : كيف تجيره من أهل السماء؟قال : إن مات وَدَيتُه — فقال الأعشى لعامر : أظهِرْ أنكما حَكَّمتُمانى ففعل — فقام الأعشى فرفع عَقيرتَه (أى صوته) فى الناس فقال :

حَكَّمتُموه فَقَضَى بينكم * أبلجُ مثل القَمَرِ الزاهرِ
لا يأخذ الرِّشوة فى حُكمه * ولا يبـالى خُسُرَ الخاسرِ
علقم ما أنتَ الى عامر الـ(1) * ـنـاقض(2) الأوتار والواترِ
واللابسِ(3) الخيل بخيلٍ اذا * ثار عَجَـاجُ الكَبَّة(4) الثائرِ
إن تَسُدِ الحوصَ فلم تعدُهم * وعَامِرٌ سادَ بنى عَامِرِ
ساد وأَلفَى رهطَه سادةً * وكابِرًا سادُوك عن كَابِرِ

(١) كذا فى الأغانى طبع بولاق (ج ١٥ ص ٥٢) وفى الأصول : «لا لست ... الخ» .
(٢) كذا فى الأصول . وفى الأغانى وديوان المعانى : « الناقص » بالصاد المهملة .
(٣) فى ديوان المعانى : « واللامس الخيل ... الخ » .
(٤) الكبة : الحملة فى الحرب، يقال كانت لهم كبة فى الحرب أى صرخة .

قال : وشدّ القوم فى أعراض الإبل المـائة فعقروها وقالوا : نُفّر عامر، وذهبت بها الغوغاء، وجهد علقمة أن يردّها فلم يقدر على ذلك، بجعل يتهدّد الأعشى، فقال :

أتانى وعيـد الحوص من آل عامر * فيـا عبـد عمرو لو نهيتَ الأحاوصَا

فـا ذنبُنـا إن جاش بحر ابن عَمِّكم * وبحـرك ساجٍ لا يوارى الدّعامِصا(١)

كِلا أَبَويكم كان فَرْعَ(٢) دِعامةٍ * ولكنّهم زادوا وأصبحتَ ناقِصـا ٥

تبيتون فى المَشْـتَى مِلاءً بطونكم * وجاراتُكم غَرْثَى يَبِتْنَ خَمائِصـا

يراقبْنَ من جوع خِلاَلَ مخـافةٍ * نجوم العِشَـاء العاتِمـات الغَوامِصا

رمى بكَ فى أُخراهمُ تركُكَ النَّـدى * وفضّـل أقواما عليـك مراهِصَـا(٣)

فعضّ حديدَ الأرض إن كنت ساخطا * بفيـك وأحجارَ الكُلاب الرّواهِصَـا

قال فبكى علقمة لمّـا بلغه هذا الشعر، وكان بكاؤه زيادة عليـه فى العار، والعرب ١٠ تعيّر بالبكاء؛ قال مهلهل(٤) :

يُبكَى علينا ولا نبكى على أحد * لنحنُ أغلظُ أكبادا من الإبل

وقال جرير :

بكى دَوْبَلٌ لا يُرقِئُ اللهُ دَمْعَـه * ألا إنمـا يبكى من الذّل دَوْبَلُ

قال عبد الملك بن مروان لأمية(٥) : مالك وللشاعر(٦) إذ يقول : ١٥

إذا هتف العصفورُ طار فؤادُه * وليثٌ حديدُ النابِ عند الثرائد

(١) الدعامص : جمع دعموص وهى دويبة صغيرة فى مستنقع المـاء، وقيل تغوص فيه .

(٢) كذا فى شعراء النصرانية . وفى الأصول : « كان فرعا ... الخ » .

(٣) فى اللسان مادّة «رهص» : « ... العلا * وفضل أقوام ... الخ » . والمراهص : الدرج

(٤) كذا فى الأصول، وفى عيون الأخبار (مجلد ثان ص ١٩٢) : أن هذا البيت من قول المخبل . ٢٠

(٥) فى الأمالى طبع دار الكتب المصرية (ج ٢ ص ١٥٧) : أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد .

(٦) هو حرثان بن عمرو كما فى الأمالى . وقد ورد فيه هذا الخبر كما هنا مع اختلاف فى بعض الكلمات .

فقال : أصابه حدٌّ من حدود الله فأقمتُه عليه؛ قال : فهلّا دَرأتَه عنــه بالشُّبهات ؟
قال: كان أهونَ علىّ من أن أُعطِّل حدّا من حدود الله؛ فقال: يابنى أمية! أحسابكم
أحسابَكم،أنسابَكم أنسابكم،لاتعرضو[ها] للفصحاء،فإن للشعر مواسم لا يزيدها الليل
والنهار إلا جِدّة، والله ما يسرنى أنى هُجيت ببيت الأعشى حيث يقول : تبيتون
٥ فى المشتى الخ ولى الدنيا بحذافيرها، ولو أن رجلا خرج من عَرَض الدنيا كان قد أخذ
عوضا لقول آبن حُرْثان :

على مكثرِيهم حقٌّ من يعتريهمُ (١) * وعنــد المُقلّين السماحةُ والبذْلُ

وهذا البيت لزهير .

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الحطيئة فى الزِّبرِقان بن بدر :

١٠ دَع المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتِهــا * وآقعُدْ فإنك أنت الطاعِمُ الكاسِى

ولهذا الشــعر حكاية نذكرها فى أخبار الحطيئة فى البخلاء . وقيــل : آتفق جماعة
من الشعراء على أن أهجى بيت قالته العرب قول الفرزدق فى جرير :

أنتم قرارة كلّ معدِنِ سَوْءة (٢) * ولكلّ سائلة تسـيل قَرَارُ

أخذه أبو تمــام فقال :

١٥ وكانت زفرة ثم آطمأنت (٣) * كذاك لكل سائلة قَرَارُ

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الأخطل لجرير:

ما زال فينا رِباط الخيل مُعْلمة * وفى كليبٍ رِباطُ اللُّؤمِ والعَـارِ
قوم إذا آستنبح الأضيافُ كلبَهمُ * قالوا لأمهــمُ بُولى على النّـارِ

(١) فى الأغانى طبع بولاق (ج ٩ ص ١٥٤) فى ترجمة زهير وفى الأمالى : (... رزق ... الخ» .
٢٠ (٢) رواية نقائض جرير والفرزدق ص ٨٧٠ قصـيدة رقم ٩٣ : « .. كل مدفع ... * ولكل دافعة تسيل الخ» .
(٣) فى ديوان أبى تمام طبع مصر ص ٧٠ : «وكانت لوعة ... الخ» .

قالت بنو تميم : ما هُجينا بشيء هو أشدّ علينا من هـذا البيت ، وهو يتضمن وجوها شتّى من الذم : جعلهم بخلاء بالقِرى ، وجعـل أمهم خادمهم ، يأمرونها بكشف فَرْجها ، وجعلهم يبخلون بالمـاء أن يطفئوا به النار ، وجعل نارهم من قلّتها تطفأ ببولة ، وأغرى بينهم و بين المجوس ، لتعظيم المجوس النار ، و إهانتهم لهـا إلى غير ذلك .

وقالوا : أهجى بيت قالته العرب قول الطِّرمّاح :

تميمٌ بِطُرْق اللؤمِ أهـدى من القَطَا * ولو سلكتْ طُرْق المكارم ضَلَّتِ

وقيل : أهجى بيت قالته العرب قول الأعرابى :

اللـؤمُ أكرمُ من وَبْرٍ و والدِه * واللؤم أكرم من وَبْرٍ وما وَلَدا

قوم إذا ما جَنَى جانيهـمُ أَمِنُوا * من لؤم أحسابِهم أن يُقتَلوا قَوَدَا

وقال مسلم بن الوليد يهجو دِعْبِلا الخُزاعىّ :

أما الهجاء فدقَّ عِرْضُك دُونَه * والمَدْح عنك كما علمتَ جَلِيلُ

فاذهبْ فأنت طليقُ عِرْضك إنّه * عِرضٌ عزِزتَ به وأنت ذليلُ

و كان سبب ذلك أنه كان بخراسان عند الفضل بن سهل ، فبلغ دعبلا ما هو فيه من الحُظْوَة عنده ، فصار إلى مَرْو ، وكتب الى الفضل بن سهل :

لا تعبَأنْ بابن الوليـد فإنه * يرميك بعـد ثلاثة بمَـلالِ

إن المَلُول إذا تقادم عهـدُه * كانت مودّتُه كَفَىْءِ ظِلالِ

فدفع الفضل الرُّقعـة إلى مسلم ، فلما قرأها قال : هل عرفت لقب دعبـل وهو غلام أمرد يُفْسَق به ؟ فقال : لا ، قال : كان يُلَقَّب بمَيَّاس ، وكتب إليه :

مياسُ قل لى أين أنتَ من الورى * لا أنت معـلوم ولا مجهـولُ

أما الهجاء الخ . ومنه أخذ إبراهيم بن العباس فقال :

فكن كيف شئتَ وقُلْ ما تَشَاء * وأَبْرِق يمينا وأرعِــدْ شِمَـالَا
نجا بك لؤمُك مَنْجى الذُّبابِ * حمَــتْهُ مقاذيرُه أن يُنَـالَا

وأنشد الجاحظ :

٥ ووثِقتَ أنّك لا تُسَـ * ـبّ حَماكَ لُؤْمُك أنْ تُسَبَّا[1]

وقال آخر :

بِذِلّةِ والديْك كُسيتَ عِــزًّا * وباللؤم اجترأتَ على الجوابِ

وقال آخر :

دناءة عِرْضِــك حِصْنٌ مَنِيعٌ * يقيك إذا ساء مِنـك الصنيعُ
١٠ فقـــل لعــدوِّكَ ما تشتهى * فأنتَ المَنِيعُ الرفيعُ الوَضِيعُ

وقال أبو نُوَاس :

ما كان لو لم أهجُه غالبٌ * قام له هجوى مقام الشرفْ
يقول قد أسرفَ فى هجـونا * وإنمـا ساد بذاك السَّرَفْ
غالبُ لا تسـعَ لتبنى العلا * بلغتَ مجـدا بهجائى فقِفْ
١٥ قد كنتَ مجهـولا ولكننى * نوّهتُ بالمجهولِ حتى عُرِفْ

وقال أبو هلال العسكرى :

أهنتُ هجائى يابن عُروةَ فانتحى * علىّ ملام الناس فى البعد والقربِ
وقالوا أتهجو مثلَه فى سـقوطه * فقلت لهم جرّبتُ[2] سيفىَ فى كلب

---

(١) كذا فى ديوان المعانى وفى الأصول : «أن تنالا» .

٢٠ (٢) فى هامش ديوان المعانى : « جردت سيفى على الخ » .

وقال آبن لَنْكَك :

وعُصـبةٍ لمّا توسّطتُهمْ * صارت علىّ الأرضُ كالخاتَمِ
كأنّهم من سوء أفهامهم * لم يخرجوا بعـدُ إلى العالَمِ
يَضحكُ إبليسُ سروراً[1] بهم * لأنهـم عارٌ علـى آدمِ

وقالوا : أهجى بيت قاله محدَث قول الآخر : ٥

قَبُحَتْ مَناظِرُهم لحين خبرتُهم * حسُنتْ مناظرُهم لقبح المَخْبرِ

وقال العسكرىّ : ولست أعرِف فى الهجاء أبلغَ من قول الأوّل :

إن يفجُروا أو يغدِروا * أو يبخلوا لم يحفِلوا
وَغَدَوْا عليك مُرَحَّلـ[2] * ـين كأنّهم لم يفعلوا

ومن البليغ قول حسان : ١٠

أبناءُ حارٍ[3] فلن تلقى لهم شبهاً * إلا التيوس على أكتافها[4] الشَّعَرُ
إن نافروا[5] نُفِروا أو كاثروا كُثِروا * أو قامروا الزَّنجَ عن أحسابهم قُمِروا
كأنّ ريحَهُمُ فى الناس إن خرجوا * ريحُ الكلاب إذا ما مسَّها المطرُ

---

(١) كذا فى الأصول وديوان المعانى . وفى يتيمة الدهر (ج ٢ ص ١٢٦) : « إذ زارهم الخ »

(٢) كذا فى الراغبية وأحد الأصلين الفوتوغرافيين . وفى الأصل الآخر وديوان المعانى «مرجلين» بالجيم المعجمة . ١٥

(٣) فى ديوان حسان طبع ليدن ص ٨١ : «حام» .

(٤) فى النسخة الراغبية وأحد الأصلين وديوان المعانى : « على أقفائها » .

(٥) رواية الديوان :

ان سابقوا سبقوا أو نافروا نفروا * أو كاثروا أحدا من غيرهم كثروا ٢٠
شبه الإماء فلا دين ولا حسب * لو قامروا الزنج عن أحسابهم قروا

وقال أيضا :

أبوك أبو سَوْءٍ وخالُك مثلُه * ولستَ بخيرٍ من أبيك وخالِكَا
وإن أحقّ الناس ألّا تلومَه * على اللؤم من ألفى أباه كذلكا

وقال آخر :

٥ سلِ اللهَ ذا المَنِّ من فضله * ولا تسألنّ أبا وائلَهْ
فما سأل اللهَ عبدٌ له * فخاب ولو كان من باهله

وقال آخر :

ولو قيل للكلب يا باهليّ * لأعول من قُبْح هذا النسبْ

وقال زياد : ما هُجيتُ ببيتٍ قطّ أشدّ علىّ من قول الشاعر :

١٠ فكِّرْ ففى ذاك إن فكّرتَ معتبرٌ * هل نلتَ مكرُمةً إلا بتأميرِ
عاشت سُمَيّةُ ما عاشت وما علمت * أن ابنها من قريش فى الجماهير

وقال إبراهيم بن العباس (1) :

ولما رأيتك لا فاسقا (2) * تُهابُ ولا أنت بالزاهدِ
وليس عدوّك بالمتّقىّ (3) * وليس صديقك بالحامدِ
١٥ أتيت بكَ السوقَ سوقَ الهوان (4) * فناديت هل فيك من زائدِ
على رجلٍ غادرٍ بالصديق * كفورٍ لنعمائه جاحدِ
فما جاءنى رجلٌ واحد * يزيد على درهم واحد

(١) ذكرت هذه الأبيات فى العقد الفريد (ج ٢ ص ١١٠) منسوبة لأعرابى ومختلف فى بعض الألفاظ عما هنا.

٢٠ (٢) فى العقد الفريد : « ... لافاجرا * قويا ... الخ ».

(٣) رواية العقد الفريد : ولا أنت بالرجل المتق * ولا أنت بالرجل العابد

(٤) كذا فى الأصول . وفى العقد الفريد وديوان المعانى : « ... سوق الرقيق ... الخ .

سوى رجُلٍ حان منـه الشقاء[1] * وحلّت به دعـوة الـوالدِ
فبعتُك منـه بلا شاهـدٍ * مخافةَ ردِّك بالشاهـدِ
وأبتُ الى منـزلى سالما * وحلّ البـلاء على الناقـد

وقال العسكرىّ :

إن كان شكلُك غيرَ متَّفِقٍ * فكذا خلالُك غيرُ مؤتلفـهْ ٥
صُوِّرْتَ من نُطَفٍ قد اختلفتْ * فأتت خلالُك وهى مختلفهْ
من عصبةٍ شتّى اذا اجتمعوا * شبّهتُ داركُم بهـم عرفَـهْ
فورِثْتَ من ذا قُبْحَ مَنْظَـرِه * وورثتَ ذاك خناه أو صلفَهْ ⟨٨٤⟩

وقال الحسن بن مطْرَان شاعر اليتيمة :

كم غصتُ فى مدحك فكرا على * درٍّ نفيس غـير مثقـوبِ ١٠
ولم يَنُضْ رأيك يوما عـلى * بِرّى ولا رأىَ لمكذوبِ
إن كان موعودك فى الجود لى * أكذب من موعودِ عُرقـوبِ
فإنّ أخبـارك فى مِدْحتى * أكذبُ من ذئب ابن يعقوبِ

وقال أحمد بن محمد بن حامد شاعر الخريدة :

بُليتُ بقـوم مالهم فى العُلا يدٌ * ولا قدمٌ تسعى لبذل الصنائع ١٥
اذا نظَرتْ عينى اليهم تنجّستْ * برؤيتهـم طهّرتُها بالمدامع

وقال المتنبىّ :

إن أوحشتْك المعالى * فإنها دار غُربَـهْ
أو آنستك المخازى * فإنها بك أشـبهْ[2]

(١) رواية العقد الفريد : ... زادنى دانقا * ولم أك فى ذاك بالجاهد ٢٠
(٢) فى ديوان المتنبى ص ٤٣٣ طبع مصر : * فانها لك نسبه *

وقال أبو عبد الله الحسين[1] بن محمد بن الحجاج :

ولقد عهدتك تشتهى * قربى وتستدعى حضورى
وأرى الجفا بعد الوفا * مثل الفُسا بعد البخورِ
يا خَرْيةَ العدس الصحيـ * ـح النىءِ والخبز الفطير
فى جوف منحلّ الطبيـ * ـعة والقُوَى شيخ كبير
يحرًا فيخرجُ سُرمُهُ * شِبرينْ من وجع الزحيرِ
يا فَسوةً بعد العَشا * بالبَيْض واللبن الكثير
وفطائرٍ عُجنتْ بلا الـ * ـملْح الجريش ولا الخميرِ
يا نَتْنَ رأ ـسِ الطبيـ * ـخ إذا تغيّر فى القدورِ
يا عُشَّ بيض القمْل فرَّخَ فى السوالف والشعورِ
يا بَولَ صبيان الفطا * مِ ويا خراهم فى الجحورِ
يا بُغْضَ[2] تدخين الحشا * فى الصوم من تُخَم السَّحورِ
يا حَرَّ قُولَنج البطو * نِ وبردَ أعصاب الظهورِ
يا ذِلّة المظلوم أصـ * ـبح وهو معدومُ النصيرِ
يا سوءَ عاقبة التعقّـ[3] * ـد عند تمشية الأمورِ
يا كلَّ شىء مُتعِب * متعقِّدٍ صعبٍ عسيرِ
يا حَيْرَةَ الشيخ الأصـ * ـمِّ وحسرةَ الحَدَثِ الضريرِ
يا قعدةً فى دِجلَةَ * والريحُ تلعبُ بالجسورِ

(١) فى يتيمة الدهر (٢ ص ٢١١) : « الحسن » .
(٢) كذا فى يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٢١٦) . وفى الأصول : يابعض تدخين الحشا » .
(٣) كذا فى يتيمة الدهر وفى الأصول : «... التفقد عند تشبيه الخ» .

يا قـرحةَ السـلّ التى * هدّتْ شراسيفَ الصدورِ
يا أربعـاء لا تـدو * ربه محـاقاتُ[(١)] الشـهورِ
يا هـدّة الحيطان تُـ * ـقَض بالمعاول والمرورِ
يا قَرحـةً فى ناظـرٍ * غلطوا عليها بالـذُّرُورِ[(٢)]
فتسـلّختْ مع ما يليـ * ـها فى الجفون من البُثورِ
يا خيبـةَ الأمـلِ الذى * أمسَى يعـلَّلُ بالغـرورِ
يا غُلمـةَ المتخـدّرا * تِ وراء أبواب القُصورِ
يا وحشـةَ المـوتَى إذا * صـاروا إلى ظُـلَم القبورِ
يا ضجـرةَ المحمـوم بالـ * ـغدواتِ من ماء الشـعيرِ
يا شـؤمَ إقبال الشـتا * ءِ أضرَّ بالشيخ الفقـيرِ
يا دُولةَ الحُزْن[(٣)] التى * خسفتْ بأيّام السّـرورِ
يا ضجّـة الصّخب المصـدّ[(٤)] * ـع بالتنـازُع والشّرورِ
يا عـثرَةَ القـلم المرشَّـ * ـش بين أثناءِ السطورِ
يا ليـلةَ العُريان غِبَّـ * عشـيّةِ اليومِ المَـطيرِ
يا نومـةً فى شمس آ * بَ على التراب بلا حَصيرِ
يا لحاةَ المكروه فى الـ * ـيوم العَبوس القَمطريرِ
يا نهشـةَ[(٥)] الكَلْبِ الرضيـ * ـع ونكهةَ الليثِ الهصورِ

(١) كذا فى يتيمة الدهر . وفى الأصول : « مخافات » وهو تحريف .

(٢) الذرور : ما يذر فى العين وعلى الجرح من الأدوية .

(٣) كذا فى يتيمة الدهر . وفى الأصول « يا دولة الحسن » .

(٤) كذا فى اليتيمة . وفى الأصول : « ... الضجر المصـ * ـدع بالتنازع ... الخ .

(٥) كذا فى اليتيمة . وفى الأصلين : « ياهمة » . وفى النسخة الراغبية : « يا نهمة » .

يا عيشَ عانٍ موثَقٍ * فى القيْد مغلولٍ أسيرِ
يا حِدّة الرَّمَد الذى * لا يستفيقُ من القُطورِ
يا مِيشةَ الكنّاس من * شَمِّ الذرائرِ والعبيرِ
يا حَيْرة العطشان وقـ * ـتَ الظُّهر فى وسَط الهجيرِ (١)
من لى بأن تلقاك خيـ * ـلُ بنى كلاب بلا خفيرِ
وأرى بعينى لَحمَك الـ * ـمطبوخَ فى نار السعيرِ (٢)
فى الأرض ما بين السبا * ع وفى السما بين النُّسورِ

وقال المتنبى :

يمشى بأربعة على أعقابه * تحت العُلوج ومن وراءٍ يُلجَمُ
وجفونُه ما تستقرّ كأنها * مطروفةٌ أوفُتَّ فيها حِصرِمُ
وتراه أصغر ما تراه ناطقا * ويكون أكذبَ مايكونُ ويُقسِمُ
واذا أشار مكلِّما فكأنه * قِردٌ يُقهقِهُ أو عجوزٌ تَلطِمُ
يَقلِى (٣) مُفارقةَ الأكفِّ قَذالُه * حتى يكادَ على يدٍ يتعمَّمُ

* * *

ومما يذمّ به الرجل أن يكون ثقيلا . فأبلغ ما قيل فى ذلك قول بعضهم :

وثقيل أشدّ من غُصَص المو * ت ومن زَفْرة العذابِ الأليمِ
لو عَصَتْ ربَّها الجحيمُ لما كا * ن سِواه عقوبةٌ للجحيمِ

---

(١) كذا فى اليتيمة . وفى الأصول : «فى وسط الهجير» .

(٢) كذا فى اليتيمة . وفى الأصول : «فى حر الهجير» .

(٣) كذا فى ديوان المتنبى والنسخة الراغبية . وفى الأصلين : « يلق » وهو تحريف .

وأبلغ ما قيل فى هذا المعنى قول بشّار :

ولقد قلتُ حينَ وَتّدَ فى الأر * ض ثقيلٌ أرْبَى على ثَهْلانِ
كيف لم تَحْمِلِ الأمانةَ أرضٌ * حَمَلت فوقَها أبا سُفْيانِ

***

ومما هُجى به أهلُ الوقت على الإطلاق! فمن ذلك قول أبى هلال العسكرىّ :

كم حاجةٍ أنزلتُها * بكريم قومٍ أو لئيمِ
فإذا الكريمُ من اللئيـ * ـمِ أو اللئيمُ من الكريمِ
سبحان ربٍّ قادرٍ * قَدَّ البريّةَ من أديمِ
فشريفُهم ووضيعُهم * سيّان فى سَفَهٍ ولُومِ
قد قلّ خيرُ غنيِّهم * فغنيُّهم مثلُ العَديمِ
واذا آختبرتَ حميدَهم * ألفيتَهُ مِثلَ الذّميمِ

***

ومما قيل فى هجاء بعض العشيرة ومدح بعضهم : فمن ذلك قول أبى عُيينة يهجُو خالدَ بنَ يزيد المُهلّبىّ ويمدح أباه :

أبوك لنا غَيْثٌ نعيشُ بفضلِه * وأنت جَرادٌ ليس يُبْقِى ولا يَذَرْ [1]
له أثرٌ فى المَكْرُمات يَسرُّنا * وأنت تُعفِّى دائبا ذلك الأَثَرْ
لقد قُنِعَتْ [2] قحطانُ خِزْيًا بخالدٍ * فهل لكِ فيه يُخزِكِ اللهُ يا مُضَرْ

(١) فى الشعر والشعراء لابن قتيبة : «... لست تبق ولا تذر» .

(٢) فى الشعر والشعراء : «لقد خزيت قحطان طرا الخ» .

وله فى قَبِيصة بن رَوْح ، يُفَضِّل عليه ابنَ عَمّه داودَ بن يزيدَ بن حاتم :

أَقَبِيصَ لستَ و إن جهدتَ ببالغ * سَعْىَ ابنِ عَمِّك ذِى النَّدى داودِ
شَتَّان بينك يا قبيصُ وبينَهُ * إن المُذَمَّمَ ليس كالمحمودِ
داودُ محمودٌ وأنت مُذَمَّمٌ * عَجَبًا لذاك وأنتما من عُود
ولَرُبَّ عُودٍ قد يُشَقُّ لمسجدٍ * نصفًا وسائرُه لحشِّ يهودى

وقال حسّان فى أبى سُفْيان بن الحارث :

أبوكَ أبٌ حُرٌّ وأُمك حُرَّةٌ * وقد يَلِدُ الحُرّان غيرَ نجيبِ
فلا تعجبنّ الناسُ منك ومنهما * فما خَبَثٌ من فِضّةٍ بعجيبِ

ذكر ما قيل فى الحسد

ومما يذمّ به الرجلُ، أن يكون حسودا . وقد أمر الله تعالى نبيّه عليه الصلاة والسلام، أن يتعوّذ من شرّ الحاسد إذا حَسَد .

قال ابن السمّاك :

أنزل الله تعالى سورة جعلها عُوذةً لخلقه من صنوف الشرّ، فلما انتهى الى الحَسد جعله خاتما ، إذ لم يكن بعده فى الشرّ نهاية . والحسد أوّل ذنب عُصِى الله تعالى به فى السماء، وأوّل ذنب عُصِىَ به فى الأرض؛ أما فى السماء . فحسد إبليسَ لآدَمَ ، وأما فى الأرض فحَسَد قابيلَ لهابيلَ . وذهب بعضُ أهل التفسير فى قوله عزّ وجلّ إخبارا عن أهل النّار: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ أن المراد بالجنّ إبليس ، وبالإنس قابيل ؛ وذلك أنّ إبليسَ أوّلُ من سَنّ الكفرَ ، وقابيلَ أوّل من سنّ القتل . وأصل ذلك كلّه الحسدُ .

وقال عبد الله بن مسعود : لا تُعادُوا نِعَمَ الله . فقيل له : ومن يُعَادِى نِعَمَ الله؟ قال : الذين يَحْسُدون الناسَ على ما آتاهم الله مِن فَضْلِه . يقول الله تعالى فى بعض الكتب : «الحَسُـودُ عدوٌّ نِعمتى، متسخط[1] لقضائى، غيرُ راضٍ بقسمتى» .

وقالت الحكماء : إذا أراد الله أن يُسَـلِّطَ على عبد عدوًّا لا يرحمه سـلَّط عليه حاسـدا .

وكان يقال فى الدعاء على الرجل : طلبَك من لا يقَصِّر دون الظَّفر، وحسدك من لا ينام دون الشِّفَاء[2] .

وقالوا : ما ظنُّك بعداوة الحاسد، وهو يرى زَوال نعمتك نعمةً عليه !

قال أبو الطيب المتنبيّ :

سوى وجعِ الحسّاد داوِ[3] فإنه * إذا حَلَّ فى قلبٍ فليس يَحُولُ

ولاتطمعَنْ مِن حاسِدٍ فى مَوَدَّةٍ * وإن كنتَ تُبْدِيها له وتُنِيـل

وقال الببَّغاءُ :

ومن البليّة أن تُداوِىَ حِقْدَ مَنْ * نِعَمُ الإلٰهِ عليـك مِنْ أحقادهِ

وقال علىّ رضى الله عنـه : لا راحةَ لحَسُود، ولا أخَ لِمَلُول، ولا مُحِبَّ لسيّئ الخُلُق .

وقال الحسن : ما رأيت ظالمـا أشـبهَ بمظلوم من حاسد؛ نفَس دائم ، وحزن لازم، وغَيْرة لا تنفد . ثم قال : لله دَرُّ الحسد ما أعدله ! يقتل الحاسدَ قبل أن يَصلَ الى المحسود .

---

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ١ ص ٢٣١) من تسخط الشىء : لم يرضه وتكرّهه ، وفى الأصل : «مسخط» .

(٢) كذا فى عيون الأخبار (المجلد الثانى ص ١٠ ، ٢١٦) . وفى الأصل الشقاء، وهو تحريف .

(٣) كذا فى ديوان المتنبى (ص ٢٧٣) . وفى الأصول : «داء» وهو تحريف .

وقال الجاحظ : من العدل المَحْض والإنصاف الصحيح، أن تَحُطّ عن الحاسد نِصفَ عِقابه؛ لأن أَلَم جسمه قد كفاك مؤُونَة شَطْر غيظك عليه .

وقيل: الحسد أن تُمنّى زوال نعمةِ غيرك، والغبطة أن تُمنى مثلَ حالِ صاحِبك. وفى الحديث : " المُؤْمِنُ يَغْبِطُ والمنافق يَحْسُد " .

٥ وقال أرسطوطاليس : الحسد حسدان : محمود ومذموم؛ فالمحمود : أن ترى عالما فتشتهى أن تكون مثله ، وزاهدا فتشتهى مثل فعله ؛ والمذموم أن ترى عالما وفاضلا فتشتهى أن يموتا . وقيل : الحسود غضبان على القَدَر، والقدر لا يُعتِبه .

قال منصور الفقيه :

ألاَ قُلْ لمن كان لى حاسدا * أتدرى على من أسأتَ الأدبْ

١٠ أسأتَ على الله فى فضله * إذا أنتَ لم تَرضَ ما قَدْ وَهَبْ

وقال المتنبى :

وأظلمُ أهلِ الأرضِ من بات حاسدا * لمن بات فى نَعْمَائِه يتقلَّبُ

ومن أخبار الحَسَدة : ما حكى أنه اجتمع ثلاثة نفر منهم ، فقال أحدهم لصاحبه : مابلغ مِنْ حسدك ؟ قال : ما اشتهيتُ أن أفعل بأحد خيرا قطُّ ؛ فقال

١٥ الثانى : أنت رجل صالح ، أنا ما اشتهيت أن يَفْعَلَ أحد بأحد خيرا قطّ ؛ فقال الثالث : ما فى الأرض أفضل منكما، أنا ما اشتهيت أن يَفْعلَ بى أحد خيرا قط .

* * *

ومما قيل من الشعر فى تفضيل المحسود ومدحه، وهجاء الحاسد وذمّه:

قال بعض الشعراء :

٢٠ إن يحسُدونى فإنِّى غيرُ لائمهم * قبلى من الناس أهلُ الفضل قد حُسدوا

فدام لى ولهم مابى وما بهمُ * ومات أكثرنا غمًّا بما يَجِدُ

وقال آخر :

إنّ الغرابَ وكان يمشي مِشْـيةً * فيما مضى من سالف الأحوال
حَسَدَ القَطاةَ ورامَ يمْشِي مشيَها * فأصــابه ضَرْب من العُقّالِ (١)

وقال آخر :

حَسَدوا الفتَى إذْ لم ينالوا سَعْيَه * فالقومُ أعداءٌ له وخُصُــومُ
كضرائرِ الحَسْناء قُلْن لوجهِها * حَسَــدًا وبَغْيًا إنّه لَدَميمُ (٢)

وقال البُحترىّ :

لا تحسُــدوه فَضْلَ رُتْبَته التى * أَعْيتْ عليكم وآفعلوا كفِعَالِه

وقال السَّرِىّ الرفّاء :

نالتْ يدَاه أقاصِىَ المجـــدِ الذى * بَسَـط الحسودُ إليـــه باعا ضَيِّقَا
أَعَدُوهُ هـــل للسِّمَاك جَـــريرةٌ * فى أَنْ دَنَوتَ من الحَضِيض وحلّقا
أم هل لِمَنْ ملأَ اليدَيْنِ من العُلَا * ذَنْبٌ إذا ما كنتَ منهـا مُمْلِقَا

وقال أبو تمــام الطائىّ :

وإذا أراد الله نَشْرَ فضيـــلةٍ * يوما أتاح لهـا لِسَانَ حَســودِ (٣)
لولا آشتعال النار فيما جاورتْ * ما كان يُعرفُ طِيبُ عَرْفِ العُودِ

وقال البُحترىّ :

ولن تَسْتَبِينَ الدّهْرَ مَوْضِعَ نِعْمةٍ * إذا أنت لم تُدْلَلْ عليها بحاســدِ

---

(١) العقال : ظلع يأخذ فى قوائم الدابة .

(٢) كذا فى الأصول، وهى رواية ثعلب، قال صاحب اللسان : وقد ردّ ذلك عليه، والأصح رواية (إنه لدميم) بالدال المهملة .

(٣) أثبتنا فيما تقدم ص ٩٢ من هذا الجزء أن رواية الديوان : « طويت » .

وقال محمد بنُ مُناذِر :

يأيها العاتبي وما بِيَ مِنْ (١) * عَيْبٍ ألا ترْعَوِى وتزدجِرُ
هل لك عندى وِترٌ فتطلُبَهُ * أم أنت مِمّا أتيتَ مُعتذِرُ
إن يك قَسْمُ الإلٰهِ فَضَّلنى * وأنت صَلْدٌ ما فيك معتصَرُ
فالحمد والشكر والثناء له * وللحسود التُّرابُ والحجَرُ
ما ذا الذى يجتنى جليسُكَ أو * يبدُو له منك حين يختبِرُ
اقرأْ لنا سورةً تُذكِّرنا * فإنّ خيرَ المواعظِ السُّوَرُ
أوْ صِفْ لنا الحُكْمَ فى فرائضنا * ما تستحِقّ الأُنثَى أو الذكَرُ
أَوِ ارْوِ فقهًا تُروى (٢) القلوبَ بِهِ * جاء به عن نبيِّنا الأثَرُ
أو من أحاديثِ جاهليّتنا (٣) * فإنها حِكمةٌ ومفتخَرُ
أَوِ ارْوِ عن فارسٍ لنا مَثَلًا * فإنّ أمثالَها لنا عِبَرُ
أوغَنِّ صوتا تُشجِى النفوسَ به * وذَنْبُ ما قد أتيتَ مغتفَرُ
فإن تكن قد جَهِلتَ ذاك وذا * ففيك للناظرين معتبَرُ

ذكر ما قيل فى السِّعاية والبغى والغِيبة والنَّميمة

قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ . وقال تعالى : ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ﴾ . وقال تعالى : ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من كان يؤمن بالله واليوم

(١) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٢٣ ، وفى الأصل : «يا أيها العاتبي ... * عتب ...» .

(٢) رواية العقد الفريد : « ... تحيا ... الخ » »

(٣) رواية العقد الفريد : « أو من أعاجيب ... ومعتبر » .

الآخر فلا يرفعن إلينا عورةَ أخيه المؤمن" . وقال صلى الله عليه وسـلم : "لا يُرَاحُ القَتَّاتُ رائحةَ الجنّةِ" . وفى لفظ : "لا يدخُل الجنّةَ قَتَّاتٌ" . والقَتَّات : النمّـام .

قال بعض الشعراء :

فلا تسـع(١) على أحد ببَغْيٍ * فإنّ البـغْى مَصْرَعُهُ وَخِيمُ

وقال العَتّـابى :

بَغَيتَ فـلم تقعْ إلّا صَرِيعًـا * كذاك البغىُ مَصْرَعُ كلّ بَاغِى

وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخَلْوةَ، فقال لأصحابه : إذا شئتُم(٢) فقوموا . فلمـا تهيّأ الرجل للكلام قال له : إياك أن تمدحنى فإنى أعلم بنفسى منـك ، أو تكذِبَنى فإنّه لا رأْى لِكَذُوب، أو تسـعىَ إلىّ بأحد، وإن شئتَ أقلتُك؛ قال : أقِلْـنى .

قال : ولمـا وَلِى عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك دِمَشْقَ ، ولم يكن فى بنى أُمَيّة ألبُّ منه(٣)، مع حداثة سنّه، قال أهل دمشق : هــذا غلام شابٌّ ، ولا علم له بالأمور ، وسيسمع منا؛ فقام اليه رجل فقال : أصلح الله الأميرَ، عندى نصيحةٌ؛ فقال له : ياليتَ شـعرى ما هذه النصيحةُ التى ٱبتدأتنى بها من غير يدٍ سبقتْ منّى إليك؟ فقال : جارٌ لى عاصٍ متخلّف عن ثَغْره؛ فقال له : ما ٱتّقيتَ الله، ولا أكرمتَ أميرَك ، ولا حفظت جِوارَك ؛ إن شئتَ نظرْنا فيما تقول ، فإن كنتَ صادقا لم ينفعك ذلك عنـدنا ، وإن كنتَ كاذبا عاقبناك ، وإن شئتَ أقلناك ؛ قال : أقلنى ؛ قال : ٱذهب حيث شـئتَ ، لا صَحِبك الله! ثم قال : يا أهلَ دِمَشْـق ، أمَا أعظَمتم ما جاء به الفاسقُ ! إن السِّعاية أحْسَبُ منه سجيّةً . ولولا أنه لا ينبغى

(١) دخل فى هذا البيت الكفّ وهو حذف السابع الساكن . (٢) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٦ ، وفى الأصول : «اذا شئتم فقاموا» . (٣) كذا فى تذكرة الصفدى . وفى الأصول : «فى» .

للوالى أن يعاقِبَ قبـل أن يُعاتبَ ، كان لى فيه رأى . فلا يأتنى أحد منكم بسعاية على أحد؛ فإن الصادق فيها فاسق، والكاذب بَهّاتٌ .

وسَعَى رجل برجل إلى عُمَرَ بن عبـد العزيز رضى الله عنه ؛ فقال : إن شئتَ نظرنا فى أمرك، فإن كنتَ كاذبا فأنت من هـذه الآية : ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾ وإن كنتَ صادقا فأنت من هذه الآية :﴿هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ وإن شئت عفونا عنك ؛ قال : العفو يا أمير المؤمنين؛ قال : على ألّا تعودَ .

وكتب محمد بن خالد إلى آبن الزّيات أن قوما صاروا إليه مُتنصِّحين، فذكروا أن رُسُوما للسلطان قـد عَفَتْ ودَرَستْ ، وأنه توقّف عن كشفها إلى أن يعرف مَوقِع رأيه فيها ؛ فوقّع على رُقْعته : قرأتُ هـذه الرُّقعةَ المذمومة ، وسُوق السُّعاة مُكسِدٌ عندنا ، وألسنتُهم تَكِلُّ فى أيامنا؛ فاحمل الناس على قانونك، وخذهم بما فى ديوانك؛ فلم ترد للناحية لكشف الرسوم العافيـة، ولا لِتحْيِيَ الأعلام الدائرة ، وجنّبنى وتجنّب قول جرير :

وكنتَ إذا حَلَلْتَ بدار قومٍ * رَحلتَ بِخَزْيةٍ وتركتَ عَارَا

قالوا : وكان الفضل بن يحيى (١) يكره السّعاة، فاذا أتاه ساع قال له : إن صَدَقْتنا أبغضناك، وإن كَذَبْتَنا عاقبناك، وإن آستقلتنا أَقَلْناك .

وحكى صاحب العقـد قال : قال العُتْبِيّ حدّثنى أبى عن سـعيد القصرىّ قال : نظر إلىّ عمرو بن عُتْبة و رجل يشتم بين يدىّ رجلا، فقـال لى : وَيلَك ! — وما قال لى و يلك قبلها — نَزِّه سمعَك عن آستماع الخنا ، كما تُنَزِّه لسانَك عن الكلام به ؛ فإن السامع شريك القائل ، وإنه عمَـد إلى شرِّ ما فى وِعَائه فأفرغه فى وِعائك ؛ ولو

(١) فى تذكرة الصفدى : «الفضل بن سهل» .

رُدَّتْ كلمـةُ جاهل فى فيـه لَسَعِدَ رادُّها ، كما شَقِىَ قائلها ؛ وقد جعله الله تعـالى شريك القائل، فقال : ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ .

* * *

وممـا قيل فى الغِيبة والنميمة : روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا قلتَ فى الرجل ما فيه فقد ٱغتبتَه ، وإذا قلتَ ما ليس فيه فقد بهتّه" . ٥

اِغتاب رجل رجلا عند قُتَيبة بن مسلم ؛ فقال له : أَمْسِك عليك[(١)] أيُّها الرجلُ ، والله لقد تلمظتَ بمُضْغة طالمـا لفظتْها الكرام .

وذُكر فى مجلسه رجل ، فنال منه بعضُ جلسائه ؛ فقال له : يا هذا ، أوحشتَنا من نفسك ، وأيأستَنا من مودّتك ، ودللتَنا على عَوْرتك .

وٱغتاب[(٢)] رجل عند بعض الأشراف ، فقال له : قد ٱستدللتُ على كثرة عيوبك ١٠ بمـا تذْكُر[(٣)] من عيب الناس ؛ لأن الطالب للعيوب إنمـا يطلبها بقـدر ما فيه منها ؛ أَمَا سمعت قول الشاعر :

لا تَهتِكَنْ[(٤)] من مَساوِى الناسِ ما سَتَرُوا * فيهتِكَ الله سِـتْرا من مساوِيكا

وٱذكرْ محاسنَ ما فيهـم إذا ذُكِرُوا * ولا تَعِبْ أحدا منهـم بِمَـا فيكا

وقال ٱبن عبّاس رضى الله عنهما : اُذكرْ أخاك إذا غاب عنك بمـا تُحِبُّ أن ١٥ يذكرَك به ، ودَعْ منـه ما تُحِبُّ أن يَدَعَ منك .

---

(١) كذا فى العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧ ؛ وفى الأصول : «عليه» .

(٢) فى العقد الفريد ج ٢ ص ١٤ وعيون الأخبار ج ١ ص ٢٣٧ : «عاب رجل رجلا» .

(٣) فى العقد الفريد وعيون الأخبار : «بما تكثر» .

(٤) فى عيون الأخبار (مجلد ثان ص ١٨) : «لا تلتمس ... * فيكشف ... الخ» . ٢٠

وقال بعض الملوك لولده وهو ولىّ عهده : يا بُنَىّ ، ليكنْ أبغضُ رعيتك إليك أشدَّهم كشفًا لمعايب الناس عندك ، فإنَّ فى الناس معايبَ وأنت أحق بِسَتْرِها ، وإنما تحكم فيما ظهر لك ، والله يحكُمُ فيما غاب عنك ، وآكره للناس ما تكرهُه لنفسك ، وآسترِ العورةَ يَسْتُرِ الله عليك ما تُحبُّ سَتْرَه ، ولا تعجلْ الى تصديق ساعٍ ، فإن الساعىَ غاشٌّ وإن قال قَوْلَ نُصْح .

وَوَشَى واشٍ برجل الى الإسكندر ، فقال له : أتُحِبّ أن نقبلَ منك ما قلتَ فيه ، على أن نقبلَ منه ما يقول فيك ؟ قال : لا ، قال : فَكُفَّ عن الشر يكفّ عنك .

وقال ذو الرِّياستين[1] : قَبُول النميمة شرٌّ من النميمة ، لأن النميمةَ دَلالة ، والقبولَ إجازة ، وليس مَن دَلَّ على شىء كمن قَبِلَه وأجازه .

قال أبو الأسود الدؤلِىّ :

لا تَقبلنَّ نميمةً بُلِّغتَها * وتحفظَنَّ مِنَ الذى أنباكها
إن الذى أهدى إليك نميمةً[2] * سَيَنِمُّ عنك بمثلها قد حاكها

وقال رجل لعمرو بن عُبَيد : إن الأسوارِىّ[3] لم يزل يذكرك ويقول : الضالّ ، فقال عمرو : يا هذا ! والله ما راعيتَ حقَّ مجالستِه حين نقلتَ إلينا حديثَه ، ولا راعيتَ حقِّى[4] حين أبلغتَنى عن أخى ما أكرَهُه ؛ اعلم أن الموت يعمّنا ، والبعثَ يَحْشُرنا ، والقيامةَ تجمعنا ، والله يحكُم بيننا [وهو خير الحاكمين][5] .

(١) وردت هذه العبارة فى عيون الأخبار المجلد الثانى ص ٢٣ بتغاير فى بعض كلماتها مع زيادة عما هنا .
(٢) رواية العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٧
إن الذى أنباك عنه نميمة * سيدب عنك بمثلها قد حاكها
(٣) كذا فى تذكرة الصفدى و إحياء العلوم للغزالى ج ٣ ص ١١٩ ، وقد ضبطه فى المشتبه للذهبى بضم الهمزة نسبة الى الأساورة من تميم ، وبفتحها نسبة الى قرية بأصبهان . وفى الأصول : «الأساورىّ» وهو تحريف . (٤) كذا فى تذكرة الصفدى واحياء العلوم للغزالى ، وفى الأصول : «حىّ» .
(٥) زيادة عن الإحياء .

وقال معاوية للأحنف فى شىء بلغه عنه، فأنكره الأحنف : بلّغنى عنك الثقة؛ فقال الأحنف : إن الثقة لا يُبَلِّغ .

قال بعض الشعراء :

لعمرُك ما سَبَّ الأميرَ عدوُّه * ولكنما سَبَّ الأمــيرَ المُبَلِّغُ

وقال ٱبن المعتزّ[1] : الساعى كاذب لمن سعى إليه، خائن لمن سعى عليه . ٥

وقالوا : النّمام شرٌّ من الساحر، فإن النمامَ يُفسِد فى الساعة الواحدة ما لا يفسِده الساحر فى المدة الطويلة .

وقالوا : النميمة من الخلال الذميمة ، تدُلُّ على نفس سقيمة، وطبيعــة لئيمة ؛ مشغوفة بهتك الأستار، و إفشاء الأسرار .

وقال بعض الحكماء : الأشرار يتتبّعون مساوىَ الناس و يتركون محاسـنَهم ، كما يتتبّع الذبابُ المواضع الألِمَةَ من الجسد، و يترك الصحيحة . ١٠

وقالوا : لم يَمْشِ ماش، شرٌّ من واش . والساعى بالنميمة كشاهد الزُّور، يُهلِك نفسه، ومن سعى به، ومن سعى إليه .

وقالوا : "حَسْبُك من شَرٍّ سَمَاعُه" . وقد لهِج الشـعراء بذمّ النمـام، وجعلوه من أهاجيهم . قال بعض الشعراء : ١٥

من نَمَّ فى الناس لم تُؤْمَنْ عقاربُهُ * على الصــديق ولم تُؤْمَنْ أفَاعِيهِ

كالسَّيل بالليل لا يدرى به أَحدٌ * من أينَ جاء ولا من أين يأتيــه

وقال السَّرِىُّ الرَّفَّاء :

أَنَمُّ بمـا ٱســتُودِعْتَه من زُجاجة * تَرَى الشىءَ فيها ظاهرا وهو باطِنُ

---

(١) فى تذكرة الصفدى : «وقال على كرم الله وجهه : الساعى ظالم لمن سعى به خائن لمن سعى اليه» . ٢٠

وقال محمد بن شَرَف :

وناصبٍ نحوَ أفواه الورى أُذُنًا * كالقَعْب يلقُطُ فيها كلّ ما سَقَطا

يظَلُّ يلتقِط الأخبارَ مجتهِــدًا * حتى إذا ما وعاها زَقّ ما لقَطـا

وقال ٱبن وَكيع :

٥ يَنُمُّ بسرّ مُسْــتَرْعيــه لُؤْمًا * كـما نَمَّ الظلامُ بسرّ نارِ

أَنَمُّ من النُّصول على مَشِيبٍ * ومن صافى الزُّجاج على عُقَارِ

وقال الحسن البصرِىّ : لا غِيبــة فى ثلاثة : فاســقٍ مجاهِرٍ ، وإمامٍ جائرٍ ، وصاحبِ بِدْعة [لم يدع بدعته](1) .

وكتب الكِسائىّ الى الرقاشىّ :

١٠ تركتَ المسجد الجا . * ـعَ والترك له رِيبــهْ

[فلا نافـلة تقضى * ولا تقضى لمكتوبه](1)

وأخبـارُك تأتينـا * على الأعلام منصوبهْ

فإن زدت من الغَيْبـ * ـة زدناك من الغِيبهْ

ذكر ما قيل فى البخل واللؤم

١٥ والبخل: منع الحقوق. وإليه الإشارة بقوله تعالى :﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ ٱللهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ﴾ .

٢٠ (1) الزيادة عن العقد الفريد ج ١ ص ٢٣٨

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "خَلّتانِ لاتجتمعان فى مؤمن البخلُ وسوءُ الخُلُق" .

وقال بعض السلف : منع الجود سوء ظن بالمعبود، وتلا : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ .

وروى أبو بكر الخطيب فى كتاب البخلاء بإسناده عن أبى هُرَيْرة[1] عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لما خلق الله تعالى جَنّةَ عَدْن قال لها تزيَّنِى فتزيّنت، ثم قال لها أَظْهِرِى أنهارَك فأظهرتْ عَيْنَ السلسبيل وعين الكافور وعين التسنيم ونهر الخمر ونهر العسل ونهر اللبن ، ثم قال لها أظهرى حُورَك وحُلَلَك وسُرُرَك وحجالك ، ثم قال لها تكلّمى فقالت طُوبَى لمن دخلنى، فقال الله عزّ وجل أنتِ حرام على كل بخيل" .

وقال سُقْراط : الأغنياءُ البخلاءُ بمنزلة البِغَال والحَمِير، تحمل الذهب والفضة، وتعتلف التِّبنَ والشعيرَ .

وقالوا : البخلُ من سوء الظن، وخمول الهمة، وضعف الروِيّة، وسوء الاختيار، والزُّهْد فى الخيرات .

وقال الحسن بن علىّ رضى الله عنهما : البخل جامع للساوى والعيوب، وقاطع للودّات من القلوب .

(٩١)

وقالوا : حدُّ البخل منع المسترفِد مع القدرة على رِفْده .

---

(١) ورد هـذا الحديث فى إحياء العلوم للغزالى (ج ٣ ص ١٩١) مرويا عن ابن عباس ويختلف عما هنا بزيادة بعض كلمات .

وكان أبو حنيفة لايقبل شهادة البخيل[1]، ويقول محتجّا لذلك : إن البخيل يحمله بخلُه على أن يأخذ فوق حقّه مخافةَ أن يُغْبن؛ ومن كان هكذا لايكون مأمونا .

وقال بشر بن الحارث الحافى : لا غِيبة لبخيل، ولَشُرَطِىٌّ سخِىٌّ أحبّ إلىّ من عابد بخيل .

وقالوا : البخيل لا يستحقّ آسمَ الحُرِّية ، فإن ماله يملكه .

ويقال : لا مال للبخيل، وإنما هو لمـاله .

وقال الحسن البصرىّ : لم أرَ أشقى بماله من البخيل؛ لأنّه فى الدنيا يَهْتَمّ بجمعه، وفى الآخرة يحاسَبُ على منعه؛ غير آمن فى الدنيا من همّـه ، ولا ناج فى الآخرة من إثمـه؛ عيشه فى الدنيا عيشُ الفقراء، وحسابه فى الآخرة حساب الأغنياء . ودخل رحمه الله على عبد الله بن الأهتم يعوده فى مرضـه، فرآه يُصعِّد بَصَرَه ويُصَوِّبه الى صُـندوق فى بيته، ثم آلتفت اليه، فقال : يا أبا سعيد، ماتقول فى مائة ألف دينار فى هـذا الصندوق لم أُؤَدّ منها زَكاةً ولم أَصِـلْ بها رَحِماً ؟ فقال له : ثكلتْك أمّك ! ولِم كنتَ تجمعها ؟ قال : لِرَوْعة الزمان، وجَفْوَة السلطان، وتكاثر العشيرة. ثم مات فشَهِده الحسن؛ فلما فرَغ من دفنه، ضرب بيده على القَبْر، ثم قال : انظروا إلى هذا، أتاه شيطانه نخوَّفه رَوْعَةَ زمانه، وجفوة سلطانه، بما آستودعه الله إيّاه، وعمّره فيه، انظروا اليه كيف خرج مذموما مَدْحُورا ! ثم آلتفت إلى وارثه، فقال : أيها الوارث لاتُخْدَعَنّ كما خُدِع صُوَيْحِبُكَ بالأمس، أتاك هذا المـال حلالا ، فلا يكوننّ عليك وَبَالا؛ أتاكَ عفوا صفوا، ممن كان له جَمُوعا مَنُوعا؛ من باطلٍ جمعـه، ومن حقّ منعه؛ قطع فيه لُجَجَ البحار، ومفاوزَ القِفَار؛ ولم تكْدَحْ لك فيه عَيْنٌ ولم يَعْرَقْ لك

(1) ورد هذا الخبر فى الإحياء ج ٣ ص ١٩١ مع اختلاف فى العبارة وزيادة يسيرة .

فيه جَبِين، إن يوم القيامة يوم ذو حَسَرات، وإن من أعظم الحسرات غدا أن ترى مالك فى ميزان غيرك، فيا لها حسرة لا تُقال، وتَوْبة لا تُنال ! .

ومن أخبار البخلاء: قيل: بخلاءُ العرب أربعة: الحطيئةُ، وحُمَيد الأَرْقطُ، وأبو الأسود الدُّؤَلىّ، وخالدُ بنُ صفوان؛ ونُقِلت عنهم أُمور دلّت على بخلهم .

أما الحطيئة: فقد حكى عنه: أنه مَرّ به ٱبن الحمامة، وهو جالس بفناء بيته، فقال له: السلام عليكم، فقال: قلت ما لا يُنْكَر، فقال: إنى خرجتُ من [عند][1] أهلى بغير زاد، قال: ما ضمنتُ لأهلك قِرَاك، قال: أفتأذن لى أن آتى ظلّ بيتك فأتفيّأ به؟ قال: دونك الجَبَل يَفِيء عليك، قال: أنا ٱبن الحمامة، قال: ٱنصرف وكن ٱبن أىّ طائر شئتَ . قال: وٱعترضه رجل وهو يَرْعى غنما، فقال له: يا راعىَ الغنم، وكان بيد الحطيئة عَصًا فرفعها، وقال: عَجْراءُ من سَلَم، فقال الرجل: إنما أنا ضيف، فقال: للأضياف أعددتها [فٱنصرف عنه][1] . وكان الحطيئة أحد الحَمْقَى، أوصى عند موته أن يُحْمَل[2] على حِمَار، وقال: لعلّى إن حُملتُ عليه لا أموت، فإنى ما رأيت كريما مات عليه قطّ . وقال: لكُلِّ[3] جَديد لذّةٌ، إلا جديد الموت، فإنى رأيته غيرَ لذيذ . وقيل له: أوصِ، فقال: أُوصِى أن مالى للذكور دونَ الإناث، قالوا: فإن الله ليس يقول كذلك، قال: لكنى أقوله . وقالوا له: قل لا إله إلا اللهُ، فقال: أشهَدُ أن الشّماخ أشعرُ غطفان .

---

(١) زيادة عن الأغانى ج ٢ ص ١٧١ طبع دار الكتب .

(٢) وردت هذه العبارة فى الأغانى ج ٢ ص ١٩٧ برواية تختلف عما هنا .

(٣) رواية الأغانى: قال أبلغوا أهل ضابئ أنه شاعر حيث يقول:

لكل جديد لذة غير أننى * رأيت جديد الموت غير لذيذ

ومن أخباره : أن الزِّبرِقان[1] بن بدر لَقِيَه فى سفرٍ، فقال له : مَن أنت ؟ فقال : أنا حَسَبٌ موضوع، أنا أبو مُلَيْكَة؛ فقال له الزِّبرِقان : إنى أريد وَجْهاً[2]، فصِرْ إلى منزلى، وكن هناك حتّى أرجعَ؛ فصار الحُطَيئةُ إلى آمرأة الزِّبْرِقان، فأنزلته وأكرمته، فحسده بنو عمّه، وهم بنو لأيٍ، فقالوا للحطيئة : إن تحولتَ إلينا، أعطيناك مائةَ ناقةٍ، ونَشُدّ الى كلّ طُنُب من أطناب بيتك جُلَّةً[3] هَجَرِيَّة، وقالوا لآمرأة الزِّبرِقان : إن الزِّبرِقان إنما قدم هذا الشيخ ليتزوج بنته، فقَدَح ذلك فى نفسها؛ فلما أراد القوم النُّجْعَة تخلّف الحطيئة، فتغافلت عنه آمرأة الزِّبرِقان، فآحتمله القُرَيعِيُّون ووفَّوْا له بما قالوا؛ فمدَحهم وهجا الزِّبْرِقان، فقال :

أزمعتُ يأساً مُبيناً من نوالِكُمُ * ولا يُرَى طاردا للحُرِّ كاليأسِ
دعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتِها * وآقعُد فإنك أنتَ الطاعِمُ الكاسِى
مَنْ يفعلِ الخيرَ لا يَعْدَم جوازِيَه * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

فاستعدى الزبرقانُ عليه عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه، فحكّم عمرُ حسانَ ابنَ ثابت، فقال حسان : ما هجاه ولكن سَلَح عليه[4]، فحبس عمرُ الحطيئةَ فقال يستعطفه :

---

(١) ذكر هذا الخبر فى الأغانى (ج ٢ ص ١٨٠) بتبسط عما هنا .

(٢) أى جهة، والمراد بها العراق كما فى الأغانى .

(٣) كذا فى الأغانى . والجلة : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيه . وفى الأصل : «حلة» تحويه وهو تحريف .

(٤) رواية الأغانى : «فقال عمر لحسان : أتراه هجاه ؟ قال : نعم وسلح عليه فحبسه عمر» .

ماذا تقول لأفراخ بِذِى مَرَخٍ (١) * حُمْرِ (٢) الحواصل لا ماءٌ ولا شَجَرُ

ألقيتَ كاسبهم فى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ * فاغْفِر عليك سلام الله يا عمرُ

ما آثروك (٣) بها إذْ قدّموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأُثَرُ (٤)

فأخرجه عمرُ وجلس على كرسىّ، وأخذ بيده شَفْرة، وأوهم أنه يريد قَطْعَ لسانهِ، فضجّ وقال : إنى والله يا أمير المؤمنين قد هجوتُ أبِى وأُمّى وآمرأتِى ونفسى؛ فتبسم عمرُ ثم قال : ما الذى قلتَ ؟ قال : قلتُ لأبى وأمّى :

ولقد رأيتُكِ فى النساء فسُؤتِنِى * وأبَا بَنِيكِ فساءنى فى المجلس

وقلتُ لأَبِى خاصة :

فبِئْسَ الشيخُ أنتَ لَدَى تميم * وبئس الشيخُ أنتَ لَدَى المَعَالى

وقلت لأمّى خاصة :

تَنَحَّىْ واجلسى منِّى بعيدا * أراح الله منك العالمينا

أَغِرْبالًا (٥) إذا آستُودِعتِ سِرًّا * وكَانُونًا (٦) على المتحدّثينا

وقلت لآمرأتى :

أطوِّف ما أطوِّف ثم آتى (٧) * إلى بيت قَعِيدتُه لَكَاعِ

(١) يروى «بذى أمر» . وذكر صاحب القاموس فى مادة « مرخ » أن ذا مرخ بالتحريك : واد بالحجاز . وقال ياقوت : هو واد بين فدك والوابشية كثير الشجر، وأورد هذا البيت، ثم قال : والرواية المشهورة «بذى أمر» . وذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان .

(٢) فى الأغانى : «زغب الحواصل» .

(٣) رواية الأغانى : «لم يأثروك» .

(٤) الأثر : جمع أثرة وهى المكرمة المتوارثة .

(٥) الغربال : يريد به النمّام .

(٦) الكانون : يريد به الثقيل الوخم من الناس .

(٧) الرواية المشهورة فى هذا البيت : «ثم آوى» .

وقلت لنفسى :

أبتْ شفتاىَ اليومَ إلا تَكَلُّمًا * بسوء(١) فما أدرى لمن أنا قائلُهْ

أرى لِىَ وَجْها شوّه الله خَلْقَه * فَقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّح حاملُهْ

فخلّى عمر سبيله، وأخذ عليه ألّا يهجوَ أحدا، وجعل له ثلاثة آلاف اشترى بها منه

٥ أعراض المسلمين؛ فقال يذكر نَهْيَهُ إيّاه عن الهجاء ويتأسف :

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تدعْ * شَتْمًا يَضُرُّ ولا مديحا يَنْفَع

ومنعتنِى(٢) عِرْضَ البخيل فلم يَخَفْ * شَتْمِى وأصبحَ آمِنًا لا يَجْزَعُ

وأما حميد الأرقط : فكان هَجّاء للضيف، فحّاشا عليه، فنزل به ضيف ذات

ليلة، فقال لامرأته : نزل بك البلاءُ، قومى فأَعِدّى لنا شيئا، ففعلتْ؛ فجعل

١٠ الضيف يأكل ويقول : ما فعل الحجاج بالناس ؟ فلما فرغ قال حُمَيد :

يحز(٣) على الأطناب من جذْل بيتنا * هِجَفٌّ لمحزونٍ التّحيّةِ باذِلُ

يقول وقد ألْقَى المراسِىَ لِلقِرَى * أبِنْ لِىَ ما الحجّاجُ بالناس فاعِلُ

فقلت لَعَمْرِى ما لهذا أتيتَنا * فكُلْ ودعِ الأخبارَ ما أنت آكِلُ

تُدِيرُ(٤) كفاه ويَحْدُرُ حَلْقُه * الى الصدر ما حازتْ عليه الأنامِلُ

١٥ أتانا ولم يَعْدِلْه سَحبانُ وائلٍ * بيانًا وَعِلْمًا بالذى هو قائلُ

فما زال عنه اللّقمُ حتّى كأنه * من العِىِّ لمّا أَنْ تكلّم باقِلُ

---

(١) رواية الأغانى : «بشر» .

(٢) رواية الأغانى : «وحميتنى ... اللئيم ... ذمى ... يفزع» .

(٣) لعله : «يحلّ» . والهجف : الجافى الثقيل .

٢٠ (٤) رواية العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٧) :

«يجهز ... ... * الى الزور ما ضمت ... ... الخ»

ونزل به أضياف، فأطعمهم تمرا وهجاهم، وادّعى عليهم أنهم يأكلونه بنواه، فقال:

باتوا وجُلَّتُنا[(١)] الصَّهْبَاءُ حَوْلَهُــمُ * كأنَّ أظفارَهم فيهـا السكاكِينُ

فأصبحوا والنَّوى عَالِي مُعَرَّسِهِم[(٢)] * وليس كلَّ النَّوى تُلقِي المساكِينُ

وأما خالد بن صفوان: فكان إذا أخذ جائزَته، قال للدرهم: طالمـا سرتَ في البلاد، أما والله لأُطيلَنَّ حبسَك، ولأُديمَنَّ لُبثَك. وقيل له: مالك لا تنفق، فإن مالك عريض؟ فقال: الدهر أعرضُ منه، قيـل: كأنك تؤمل أن تعيشَ الدهرَ كلَّه، قال: ولا[(٣)] أخاف أن أموت في أوّله.

وأما أبو الأسود الدؤليّ: فعمل دكانا عاليا يجلس عليه، فكان ربما أكل عليه فلا يناله المجتاز، فمرّ به أعرابيّ على جمـل فعرض عليه أن يأكل معه، وظنّ أنه لا يناله، فأناخ الأعرابيّ بعيره حتّى وازى الدكان، وأكل معه، فمـا جلس بعـد ذلك على الدكان. وكان يقول: لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم. وقال لبنيه: لا تُطمِعوا المساكين في أموالكم، فإنهـم لا يَقْنَعُون منكم حتّى يرَوْكم في مثل حالهم. ووقف عليه أعرابيّ وهو يتغدّى، فسلّم عليه، فردّ عليه، ثم أقبـل على الأكل ولم يَعرِض عليه، فقال الأعرابيّ: أمَا إني قد مررتُ بأهلك، قال: كان ذلك طريقك، قال: وهمْ صـالحون، قال: كذلك فارقتُهـم، قال: وآمرأتك حُبْلى، قال: كذلك كان عهدى بها، قال: ولَدَتْ، قال: ما كان بدٌّ لها أن تَلِدَ، قال: ولدتْ غلامين، قال: كذلك كانت أمُّها، قال: مات أحدهما، قال: ما كانت تَقْوَى على رضاع آثنين، قال: ثم مات الآخر، قال: ما كان

(١) الجلة: قفة كبيرة للتمر.

(٢) كذا في العقد الفريد. وفي الأصل: « ... ملق ... ... ألق ... الخ ».

(٣) في العقد الفريد: «قال: لا، ولكن أخاف ألا أموت في أوّله».

لِيَبْقى بعـد أخيه ، قال : وماتت الأُمُّ ، قال : جَزَعًا على ولَدَيها، قال : ما أطيبَ طعامَك ! قال : ذلك جزائى على أهله ، قال : أُفٍّ لك ما ألأَمَكَ ! قال : من شاء سَبَّ صاحبَه .

ونظير هـذه الحكاية : ما حُكِىَ أن أعرابيًّا مرّ بآخرَ، فقال : مِن أين أقبلت ٥ يآبن عمّ ؟ قال : من الثَّنِيَّة ، قال : فهل أتيتَنا منها بخبر؟ قال : سل عمّا بَدَا لك، قال : كيف علمُك بيحيي ؟ قال : أحسن العلم، قال : هل لك علم بكلبي نقّاع ؟ قال : حارس الحَىّ : قال : فبأمّ عثمان؟ قال: بَخٍ بَخٍ ! ومَن مِثل أمّ عثمان! لاتدخلُ من البـاب إلا منحرفة بالثياب المُعَصْفَرَات، قال : فبعثمان ؟ قال : وأبيـك فإنه جَرْو الأسـد ويلعب مع الصبيان وبيده الكِسْرَةُ، قال : فبجملنا السقّاء ؟ قال : ١٠ إن سنامه لَيَخْرج من الغبيط ،قال : فبالدار؟ قال : وأبيك، إنها لخصيبة الجناب، عامرة الفِنَـاء ؛ ثم قام عنه وقَعَد ناحيـةً يأكل فلا يدعوه ، فمرّ كلب فصـاح به وقال : يآبن عمّ، أين هذا الكلب من نقّاع؟ قال : يا أَسَفَا على نَقَّاع ! مات،قال: وما أماته ؟ قال : أكل من لحم الجمل السـقّاء ، فغُصَّ[(1)] بعظمٍ منه فمـات ، قال : إنا لله، أو قد مات الجمل ! فما أماته ؟ قال : عثر بقبر أمّ عثمان، فانكسرتْ رِجْلُه ، ١٥ قال: ويْلُمّك ! أماتت أمّ عثمان؟ قال: إى والله، أماتها الأسف على عثمان، قال: ويلك ! أمات عثمان ؟ قال: إى وعهد الله ! سقطت الدار عليه؛ فرمى الأعرابىّ بطعامه ونثره وأقبل ينتف لحيته ويقول : الى أينَ أذهب ! فيقول الآخر: الى النار. وأقبل يلتقط الطعام ويأكله ويهزأ به ويضحك، ويقول : لا أرغم الله إلا أنفَ اللئام .

وكان أُحَيْحَةُ بن الجُلَاح من البُخَلاء ، وكان اذا هبّتِ الصَّبَا طلع أُطُمَة، ينظر ٢٠ الى ناحية هبوبها ثم يقول : هُبّى هبوبَك، فقد أعددت لك ثلثمائةٍ وستين صاعا من

(١) فى الأصول : «فاغتص» ولم يرد فى كتب اللغة إلا ما أثبتناه .

عَجْوة،أدفع الى الوليد منهـا خمسَ تَمرات ، فيردّ علىّ منها ثلاثا ، أى لصلابتها بعد جهد ما يَلُوكُ منها .

والعرب تضرب المثل فى اللؤم بمَادِر، تقول : هو أبخل من مَادِرٍ[1]، ويزعُمون أنه بنى حوضا وسقى إبله ، فلما أصدَرها سَلَح فى الحوض، لئلا يَسقِيَ غيرُه فيه .

وكان عُمَرُ بن يزيد[2] الأسدىّ مبخلّا جدّا ، فأصابه القُولَنْجُ فحقنه الطبيب بدُهن كثير، فأنحلّ ما فى بطنه، فلما أبرزه قال للغلام: ما تصنع به ؟ قال أَصُبُّه، قال : لا، ولكن ميِّز الدُّهن منه وآستصبح به .

وقال سلم بن أبى المعافى :كان أبى متنحيًا عن المدينة، وكان الى جنبه مزرعة فيها قِثّاء، وكنت صبيًّا فجاءنى صِبْيان أقران لى، فكلّمتُ أبى ليهب لى درهما أشترى لهم به قثّاء، فقال لى : أتعرف حال الدرهم؟ كان فى حَجَر فى جبل، فضُرب بالمعاوِل، حتى آستُخرج ، ثم طُحِن ثم أُدخِل القِدْرَ وصُبَّ عليه المـاء ، وجُمع بالزِّئبق ، ثم صُفِّى من رَقّ ، ثم أُدخل النارَ فسُبك، ثمّ أُخرج فضُرب، وكُتِب فى أحد شِقّيه : لا إله إلا الله، وفى الآخر: محمد رسول الله، ثم حُمل الى أمير المؤمنين، فأمر بإدخاله بيت ماله ، ووَكّل به عُوجَ القلانِس صُهْب السِّبال، ثم وهبـه لجارية حسناء جميلة وأنت والله أقبح من قِردٍ !أو رَزَقه رجلا شُجاعا وأنت والله أجبن من صُرَد ! فهل ينبغى لك أن تمسّ الدرهم إلا بثوب ! .

ومثله قول سهل بن هارون، وقد قال له رجل : هبنى مالًا مَرْزِئَةَ عليك فيه ، قال : وما ذاك؟ قال: دِرهما واحدا ، قال : يآبن أخى لقد هوّنتَ الدرهم، وهو طابع

(١) كذا فى المحاسن والأضداد للجاحظ (ص٨٧) ومجمع الأمثال للميدانى(ج١ ص٩٧) وفى الأصول : « الأم » .

(٢) وردت هذه الحكاية فى كتاب البخلاء ص ١٦٤ طبع أوربا بتوسع عما هنا .

الله فى أرضـه، والدرهم ويحك ! عُشْر العشرة، والعشرة عشر المائة، والمـائة عشر الألف ، والألف عشر دِية المُسـلم ؛ ألا ترى يآبن أخى كيف آنتهى الدرهم الذى هوّنتَه ؟ وهل بيوت الأموال إلا درهم على درهم ؟ .

وقال سليمان بن مزاحم وقد وقع بيده درهم، فجعل يقلبه، ويقول : فى شِق، لا إله إلا الله محمد رسول الله؛ وفى شِق، قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ، ماينبغى لهذا إلا أن يكون تَعويذًا أو رُقْيَة، ويُرْمى به فى الصندوق .

٥

كان بعضهم إذا صار الدرهم فى يده يخاطبه ويقول : بأبى وأمّى أنت، كم من أرض قطعتَ ، وكيس خرقتَ ، وكم من خامل رفعتَ ، ومن رفيع أخملتَ ؛ لك عندى ألّا تَعْرَى ولا تَضْحَى ، ثم يلقيه فى كيسه فيقول : آسكن على آسم الله فى مكان لا تزول عنه ، ولا تُزْعَج منه .

١٠

ومن البخلاء "مُزَبِّد" وله حكايةٌ نذكرها، قيـل : كان بالمدينة جارية جميلة مُغَنِّيةٌ، يقال لها : " بَصْبَص " وكانت الأشراف تجتمع عند مولاها، فاجتمع يوما عنده محمّد بن عيسى الجعفَرِىّ وعبدالله بن مُصعب الزُّبيرىّ فى جماعةٍ من الأشراف، فتذاكروا أمر مزبد وبخله؛ فقالت الجارية : أنا آخذ لكم منه درهما ، فقال لهـا مولاها: أنت حرّة إن فعلتِ إن لم آشترلك مخنقة بمائة دينار وثوب وشى بمائة دينار، وأجعـل لك مجلسا بالعقيـق أنحَرُ فيـه بَدَنةً ، فقالت : جِئْ به ! وآرفع [عنّى] الغَيْرَة حتّى أفعلَ، فقال : أنت حرّة إن منعتُك منه، ولأعاونـّـه عليك إن حصّلت منه الدرهمَ؛ فقال عبـد الله بن مُصعب : أنا آتيكم به، قال عبـد الله : فصلّيْتُ الغَـداة فى المسجد، فإذا أنا به قد أقبل، فقلتُ : يا أبا إسحاق، أما تُحبّ أن ترى

١٥

بصبص ؟ قال : بلى والله ، وآمرأته طالقٌ إن لم تكن له سنة يشتهى أن يلقاها، فقلت له : إذا صليتَ العصر ، فأتنى هاهنا، فقال : آمرأته طالق إن برح من هاهنا الى العصر قال : فانصرفتُ فى حوائجى؛ فلما كان العصر جئتُ فوجدتُه فأخذتُ بيده وأتيتُهم به ، فأكل القوم وشربوا حتَّى صُلِّيت العَتَمةُ ، ثم تساكروا وتناوموا؛ فأقبلتْ بَصْبَصُ على مُزَبِّد ، فقالت له : يا أبا إسحاق ، كأنَّ[1] ٥ والله فى نفسك تشتهى أن أُغَنِّيَك الساعة :

لقد حَثُّوا الجِمالَ ليهــرُبُوا منَّا فلم يئلُوا

فقال لها : آمرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى اللوح المحفوظ؛ فغنتْه إيَّاه، ثم قالت له : كأنِّى[2] بك تشتهى أن أقوم من مجلسى فأجلس إلى جنبك فتُدْخِل يَدَك فى جِلْبَابى ؟ فقال : آمرأته طالق إن لم تكونى تعلمين ما فى الأرحام ، وما تَكْسِب ١٠ الأَنْفُسُ غدًا ، قالت : فقم، فقام وجلس إلى جانبها وغنَّتْ له، ثم قالت : أعلم أنك تشتهى أن أغنّيك :

أنا أبصرتُ بالليل * غُلامًا حَسَنَ الدَّلّ

كغُصن البان قد أصبـ * ـحَ مَسْقِيًّا من الطَّلّ

فقال لهـا : آمرأته طـالق إن لم تكونى نبيَّةً مُرسَلةً، فغنته وقبّلها، ثم قالت : ١٥ ياأبا إسحاق، هل رأيتَ قطّ أنذل من[3] هؤلاء ؟ يدعونك ، ويُخرجوننى اليـك ولا يشترون نُقْلا ولا رَيْحانا، كأنِّى بك وفى جيبك درهم وأنت تقول : الساعة أخرجه

(١) كذا فى الأغانى : ج ١٣ ص ١١٧ . وفى الأصول : « كأنى» .

(٢) رواية الأغانى : « كأن فى نفسك تشتهى أن تقوم من مجلسك فتجلس الى جانبى » .

(٣) كذا فى الأغانى : وفى الأصول : «يدعوننى ويدعونك ... الخ» . ٢٠

واعطيها إيّاه، وتشترى به ما تريد؛ فقام من جنبها وقال : أخطأتْ[1] آستُك الحُفْرَة، وآنقطع عنك الوحى ، ووثب وجلس ناحيــة ، فآنتبه القوم وعَطْعَطُوا[2] عليها وعلموا أنّ حيلتَها لم تَتِمّ، وخرج من عندهم ولم يَعُد إليهم .

وقال بعضهم : بتُّ عند رجل من اهل الكوفة من الموسرين وله صِبْيان نِيام، ٥ فرأيته فى الليل يقوم فيقلّبهم من جنب الى جنب ، فلما أصبحنا سألته عن ذلك، فقال : هؤلاء الصبيان يأكلون وينامون على اليسار، فيُمرِئهم الطعامُ ، ويُصبحون جياعا، فأنا أقلبهم من اليسار الى اليمين لئلا يَنْهضِمَ ما أكلوه سريعا .

وكان زياد بنُ[3] عبد الله الحارثى واليا على المدينة، وكان فيه بُخْلٌ وجفاء، فأهدى اليه كاتب له سِلَالًا فيها أطعمةٌ، وقد تَنَوّق[4] فيها، فوافته وقد تغدّى فقال : ١٠ ما هــذه ؟ قالوا : غداء بعثه فلان الكاتب، فغضب وقال : يبعث أحدهم الشىءَ فى غير وقته، ياخَيْثَم بن مالك — يريد كاتبَ شُرْطته — ادع لى أهل الصُّفّة يأكلون هــذا، فبعث خيثمُ الحرسَ يدعونهم ، فقال الرســول الذى جاء بالسِّلال : أصلح الله الأمير، لو أمرتَ بهذه السلال تُفتَح ويُنْظَر مافيها، قال : آكشفوها، فإذا طعام حسن من دَجَاجٍ وفراخ وجِداءٍ وسمك وأَخْبِصَة وحَلْوَاء، فقال : آرفعوا هذه السِّلال؛ ١٥ وجاءَ أهلُ الصُّــفَّة فأُخبِر بهم ، فأمر بإحضارهم وقال : يا خَيْثم ! آضْرِبهم عشرة أسواط، فإنه بلغنى أنهم يفسون فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

---

(١) هذا مثل يضرب لمن أراد شيئا فلم ينله .

(٢) العطعطة : حكاية أصوات المجان اذا قالوا : عيط عيط .

(٣) وردت هــذه الحكاية فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٢٤) والأغانى (ج ١٧ ص ١٠٢)
٢٠ باختلاف فى العبارة مع اتفاق فى المعنى .

(٤) تنوق : فى الأمر تجوّد وبالغ فيه كتأنق .

ومن الخلفاء من يُنْسب الى البخل، فمنهم عبد الملك بن مروان كان يلقب برَشْح الحَجَر، ولبن الطير، لبخله .

ومنهم هشام آبنه، وكان ينظر فى بيع الهدايا التى تُهْدَى اليه . حُكِىَ عنـه أن أعرابيًّا أكل عنده فرفع اللُّقمةَ الى فيه، فقال له هشام: فى لقمتك شَعْرة يا أعرابىّ؛ فقال : و إنك تلاحظنى ملاحظة من يَرَى الشَّعْرة ، والله لا أكلتُ عنـدك أبدا ، ثم قام وآنصرف .

ومنهم أبو جعفر المنصور كان يلقّب بأبى الدوانيق، لُقِّب بذلك لأنه لمـا بنى مدينةَ بغـداد كان يباشرها بنفسه ويحاسب الصُّناع ، فيقول لهذا : أنت نمتَ القائلة، ولهذا: لم تُبَكِّر، ولهذا : آنصرفتَ قبل أن تُكَمِّل اليوم، فَيُسقِط لهذا دانقا، ولهذا دانِقين، فلا يكاد يعطى لأحد أُجْرَةً كاملة؛ وكان يقول : يزعُمون أَنِّى بخيل، وما أنا ببخيل، ولكن رأيتُ الناس عبيدَ المـال، فمنعتُهم عنه ، ليكونوا عبيدا لى . ويُحْكى عنه أنه قال لطباخه : لكمْ ثلاثة وعليكم آثنتـان، لكم : الرءوس والأكارع والجلود، وعليكم: الحبوب والتوابل . ومن حكاياته الدالة على بخله : أن صاحبه الربيع بن يونس قال له يوما : يا أمير المؤمنين، إن الشـعراء ببابك وهم كثير، وقد طالت أيامهم ونَفِـدت نفقاتهم، فقال : اخرج إليهم وسلم عليهم، وقل : لهم مَنْ مدحنا منكم فلا يصف الأسـدَ فإنمـا هو كلب من الكلاب، ولا الحَيَّة فإنمـا هى دويبـة منتنة تأكل التراب ، ولا الجَبلَ فإنه حجر أصَمُّ، ولا البحرَ فإنه غَطِن بِضّ لِجب، فمن ليس فى شعره شىء من هـذا فلْيَدْخُلْ ، ومن كان فى شعره شىءٌ منـه فَلْينصَرِف، فأبلغهم فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هَرْمَة فإنه قال: أنا له يا ربيع، فأدخلنى عليه فأدخله ، فلما مثل بين يديه، قال له : يا ربيع قد علمت أنه لا يجيبك غيره، فأنشده قصيدته التى منها :

له لَحَظَات في[1] حِفَافَىْ سريره * إذا كرّها فيها عقاب ونائلُ
فأُمُّ الذى أمّنتَ آمنــة الردى * وأُمُّ الذى خوّفتَ[2] بالثُّكل ثاكلُ

فرفع له السِّتر وأقبل عليه وأصغى إليه ؛ فلما فرغ من إنشاده أمر له بعشرة آلاف درهم، وقال له: يا إبراهيم، لا تتلفها طمعا فى نَيْل مثلها منّا، فما كلّ وقت تصل إلينا؛ فقال إبراهيم : ألقاك بها يا أمير المؤمنين يوم القيامة وعليها الجِهْبِذ[3] .

ودخل المؤمِّل بن أميل على المهدىّ وكان بالرّىّ، وهو إذ ذاك ولىّ عهد أبيه المنصور، فامتدحه بأبيات يقول فيها :

هو المهــدىُّ إلا أن فيه * مَشابِهَ صورة القمر المنــير
تشَــابه ذا وذا فهُــما إذا ما * أنارا يُشْــكِلانِ على البصــيرِ
فهذا فى الضياء سِراجُ عدل * وهــذا فى الظلام سراج نُورِ
ولكن فضَّل الرحمنُ هذا * على ذا بالمنــابر والسَّــريرِ
وبعضُ الشهرِ يَخْفَى[4] ذا وهذا * منــير عند نقصــان الشهورِ

وجاء منها :

فإن سبق الكبيرُ فأهلُ سَبْقٍ * له فضلُ الكبير على الصغيرِ
وإن بلغ الصغيرُ مَدَى كبيرٍ * فقد خُلِق الصغير من الكبيرِ

فأعطاه عشرين ألف درهم . فكتب بذلك صاحب البريد الى المنصور وهو ببغداد، فكتب الى المهدى يلومه ويقول له : إنما كان ينبغى أن تعطىَ الشاعر إذا

(١) فى ذيل الأمالى ص ٤٠ طبع دار الكتب المصرية : « عن » .
(٢) رواية ذيل الأمالى : «حاولت» .
(٣) الجهبذ : كاتب رسم استخراج المال وقبضه .
(٤) فى الأغانى (ج ١٩ ص ١٤٨) :
وبعض الشهر ينقص ذا وهذا * منير ... الخ » وإن كان قد ورد فيه محرّفا

أقام ببابك سـنة أربعة آلاف درهم ؛ وأمره أن يوجهه إليه ؛ فطُلِب فلم يُوجد، وتوجه الى بغداد فكتب الى المنصور بذلك، فأمر بارصاده فمُسِك، وقيل له : أنت بُغْيَة أميرالمؤمنين وطِلْبته؛ قال المؤمّل : فكاد قلبي ينخلِـع خوفا وفَرَقا؛ ثم أُخذ بيدى وآنطُلق بى الى الربيع، فأدخلنى على المنصور، وقال : ياأمير المؤمنين، هذا المؤمل آبن أميل قد ظُفِر به؛ فسلمت عليه فردّ علىّ السلام، فسكَن جأشى وآطمأن قلبى وزال رَوْعى؛ ثم قال لى : أتيتَ غلاما غِرًّا نخدعتَه فآنخدع؛ فقلت : ياأميرالمؤمنين، إنما أتيت ملِكا جوادا كريما، فمدحتُه فحملتْه أريَحيَّتُه على أن وصلنى و برّنى؛فأعجبه ذلك، ثم قال : أنشدْنى ما قلت فيه، فأنشدتُه، فقال : والله لقد أحسنت ، لكن مايساوى عشرين ألفا ، ياربيع خُذِ المـالَ منه، وأَعْطِه منـه أربعة آلاف درهم.
فلمـا ولى المهدى الخلافة، قدم عليه المؤمّل فأخبره بما كان بينه و بين أبيه، فضحِك وردّ عليه ما أخذ منه .

وحكى آبن حمدون فى كتابه المترجَم بالتذكرة : أن المنصور حجّ فى بعض السنين فحدا به سالم الحادى يوما بقول الشاعر :

أبلجُ بين حاجبيه نُورُهُ * إذا تغدّى رُفِعت ستورُهُ
يَزِينُـــه حَيَـاؤُه وخيرُهُ * ومِسْكُه يَشُوبُه كافورُهُ

فطرِب المنصـور حتى ضرب برجله المَحْمِل ، ثم قال : يا ربيع ، أعطـه نصف درهم؛ فقال سالم : لا غير يا أمير المؤمنين ! والله لقد حدوتُ بهشام بن عبد الملك فأمر لى بثلاثين ألف درهم؛ فقال المنصور : ما كان له أن يعطِيَك من بيت المـال ما ذكرت، ياربيع وَكِّل به من يستخرج منه هذا المـالَ؛ قال الربيع : فمـا زلت أسْفِر[1] بينهما حتى شرَط عليه أن يحدوَ به فى خروجه ورجوعه بغير مؤونة . وكان سالم

(١) أسفر : أتوسط بينهما فى الصلح .

هـذا يُورِد الإبل لثمان ولِتِسع ولعشر، فيحدو لها فَيُلْهِيها حدوه عن ورود المـاء .

ومن طريف ما حُكِى عنه : أن عبيد الله بن زياد الحارثى، كتب إليه رقعة بليغة يستميحه فيها، فوقّع عليها : إن الغِنى والبلاغة اذا آجتمعا لرجل أبطراه ، وإن أمير المؤمنين مشفِق عليك، فا كتفِ بالبلاغة .

وقد ذمّ الشعراء البخل وهَجَوْا من آتصف به . فن ذلك، وهو أبلغ ما قاله مُحْدَث، قول ابن الرومِى :

[ما كنت(١) أحسب ان الخبز فا كهة * حتى نزلت على أوفى بن منصور]

الحابس الروث فى أعفاج بَغْلَتِـه(٢) * خوفا على الحَبّ من لَقْطِ العصافِيرِ

وقال العسكرىّ : أبلغ ما قيل فى البخل قول آبن الرومىّ :

يُقتّر عيسى على نفســـه * وليس ببـاقٍ ولا خالدِ

فلو يسـتطيع لتقتِـيرِه * تنفّس من مَنْخِرٍ واحِدِ

[عذرناه(٣) أيام إسدامه * فما عذر ذى بَخَل واجد]

رضيت لتشتيت أموالِهِ * يَدَىْ وارثٍ ليس بالحامِدِ

وقال أبو تمـام :

صــدِّقْ أليّتَه إن قال مجتهـدًا * لا وَالرَّغيفِ فذاك البرّ من قَسَمِهْ

وإن هممتَ به فافتِك بخُـبْزَتِه * فإن موقِعَها من لحمه ودمه

قـد كان يُعجِبُنى لو أنّ(٤) غَيْرتَه * على جَرادِقِـه كانت على حُرَمِهْ

(١) الزيادة عن المحاسن والأضـداد للجاحظ طبع ليدن ص ٩٦ ، وقد نسب البيتين لآخر لم يسمه ولم يوجد هذان البيتان فى ديوان ابن الرومى .

(٢) العفج : ما ينتقل اليه الطعام بعد المعدة .

(٣) الزيادة عن ديوان ابن الرومى المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب .

(٤) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : « لو كان » .

وقال دِعبِل :

اِســتَبقِ وُدَّ أبى المُقَـا * تل حين تأ كُلُ من طَعَامِهْ
سِيَّان كَسْرُ رغيفـِهِ * أو كسرُ عَظْمٍ من عِظامِهْ
وتراه من خوف الـنزيـ * ـل به يُرَوَّع فى منامـهْ

وقال أبو هلال العسكرىّ :

خُبْزُ الأمـيرِ عَشِـيقُهُ * يَغـدُو عليه يُلاعِبُـهُ
واذَا بَدَا لجليسِـهِ * أفضى اليـه يُعاتِبُـهْ
وتحوطـه حرّاسُـهُ * وتَذُبُّ عنـه كَتَائبُهْ
فالزَّوْرُ يُصْـفَعُ عنـده * والضيفُ يُنْتَفُ شارِبُهْ

وقال آخر :

فتى لرغيفـه قُرطٌ وشَـنْفٌ * وإكليلان من دُرٍّ وشَـذْرِ
إذا كُسر الرغيفُ بكى عليـه * بُكَا الخنساء اذْ فُجِعتْ بِصَخرِ
ودون رغيفه قَلْعُ الثنايا * وحَرْبٌ مثل وَقْعَةِ يوم بَدْرِ

وقال آخر :

إن هـذا الفتى يصـون رغيفا * ما اليـه لآكلٍ من سَبيلِ
هو فى سُفْرتين من أَدَم الطـا * ئف فى سَـلَّتَين فى زَنْبِيـلِ
خُتِمتْ كلُّ سَـلَّة برَصَـاص * وسُـيُورٍ قُدِدْنَ من جلدِ فِيـلِ
فى جِرَابٍ فى جوف تابوتِ موسى * والمفاتيـح عنـد ميكائيـلِ

وقال العسكرىّ :

قلَّ خـيرُ ٱبن قاسم * ففِنـاه كَعُدْمِهِ
كادَ من خشْيةِ القِرَى * يختبى فى حِرِ ٱمِّـه

جاز فى اللـؤم حدّه * كأبيـه وعمـه
كاد يُعديك لؤمُـهُ * لو تسمّيتَ باسمـه

وقال أيضـا :

لك بُرْمَـةٌ نزّهتَهـا * من أن تُدَنَّس بالدَّسَمْ
بيضاءُ يُشْرِق نُورها * كالبَدْر فى غَسَقِ الظُّلَمْ
لو كان عِرْضُك مثلَها * كنتَ المُمَدَّحَ فى الأُمَمْ
أو كان فعلُك مثلَ قو * لك كنتَ تاريخَ الكَرَمْ

وقال أيضا :

ضِفتُ عمرا فجاءنى برغيف * زادنى أكْلُه على الجوع جوعَا
ثم وَلَّى يقـول وهـو كئيب * لَهْفَ نَفْسِى على رَغيفٍ أُضِيعَا
كان خدّاعةَ الضيوف ولكن * ربمـا أصبح الخَدُوع خَدِيعَا
كنتُ أنزلتُه محـلًّا رفيعًـا * فغـدا ذلك الرفيـع وَضِيعَا
عَجَبًا منـه إذْ أُبِيـح حِمَـاه * كيف لم يمتنـع وكان مَنِيعَا

وقال آخر :

أرى ضَيفك فى الدار * وكَرْبُ الموت(١) يَغْشَـاهُ
على خُبْزِكَ مَكْتُـوب * « سَيَكْفِيكَهُـمُ اللّهُ »

وقال بَشّار :

وضيفُ عمرٍو وعمرو يَسْهَران معًـا * عمرٌو لبِطْنَتِـه والضيفُ للجـوعِ

وقال آخر :

نوالُك دونَهُ خَرطُ القَتَـادِ * وخـبزُك كالثُّرَيَّا فى البِعَـادِ

(١) فى المحاسن والأضداد : « الجوع » .

ولو أبصرتَ ضـيفا فى منـام * لحـرّمتَ المنـامَ الى التّنـادِ
أرى عُمْرَ الرغيف يطـول جِدًّا * لديك كأنّه من قـومِ عَادِ
وما أهجوك أنك كُفْءُ شِعْرِى * ولكنّى هجوتُك للكَسَاد

وقال العسكرىّ :

قد كان للـال رَبًّا * فصـار بالبخل عَبْـدَهْ
وصَحَّفَ الضّيفَ ضَيفًا * فـراح يَلْطِم خَـدَّهْ

وقال أبو نُوَاس فى إسماعيل بن نُوبَخت، بعد ان نصب اسماعيل فى صحن داره طارمة[1]، واصطبح فيهـا أربعين يوما ومعه جماعة، منهم أبو نُوَاس ، فبلغت نفقته أربعين ألف درهم، ثم قال بعد ذلك :

خبزُ إسماعيل كالوشـ * ـيِ اذا ما شُـقّ يُرْفا
عجبا من أثر الصنـ * ـعة فيـه كيف يخفَى
إنّ رَفّاءك هـذا * ألطفُ الأمّة كَفّـا
فإذا ألْصَـق بالنصـ * ـف من الجَرْدَق نِصْفا
ألطف الصنعة[2] حتّى * ما ترى مَطْعَنَ إشْفَى
مثل ما جاء من التّنّـ * ـور ما غادر حَـرْفَا
وله فى المـاء أيضـا * عمـلٌ أبدع ظَرْفَا
مزجه العَذْبَ بماء الـ * ـبئر كى يزدادَ ضَعْفَا
فهو لا يشرب منه * مثل ما يسقيك صِرْفَا

(١) الطارمة : بيت من خشب كالقبة، معرب .
(٢) رواية العقد الفريد :
أحكم ... ... * ما يرى مغـرز إشفى
والإشفى : مخصف الإسكاف .

وقال فيه :

على خبز إسماعيل واقيــةُ البُخْلِ * فقد حلّ فى دار الأَمان من الأَكْلِ

وما خبزه إلا كعنقاء مُغْــرِب * تُصَوَّر فى بُسْط المُلوك وفى المُثْلِ

يحدِّث عنها الناسُ من غير رؤية * سوى صورة ما إن تُمِرُّ ولا تُحْلِي

٥ وما خبزه إلا كآوَى يُرَى ٱبْنُــهُ * ولم يُرَ آوَى فى الحُزُون وفى السَّهْلِ

وما خبزه إلا كليبُ[1] بنُ وائلٍ * ليالى يَحْمِى عِزَّةً مَنْبِتَ البَقْـلِ

وإذْ هو لا يَسْتَبُّ خَصْمان عنده * ولا الصوتُ مرفوعٌ بِجِدٍّ ولا هَزْلِ

فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى * أصاب كليبا لم يكن ذاك عن ذُلِّ

ولكن قضاءً ليس يُسْطاعُ ردُّه * بحيلة ذى مَكْرٍ ولا دَهْىِ ذى عقلِ

١٠ وقال ٱبن الرومىّ :

بخيــــل يُصَوِّم أضــــيافَه * ويَخْلُ عنهم بأجر الصيامِ

يَدُسُّ الغــــلامَ فيولِيهـــمُ * هوانا[2] فَيَشْتُمُ مولى الغــلامِ

فهم مُفْطِرون وهم صائمون * وما يُطْعَمون وهم فى أثامِ

فيحتال بخــلًا لأَنْ يُفْطِروا * على رَفَثِ القول دون الطَّعامِ

---

١٥ (١) كليب بن وائل يضرب به المثل فى العزة فيقال « أعز من كليب بن وائل » وبلغ من عزه أنه كان يحمى مواقع السحاب فلا ترعى ، واذا جلس لا يمر أحد بين يديه إجلالا له ، ولا يحتبي أحد فى مجلسه غيره ، ولا تورد إبل أحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، ولم يكن بكرى ولا تغلبي يجير رجلا أو بعيرا أو يحمى أحدا الا بأمره ، وكان هو يجير على الدهر فلا تخفر ذمته . وجاءه كل هــذا السلطان بعد أن قاد القبائل النزارية لمحاربة القبائل اليمنية فى عدّة مواقع كان النصر فيها آخر الأمر حليفه ، فاجتمعت عليه معدّ
٢٠ كلها بالانقياد والطاعة .

(٢) فى ديوان ابن الرومى : « جفاء » .

وقال أحمد بن كُشَاجِم :

صديقٌ لنا من أبرعِ الناس فى البخلِ * وأفضلِهم فيــه وليس بذى فَضْلِ

دعانِى كما يدعو الصــديقُ صديقَه * فجئت كما يأتى إلى مثــله مِثْـلِى

فلمـا جلســنا للطعام رأيتُــه * يرى أنه من بعض أعضائه أَكْلِى

ويغتاظ أحيانا ويَشْـتُم عبــده * وأَعْلَمُ أن الغيظ والشتمَ من أجلى ٥

فأقبلت أستلّ الغــداء مخافَةً * وألحاظ عينيــه رقيبٌ على فِعْلى

أمــدّ يدى سِرًّا لأَسْرِقَ لُقْــمَةً * فيلحظنى شَزْرًا فأَعْبَثُ بالبَقْــلِ

إلى أن جنتْ كَفِّى لحتفى جِنَايَةً * وذلك أن الجــوعَ أعْدَمِنى عَقْلِى

فجــرّت يدى للحَيْنِ رِجْلَ دَجَاجَةٍ * فجَرَّتْ كما جَرَّت يدى رجلها رِجْلِى

وقدّمَ من بعد الطعامِ حَلَاوةً * فـلم أستطِع فيهـا أُمِرُّ ولَا أُحْلِى ١٠

وقمتُ لو أنّى كنتُ بَيَّتُّ نِيَّــةً * رَبِحْتُ ثوابَ الصومِ مَعْ عدمِ الأكل

وقال آخر :

تراهم خشيةَ الأضيافِ خُرْسًا * يُقيمون الصلاةَ بلا أذانِ

⁂

احتجاج البخلاء وتحسينهم للبخل على قبحه ١٥

قالت الحكماء : لتكن عنايتُك بحفظ ما اكتسبتَه كعنايتك باكتسابه .

وقال أبو الأسود الدؤلىّ لبنيه : لاتُجاودوا الله فإنه أكرم وأجود ، ولو شاء أن يُغْنِىَ الناس كلَّهم لفعل ، ولكنه علِم أن قوما لايُصلحهم ولا يصلُح لهم إلا الفقر ، وقوما لايُصلحهم ولا يصلُح لهم إلا الغنى .

وقال رجل من تَغْلِب: أتيت رجلا من كِنْدة أسأله، فقال : ياأخا بنى تغلب، إنّى لن أصلَك حتّى أحرمَ من هو أقرب إلىّ منك، [وإنى والله لو مكّنتُ من دارى لنقضوها طوبة طوبة][1]، وإنه لم يبقَ من مالى وعِرْضى وأهلى إلا ما منعتُه من الناس .

٥ وقيل : إن لقمانَ الحكيمَ قال لابنه : يابُنَىّ، أُوصيك باثنتين لن تزال بخير ماتمسكتَ بهما : دِرْهَمكَ لمعاشك، ودِينك لمعَادِك .

وقال أبو الأسود : إمساكُك[2] ما تبذُل، خير من طلبك مابيذُل غيرُك ؛ وأنشد :

يلوموننى فى البخل جَهْلًا وضلّةً * وَلَلْبُخْلُ خيرٌ من سؤال بخيل

ونظيره قول المتَلَمِّس :

١٠ وحَبْسُ المـال أيسَرُ من بُغَاءٍ[3] * وضَرْب فى البـلاد بغير زاد
وإصْلَاحُ القليـل يَزيدُ فيـه * ولا يَبْـقَى الكثيرُ مع الفسادِ

وقال الجاحظ[4] : قلت للحزامىّ : يابخيل ! قال : لا أعدمنى الله هذا الاسم، لأنه لايقال لى بخيل إلا وأنا ذومال ، فَسَلِّمْ لى المـال وسَمِّنِى بأىّ اسم شئت ؛ قلت : ولا يقال لك سخىّ، إلا وأنت ذومال ، فقد جمع الله لهـذا الاسم المـال والحمد،

١٥ وجمع لذاك المـال والذّمّ ؛ فقال : بينهما فرق عجيب، وبَون بعيد، إن فى قولهم : بخيل سببا لمكث المـال فى ملكى ، وفى قولهم سخىّ سببا لخروجه عن ملكى، واسم

(١) زيادة عن العقد الفريد ج ٣ ص ٣٣٣

(٢) رواية العقد الفريد : امساكك ما بيدك خير من طلبك ما بيد غيرك .

(٣) فى الأصل : «بناء» والبغاء (بالضم والمد) : السعى والطلب .

٢٠ (٤) ورد هذا الخبر فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٣) والبخلاء للجاحظ ص ٦٥ طبع ليدن بتبسط عما هنا .

البخل فيه حزم وذَم، وآسم السخاء فيه تضييع وحمد، وما أقلّ غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعَرِىَ ظهره، وضاع عياله، وشَمِت به عدوّه ! .

٩٧ وقال محمد بن الجَهْم : مِن شأن مَن آستغنى عنك ألّا يقيم عليك، ومنِ آحتاج إليك ألّا يزول من عندك . ومن حُبّك لصديقك وضَنّك بمودّته ألّا تبذُلَ له ما يُغنيه عنك، وأن تتلطف له فيما يحُوِجه إليك . وقد قيل فى مثل هذا : « أَجِعْ كَلْبَكَ يَتْبَعْك، وسَمِّنه يأكُلْك» . فمن أَغْنَى صديقه فقد أعانه على الغَدْر، وقطع أسباب الشكر . والمُعين على الغدر شريك للغادر، كما أن المزَيّن للفُجور شريكٌ للفاجر .

وقال أبو حنيفة: لاخير فيمَنْ لا يصون ماله ليصونَ به عِرْضَه، ويَصِلَ به رحمه، ويستغنِيَ به عن لئام الناس . قال عبد الله بن المعتزّ :

أَعاذِل ليس البخل منّى سَجيَّـةً * ولكن وجدتُ الفقرَ شَرَّ سبيلِ
لَموت الفتى خيرٌ من البخل للفتى * ولَلْبخلُ خيرٌ من سؤال بخيـلِ

وكان داود بن علىّ يقول: لَأن يترك الرجلُ مالَه لأعدائه خيرٌ من الحاجة فى حياته لأوليائه . قال الشاعر :

مَالٌ يُخَلّفهُ الفتَى * للشامتين من العِـدَا
خيرٌ له من قصده * إخوانَهُ مسترفِدَا

وقال سُفْيَانُ الثّورِىّ : لأن أُخلِّفَ عشرة آلاف درهم أُحاسَبُ عليها أحبُّ إلىّ من أن أحتاج إلى الناس . وقال : كان المال فيما مضى يُكره، وأمّا اليوم فهو يزين المؤمن . وجاءه رجل فقال له : ياأبا عبد الله ، تُمسك هذه الدنانير ! فقال : آسكت، فلولاها لتَمَنْدَلَتْنا هؤلاء الملوك؛ ولكن من كان فى يده منها شىء فليصلحه، فإنه زمانٌ مَنِ آحتاج فيه كان أوّل مايبذلُ دِينَه .

وقال المنصور لمحمد بن مروان التميمى : إنك لسيِّد لولا جودٌ فيك؛ فقال : ياأمير المؤمنين، إنى لأجمُد فى الحق، ولا أذوب فى الباطل .

وكان محمد بن الجهم يقول : من وَهَب من عمله فهو أحمق، ومن وهب بعد العزل فهو مجنون ، ومن وهب من جوائز ملوكه أو ميراثه فهو مخذول ، ومن وهب من كَسْبِه وما آستفاده بحيلة فهو المطبوع على قلبه، المأخوذ ببصره وسمعه . ٥

وسأل رجل زياد بن أبيه فأعطاه درهما ؛ فقال : صاحبُ العِراقَيْن أسأله فيعطينى درهما ! فقال له زياد: مَنْ بيده خزائن السموات والأرض ربما رزق أخصّ عباده عنده وأكرمَهم لديه التمرةَ واللقمة، وما يكبُر عندى أن أَصِلَ رجلا بمائة ألف درهم ، ولا يصغُر أن أُعطى سائلا رغيفا، أن كان ربّ العالمين فعل ذلك .

١٠ قال الشاعر :

يارُبَّ جُود جرَّ فقرَ آمرئ * فقام للناس مَقام الذليل
فآشْدُدْ عُرَا مالِك وآسْتَبْقِه * فالبخلُ خيرٌ من سؤال البخيل

وقال الشريف بن الهَبَّارِيَّة :

لَأصونَنَّ دِرْهمى * فهو لا شكَّ صانى
١٥ لم يُعِنّى آبنُ والدى * وصحيحى أعانى

وقال أيضا :

لله دَرُّ دراهمى * فَهْىَ التى أعلت مكانِى
لولا الغِنَى عن صاحبى * لَأَحلَّنى دارَ الهوانِ

وقال آخر :

٢٠ كن بما أوتيتَه مُغتبِطًا * تَستدِمْ عيشَ القَنوعِ المُكتفِى

إنّ في نَيْل المُنى وَشْكَ الرَّدى * وٱجتنابُ القصد عينُ السَّرَف
كَسِراجٍ دُهْنُـــه قوتٌ له * فإذا غَرَّقْتَــه فيـــه طَفِي

ومن ذلك رسالة[(١)] كتبها سهل بن هارون، وقد عيب عليه أمور من البخل، فٱعتذر عنها وٱحتجّ فقال :

أصلح الله أمركم، وجمع شملكم، وعلّمكم الخيرَ، وجعلكم من أهله . قال الأحنفُ ابن قَيْس : يا بنى تميم ، لا تُسرِعوا إلى الفتنة ، فإن أسرع النـاس إلى القتال أقلُّهم حَياء من الفِرار . وكانوا يقولون: اذا أردتَ أن ترى العيوب جَمَّةً فتأمّلْ عيَّابا ، فإنه يعيب الناس بفضل مافيه من العَيْب . ومن أعيب العيب أن تعيب ماليس بعيب . وقبيح أن تَنْهى مرشدا أو تُغْرِى بمُشْفِقٍ. وما أريد بما قلت الا هـدايتَكم وتقويمَكم وإصلاحَ فسادكم، وإبقاءَ النعمة عليكم. ولئن أخطأنا سبيل إرشادكم فما أخطأنا سبيل حسن النية فيما بيننا وبينكم. ثم قد تعلمون أنّا ما أوصيناكم الا بمـا اخترناه لأنفسنا قبلكم، وشُهِرْنا به فى الآفاق دونكم ؛ ثم نقول فى ذلك ما قال العبد الصالح لقومه : ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلَاحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ . فما كان أحقّكم فى كريم حرمتنا بكم أن ترعَوْا حقّ قصدنا بذلك اليكم على مارعيناه من واجب حقّكم؛ فلا العذرَ المبسوطَ بلغتم ، ولا بواجب الحرمة قمتم. ولو كان ذكر العيوب بِرًّا ونخرا لرأينا فى أنفسنا عن ذلك شـــغلا .

عبتُمونى بقولى لخادمى : أجيدى العجين فيكون أطيب لطعمه، وأزيدَ فى ريعه، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: "أملكوا[(٢)] العجين فانه أحد الرَّيْعين".

(١) وردت هذه الرسالة فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٣٥) والبخلاء للجاحظ (ص ١٠ طبع ليدن) وفى روايتهما بعض ٱختلافات يسيرة عن رواية الأصل .

(٢) أملكوا : أجيدوا عجنه حتى يأخذ بعضه بعضا .

وعبتمونى حين ختمت على سَلٍّ(١) عظيم، وفيه شيء ثمين من فاكهة نفيسة، ومن رطبة غريبة، على عبدٍ نهِمٍ، وصبيّ جشع، وأَمَة لَكْعاء، وزوجة مُضيعة؛ وليس بين أهل الأدب، ولا فى ترتيب الحكم، ولا فى عادات القادة، ولا فى تدبير السادة، أن يستوى فى نفيس المأكول، وغريب المشروب، وثمين الملبوس، وخطير المركوب، التابع والمتبوع، والسيِّد والمسود؛ كما لا تستوى مواضعهم فى المجالس، ومواقع أسمائهم فى العنوانات. ومن شاء أطعم كلبه الدَّجاجة السمينة، وعلف حماره السِّمْسِمَ المُقشّر!

وعبتمونى بالختم، وقد ختم بعض الأئمة على مُدٍّ سَوِيق، وختم على كيس فارغ، وقال: طينة خير من ظِنّة، فأمسكتم عمن ختم على لا شيء، وعبتم على من ختم على شيء!.

وعبتمونى أن قلت للغلام: اذا زدت فى المَرَق فزد فى الإنضاج، ليجتمع مع التأدّم باللحم طِيبُ المرَق، وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: "اذا طَبَخ أحدكم لحما فليزد من الماء فمن لم يصب لحما أصاب مَرَقا".

وعبتمونى بخَصْف النعل، وبتصدير(٢) القميص، وحين زعمتُ أن المخصوفة من النعل أبقى وأقوى وأشبه بالنُّسُك، وأن الترقيع من الحزم، والتفريط من التضييع، والاجتماعَ مع الحفظ، وقد كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يَخْصِفُ نعلَه، ويرقّع ثوبه، ويَلْطَع أصابعه، ويقول: "لو أُهدِىَ الىّ كُرَاع(٣) لقبلت ولو دُعيتُ الى ذراع لأجبت". وقال صلى الله عليه وسلم: "من لم يَسْتَحِ من الحلال خَفّت مؤونته وقلّ

(١) السل: الجونة وهى سليلة مغشاة بالأدم وتكون عند العطارين.
(٢) تصدير القميص: أن يجعل لصدره بطانة.
(٣) رواية الجامع الصغير: "لو أهدى الىّ كراع لقبلت ولو دعيت عليه لأجبت".

كِبْرُهُ" . وقالت الحكماء : لا جديد لمن لم يَلْبَس الخَلَق . وبعث زياد رجلا يرتاد له مُحَدِّثا ، واشترط عليه أن يكون عاقلا ، فأتاه به موافقا ؛ فقال له : أكنتَ به ذا معرفة ؟ قال : لا ، ولكنّى رأيته فى يوم قائظ ، يلبَس خَلَقا ، ويلبس الناسُ جديدا ، فتفرّست فيه العقل والأدب ، وقد علمت أن الخَلَق فى موضعه مثل الجديد فى موضعه . وقد جعل الله لكل شىء قَدْرًا ، وسمّى له موضعا ؛ كما جعل لكل زمان حالا ، ولكل مقام مقالا . وقد أحيا الله بالسّم ، وأمات بالغِذَاء ، وأغصّ بالمـاء ، وقتل بالدواء . وقد زعموا أنّ الاصلاح أحد الكاسِبَين ، كما زعموا أن قلّة العيال أحد اليسارين . وقـد جَبَرَ الأحنف بن قيس يد عنز ، وأمر مالك بن أنس بفرك البَعر . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنـه : من أكل بيضـة فقد أكـل دجاجة ؛ ولبِس سالم بن عبد الله جلد أُضحية . وقال رجل لبعض الحكماء : أريد أن أُهدىَ لك دجاجة ، قال : إن كان لا بدّ ، فاجعلها بَيُوضا .

وعبتمونى حين قلت : من لم يعرف مواضـع السَّرَف فى الموجود الرخيص لم يعرف مواضع الاقتصاد فى الممتنع الغالى . وقد أُتيت بماء للوضوء على مبلغ الكفاية ، وأشفّ[1] من الكفاية ، فلما صرت الى تفريق أجزائه على الأعضاء ، والى التوفير عليها من وظيفة الماء ، وجدت فى الأعضاء فضلا عن المـاء ، فعلمت أن لو كنت سلكتُ[2] الاقتصاد فى أوائله لخرج آخره على كفاية أوّله ، ولكان نصيب الأوّل كنصيب الآخر ؛ فعبتمونى بذلك وشنعتموه علىّ ؛ وقد قال الحسن — وذكر السرف — : أمَا إنه ليكون فى المـاء والكلأ ؛ فلم يرض بذكر المـاء حتى أردفه بالكلإ .

(١) أشف : أقل .

(٢) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل والبخلاء : « مكنت » .

وعبتمونى أن قلت : لا يغرّنّ أحد بطول عمره، وتقويس ظهره، ورقة عظمه، ووهن قوّته، وأن يرى دخله أكثر من رزقه، فيدعوه ذلك الى إخراج ماله من يده، وتحويله الى ملك غيره، أو تحكيم السرف فيه، وتسليط الشهوات عليه؛ فلعلّه أن يكون معمّرا وهو لا يدرى، وممدودا له فى السن وهو لا يشعر؛ ولعلّه أن يُرْزَق الولَدَ على اليأس، وتُحدِث عليه آفات الكِبَر ما لا يخطر على باله ولا يدركه عقله، فيستردّه ممن لا يردّه، ويظهر الشكوى الى من لا يرحمه، أضعف ما كان عن الطلب، وأقبح ما كان له أن يطلب، فعبتمونى بذلك؛ وقال عمرو بن العاص : « اعْمَلْ لدنياك عمل من يعيش أبدا، واعْمَلْ لآخرتك عَمَلَ من يموت غدا» .

وعبتمونى بأن قلت : إن التلف والتبذير الى مال المواريث، وأموال الملوك [أسرعُ][1] . وإن الحفظ الى المال المكتسب، والغنى المجتلب، والى ما يُعرض فيه لذهاب[2] الدِّين، واهتضام العرض، ونَصَب البدن، واهتمام القلب، أسرعُ . ومن لم يحسب نفقته لم يحسب دخله ؛ ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع المال . ومن لم يعرف للغنى قدره فقد أذِن بالفقر، وطاب نفسا بالذلّ .

وعبتمونى بأن زعمت أن كسب الحلال، مُضَمَّنٌ[3] بالإنفاق فى الحلال، وأن الخبيث ينْزِع الى الخبيث، وأن الطيِّب يَدعو الى الطيِّب ، وأن الإنفاق فى الهوى حجاب دون الحقوق ، وأن الإنفاق فى الحقوق حجاب دون الهوى ؛ فعِبْتُم علىّ هذا

(١) التكملة عن البخلاء للجاحظ ، وأصل الجملة فيه : « وعبتمونى حين زعمت أن التبذير الى مال القمار ومال الميراث والى مال الالتقاط وحباء الملوك ، أسرع » .

(٢) كذا فى كتاب البخلاء . وفى الأصل : « بذهاب » .

(٣) فى العقد الفريد : « يضمن الإنفاق» .

القول، وقد قال معاوية بن أبى سفيان : لم أر تبذيرا قطّ إلا والى جنبه حقٌّ مُضَيَّع؛ وقال الحسن : اذا أردتم أن تعرفوا من أين أصاب الرجل ماله فانظروا فى أىّ شىء ينفقه ، فإن الخبيث انمـا يُنْفَق فى السرف. وقلت لكم بالشفقة عليـكم ، وحسن النظر منّى اليكم ، وأنتم فى دار الآفات، والجوائحُ غير مأمونات ، فإن أحاطت بمال أحدكم آفةٌ لم يرجع الى بقيـــة[1]، فاحذروا النِّقم باختــلاف الأمكنة ، فإن البليـة لا تجرى فى الجميـع ؛ وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنــه ، فى العبد ، والأمة، والشــاة، والبعير : فرّقوا بين المنـايا، واجعلوا الرأس رأسين . وقال ابن سيرين [لبعض البحريين][2] : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قالوا : نفرّقها فى السفن، فإن عَطِب بعضٌ سَلِم بعض؛ ولولا أن الســلامة أكثر، ما حمْلنا أموالنا فى البحر؛ فقال ابن سيرين : «تَحْسَبُها خَرْقَاء وهى صَنَاعٌ» .

وعبتُمونى بأن قلت لكم عند إشفاقى عليكم : إن للغنى لَسُكْرا، وللمـال لنَزْوةً، فمن لم يحفظ الغنى من ســكره فقد أضاعه ، ومن لم يرتبط المـال بخوف الفقر فقــد أهمله ، فعبتُمونى بذلك ؛ وقد قال زيد بن جَبَلَة : ليس أحدٌ أقصر عقلا من غَنِىٍّ أمِنَ الفقرَ. وسُكْر الغنى أشدُّ من سكر الخمر . وقــد قال الشاعر فى يحيى بن خالد ابن برمــك :

وَهُوبٌ تِلادَ المـال فيما ينـوبُهُ * مَنُـوعٌ اذا ما مَنْعُه كان أَحْزَمَا

وعبتُمونى حين زعمتم أنّى أقدّم المـالَ على العلم ، لأن المـال به يُفاد العــلم ، وبه تقوم النفس قبــل أن يُعرفَ فضلُ العلم، فهو أصل، والأصل أحقّ بالتفضيل من الفرع، فقلتم : كيف هــذا وقد قيل لبعض الحكماء : الأغنياء أفضل أم العلماء ؟

(١) كذا فى البخلاء . وفى الأصول : « ثقة » . وفى العقد الفريد : « إلا الى نفسه » .

(٢) زيادة من كتاب البخلاء .

فقال : العلمــاء، قيــل له : فمــا بال العلماء يأتون أبوابَ الأغنياء أكثر ممــا يأتى الأغنياء أبواب العلماء ؟ قال : ذلك لمعرفة العلماء بفضل المــال، وجهل الأغنياء بحقّ العلم[1] ؟ فقلت : حالهما هى القاضيــة بينهما ، وكيف يستوى شىء حاجة العامة اليه، وشىء يغنى فيه بعضهم عن بعض ! وكان النبى صلى الله عليه وسلم يأمر الأغنياء باتّخاذ الغَنَم، والفقراء باتّخاذ الدَّجَاج . وقال أبو بكر الصدّيقُ رضى الله عنــه : إنى لأبغض أهل البيت ينفقون نفقةَ الأيام فى اليوم الواحد . وكان أبو الأسود الدُّؤَلِى يقول لولده : اذا بَسَط الله لك الرزق وآبْسُط، واذا قبض فاقبِض .

وعِبْتُمونى حين قلت : إن فضل الغِنَى عن القوت انّما هو كفضل الآلة تكون فى البيت إن آحتيج اليها آستُعْمِلت، و إن استُغْنِىَ عنها كانت عُدّةً، وقد قال الحُصَيْن ابن المنذر : وَدِدْتُ أن لى مِثْلَ أُحد ذهبا لا أنتفع منه بشىء ؛ قيل له : فمــا كنتَ تصنع به ؟ قال : لكثرة مَنْ كان يخدُمنى عليه ، لأن المــال مخدوم . وقال بعض الحكماء : عليك بطلب الغنى . فلو لم يكن فيــه إلا أنه عِزٌّ فى قلبك ، وذُلٌّ فى قلب عدوّك، لكان الحظ فيه جسيما ، والنفع عظيما . ولسنا ندع سيرة الأنبياء ، وتأدّب الخلفاء ، وتعليم الحكماء، لأصحاب الهوى ، فلستم علىّ تردّون ، ولا رأيى تُفَنِّدون ؛ فقدّموا النظر قبل العَزْم، وأَدْركوا ما عليكم من قبل أن تُدرِكوا ما لكم . والسلام .

* * *

ومن نوادر البخلاء : قال رجل لبعض البخلاء : لِمَ لا تدعونى الى طعامك؟ قال : لانك جَيِّدُ المَضْغ سريعُ البَلْع، اذا أكلتَ لُقْمَةً هَيَّأْتَ أخرى؛ قال : يا أخى أتريد اذا أكلتُ عندك أن أُصَلِّى ركعتين بين كلّ لقمتين ! .

---

(١) كذا فى العقد الفريد، وفى البخلاء : «الجميع»، وفى الأصل : «العلماء» .

وقال آخرُ لبخيل : لِمَ لا تدعونى الى طعامك؟ قال : لأنك تُعلِّق، وتُشـدِّق، وتُحـدِّق . أى تحمـل واحدة فى يدك، وأخرى فى شِـدْقك، وتنظر الى الأخرى بعينــك .

وقال بعض البخلاء : أنا لا آكل إلا نصفَ الليل؛ قيل له : ولِمَ ؟ قال يَبْرُدُ المـاء، ويَنْقَمِع الذُّباب، وآمَنُ فجأة الداخل، وصَرْخَة السائل . ٥

وطبخ بعض البخلاء قِدْرًا وجلس يأكل مع زوجته، فقال : ما أطيبَ هذا الطعامَ، لولا كثرة الزِّحام! فقالت : وأىّ زحام، وما ثَمَّ الا أنا وأنتَ؟ قال : كنت أحِبُّ أن أكون أنا والقِدْر .

وقال بعض البخلاء لغلامه : هاتِ الطعامَ، وأَغْلِقِ الباب؛ فقال : يا مولاى، ليس هذا بحَزْم، وانمـا أُغْلِقُ الباب، وأُقَدِّم الطعام؛ فقال له : أنت حُرٌّ لوجه الله. ١٠

وعزم بعضُ إخوانِ أَشْعَبَ عليه ليأكلَ عنـده؛ فقال : إنِّى أخاف من ثقيل يأكل معنا فينغِّص لذّتنا، فقال : ليس عندى إلا ما تُحِبّ، فمضى معه؛ فبينما هما يأكلان اذا بالبـاب قد طُرِق؛ فقـال أشعب : ما أرانا إلا صِرْنا لمـا نكره؛ فقال صاحب المنزل : إنه صديق لى، وفيه عشرُ خصال، إن كرهتَ منها واحدة لم آذن له؛ فقال أشعب : هاتِ، قال : أوّلها، أنه لا يأكل ولا يشرب، فقال : التسعُ لك ودَعْه يدخل، فقد أَمِنَّا منه ما نخافه . ١٥

ذكر ما قيل فى التطفيل

ويتصـــل به أخبـارُ الأَكَلة والمُؤَاكَلة

والتطفيل من اللؤم، وهو التعرّض الى الطعام من غير أن يدعَى اليه. وسنذكر تلو هـذا الفصل آدابَ الأكل، والمُؤَاكلة، والاقتصاد فى المطاعم، والعفّة عنها، ٢٠

وما يجرى هذا المَجْرَى، وان كان خارجا عنه، وانما الشيء يُذْكر بالشيء . والعرب
تقول للطفيلى : الوارِش، والراشِن. قيل : هو مشتق من الطَّفَل وهو الظلمة، لأن
الفقير من العرب كان يحضر الطعام الذى لم يُدْعَ اليه مستترا بالظلمة لئلا يُعرَف .
وقيل : سُمِّى بذلك لإظلام أمره على الناس، لا يدرى مَنْ دعاه . وقيل : بل من
٥ الطَّفَل لهجومه على الناس كهجوم الليل على النهار ، فيكون من الظلمة ؛ ولذلك
قيل: أطفل من «ليل على نهار» . وأوّل من سمِّى بهذا الاسم : طُفَيل العَرائس، واليه
ينسب الطُّفَيليّون. وكان يقول لأصحابه : اذا دخل أحدُكم عُرسا فلا يلتفت تلفّت
المريب، ويتخيَّر المجالس ، وإن كان العُرس كثيرَ الزحام فليمض ولا ينظر فى عيون
الناس، ليظنّ أهل المرأة أنه من أهل الرجل، ويظنّ أهل الرجل أنه من أهل المرأة؛
١٠ وان كان البوّاب غليظا فاحشا، فليبدأ به، ويأمره وينهاه من غير أن يُعنِّف عليه ،
ولكن بين النصيحة والإدلال .

وأشهر من نُسب اليه هذا الاسم وكثرت عنه الحكايات، بُنَان الطُّفَيْلىُّ، وهو
عبد الله بن عثمان، ويكنى أبا الحسن، ولقبه بُنَان، وأصله مَرْوَزىّ وأقام ببغداد،
وكان نقشُ خاتمه "مَالَكُمْ لَا تَأْكُلُونَ" . حكى أن رجلا سأله أن يدعو له ، فقال :
١٥ اللهم ارزقه صحة الجسم وكثرة الأكل، ودوام الشهوة، ونقاء المَعِدَة، وأَمْتعه بضِرْس
طَحُون، ومَعِدة هَضُوم؛ مع السعة والدَّعَة، والأمن والعافية. وقال يُوصى بعض
أصحابه : اذا قعدتَ على مائدة وكان موضعُك ضيِّقا فقل للذى يليك : لعلى ضيقتُ
عليك فإنه يتأخر الى خلف ، ويقول : موضعى واسع، فيتسع عليك موضع رجل .
وقال له طفيلىٌّ : أوصنى، فقال: لا تصادِفَنَّ من الطعام شيئا فترفع يدك عنه وتقول :
٢٠ لعلِّى أصادف ماهو أطيب منه، فإن هذا عجز ووَهْنٌ؛ قال: زدنى، قال: اذا وجدت
خبزا فيه قِلّة فكُلِ الحروف ، فإن كان كثيرا فكل الأوساط ؛ قال : زدنى، قال :

لاتكثر شرب الماء وأنت تأكل، فإنه يصدّك عن الأكل، ويمنعك من أن تستوفى؛ قال : زدنى، قال: اذا وجدت الطعام فكل منه أكل من لم يره قط، وتزوّد منه زاد من لا يراه أبدا؛ قال: زدنى، قال: اذا وجدت الطعام فاجعله زادك الى الله تعالى؛ وقال: إذا دعاك صديق لك فاقعد يَمْنَةَ البيت، فإنّك ترى ماتُحِبُّ، وتسودهم فى كلّ شىء، وتسبقهم الى كلّ خير، وأنت أوّل من يغسل يده والمِنْـديل جافّ، والمـاء واسـع، والخِوان بين يديك يوضـع، والنبيذ أوّل القِنِّينَة ورأسها تشربه، والنَّقْل منتخب يوضع بيرن يديك، وتكون أوّل من يتبخّر؛ فإذا أردت أن تقوم لحاجة لم تحتج أن تتخطّاهم، وأنت فى كل سرور الى أن تنصرف . قال البديع الهمـذانى فى طفيلِّيين يشبههم بُنَان :

خلقتُم بُنَانا فكم من أديبٍ * من الغَيْظ عَضَّ عليكم بَنَانا
إذا ما النهار بدا ضـــوءُه * غدوتُم خِماصا ورُحْتُم بِطانا

ومنهم : عثمان بن درّاج، قيـل له : كيف كنت تصنع إذا لم يُدخلك أهـل العُرس؟ قال: أنوح على الباب، فيتطيَّرون فيدخلوننى . وحكى أبو الفرج الأصفهانى : أن عثمان هـذا كان يلزم سعيد بن عبد الكريم الخطابى أحد ولد زيد بن الخطاب، فقال له : ويحك! إنى أبخل بأدبك وعلمك، وأضنّ بك عما أنت فيه من التطفيل ولى وظيفة راتبـة فى كلّ يوم، فالزمنى وكن مدعوّا، أصالح لك مما تفعل؛ فقال : يرحمك الله، فأين لذّة الجديد، وطيب التنقل كل يوم الى مكان[(١)] ! وأين نَيْلُك ووظيفتك من آحتفال العرس! وأين ألوانك من ألوان الوليمة! قال : فأمّا إذ أبيت[(٢)] ذاك فإذا ضاقت عليك المذاهب فأْتِنى؛ قال: أما هـذا فنعم . قال وقال له رجل : ما هـذه الصُّفرة التى فى لونك ؟ قال : من الفترة التى بين القَصْعَتين ، ومن خوفى

(١) كذا فى الأغانى (ج ١٥ ص ٣٧ طبع بولاق) . وفى الأصل : « هَوَيناك » .
(٢) كذا فى الأغانى . وفى الأصل : « فاذا ثبت » .

فى كلّ يوم من نفاد الطعام قبل أن أشبع. وقيل له مرة : هل تعرف بستان فلان؟ فقال : إى والله، وإنه للجنة الحاضرة فى الدنيا؛ قيل له : فلم لا تدخل اليه فتأكلَ من ثماره، وتقِيلَ تحت أشجاره، وتسبحَ فى أنهاره ؟ قال : لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدماء عراقيب الرجال . وعثمان هذا الذى يقول :

٥ لَذّةَ التطفيل دُومى * وأَقيمى لَا تَرِيمِى
أنت تَشْفِين غَلِيلى * وتسلِّين هُمُومى

ولهم أخبار وحكايات ، منها : ما نقل عن نصر بن علىّ الجَهْضَمى أنه قال : كان لى جار طفيلى إذا دعيت الى مدعاة ركب معى وجلس حيث أجلس، فيأكل وينصرف، وكان نظيفا عطِرا، حسن اللباس والمركب؛ وكنت لاأعرف من أمره ١٠ إلا الظاهر، فاتفق لجعفر بن القاسم الهاشمى حتّى دعا له أشراف البصرة ووجوهها، وهو يومئـذ أمير البصرة ، فقلت فى نفسى : إن تبعنى هـذا الرجل الى دار الأمير لأخزينّه؛ فلمـا كان يوم الحضور جاءنى الرسـول فركبت، وإذا به قد تبعنى حتى دخل بدخولى، وآرتفع حيث أُجلست؛ فلماحضرنا الطعام، قلت: حدّثنا دُرُسْتُ آبن زياد عن أبان بن طارق عن نافع عن آبن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه ١٥ وسـلم : "من دخل الى دار قوم بغير إذْنِهم دخل سـارقا وخرج مُغِيرا[(١)] ومن دُعِى فلم يُجِب فقد عصى اللهَ ورسـولَه" ، فظننت أنى قد أشرفت على الرجل وقصّرت من لسانه؛ فأقبل علىّ وقال: أعيذك بالله من هذا الكلام فى دار الأمير، فإن الأشراف لايحتملون التعريض باللؤم، وقد حَظَر الدينُ التعريضَ، وعزّر عليه عمر رضى الله عنه؛ ووليمة الأمير دعاء لأهل مِصره فإنه سَـلِيلُ أهل السقاية والرفادة، والمطعمين

٢٠ (١) روايته فى تهـذيب التهذيب فى ترجمة أبان بن طارق : «من دخل على غير دعوة دخل سارقا ... الخ» .

الأفضلين الذين هَشَمُوا الثَّرِيد، وأبرزوا الجِفَان لمن غدا إليهـا ؛ ثم لا تُوزع وأنت في بيت من العلم معروف من أن تحدّث عن درست بنِ زياد وهو ضعيف، عن أبان ابن طارق وهو متروك الحديث، بحكم رفعه الله الى النبي صلى الله عليه وسلم ؛ والمسلمون على خلافه، لأن حكم السارق القطع، والمغير يُعَزَّرُ على ما يراه الإمام، وهذان حكمان لا ينفذان على داخلٍ دارا في مجمع فيتناول لُقَما من فضل الله الذي آتى أهلَها ثم لا يُحدِثُ حدثا حتى يخرجَ عنها ؛ وقد قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " طعامُ الواحد يكفِي الاثنين وطعامُ الاثنين يَكْفِي الأربعة " ، حدّثنا بذلك أبو عاصم النبيل عن ابن جُرَيج عن أبي الزبير عن جابر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ؛ فأين أنت عن هذا الحديث الصحيح الإسناد والمتن ؟ قال نصر : فأصابتني خَجْلَة شديدة، فلما نظر الرجل الى ما بي أكل ونهض قبلي، فلما خرجت وجدتُه واقفا على دابتـه بالباب، فلما رآني تبعني، ولم يكلّمْني ولم أُكلّمْه، إلا أني سمعته يتمثل :

ومَنْ ظنَّ مِمَّنْ يُلاقِي الحروب * بألاّ يُصاب فقـد ظَنَّ عَجْزَا

وقيل : مرّ طفيليٌّ بسكة النَّخَع بالبصرة على قوم وعندهم وليمة، فاقتحم عليهم، وأخذ مجلسـه مع مَنْ دُعِي، فأنكره صاحب المنزل، فقال له : لو تأنَّيتَ أو وقفت حتّى يُؤذَنَ لك أو يُبعثَ إليك ! فقال : إنمـا اتُّخذتِ البيوتُ ليُدْخَلَ إليها، ووُضعتِ الموائدُ ليؤكَلَ ما عليها، وما وجّهت بهديّة فأتوقع الدعوة ؛ والحِشْمَةُ قطيعةٌ، واطِّراحُها صلَةٌ ؛ وقد جاء في الأثر : «صلْ مَنْ قطعك، وأَعْطِ مَنْ حرمك» ؛ ثم أنشد :

كلَّ يوم أدورُ في عَرْصَةِ الدّا * ر أشمُّ القُتَـار[1] شمَّ الذُّبابِ

فاذا ما رأيتُ آثارَ عُرْس * أو دُخَانا أو دَعْوةَ الأصحابِ

(١) القتار : ريح الشواء .

لم أعرِّج دون التقحُّم لا أر * هَبُ[1] شتمًا ولَكْزة البوّاب
مُستهِينا بمن دخَلت عليه * غيرَ مُستأذِن ولا هيَّابِ
فتراني ألُفُّ بالرغم منهم * كلَّ مَا قدّموه لَفَّ العُقَابِ

ووصف طفيليّ نفسه فقال :

٥ نحنُ قومٌ إذا دُعِينا أَجَبْنَا * ومتى نُنْسَ يَدْعُنَا التطفِيلُ
ونقـل علّنا[2] دُعِينَا فَغِبنَا * وأتانا فلم يَجِدْنَا الرسولُ

وقال آخر :

نحنُ قومٌ نُحِبُّ هَدْىَ رسولِ اللّهِ هَدْياً به الصوابَ أَصَبْنَا
فادْعُنا كلَّما بَسطْتَ فإنَّا * لَوْ دُعِينا إلى كُرَاعٍ أَجَبْنَا

١٠ وقال آخر :

نحنُ قومٌ إن جفا النَّا * سُ وَصَلْنَا من جفانا
لا نُبالى صاحب الدَّا * ر نَسِينا أم دَعانا

وقال آخر وقد أقبل إلى طعام، من غير أن يُدْعى إليه، فقال له صاحب الصنيع : مَنْ دعاك ؟ فأنشد :

١٥ دعوتُ نفسى حين لم تَدْعُنى * فالحمدُ لى لا لكَ فى الدَّعوهْ
وكان ذَا أحسن من مَوْعِدٍ * إخلافُه يدعو إلى جفوهْ

وقد مدح أبو رَوْح ظفر بن عبد الله الهَرَوى طُفَيليًا ولم يُسْبَق إليه، فقال :

إنَّ الطفَيْلِيَّ له حُرْمَةٌ * زادتْ على حُرمة نَدْمَانى
لِأنه جاء ولم أَدْعُه * مبتدِئًا منه بإحسانِ

٢٠ (١) رواية العقد الفريد : « لا أرهب طعنا » .
(٢) كذا فى العقد الفريد : وفى الأصول : « قولنا » ... الخ .

ودخل طفيلىّ إلى قوم فقالوا له : ما دعوناك ! فما الذى جاء بك ؟ فقال : إذا لم تدعونى ولم آت وقعتْ وحشة، فضحكوا منه وقرّبوه .

وقيل : مرّ طفيلىّ على قوم يتغذّون، فقال : سلام عليكم معشرَ اللئام، فقالوا : لا والله بل كرام ؛ فثنى ركبتَه ونزل، وقال : اللهـمّ اجعلهم من الصادقين، واجعلنى من الكاذبين . ٥

قال هشام أخو ذى الرمّة لرجل أراد سفرا : إنّ لكل رُفقة كلبا يَشْرَكُهم فى فضلة الزاد، فإن استطعت ألّا تكون كلب الرِّفاق فافعل .

ونظر طفيلىّ إلى قوم من الزنادقة يُسار بهم إلى القتل، فظنّهم يُدْعَون الى صنيع، فتلطّف حتّى دخل فى لفيفهم وصار كواحد منهم، فلما بلغوا صاحب الشُّرطة، أمر بضرب أعناقهم، فقُدّموا واحدا بعد واحد حتّى انتهَوْا إلى الطفيلىّ، فلما قُدِّم للقتل ١٠ التفت إلى صاحب الشُّرطة فقال له : إنّى واللهِ ما أنا منهم، ولا أعلم بما يدينون؛ وإنما أنا طفيلىّ ظننتُهم يُذْهَب بهم إلى صنيع، فتلطّفت حتّى دخلت فى جملتهم؛ فقال : ليس هذا مما ينجيك، اضربوا عنقه؛ فقال: أصلحك الله، إن كنتَ عزمتَ على قتلى فأمُرِ السياف أن يضرب بطنى بالسيف، فإنه هو الذى أوقعنى فى هذه الورطة، فضَحِك، وكشف عنه فأُخبِر أنه طفيلىّ معروف، فخلّى سبيله . ١٥

وحُكِى أنّ المأمون أمر أن يحمل إليه عشرة من الزنادقة سُمُّوا له من أهل البصرة، فجُمِعوا، فأبصرهم طفيلىّ فقال : ما اجتمعوا إلا لصنيع، فدخل فى وسطهم ومضى بهم الموكَّلون، حتّى انتهوا إلى زورق قد أُعِدّ لهم؛ قال الطفيلىّ : هى نُزْهة، فدخل معهم الزّورق، فلم يكن بأسرع من أن قُيِّدوا، وقُيِّد معهم الطفيلىّ، ثم سِير بهم إلى بغداد؛ فأُدْخِلوا على المأمون، فجعل يدعوهم بأسمائهم رجلا رجلا، ويأمر بضرب ٢٠

أعناقهم، حتى وصل إلى الطفيلىّ، وقد آستوفى العِدّة؛ فقال للموكّلين : ما هـذا ؟
قالوا : والله ما ندرى ، غيرَ أنَّا وجدناه مع القوم، فجئنا به؛ فقال له المأمون :
ما قصّتُك ؟ ويلك ! فقـال يا أمير المؤمنين : آمرأتى طالق إن كنت أعرف من
أقاويلهم شيئا ولا ممـا يدينون به، وإنما أنا رجل طفيلىّ، رأيتُهم مجتَمعين فظننتُ
٥ صنيعا يُدعون اليه؛ فضحك المأمون وقال : يؤدّب ؛ وكان إبراهيم بن المهدىّ قائما
على رأس المأمون فقال : يا أمير المؤمنين، هب لى ذنْبه(١)، وأحدّثك بحديث عجيب
عن نفسى؛ قال : قل يا إبراهيم؛ قال : يا أمير المؤمنين، خرجتُ من عنـدك يوما
فطُفْت فى سِكَك بغداد متطرِّبا(٢) حتى آنتهيت إلى موضع كذا، فشممت منه قُتَـار
أبازير قُدور قـد فاح [طيبهـا](٣)، فتاقت نفسى إليهـا وإلى طِيب ريحها، فوقفت
١٠ إلى خيـاط فقلت له : لمَنْ هـذه الدار؟ فقال : لرجل من التّجار [البزازين](٣) ،
قلت : ما آسمه؟ قال : فلان بن فلان، فرميت بطرفى إلى الدار، فإذا شُبَّاك فيهـا
مُطلّ ، وإذا كَفٌّ قـد خرج من الشُّبّاك ومِعْصَم ، فشغلنى حسنُ الكفّ والمعصم
عن رائحة القُـدُور ، فَبُهِتُّ ساعة ، ثم أدركنى ذهنى ، فقلت للخيـاط : أهو مِمَّن
يشربُ النبيذَ ؟ قال : نعم، وأحسب أنّ عنده اليومَ دعوة،وهو لاينادم إلا تُجّارا مثله
١٥ مستورين ؛ فإنى لكذلك(٤) إذ أقبل رجلان نبيلان راكبان من رأس الدَّرْب، فقال لى
الخياط : هؤلاء منادماه؛ فقلت : ما آسمـاهما وما كُنَاهما ؟ فقال : فلان وفلان،
فحرّكتُ دابّتى وداخلتهـما وقلت : جُعِلْتُ فِدَا كما ، قـد آستَبْطأَ كما أبو فـلان ،

(١) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : «هب لى أدبه» .

(٢) كذا فى أحد الأصلين والعقد الفريد . وفى الأصل الآخر : « متطرفا » .

٢٠ (٣) التكملة عن العقد الفريد .

(٤) فى العقد الفريد : « فبينا أنا كذلك » .

وسايرتهما حتّى بلغنا الباب، فأجلّانى وقدّمانى فدخلت ودخلا ؛ فلما رآنى صاحب المنزل معهما ، لم يشك أنى منهما، فرحّب بى وأجلسنى فى أفضل المواضع ؛ فجىء يا أمير المؤمنين بمائدة عليها خبز نظيف وأُتينا بتلك الألوان، فكان طعمها أطيب من ريحها، فقلت فى نفسى : هذه الألوان قد أكلتها، بقيت الكفّ [والمعصم] (١)، كيف [أصل] (١) إلى صاحبتيهما ؟ ثم رُفع الطعام، وجىء بالوَضُوء، ثم صرنا إلى مجلس المنادمة ، فإذا أشكَلُ منزل ؛ وجعل صاحب المنزل يلطُف بى ، ويميل علىّ بالحديث، حتّى إذا شربنا أقداحا خرجت علينا جارية كأنها بدر، تتثنّى يا أمير المؤمنين كالخيزران، فأقبلتْ وسلّمت غير خَجلة، وثُنيت لها وِسادة فجلست عليها، وأُتى بالعود فوُضع فى حِجرها، فجسّته فاستبنتُ حِذقها فى جَسّها، ثم آندفعتْ تُغَنّى :

توهّمَها طَرفى فأصبح خَدُّها * وفيه مكان الوَهم من نظرى أُثُرُ (٢)
تُصافحُها كفِّى فتؤلِم كَفَّها * فمِنْ مَسّ كَفِّى فى أناملها عَقْرُ

فهيّجتْ يا أمير المؤمنين بلابلى، وطرِبتُ لحسن شعرها، ثم آندفعت تغنّى :

أشرتُ إليها هل عرفتِ مودّتى * فردّتْ بطرف العين إنى على العهد
فَحُدتُ عن الإظهار عَمْدا لسرها * وحادت عن الإظهار أيضا على عَمْد

فصحت يا أمير المؤمنين، وجاءنى من الطرب ما لم أملك نفسى معه، ثم آندفعتْ فغنّت الصوت الثالث :

أليس عجيبا أن بيتا يَضُمُّنِى * وإياك لا نخلو ولا نتكلّمُ
سوى أعين تشكو الهوى بجفونها * وتقطيع أكباد على النار تُضْرَمُ
إشارة أفواهٍ وغمز حواجبٍ * وتكسير أجفان وكَفّ تُسَلِّمُ

(١) زيادة عن العقد الفريد .
(٢) الأثر : أثر الجرح يبقى بعد البرء .

لحسدتها والله يا أمير المؤمنين على حِذقها ومعرفتها بالغناء، وإصابتها لمعنى الشعر ؛ فقلت : بقى عليك ياجارية ، فضربتْ بالعود على الأرض ، وقالت : متى كنتم تُحْضرون مجالسَكم البُغَضاءَ! فندمتُ على ما كان منّى، ورأيت القوم تغيّروا لى، فقلت : أمَا عندكم عود غيرُ هذا ؟ قالوا : بلى ، فأُتيت بعود فأصلحت من شأنه ٥ ثم غنّيت :

ما للمنازل لَا يُجِبْنَ حَزِينا * أَصَمِمْنَ أم قَدُم المدى[1] فَبلِينا

راحوا العَشِيّةَ رَوْحةً مذكورةً[2] * إنْ مُتْنَ مُتْنا أو حَيِينَ حَيِينَا

فما آسْتَتْمَمْتُه يا أمير المؤمنين، حتّى قامت الجارية ، فأكبّت على رجلىّ تقبّلهما، وقالت : مَعْذِرة يا سيّدى، فوالله ما سمعت أحدا يُغَنِّى هذا الصوت غِنَاءك ، وقام ١٠ مولاها وأهل المجلس، ففعلوا كفعلها؛ وطرب القوم وآستحثّوا الشرب فشربوا؛ ثم آندفعتُ أغَنِّى :

أَفِى الحقِّ[3] أن تَمْشِى ولا تَذْكُرَنّى * وقد هَمَعت عيناى من ذكرها الدّما

إلى الله أشكو بُخْلَها وسماحتِى * لها عسلٌ منّى وتبذل عَلْقَما

فَرُدِّى مُصَابَ القلبِ أنتِ قتلتِه * ولا تَتْرُكِيه ذَاهِلَ العقلِ مُغْرَما

١٥ فطَرِب القومُ حتّى خرجوا من عقولهم ، فأمسكتُ عنهم ساعة حتّى تراجعوا ، ثم غنّيتُ الثالث :

---

(١) كذا فى العقد الفريد . وفى الأصل : «البلى» .

(٢) فى العقد الفريد : «روحة مكورة» .

(٣) رواية العقد الفريد :

٢٠ أبى الله أن تمشى ولا تذكرينى * وقد سفحت عيناى من ذكرك الدما

هـــذا مُحبّك مطويًّا على كَمَدِهْ * عبرى مدامُعه تجرى على جسدهْ[1]

له يَدٌ تسأل الرحمنَ راحته * ممّـا به ويَدٌ أخرى على كَبِده

فجعلت الجارية تصيح : هـذا الغِناء والله يا سيدى لا ما كنّا فيه منذ اليوم؛ وسكر القومُ، وكان صاحب المنزل حسنَ الشرب، صحيحَ العقل؛ فأمر غلمانه أن يُخرِجوهم ويحفظوهم إلى منازلهم، وخلوتُ معه؛ فلما شرِبْنا أقداحا، قال : ياسيدى، ذهب ما مضى من أيامى ضَيَاعا، إذ كنتُ لاأعرفك ، فمن أنت ؟ ولم يزل يُلِحّ علىّ حتّى أخبرتُه الخَبَر؛ فقام وقبّل رأسى وقال : وأنا أعجب أن يكون هذا الأدب إلا لمثلك ! وإنى لجالس مع الخلافة ولا أشعر؛ ثم سألنى عن قصتى، فأخبرته حتّى بلغتُ إلى صاحبة الكف والمعصم ، فقال للجارية : قومى فقولى لفلانة تنزل ، فلم تزل تنزل جواريه واحدةً واحدةً فأنظر إلى كَفّها ومِعصَمِها، وأقول : ليس هى هذه ! حتّى قال : والله مابقى غيرُ أختى وأُمّى، والله لأُنزلَنّهما إليك؛ فعجبتُ من كرمه وسعة صدره، فقلت : جُعِلتُ فداك، ابدأ بالأخت قبل الأم فعسى أن تكون هى؛ فبرزتْ؛ فلما رأيْت كَفَّهَا ومِعْصَمَها قلت : هى هــذه؛ فأمر غلمانه فساروا إلى عشرة مشايخ من جِلّة جيرانه فأقبـلوا بهم، وأمر بِبَدْرَتين فيهما عشرون ألف درهم، ثمّ قال للمشايخ : هذه أختى فلانة ، أُشهدكم أنى قد زوّجتها من سيّدى إبراهيم بن المهدىّ، وأمهرتها عنه عشرين ألف درهم، فرضيت وقبِلت النكاح، فدفع إليها البَدْرة، وفرّق الأخرى على المشايخ وصرفهم؛ ثم قال : ياسيدى، أمهّد بعضَ البيوت فتنام فيه مع أهلك؟ فأحشمنى ما رأيت من كرمه، فقلت : أحضر عَمّـارِيّةً[2] وآحملها إلى منزلى، ففعل؛ فوالله ياأمير المؤمنين، لقد أتبعها من الجَهَاز ما ضاقت عنه بيوتنا؛ فأولدتها

(١) فى العقد الفريد : « جرى مدامعه » .

(٢) العمارية : هودج يجلس فيه .

هذا القائم على رأس أمير المؤمنين — يشير إلى ولده — فعجب المأمون من كرم الرجل وألحقه فى خاصة أهله، وأطلق الطفيليّ وأجازه .

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبدالباقى بن عبد المجيد اليمانىّ، وهو الذى حاز قصبات السبق فى فنّ الأدب على أترابه، وفاز من البلاغة بِقِدْحها المُعَلَّى فى عُنفُوان شبابه، رسالةٌ وضعها فى هذا الفنّ، وصار له بها على أهله غاية المنّ؛ مع نزاهة نفسه الأبيّة، وآرتفاعه عن المطاعم الدنيّة؛ و إنما وضعها تجربة لخاطره، وضمها إلى فوائد دفاتره، وهى :

هذا عهد عهده زارد بن لاقم، لبالع بن هاجم، آستفتحه بأن قال :

الحمد لله مسهّل أوقات اللذّات وميسّرها، وناظم أسباب الخيرات ومُكَثِّرها، وجاعل أسواق الأفراح قائمة على ساق، جابرة لمن ورد إليها بأنواع الإرفاد وأجناس الإرفاق؛ أحمده على أن أحلّنا فى منازل السادات أرفعَ الدرجات، وأحلّ لنا من الأطعمة الفائقة الطيّبات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تهدينا إلى المقام الرفيع، وتخصّنا بالمحل الجسيم المنيع؛ وأشهد أن محمدا عبده ورسوله رب المكارم الجسام، ومعدن الجسارة والإقدام، الجامع بين فضيلتى الطعان والطعام؛ صلى الله عليه وعلى آله أهل السماحة والكرم والإكرام، صلاة تُحِلُّ قائلها فى غُرُفَاتِ الجنان فى دار السلام . وبعد ، فإن صناعة التطفيل صناعةٌ مهوبة، وحرْفة هى عند الظرفاء محبوبة؛ لا يَلْبَس شعارَها إلا كلُّ مقدام، ولا يرفع خافقَ علمها إلا من عُدَّ فى حرْفته من الأعلام؛ ولا يتلو أساطير شهامتها إلا من آرتضع أفاويق الصَّفَاقة، ولا يهتدى لمنار عَلَائها إلا من نزع عن مَنْكبيه رداء الرَّقاعة والحماقة ؛ وكنتُ والفَوْد غُدَافىّ الإهاب، والغصن رَيّان من ماء الشباب ، والقَدُّ يَميس فى حُلّة النشاط، والقدم

تَذْرَع الأرض ذَرْعَ الاختباط ؛ لا يُقام سوق وليمةٍ إلا وأنا الساعى إليها ، ولا ترفع أعلام نار مَأْدُبة إلا وكنت الواقف لديها ؛ أتخذ الدروب شبا كا للاصطياد، وحبائل أبلغُ بها لذيذ الازدراد؛ قد جعلت المَعْطِس حليف الهواء ، والقلب نزيل الأهواء؛ فحيث عبَقت روائح الأبازير من أعالى تلك القصور ، وتمنـدلت(1) تلك الشوارع بزعفران البُرَم والقُـدُور ؛ ألقيت عصا المسير على البـاب ، وخَلبتُ بحسن أدبى قلْبَ البوّاب ، وأوسعت فى وصولى ألفَ حيلة، وجعلتها على ما عندى من حسن فنونها مَخِيلة ؛ فلا دعوة إلا وكنت عليهم دعوة ، ولا وليمة خِتَان إلا وقـد طلعت على أرجائهـا مثل الخاتِ، ولا سِماط تأليب(2) إلا وكنتُ إليه الساعى المنيب، ولا مَجْمَع ضيافة إلا وكنت عليه أشدّ آفة، ولا ملاك عُرْس مشهود إلا وٱنتظمت فى سلك الشهود؛ يحسن فىّ قول القائل :

لو طُبِخَت قِدْر بمَطْمُورة * موقدُها الشام وأعلى الثغور

وأنت فى الصين لوافيتهـا * ياعالمَ الغيب بما فى القُدُور

واليوم قـد مال القَويمُ إلى الاعوجاج، وعزّ بازى الشيب غُرابَ الشَّـعر الدّاج ؛ وقيّد الزمَنُ أقداما ،ومنعت الشيخوخة إقداما ؛وصرتُ لحما على وَضَم ، بعد أن كنت نارا على عَلَم ؛وقد أفادتنِى التَّجْربةُ من هذه الصناعة فنونا، وتلت علىّ من محاسنها متونا ؛ وقد أبقيت لكل مجمع بابا، وفَذْلَكْت لكل مَشهد حسابا ؛ وقد ٱقتضى حسن الرأى أن أفوض إليـك أمرها ، وأُودِع تأمورَ قلبك وحسّك سرّها ؛ علمى بأنك الكَيِّس الفَطِن، بل الألْمعىّ الذَّرِب المَرِن ،لو عقدت أ كلةُ الولائم بغَابٍ ولجَه، وأحسن بتأتّيه الجميل مَدْخَلَه ومَخْرَجَه؛ وقد شاهدتُ من أعمالك الصالحة ، ما يقال عند ذهابى :

---

(1) تمندلت : تضوّعت وفاحت، وأصل التمندل : التطيب بالمندل .

(2) فى الأصل : « تأنيب » .

ما أشبه الليلة بالبارحة؛ وقد عَهِدتُ إليك، وآستخرت الله فى التعويل عليك؛ فمثلك من يُخْطَب للناصب، و يتسنّم ذِرْوَة المراتب؛ ودونك ما أنطق به من الوصايا، وآحفظ مايسْرُدُه لسانُ القلم من جميل المزايا : إياك وموائدَ اللئام، وآنزل بساحات الكرام؛ وآتخذ الشروع فى الشوارع حرفة، وأظهر على مشيك صَلَافة وعفّة؛ ومَيِّز بعينك حُسْنَ المساطب ونَقْشَ الستُور، وجمال الخدم وقُعود الصدور؛ وآقصد الأبواب العالية، والأكلة المنقوشة الحالية؛ فإن دُللت على مأْدبة نصبها بعض الأعيان، وجمع إليها أصحابه[و] الإخوان؛ فالبَس من ثيابك الجميلة قشيبَها، وضوِّع بالمَنْدَل[1] الرطب طيبَها؛ وأتقن خُبْرَ صاحب الدار وأخباره، وقف فى صدر الشارع من الحارة؛ فاذا رأيت الجمع وقد تهادَوْا بالهوادى والأقدام، وتهادَوْا فيما بينهم لذيذَ الكلام؛ تَقَدَّمْ إليهم بقلب قَلَبَ الأمور، وعلم بحسن تطلّعه وتضلّعه داءَ الجمهور؛ وقل لهم : رب الدار قد آستبطأكم، فما الذى أبطأكم؛ حتّى إذا قاربوا صُعُود العتبة، ولم تبقَ هنالك مَعْتَبَةٌ؛ تقدّمْ رافعا لهم الستور، ومعترفا بمقدار أولئك الصدور؛ فالأضياف يعتقدون أنك غلام المضياف، وربُّ الحلّة يعتقد أنك رفيق السادة الحلّة؛ وإن وَلَجْتَ مجتمع خِتان، وقد نُصِبت فيه موائدُ الألوان، وزُرْفِنتِ[2] الأبواب، وآكفهرّت وجوه الحُجّاب؛ فاجعل تحت ضِبْنِكَ[3] المجمع، وآخدع قلوبهم فمثلك من يَخْدَع؛ وقل : رفيق الأستاذ ومعينه، ورِجْله التى يسعى بها بل يمينه؛ فحينئذ تُرْفَع

(١) المندل : أجود العود .

(٢) زرفنت : أغلقت، قال الشهاب الخفاجى فى شفاء الغليل : وزرفنه كلمة مولدة واستشهد لذلك بقول الشاعر :

خدود لثمها يبرى * من الأسقام لو أمكن
فما تجنى وحارسها * بقفل الصدغ قد زرفن

وفى الأصل «ذرفن» بالذال المعجمة .

(٣) الضبن : الكشف . وفى الأصول . «طنبك» .

السُّتور ، وتُقَدِّمُ لك أطايبُ القُدور ؛ وإن رماك القَدَرُ على باب غفل عنه صاحبُه ، وسها فى غَلْقه حاجبُه ؛ وقد مدُّوا فى أوانيه سِماطا ، وجعلوا لأوائل من يقدمه فِراطا ، وقد تقاربت الزبادى ، وآمتدت الأيادى ؛ ورأيت السِّماط رَوْضَةً تخالفت ألوانها ؛ وآمتـدّت أفنانها ، والموائد فيما بينها أفلاكٌ تدور بصحونها ، بل بروج ثابتة تُشْعِرُ بسكونها ؛ فَلِجْ على غَفْلة من الرقيب ، وآبسُط بَنانَ الأكل وكُفَّ لسان المجيب ؛ فإن قيل لك : أما غُلِّق دونك باب ؟ فقل : ما على الكرماء من حِجاب ؛ وإيّاك والإطالةَ على الموائد ، فإنها مصايدُ الشوارد ؛ وإياك والقَذَارةَ عليها ، فإنها إمارة الحِرْمان لديها ؛ وإن وقعتَ على وليمة كثيرة الطعام ، قليلة الآزدحام ، فكبِّر اللقمة ولا تطل عَلْكَها ، ومُر الفكَّ فى سرعة أن يَفُكَّها ؛ فإنك ماتدرى ماتُحدث الليالى والأيام ، خِيفةَ أن يعثُرَ عليك بعض الأقوام ؛ فتكتسى حُلَّة الخَجَل ، وتظهر على وجهك صُفرة الوَجَل ؛ وآجعل من آدابك ، تطلّعك الى أثوابك ؛ ولا ترفع لمستجلّ وجها وجيها ، وقل لمن يحادثك إيه ولا تقل إيها ؛ وجاوب بنعم ، فإنها مُعينة على آللُّقم ؛ وآجعل لكل مقام ما يناسبه من الحيلة ، ومِلْ إلى أهل الولائم والمآدب مِيلةً وأىَّ مِيلَة ؛ وآسأل عمن ورِث من آبائه مالا ، وقد جمعه بِوَعْثاء السفر وعَنائه حراما وحلالا ؛ أهل يَعْقد مقاما ، أم يبلُغ من دنياه بالقصف مراما ؟ فإن قيل : فلان العلانىّ رَبّ هـذه المثابة ، وصاحب الدعوة المجابة ؛ فكن ثالثةَ الاثافى لِبابه ، وآنتظم فى سلك عُشَرائه وأَتْرابِه ؛ وتفقّـد الأسواق خصوصا الحمّامين ، ومواطِنَ الطبخ ومساطِبَ المطربين ؛ ومَجمَع القراء ومعاهدَ محالّ الوعّاظ ، وكلَّ بقعة هى مَظِنَّة فرح يعود عليك نفعه ؛ وكن أوَّل داخل وآخرَ خارج ؛ ومل إلى الزوايا ، فهى أجمل ما لهذه الحِرْفة من المزايا ؛ ونَقِّلْ رِكابك فى كلّ يوم ، فتارة فى سوق اللحم وتارة فى سوق الثُّوم ؛ وغَيِّر

الحلية، وقصر اللحية؛ وأبرز كل يوم فى لباس، فهو أكثر للالتباس؛ وجدّد البهت حتى تتخذه عصاك، وتجعله ذريعةً لمن عصاك؛ وأتقن الفنون المحتاج اليها: من غناء ونجامة، وطبّ وكهانة(١)؛ وتاريخ وأدب، وكرم أصل وحسب؛ وحالتى التوقيت والتنزيل، فاجعلهما دأبك؛ فإذا عرفوك، وحضر الجمعُ وكشفوك؛ فطرّز كلّ محفل بمحاسن أقوالك، وكلّل جيد كلّ مأدُبة بجواهر أفعالك؛ واعلم أنها صنعة دثرت معالمها، وقلّ عالمها؛ ولو لم أر على وجهك مخايل بشرها، وعلى أعطاف أردانك روائح نشرها؛ لما ألقيتُ إليك كتاب عهدها، ولا حملتُ لبابك راية مجدها؛ فتلقّ راية هذا العهد بساعد مُساعد، وعضد فى الولوج على الأسمطة معاضد؛ فوضتُ اليك أمر من تحلّى بجواهرها المنظومة، ولبس حُللها القشيبة المرقومة؛ وبسطتُ لسان قلمك فى رقم عهودها، وأذنتُ لك أن تجريهم على سنن معهودها؛ وإياك أن تعهد إلا لمن ملك خصالها، وجاس خلالها؛ واستجلى هلالها، وأتقن أحوالها؛ ولايةً عامّةً، وكلمةً مُبرمةً تامّة؛ حرس الله بك معقل الأدب واللطافة، ومحا بك معالم الثقالة والكثافة .

ذكر آداب الأكل والمؤاكلة

قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾. وروى أن داود عليه السلام أمر مناديه فنادى: أيها الناس، اجتمعوا لأعلّمكم التقوى؛ فاجتمعوا، فقام فى محرابه فبكى ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال : يأيها الناس، لا تدخلوا هاهنا إلا طيّبا ، ولا تخرجوا منه إلا طيّبا؛ وأشار إلى فيه . قيل : أول آداب الأكل معرفة الحلال من الحرام، والخبيث من الطيّب.

(١) فى الأصل : «شهامة» وهى لا تتفق مع السياق ، فرجحنا ما وضعناه .

وأما الآداب فى هيئة المُؤَاكلة وأفعالها ، فقد رُوِى أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاب طعاما قطُّ ، إن ٱشتهاه أكله و إلّا تركه . و رُوِى أنّ النبىّ صلى الله عليه وسلم قال : " لا تَشُمُّوا الطعام كما تَشُمُّه البهـائم[(1)] من ٱشتهى شـيئا فليأ كل ومن كَرِه فلْيَـدَع " . وقال أَنَس : قَدِمَ النبىّ صلى الله عليه وسـلم المدينة وأنا ٱبن عشر ، ودخل دارنا فَحَلَبْنَا له شاةً فشرب ، وأبو بكر عن يسَاره وأعرابىّ عن يَمينـه ؛ فقال عُمَرُ بن الخطاب رضى الله عنه : أعط أبا بكر ، فقال صلى الله عليه وسـلم : "الأيمنَ فالأيمن" . و فى هذا المعنى يقول الشاعر :

صَدَدْتِ الكأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو * وكان الكأْسُ مَجْـرَاها الْيَمِينا

و رُوِى عن أَنَس : أنه رأى النبىَّ صلى الله عليه وسـلم شرب جَرْعة ثم قطَع ، ثمّ سَمَّى ثم شَرِب جَرْعة ثم قَطَـع ، ثم سَمَّى ثم قَطع الثـالثة ، ثمّ جَرَع مَصًّا حتّى فرغ ، ثمّ حَمِد الله . وقد نُدِب إلى غسل اليد قبل الأ كل فإنه ينفى الفقر ، ويَنْفِى اللَّمَمَ . ومن السُّنَّة : البَدَاءةُ باسم الله ، وحَمْدُه عند الأنتهاء .

رُوِى عن عمر بن أبى سَلَمَةَ أنه قال : مررت بالنبىّ صلى الله عليه وسلم وهو يأ كل ، فقال : " اِجلس يا بُنَىّ[(2)] وَسَمِّ الله وكُلْ بيمينك ممـا يليك " .

وقال بعض السلف : إذا جَمَعَ الطعامُ أربعا فقد كَمُلَ كلُّ شىء : إذا كان حلالا ، وذُكِرَ ٱسمُ الله عليه ، وكَثُرَتْ عليه الأيدى ، وحُمِدَ اللهُ حينَ يُفْرَغُ منه .

ورُوِى عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قال عند مَطْعَمِه ومَشْربه باسم ٱلله خَيْرِ الأسماء [باسم الله][(3)] رَبِّ الأرض والسماءِ لم يضرّه ما أ كَلَ وما شَرِب" .

---

(1) فى الجامع الصغير : « كما تشمه السباع » .

(2) رواية البخارى : « يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل ممـا يليك » .

(3) الزيادة عن المستطرف فى كل فنّ مستظرف للابشيهى (ج ٢ ص ٢١٢) .

وفى حديث عائشــة رضى الله عنهــا ، عنه صلى الله عليه وســلم قال : " إذا أكل أحدُكم فَلْيَــذْكُرِ آسْمَ الله فإن نَسِىَ فى أوّله فَلْيَقُلْ بآسم الله فى أوّله وآخره" . وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا أكل أحدُكم فليأكل بيمينه [وإذا شرب فليشرب بيمينه](١) فإنّ الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله " .

ورُوِى : أنّ المسيحَ عليه الســلام كان إذا دعا أصحابَه قام عليهم ، ثمّ قال : هكذا فآصنعوا بالفقراء .

ووصف شاعر قوما فقال :

جُلُوسٌ فى مجالسهم رِزَانٌ ٭ وإن ضَيْفٌ أَلَمَّ بهم وُقُوفُ

قال سَهْل بن حُصَــين : شهِدت الحَسَنَ فى وليمة، فَطَعِم ثم قام فقال : مدّ الله لكم فى العافية، وأوسع عليكم فى الرزق، وآستعملكم بالشكر .

ورُوِى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : "تخلّلُوا فإنه نظافة والنظافة من الإيمان والإيمان مع صاحبه فى الجَنَّة"(٢) .

وفى حديث عمر رضى الله عنه : " عليكم بالخَشَبَتَيْن" يعنى السِّوَاكَ والخِلَالَ .

وكان بعضهم يقول لولده إذا رأى حرصه فى الطعام : يابُنَىَّ، عوِّد نفسك الأُثْرَة(٣) ، ومجاهــدة [الهوى و] الشهوة، ولا تَنْهَشْ نَهْشَ الســباع، ولا تَخْضِمْ خَضْمَ البراذين [ولا تُدْمِن الأَكلَ إدمان النعاج، ولا تلقم لقم الجمــال](٤) ؛ فإن الله جعلك إنسانا، فلا تَجْعَلْ نفسَك بهيمةً .

(١) التكلة عن الجامع الصغير والعقد الفريد والمستطرف .

(٢) رواية الجامع الصغير : « والنظافة تدعو الى الإيمان » .

(٣) الأثرة (بالضم) : اسم من الإيثار وهو تفضيل الانسان غيره على نفسه .

(٤) الزيادة عن العقد الفريد .

وحكى عن بعض الكتّاب قال : تغدّيت مع المأمون فالتفت إلىّ وقال : خِلال قبيحة عند الجلوس على الطعام : كثرةُ مسح اليد، والانكباب على الطعام، وكثرةُ أكل البقل. ومعنى ذمّه هذه الخلال الثلاث: أنه إذا أكثر مسح اليد فإنما ذلك من غَمْسها فى الطعام، والانكباب يدُلّ على شدّة الحرص وزيادة الشره والنَّهَم، قال الشاعر :

لقد سَتَرتْ منك الخِوانَ عِمامةٌ * دَجُوجِيّــة ظَلْمَاؤها ليس تقلع

وأما البقل، فإن الحاجة إلى البالغة منه، وفى الإكثار منه تشبُّهٌ بالبهائم لانه مرعاها .

وقيل : الأكل ثلاثة : مع الفقراء بالإيثار، ومع الإخوان بالانبساط، ومع أبناء الدنيا بالأدب .

وقيل لبعض الحكماء(١) : أىّ الأوقات أحمد للأكل ؟ فقال : أما مَنْ قَدَر فإذا اشتهى، وأما من لم يَقْدِر فإذا وجد .

ذكر الاقتصاد فى المطاعم والعفّة عنها

قال الله عز وجل : ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾. وفى الحديث أن النبىّ صلى الله عليه وسلم قال: "من زاره أخوه المسلمُ فقرّبَ إليه ما تيسّر غُفِرَ له وجعل فى طعامه البركةُ ومن قُرِّب إليه ما تيسّر فاستحقر ذلك كان فى مَقْت من الله حتّى يخرج". وقالت عائشة رضى الله عنها : أَوْلَمَ النبىّ صلى الله عليه وسلم على بعض نسائه مُدَّيْنِ من شعير .

وقيل : كان عيسى بن مريم صلوات الله عليه يقول: اعملوا ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضولَ الدنيا، فان فضولَها رِجزٌ، هذه طير السماء تغدو وتروح، ليس معها

(١) هو بزرجمهر كما فى العقد الفريد .

من أرزاقها شيء ، لا تحرُث ولا تحصد ، والله يرزقها ؛ فإن قلتم : بطوننا أعظم من بطونها ، فهذه الوَحْشُ تغدو وتروح ، وليس معها من أرزاقها شيء والله يرزقها .

ورُوِى أنّ عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه : لما دخل شهر رمضان كان يَفْطر ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن جعفر ، لا يزيد على لقمتين أو ثلاث ؛ فقيل له ، فقال : إنما هى أيّام قلائل يأتى أمر الله وأنا خَمِيص ، فقُتل من ليلته .

وفى الحديث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من قلّ طُعْمُه[1] صحّ بدنه وصفا قلبه ومن كثر طعمه سَقِم جسمه وقسا قلبه" . وعنه صلى الله عليه وسلم قال : "ما زيّن الله رجلا بزينة أفضل من عَفَاف بطنه" . قال حاتم :

أبيتُ خَمِيص البطنِ مُضْطَمِر الحشا * من الجوع أخشى الذمّ أن أتضلّعا
فإنّك إن أعطيتَ بطنك سُؤْلَه * وفَرْجَك نالا منتهى الذّم أجمعا

وقال بعضهم : رأيت مجنونا ببغداد ، وهو على باب دار فيها صنيع والناس يدخلون ، وكنتُ ممن دُعى ، فقلت : ألا تدخل فتأكل فان الطعام كثير ؟ قال : وإن كثر فانى ممنوع منه ؛ فقلت : كيف والباب مفتوح ، ولا مانع من الدخول ؟ فقال : أ آكل طعاما لم أُدْعَ إليه ! لقد آضطرّنى الى ذلك غير الجوع ؛ فقلت : ما هو ؟ قال : دناءة النفس وسوء الغريزة . قال شاعر :

وإنّى لَعَفٌّ عن مَطَاعِمَ جَمّةٍ * اذا زَيّنَ الفَحشاءَ للنفس جُوعُها

وقال آخر :

وأُعرِضُ عن مَطَاعِمَ قد أراها * فأتركها وفى البطن آنطواءُ
فلا وأبيك ما فى العيش خيرٌ * ولا الدنيا[2] اذا ذهب الحياءُ

(١) الطعم (بالضم) : الطعام .
(٢) كذا فى شرح ديوان الحماسة طبع أوربا (ص ٥١٦) . وفى الأصول : « وفى الدّنيا » .

قال الجنيد: مرّ بى الحارث بن أسد المحاسبىّ، فرأيت فيه أثَرَ الجوع، فقلت: يا عمّ، تدخل الدار وتتناول شيئا؟ قال: نعم، فدخل، وقدّمت إليــه طعاما حُمِل إلىّ من عُرْس، فأخذ لقمة فلاكها، ونَهَضَ فألقاها فى الدّهليز ومضى، فالتقيت به بعــد أيام، فقلت له فى ذلك، فقال: كنت جائعا، وأردت أن أسرّك بأكلى، ولكن بينى وبين الله تعـالى علامة، ألّا يُسَوِّغنى طعاما فيــه شُبْهة، فمن أين كان ذلك الطعام؟ فأخبرتُه، ثم قلت له: تدخل اليوم؟ قال: نعم، فقدّمت اليه كِسَرًا كانت لنا، فأكل وقال: اذا قدّمت لفقير شيئا، فقدّم مثل هذا.

ورُوِى أن عمرو بن العاص قال لأصحابه يوم الحكمين: أكثِرُوا لهم الطعام، فوالله ما بَطِنَ قوم إلا فقدوا بعض عقولهم، وما مضت عَزْمَةُ رجل بات بطينا، فلما وجد معاوية ما قال صحيحا، قال: "البِطْنَة تُذْهِب الفِطْنة"(1).

وروِى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تُميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلوب(2) تموت كالزّرع اذا كثر عليه المـاء".

ودخل عمر رضى الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحما، فقال: ماهذا؟ قال: قَرِمنا اليه، قال: ويحك! قَرِمتَ الى شىء فأكلتَه، كفى بالمرء شَرَهًا أن يأكل كلّ مايشتهى.

قال ابن دريد: العرب تُعيِّر(3) [بعضها] بكثرة الأكل، وأنشد:

لستُ بأكّال كأكل العبد * ولا بِنَوّام كنَوْمِ الفَهْــد

---

(1) فى مجمع الأمثال: «البطنة تأفن الفطنة».

(2) فى الاحياء للغزالى: «فان القلب كالزرع يموت... الخ». وفى المستطرف: «فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات».

(3) الزيادة عن المستطرف.

وقال عمر رضى الله عنه : ما آجتمع عند النبيّ صلى الله عليه وسلم إدامان إلا أكل أحدَهُما وتصدّق بالآخر .

وقال أبو سليمان الدارانيّ : خيرُ ما أكون اذا لَصِق بطنى بظهرى ، أجُوعُ الجَوْعة فأخرج تَزْحَمُنى المرأةُ فما ألتفت إليها ، وأَشْبَع الشَّبْعَة فأخرج فأرى عينيّ تطمحان .

ذكر أخبار الأَكَلَة

قد نُسِب ذلك الى جماعة من الأكابر وذوى الهمَم ، فمن ذلك ما حكاه الحمدُونى فى تذكرته : أن معاوية بن أبى سفيان أُتى بعِجْل مَشْوِىّ ، فأكل معه دستا من الخبز السميد ، وأربع فَرَانىّ[1] ، وجَدْيًا حارّا ، وجديا باردا ، سوى الألوان ؛ ووُضِع بين يديه مائةُ رطل من الباقِلّاء الرطب ، فأتى عليه . وقيل : إنه كان يأكل كل يوم أربع أَكَلَات آخرهنّ أشدهنّ ، ثم يقول : ياغلام ، آرفع ، فوالله ما شبِعت ، ولكنى مَلِلتُ .

ومنهم عُبَيد الله بن زياد ، كان يأكل فى اليوم خمسَ أكلات آخرها جنبة بغل ، ويُوضع بين يديه بعد ما يفرغ من الطعام عَنَاقٌ[2] أو جَدْىٌ فيأتى عليه وحده .

ومنهم الحجّاج بن يوسف ، قال سلم بن قُتَيبة[3] : كنت فى دار الحجاج مع ولده ، وأنا غلام ، فقالوا : جاء الأمير ؛ فدخل الحجاج وأمر بتَنُّور فنُصِب ، وأمر رجلا يَخْبِز خبز الماء ودعا بسمك ، فأكل حتّى أتى على ثمانين جاما من السمك بثمانين رغيفا من خبز الماء .

(١) الفرانىّ : خبز يشوى ويروى سمنا ولبنا وسكرا .

(٢) العناق : الأنثى من أولاد المعز .

(٣) كذا فى كتاب المعارف لابن قتيبة والطبرى وابن الأثير . وفى الأصل : «سالم بن قتيبة» .

ومنهم سليمان بن عبد الملك، رُوِى أنه شُوِىَ له أربعة وثمانون خَروفا، فمدّ يده إلى كلّ واحد منها فأكل شحم أَليته ونصف بطنه مع أربعة وثمـانين رغيفا، ثم أَذِن للناس وقُدِّم الطعام، فأكل معهم أَكْلَ من لم يَذُق شيئا .

وقال الشَّمَرْدَل وكيل عمرو بن العاص : قَدِم سليمان بن عبد الملك الطائف، فدخل هو وعمر بن عبد العزيز، فجاء حتى ألقى صدره الى غصن، ثم قال: ياشَمَرْدَل، ما عندك شيء تُطعِمُنى ؟ قلت عندى جِدى[1] تغدو عليه حافِل وتروح أخرى، قال: عجِّل به، فأتيته به كأنه عُكّة[2] سمن، فجعل يأكل، وهو لايدعو عمر، حتى بقى منه فخذ قال : يا أبا حفص هَلُمّ، قال : إنى صائم، فأتى عليـه، ثم قال : ياشمردل ويلك! ماعندك شيء؟ قلت : دجاجات ست، كأنهنّ[3] رِئلان النعام، فأتيته بهنّ فأتى عليهن، ثم قال : ويلك ياشمردل ! ما عندك شيء ؟ قلت : سَوِيق[4] كأنه قُراضة الذهب، فأتيته بعُسّ[5] يغيب فيـه الرأس، فشربه ؛ فلمـا فرغ تجشأ كأنه صارخ فى جُب[6]، ثم قال: ياغلام ، أفرغْتَ من غدائنا؟ قال: نعم، قال: ما هو؟ قال : نَيِّف وثمانون قِدرا، قال: فأت بقدر قدر، وبقِناع[7] عليه رُقَاق، فأكل من كل قِدْر ثلاث لقم، ثم مسح يده وآستلقى على فراشه، فوضع الخِوان وقعد يأكل مع الناس .

ومن المشهورين بالأكل، هلال بن الأسْعر المـازنىّ، قال المعتمر بن سليمان : سألته عن أكله فقال : جعتُ مرة ومعى بعيرٌ لى فنحرتُه وأكلتُه إلا ما حملتُ منه

(١) كذا فى العقد الفريد (ج ٣ ص ٣٨٥) : وفى الأصل : «جذع» .
(٢) العكة : زقيق صغير للسمن .
(٣) رواية العقد الفريد : «خمس دجاجات هنديات» .
(٤) فى العقد الفريد : «حريرة» وهى دقيق يطبخ بلبن أو دسم .
(٥) العس : القدح العظيم .
(٦) فى العقد الفريد : «فى حب» والحب : الخابية، فارسى معرب .
(٧) القناع (بالكسر) : الطبق من عسب النخل يوضع فيه الطعام .

على ظهرى ، فلما كان الليل راودتُ أمة لى فلم أصل اليها ، فقالت : كيف تصل الىّ وبينى وبينك جمل ؟ فقلت له : كم تكفيك هذه الأكلة[1] ؟ فقال : أربعةَ أيام .
وحكى أبو سعد[2] منصور بن الحسين الآبىّ فى كتابه المترجم بنثر الدّر : أن هلالا هذا أكل بعيرا ، وأكلت آمرأته فصيلا وجامعها فلم يتمكن منها ؛ فقالت له : كيف تصل الىّ وبينى وبينك بعيران ! وله حكايات ذكرها الحمدونىّ فى التذكرة ، والآبى فى نثر الدر تركناها آختصارا .

ومنهم محمد بن علىّ بن عبد الله بن عباس ، ذكر الجاحظ : أنه أكل يوما جنبى بكرٍ شِوَاء بعد طعام كثير .

ومن المشهورين بالنهم أحمد بن أبى خالد الأحول وزيرِ المأمون ، وكان المأمون اذا وجّهه فى حاجة أمره أن يتغدّى ويمضى ؛ فرُفِع الى المأمون فى المظالم : إن رأى أمير المؤمنين أن يجرى على آبن أبى خالد بَذْلاً[3] ، فإنّ فيه كلبية ، إلا أن الكلب يحرس المنزل بكِسْرة ، وآبن أبى خالد يقتل المظلوم ، ويُعين الظالم بأَكْلة ؛ فأجرى عليه المأمون فى كلّ يوم ألف درهم لمائدته ، وكان مع ذلك يشَره الى طعام الناس . ولما آنصرف دينار بن عبد الله من الجبل ، قال المأمون لأحمد بن أبى خالد : امض الى هذا الرجل وحاسبه وتقدّم اليه بحَمْل ما يحصل لنا عليه ، وأنفَذَ معه خادما يُنْهى اليه ما يكون منه ؛ وقال : إن أكل أحمد عند دينار عاد الينا بما نكره . ولما آتصل خبر أحمد بدينار قال للطباخ : إن أحمد أشره من نُفِخ فيه الروح ، فإذا رأيته فقل له : ما الذى تأمر أن يُتَّخَذ لك ؛ ففعل الطباخ ، فقال أحمد : فراريج

(١) كذا فى الأغانى (ج٣ ص ٦٨ طبع دار الكتب) والمستطرف . وفى الأصول : «كم تبلغتك» .
(٢) كذا فى معجم ياقوت ونظم الدر لأبى سعد . وفى الأصول : «أبو سعيد منصور بن الحسن الأبى» وهو تحريف . والآبى نسبه الى آبة قرية من أصبهان .
(٣) البذل : العطاء . وفى الأصل : «نزلا» .

كَشْكَرِيّة بماء الرمان تُقدّم مع خبز المـاء بالسميد، ثم هَاتِ بعدها ما شئت، فابتدأ الطباخ بما أمر، وأخذ أحمد يُكَلِّمُ دينارا، فقال له : يقول لك أمير المؤمنين : إن لنا قِبلك مالا قد حبسته علينا ، فقال : الذى لكم ثمانية آلاف ألف، قال : فاحملها، قال : نعم، وجاء الطباخ فٱستأذن فى نصب المـائدة، فقال أحمد : عَجِّلْ بهـا فإنى أجوع من كلب، فَقُدِّمت وعليها ما ٱقترح، وقدّم الدجاج وعشرين فروجا كسكرية، فأكل أكل جائع نهم، ما ترك شيئا مما قدّم، فلما فرغ وقدّر الطباخ أنه قد شبِـع، لوّح بطيفورية فيها خمس سمكات شبابيطَ كأنها سبائك الفضة، فأنكر أحمد عليـه أن لا قدّمها، وقال: هاتها، وأعاد أحمد الخطاب، فقال دينار : أليس قد عرّفتك أن الباقى لكم عندى سبعة آلاف ألف؟ قال: أحسبك ٱعترفتَ بأكثر منها، فقال : ما ٱعترفت إلا بها، فقال : هاتِ خطّك بما ٱعترفت به، فكتب بستة آلاف ألف، فقال أحمد : سبحان الله! أليس قد ٱعترفت بأكثر من هــذا؟ قال : مالكم قِبلى إلا هذا المقدار فأخذ خطه بها، وتقدّم الخادم فأخبر المأمون بمـا جرى . فلما ورد أحمد ناوله الخط، فقال : قد عرفنا ما كان من ألف الألف بتناول الغداء، فما بال ألف الألف الأخرى! فكان المأمون بعــد ذلك يقول : ما أعلم غداء قام على أحمد بألفى ألف إلا غداء دينار، وٱقتصر على الخط ولم يتعقّبه كَرَما ونُبْلا .

ومنهم أبو العالية، حُكِى أن ٱمرأة حملت فحلفت إن ولدت غلاما لَأُشْـبِعَنّ أبا العالية خَبِيصا، فولدت غلاما، فأطعمته، فأكل سبع جِفان، فقيــل له : إنها حلفت أن تُشبعك خَبِيصا، فقال : والله لو علمت لمـا شبِعت الى الليل .

ومنهم أبو الحسن بن أبى بكر العــلّاف الشاعر، دخل يوما على الوزير المُهَلّبى ببغــداد، فأنفذ الوزير من أخذ حِماره الذى كان يركبه من غلامه، وأُدخل

المطبخ وذُبح وطُبِخ لحمه بماء وملح، وقُدِّم بين يديه، فأكله كلّه وهو يظن أنه لحم بقر، فلما خرج [و] طلب الحمار، قيل له : قد أكلتَه. وعوّضه الوزير عنه ووصله. فهذا كافٍ فى أخبار الأَكَلة .

ذكر ما قيل فى الجُبْن والفِرار

٥ ومن أقبح ما هُجِى به الرجل أن يكون جَبَانا فرّارا، وقد نهانا الله عزّ وجل عن الفرار، فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ . وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ .

١٠ وقالت عائشة رضى الله عنها : إن لله خَلْقا قلوبهم كقلوب الطير، كلما خَفَقت الريح خفقت معها، فأفٍّ للجبناء ! أفٍّ للجبناء !

وقال خالد بن الوليد عند موته : [لقد](١) لقيت كذا وكذا زحفا، وما فى جسدى موضع [شبر](١) إلا فيه طَعْنة برُمْح أو ضَرْبة بسيف أو رَمْية بسَهْم ؛ وهأنذا أموت على فراشى حتف أنفى، كما يموت العَيْر؛ فلا نامت أعين الجبناء ! .

١٥ وقيل: كتب زياد الى ابن عباس: أن صف لى الشجاعة والجُبْن والجود والبخل؛ فكتب اليه : كتبتَ تسألنى عن طبائعَ رُكِّبت فى الإنسان تركيب الجوارح، اِعلم أن الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه ؛ والجبانَ يَفِرّ عن عِرْسه، وأن الجواد يُعطى من لا يلزمه، وأن البخيل يُمْسك عن نفسه . وقال شاعر(٢) :

يَفِرّ جبانُ القومِ عن عِرسِ نفسِهِ(٣) * ويَحْمِى شُجاعُ القومِ من لا يناسِبُهْ

٢٠ (١) الزيادة عن العقد الفريد وتذكرة الصفدى . (٢) هو أبو يعقوب الخريمى كما فى كتاب بهجة المجالس وأنس المجالس تأليف أبى عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمرى الأندلسى ورقة ١٢٣
(٣) كذا فى الأصل و بهجة المجالس . وفى العقد الفريد : «عن أم نفسه» .

وقالوا : الجبن غريزة كالشجاعة يضعها الله فيمن شاء من خلقه .

قال المتنبي :

يرى الجبناءُ أن الجبنَ حزمٌ [1] * وتلك خديعةُ الطبْعِ اللئيمِ

وقالوا : حدّ الجبن : الضنّ بالحياة، والحرصُ على النجاة .

وقالت الحكماء فى الفراسة : من كانت فزعته فى رأسه فذاك الذى يَفِرُّ من أُمّه وأبيه، وصاحبته وأخيه، وفصيلته التى تُؤْوِيه .

ويقال : أسرع الناس الى الفتنة [2] أقلّهم حياء من الفِرار .

وقال هانئ الشيبانىّ لقومه يومَ ذِى قار [3] يُحرِّضهم على القتال : يا بنِى بكر! هالك مَعْذُور خيرٌ من نَاجٍ فَرُور . المنِيَّة ولا الدَّنيَّة . استقبال الموت خير من آستدباره . الطعن [4] فى ثغور النحور، خير منه فى الأعجاز والظهور . يا بَنِى بكر! قاتلوا، فما من المنايا بُدٌّ، الجبان مُبغَّض حتّى لأُمه، والشجاع مُحبَّبٌ حتّى لعدوّه .

ويقال : الجُبْنُ خيرُ أخلاق النساء، وشرُّ أخلاق الرجال .

وقال يَعْلَى بن مُنَبِّه لقومه حين فرّوا من علىّ يوم صِفّين: الى أين؟ قالوا: ذهب الناس ؛ قال : أُفٍّ لكم ! فِرارًا وآعتذارا !

قال : ولما قوتل أبو الطيّب المتنبي ورأى الغلبة عليه فرّ، فقال له غلامه : أترضى أن يُحدّث الناس بهذا الفِرار عنك ؟ وأنت القائل :

الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرِفُنى * والطَّعنُ والضَّربُ والقِرطاسُ والقَلَمُ

فكرّ راجعا، وقاتل حتّى قُتِلَ، وآستقبح أن يُعيَّر بالفِرار .

(١) فى ديوان المتنبي : «ان العجز عقل ... الخ» .

(٢) فى العقد الفريد : «قال الأحنف» .

(٣) ورد هذا الخبر فى تذكرة الصفدى بتبسط عما هنا .

(٤) فى تذكرة الصفدى : «حاموا» .

وقال المنصور لبعض الخوارج عليه وقد ظفر به : أخبرنى عن أصحابى ، أيهم كان أشدّ إقداما فى المبارزة ؛ قال : لا أعرف وجوههم مقبلين وإنما أعرف أقفيتهم مُدْبِرين، فقل لهم يُدْبِروا لأُعرّفك أيّهم كان أشدّ فِرارا .

وقال آبن الرُّومى فى سليمان بن عبد الله بن طاهر :

٥ قِرْنُ سليمانَ قد أَضَرَّ به * شوقٌ الى وجهه سَيُدْنِفُهُ

لا يعرف القِرنُ وجْهَه ويرى * قفاه من فَرْسخٍ فيعرِفُهُ

وقال حسّان بن ثابت يُعَيِّر الحارثَ بن هشام بفراره يوم بدر :

إن كنتِ كاذبة الذى حدّثتنى * فنجوتِ مَنْجَى الحارث بنِ هشَامِ

ترَكَ الأَحِبَّةَ لم يقاتل دونهم * ونجا برأس طِمِرَّةٍ ولِجَامِ

١٠ ملأتْ به الفَرْجَيْن فارمدّت به (١) * وثَوَى أحبّته بشَرِّ مُقَامِ

وقال أبو الفرج الأصفهانىّ : وكان أبو حيَّة النميرىّ، وهو الهَيْثَم بن الربيع آبن زُرَارة، جبانا بخيلا كذّابا. قال آبن قُتَيبة : وكان له سيف يسمّيه : لُعَاب المنية، ليس بينه وبين الخشبة فرق . قال : وكان أجبن الناس؛ قال : فحدّثنى جار له قال : دخل ليلة إلى بيته كلب فظنه لصًّا، فأشرفتُ عليه، وقد آنتضى (٢) سيفه، وهو ١٥ واقف فى وسط الدار يقول : أيها المُغترّبنا، المجترئ علينا، بئس والله ما آخترتَ لنفسك، خيرٌ قليل، وسيفٌ صقيل، لعاب المنية الذى سمعت به، مشهورة ضربته، لا تُخاف نَبْوتُه؛ أخرج بالعفو عنك قبل أن أدخل بالعقوبة عليك؛ إنى والله إن أدعُ قيسا إليك لا تقم لها؛ وما قيس؟ تملأ والله الفضاء خيلا ورَجْلا، سبحان الله!

(١) ارمدّت به : أسرعت وعدت مثل عدو الرمداء، وهى النعام .

٢٠ (٢) يقال : نضى السيف من غمده وآنتضاه اذا أخرجه .

ما أكثرها وأطيبها! فبينا هو كذلك، إذا الكلب قد خرج، فقال : الحمد لله الذى مسخك كلبا، وكفانا [فيك](١) حربا .

ومن أبلغ ما قيل فى الجبن من الشعر القديم، قولُ الشاعر(٢) :

ولو أنها عُصْفُورة لحسبتها * مسوّمةً تدعو عُبيدا وأَزْنَما(٣)

ومثله قول عروة بن الورد : ٥

وأشجعُ قد أدركتُهم فوجدتُهم * يخافون خَطْفَ الطيرِ من كلِّ جانبِ

وقال آخر :

مازلتَ تَحْسَبُ كلّ شىء بعدهم * خيــلا تكرُّ عليهـــمُ ورِجالا

وقول أبى تمـام :

مُوَكَّلٌ بيفاع الأرض يشرفـه * من خِفة الخوف لامن خِفّة الطَّرَبِ ١٠

وقال ابن الرومى :

وفارسٍ أجبنَ من صِــفْرِدٍ(٤) * يَحُولُ أو يَعُوزُ(٥) مِن صَــفرهْ

لو صاح فى الليل به صائحٌ * لكانت الأرضُ له طَفرهْ

يرحمه الرحمنُ من جُبنـه * فيرزقُ(٦) الجنـــد به النُّصرهْ

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى . ١٥

(٢) فى كتاب النقائض (ص ٥٨٤) ولسان العرب هو العوّام بن شوذب الشيبانى .

(٣) كذا فى النقائض ص ٥٨٥ ولسان العرب مادة «زنم» ؛ وعبيد وأزنم : بطنان من بنى يربوع . وفى الأصلين (أرنما) بالراء المهملة وهو تحريف .

(٤) الصفرد : طائر يقال له : أبو المليح وهو طائر جبان .

(٥) فى ديوان ابن الرومى : "أو يشول" .

(٦) فى ديوان ابن الرومى : "فيطعم الله به نصره" . ٢٠

ومن أخبار الفرّارين الذين حسّنوا الفِرار على قبحه

(١٠٩)

قال صاحب كليلة ودمنة : إن الحازم يكره القتال ما وجد بُدًّا منه ، لأن النفقة فيه من النفس، والنفقة فى غيره من المـال .

وقالوا : من توقّى سَلِم، ومن تهوّر نَدِم .

وقال عبـد الله بن المقَفَّع : الشجاعة مَتْلَفة، وذلك أن المقتول مُقْبلا أكثر من المقتول مُدْبرا، فمن أراد السلامة فَلْيُؤْثِر الجُبن على الشجاعة . ٥

ولِيمَ بعضُ الجبناء على جبنه، فقال : أوّل الحرب شَكْوى، وأوسطها نَجْوَى، وآخرها بَلْوى .

وقال آخر : الحرب مقتلة للعباد، مذهبة للطارف والتلاد .

وقيل لجبان : لِمَ لا تقاتل؟ فقال : «عند النطاح يُغْلَب الكبش الأجمّ»[1] . ١٠

وقالوا : الحياة أفضل من الموت، والفِرار فى وقته ظَفَر .

وقالوا : الشجاع مُلَقًّى، والجبان مُوقًّى . قال البديع الهَمَذانى :

ماذاق هَمًّا كالشجاع ولاخلا ... بمَسَرَّةٍ كالعاجز المُتَـوانى

وقالوا : الفرار فى وقته، خير من الثبات فى غير وقته .

وقالوا : السّلم أزكى للمـال، وأبقى لأنفُس الرّجال . ١٥

وقالوا : الجِمام فى الإقدام، والسلامة فى الإحجام .

وقال المتوكّل لأبى العيناء: إنى لأَفرَق من لسانك، فقال: ياأمير المؤمنين، الكريم ذو فَرَق و إحجام، واللئيم ذو وَقَاحة و إقدام .

(١) الأجم : الذى لا قرن له ، وهو مثل يضرب لمن غلبه صاحبه بمـا أعدّ له .

وقيل لأعرابيّ : ألَا تعرف القتال[1] فإن الله قد أمرك به؟ فقال : والله إنى لأُبغض الموت على فراشى فى عافية، فكيف أمضى إليه رَكْضا ! قال شاعر :

تمشى المنــايا الى قــوم فأُبغضها * فكيف أعدو إليها عارىَ الكَفَنِ؟[2]

وقيل ليزيد : إن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال : "إذا رأيتَ شخصا بالليل فكن للإقدام عليه أولى منه عليك"، فقال : أخاف أن يكون قد سمع الحديث قبلى، فأقع معه فيما أكرَه، وإنمــا الهرَبُ خير .

وسَمِــع سليمانُ بن عبد الملك قارئا يقرأ : ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فقال : ذلك القليلَ نريد .

ولمــا فرّ أُميّــةُ بن عبد الله بن خالد بن أســيد يوم مَرْدَاء هَجَــر[3] بالبحرين من أبى فُدَيْك الخارجىّ إلى البصرة، ودخل عليــه أهلُها، فلم يدروا كيف يكلّمونه ولا ما يلقونه به من القول، أيهنئونه بالسّلامة أم يعزّونه بالفِرار، حتى دخل عبد الله ابن الأهتم، فاستَشْرَف الناس له، ثم قالوا : ماعسى أن يقول لمنهزم! فسلّم ثم قال : مرحبا بالصابر المخــذول [الذى خذله قومه][4]، الحمد لله الذى نظر لنا عليــك، ولم ينظر لك علينا، فقــد تعرّضت للشهادة جهدك، ولكن الله علِم حاجة أهل الإســلام إليك فأبقاك لهم بخِذْلان من معك لك . فقال أميّــة : ما وجدتُ أحدا أخبرنى عن نفسى غيرَك .

---

(١) فى تذكرة الصفدى والعقد الفريد (ج ١ ص ٤٥ طبع بولاق) : «ألاتغزو العدوّ فان الله... الخ» .

(٢) فى تذكرة الصفدى : «عارى الكتف» .

(٣) فى معجم البلدان لياقوت — بعد أن شرح « مرداء هجر » بأنها رملة دونها لا تنبت شيئا — قال : «مرداء مصر أيضا قرية كان بها يوم بين أبى فديك الخارجىّ وأمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد ففرّ أمية أقبح فرار» اهـ . (٤) الزيادة عن العقد الفريد .

وقال الحارث بن هشام وأحسن فى آعتذاره عن الفرار :

اَلله يَعْـلمُ ما تركتُ قتـالَهم * حتى عَلَوْا مُهرى بأشـقرَ مُزبِدِ

وعلمتُ أنّى إن أقاتلْ واحـدًا * أُقتَلْ ولا يَضرُرْ عدوى مَشْهَدى

فصَدفْتُ عنهم والأحِبَّةُ فيهمُ * طمعا لهم بعِقاب يوم سَرْمـدِ

٥ وقال زُفَرُ بن الحارث وقد فرّ يوم مَرْج[1] راهِط عن رفيقيه[2] :

أَيَذْهَبُ يومٌ واحد إن أسأتُه * بصالح أيامى وحسنِ بَلائيـا

فـلم تُرَ منّى زلّةٌ قبـل هـذه * فِرارى وتَرْكى صاحبىّ ورائيا

وهى أبيات نذكرها إن شاء الله فى التاريخ . ونظير ذلك قول عمرو بن معد يكرب من أبيات يخاطب بها أخته رَيْحانة، وقد فرّ من بنى عَبْس :

١٠ أجاعـلةٌ أمُّ الثُّـوَيْرِ[3] خَزايةً * علىَّ فِرارى إذ لَقِيتُ بنى عَبْسِ

ولبس يُعاب المرءُ من جبنِ يومِه إذا عُرِفت منه الحِمايةُ[4] بالأمسِ

وعكسَ هـذا البيت عبدُ الله بنُ مطيع بن الأسود العَدوىّ . وكان قد فرّ يوم الحَرّة من جيش مُسلِم بنِ عقبةَ ، فلما حاصر الحجاج عبدَ الله بن الزبير بمكةَ جعـل يقاتل أهل الشّام ويَرْتَجِز :

١٥ أنا الذى فَرَرتُ يوم الحَـرَّهْ * والشـيخ لا يَفِـرّ إلا مَرَّهْ

فاليـومَ أجزِى كَرَّةً بِفَـرَّهْ * لا بأس بالكَرَّة بعـد الفَـرَّهْ

ولم يَزلْ يُقاتِل حتى قُتِل . قال الفرّار[5] السّلمىّ :

---

(١) مرج راهط : موضع بغوطة دمشق ، سمى باسم رجل من قضاعة ، كانت به وقعة مشهورة بين قيس وكلب (راجع معجم ياقوت) فى اسم راهط .

٢٠ (٢) فى العقد الفريد : «عن أبيه وأخيه» .

(٣) فى حماسة البحترى (ص ٦٧ طبع أوربا) : «أم الحصين» .

(٤) فى العقد الفريد : « ... إذا عرفت منه الشجاعة ... الخ » .

(٥) الذى فى حماسة البحترى ص ٦٥ « وقال حيان بن الحكم السلمى » .

وفوارسٍ لَبَّسْتُهـا بفـوارس * حتى إذا ٱلْتَبَسَت أَمَلْتُ بها يدى (١)

وتَرَكْتُهم تَقِصُ الرِّماحُ ظهورَهم * من بين مقتول وآخرَ مُسْنَدِ (٢)

هل ينفعنّى أن تقول نساؤهم * وقُتِلتُ دون رجالهم : لاتَبْعَـدِ؟

وقال آخر :

قامت تُشَجِّعنى هنــدٌ فقلت لها * إن الشجاعة مَقْرُون بها العطبُ (٣)

لا والذى منــع الأبصار رُؤْيتَه * مايشْتَهى الموتَ عندى من له أَرَبُ (٤)

للحرب قــومٌ أضــلّ الله سعيهمُ * إذا دَعتْهـــم إلى نيرانها وَثَبُـوا (٥)

وقيل لجبان فى بعض الوقائع : تَقَدَّم، فقال :

وقالوا تقــدّمْ قلتُ لستُ بفاعل * أخاف على فَخّارتى أن تحطَّمــا

فلو كان لى رأْسان أتلفتُ واحدًا * ولكنــه رأس اذا زال أَعْقَما

وَأُوتِمَ أولادا وأُرمِـــلُ نســـوةً * فكيف على هــذا تَرَوْن التقدّما

ذكر ما قيل فى الحمق والجهل

قالوا : الحُمْق قلّةُ الإصابة، وَوَضْع الكلام فى غير موضعه . وقيل : هو فِقْدان ما يُحمد من العاقِل . وقيل لعمرَ بنِ هُبَيْرة: ما حدّ الحمق ؟ قال : لا حدّ له كالعقل .

(١) ورد هذا البيت فى حماسة البحترى ص ٢٦٥ هكذا :

وكتيبــة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست فحت بها يدى

(٢) كذا فى حماسة البحترى، وتقص : تدق وتكسر . وفى الأصل : «نقض» وهو تحريف .

(٣) فى تذكرة الصفدى : * باتت تشجعنى عرسى وقد علمت *

(٤) رواية تذكرة الصفدى : * عن الأبصار كعبته *

(٥) فى تذكرة الصفدى : ... الى آفاتها ... ... الخ » .

وروى عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الأَحمق أبغضُ الخلقِ إلى الله، لأنّه حَرَمه أعزَّ الأشياء عليه وهو العقلُ " . (١١٠)

وقيل : أوحى الله تعالى إلى موسى : أَتَدْرِى لِمَ رزقتُ الأحمقَ؟ قال : لا يارب، قال : ليعلم العاقلُ أن طَلَبَ الرزقِ ليس بالاجتهاد .

٥ وقال الشعبيّ : إذا أراد الله أن يُزِيلَ عن عبدٍ نعمةً كان أوّل ما يُعدمه عقلَه .

وقالوا : الحمق داءٌ دواؤه الموتُ . وقد بيّن الله تعالى خيبةَ من لم يعقل بقوله : ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ قيل : عاقلا ، وبقوله : ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ .

وعَنْ أنس بنِ مالكٍ رضى اللهُ عنه قال : أثنى قومٌ على رجل عند النبيّ صلى الله عليه وسلم حتى بالغُوا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كيف عقلُ ١٠ الرجل " ؟ فقالوا : نُخبرُك عن اجتهاده فى العبادَة وأصنافِ الخير وتسألنا عن عقله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنَّ الأحمقَ يصيبُ بحُمْقه أعظمَ من فُجُورِ الفاجرِ وترتفع العبادُ غدا فى الدرجات [زلفى من ربهم] (١) على قدر عقولهم " .

ومِن كلامِ لقمانَ لابنه : أنْ تكون أخرسَ عاقلا خيرٌ من أن تكونَ نطوقا جاهلا . ولكل شيء دليل، ودليل العقلِ النقل، ودليلُ (٢) النقلِ الصمتُ . وكَفَى بك جهلا ١٥ أن تَنهى الناس عن شيء وتركبه .

وقال عيسى عليه السلام : عَالجتُ الأكْمَه والأبرصَ فأبرأتُهما، وعالجت الأحمقَ فأعْيانى . قال شاعر :

لِكلّ داءٍ دواءٌ يُستطبُّ به * إلّا الحماقةَ أعيتْ من يُداويها

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

٢٠ (٢) رواية الصفدى : « ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت » .

وقال آخر :

وعلاجُ الأَبْدان أيسرُ خطبًا * حينَ تعتلّ من علاجِ العقولِ

وقال آخر :

الحُمْـــق داءٌ ما له حيـــلةٌ * تُرْجَى كبعد النجم من مسّهِ

وقيل إذا قيل لك : إن فقيرا ٱستغنى ، وغنيّا افتقر ، وحيّاً مات ، أو ميتا عاش ، فصدّق ؛ و إذا بلغَك أن أحمقَ ٱستفادَ عقلا فلا تُصدّقْ .

وقالوا : الأحمقُ تُمنى أمُّه أنَّها به مُثْكَلة ، وتمنى زوجُه أنَّها منه أرملة ؛ ويتمنى جارُه منه العزلةَ ، ورفيقه منه الوحشةَ ، وأخوه منه الفُرقةَ .

وقال سهل بنُ هارونَ : وجدْتُ مودّة الجاهل ، وعداوةَ العاقل ، أُسوةً فى الخطر ؛ و وجدْت الأُنسَ بالجاهل ، والوحشةَ من العاقل ، سِيّين فى العيْب ؛ ووجدتُ غِشَّ العاقل أقلَّ ضررًا من نصيحةِ الجاهل ؛ ووجدتُ ظنَّ العاقل أوقعَ بالصواب من يَقينِ الجاهل ؛ و وجدتُ العاقلَ أحفظَ لما لم يُستكتم من الجاهل لما ٱستُكتِمَ .

وقال لقمان لابنه : لا تُعاشِرِ الأحمقَ و إنْ كان ذا جَمال ، وٱنظر الى السيف ، ما أَحسنَ مَنظَره وأقبحَ أثَره ! .

وقال علىٌّ رضى الله عنه : قَطيعةُ الجاهل تعدِلُ صِلَةَ العاقل . وقال : صديق الجاهل فى تعب .

وقال آخر : لَأَنَا لِلْعاقِلِ المُدْبِرِ أرْجَى منِّى[1] للأحمقِ المُقْبِلِ . وقال شاعر :

عَدُوّكَ ذُو العقل خيرٌ من الصَّـــديقِ لكَ الوامقِ الأحمق

(١) كذا فى تذكرة ابن حمدون . وفى الأصل : «أرجى شىء من الأحمق» وهو تحريف .

والبيت المشهور السائر :

وَلَأَن يُعَادِىَ عَاقِلا خَيْرٌ له * مِنْ أَنْ يكونَ له صديقٌ أحمقُ

وقيل : الحمق يَسلبُ السلامة، ويورث الندامة . وقد ذمّوا مَنْ له أدب بلا عَقْل .

٥ ووصف أعرابىّ رجلا فقال : هو ذو أدبٍ وافر، وعقل نافِر. قال شاعر :

فَهَبْكَ أخا الآدابِ أىّ فَضيلة * تكونُ لذى عِلمٍ وليس له عقلُ

* * *

ومن صفات الأحمقِ وعلاماتِه . قيل : ما أَعْدمكَ من الأحمقِ فلا يُعدِمك منه كثرة الالتفاتِ وسرعة الجوابِ . ومن علاماته الثقةُ بكلّ أحد .

١٠ وَيُقال : إنَّ الجاهلَ مُولَعٌ بحلاوةِ العاجل ، غير مبال بالعواقب، ولا مُعْتَبِر بالمواعظ، ليس يُعجبُه إلا ما ضَرَّه، إن أصابَ فَعلَى غيرِ قَصد ، و إنْ أخطأ فهو الذى لا يحسن به غيرُه، لا يَستوحِشُ من الإساءة، ولا يفرحُ بالإحسانِ .

وقالوا : ستُّ خِصال تُعرَفُ فى الجاهل : الغضبُ من غيرِ شىء، والكلام فى غير نفع، والفِطْنة فى غير موضع ، ولا يَعرِفُ صديقَه مِن عدوّه، وإفشاءُ السرّ، ١٥ والثّقةُ بكلّ أحد .

وقالوا : غضَب الجاهلِ فى قوله ، وغضبُ العاقلِ فى فعلِه . والعاقلُ اذا تكلّم بكلمةٍ أَتْبعها مثلا، والأحمق اذا تكلّم بكلمة أتبعها حَلِفا[1] . الأحمقُ اذا حَدَّث ذَهَل، واذا تكلم عَجِل، واذا حُمِلَ على القبيح فَعَل .

وقال أبو يوسف : إثباتُ الحجة على الجاهلِ سهلٌ، ولكن إقراره بها صعبٌ .

٢٠ (١) كذا فى التذكرة . وفى الأصول : « خلفا » بالخاء المعجمة .

وقال وهب بنُ منبِّه : كان يقالُ للأحمق : اذا تكلَّم فَضَحه حُمْقُه، واذا سكت فضحه عِيُّه، واذا عمِل أفسدَ، واذا ترَك أضَاع؛ لا علمُه يعينُه، ولا علْمُ غيرِه ينفعُه؛ تَوَدّ أمُّه أنها ثكلته، وتمنى امرأتُه أنها عَدِمتْــه؛ ويتمنى جارُه منه الوَحدةَ، وتأخذ جليسَه منه الوحشةُ .

ويُستدلُّ على الأحمق بأشيــاء، قالوا : من طالتْ قامتُه، وصَغُرت هامتُــه، وآنسدلت لحيته، كان حَقيقا على من يراه أنْ يُقرِئَه عن عقلِه السلامَ . ٥

ويُقال فى التوراة : اللحيةُ مَخرَجُها من الدِّماغ، فمن أفرطَ عليه طولُها قلَّ دِماغُه، ومن قلّ دِماغُه قلَّ عقلُه، ومن قلَّ عقلُه فهو أحمقُ .

وقالت أعرابيّة لقاضٍ قضى عليها : صَغُر رأسُك، فبعُدَ فهمُك، وآنســدلت لحيتُك، فتكوسجَ عقلُك، وما رأيت مَيْتا يقضى بين حَيّيْنِ غيرَك . ١٠

(١١١) وقالمَسْلَمة[(١)] بنُ عبدِ الملكِ لجلسائه : يُعرفُ حُمْقُ الرجلِ فى أربع : طول لحيته، وبشاعة كنيته وإفراط شهوتِه، ونقش خاتَمه؛ فدخلَ عليــه رجلٌ طويلُ اللحية ، فقال : أمَّا هذا فقد أتاكم بواحدةٍ، فانظروا أينَ هو من الثَّلاثِ؛ فقيل له : ما كُنيتُك؟ فقال : أبو الياقوتِ ، فقيل له : ما نقْش خاتَمك ؟ فقال : وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ . قيل : فأىُّ الطعامِ أحبُّ إلَيكَ؟ قال : الجلَنْجَبِين[(٢)]؛ فقال مَسْلَمة : فيه ما بعدَ كنيتِه، معَ طول لحيته، مع نقش خاتِمه شكٌّ لِمُعْتَبِرٍ . ١٥

قال الشّعبيّ : خطَب الحجاجُ يومَ جمعةٍ فأطال، فقام إليــه أعرابىٌّ فقال له : إن الوقت لا ينتظرُك وإنَّ الربَّ لايَعْذُرك؛ فأمر به فحُبس، فأتاه أهلُه يشفعون فيه

---

(١) فى عيون الاخبار (ج ٢ ص ٣٩ طبع دار الكتب المصرية) : « هشام بن عبد الملك » .

(٢) فى كتاب الالفاظ الفارسيـة المعربة لادى شير وأقرب الموارد أن الجلنجبين : معجون يعمل من الورد والعسل، فارسىّ معرّب عن كلمة "كل" ومعناها ورد، وعن كلمة "أنكبين" ومعناها عسل . ٢٠

وقالوا : إنه مجنونٌ ؛ فقال الحجاجُ : إن أقرّ بالجنونِ خلّيتُ سبيلَه ؛ فأتوه وسألوه ذلك ، فقال : لا واللهِ، لا أقول إن الله ٱبتلانى وقد عافانى ؛ فبلَغ كلامُه الحجاجَ فعظُم فى نفسه وأطلَقَه .

وقال الأصمعِىُّ : قلت لغلامٍ من أبناء العربِ : أيسرُّك أن يكون لك مائةُ ألف وأنت أحمقُ ؟ قال : لا واللهِ ! قلتُ : ولِمَ؟ قال : أخافُ أن يَجْنِىَ علىّ حُمقِى جِنايةً فتَذهب منّى و يبقى حُمقِى .

والعربُ تَضربُ المَثَلَ فى الحُمقِ بعِجْل بن لُجَيْمٍ، و يزعمون أنّه قيل له : إنّ لكل فرسٍ جوادٍ ٱسمًا؛ و إنّ فرسَك هذا سابقٌ فسمّه؛ ففَقَأ عينَه وقال : سميتُه الأعورَ . وفيه يقول الشاعر :

رَمتْنِى بَنُــو عِجلٍ بِداء أبيهِــمُ * وهل أحدٌ[1] فى الناس أحمقُ من عِجلِ
أليس أبوهم عارَ[2] عينَ جــوادِه * فسارتْ به الأمثالُ فى الناس بالجهلِ

و يضربون المَثَلَ فى الحمق بِهَبَنَّقَةَ القَيْسىّ، وهو يَزيدُ بنُ ثَرْوَان، و يكنى أبانافع، حُكى أنه شَرد له بعيرٌ، فقال : من جاء به فله بعَــيران؛ فقيلَ له : أتجعلُ فى بعــير بَعيرَيْن؟ فقال : إنكم لا تَعرفون فرحة الوِجْدان .

وقد رضِى قومٌ بالجهل فقالوا : ضعفُ العقلِ أمانٌ من الغمِّ . وقالوا : ما سُرَّ عاقل قَطّ . قال أبو الطيّب المتنبي :

ذو العقلِ يَشقَى فى النعيم بعقلِه * وأخو الجَهالَةِ فى الشقاوةِ يَنْعَمُ

---

(١) رواية عيون الأخبار (ج ٢ ص ٤٣) :
* وأىّ عباد الله أنوك من عجل *
(٢) عاره : صيره أعور .

وقال حكيمٌ : ثمرةُ الدنيا السرورُ، ولا سرورَ للعقلاء . وقال المغيرةُ بنُ شعبةَ: ما العيشُ إلّا فى إلقاء الحِشمةِ . وقالَ بكر بن المعتَمر : اذا كان العقلُ سبعةَ[1] أجزاءٍ آحتاجَ الى جزء من جَهلٍ ليُقدِمُ على الأُمورِ، فانّ العاقلَ أَبدا مُتوانٍ مترقِّب متوقِّف متخوِّف . قال النابغةُ الجعدىّ :

ولا خيرَ فى حِلْمٍ اذا لَمْ تكن له * بوادرُ تَحمى صــفوَه أن يُكدَّرا

وقال آخر :

من راقَبَ الناسَ لم يَظفرْ بحاجَتِه * وفَازَ بالطّيباتِ الفاتِكُ اللّهِجُ

أخذه آخر فقال :

من راقب الناس ماتَ غمًّا * وفاز باللّـــذّة الجَســـورُ

وقالوا : الجاهلُ يَنالُ أَغراضَه، ويَظفَر بآرائِه، ويطيعُ قلبَه، ويَجرى فى عِنان هواه، وهو برىءٌ من اللومِ، سليمٌ من العيبِ، مغفورُ الزَّلّات .

وقالوا : الجاهلُ رَخِىُّ الذَّرْعِ، خالى البال، عازبُ الهمّ، حسنُ الظن، لايَخطُرُ خوفُ الموت بفكرِه، ولا يَجرى ألمُ الإشفاق على ذُكرِه .

وقالوا : الجهلُ مَطِيّةُ المِرَاحِ والمسرّة، ومسرحُ المِزَاحِ والفُكاهة، وحليفُ الهوى والتصابى، صاحبُه فى ذِمَامٍ من عهدة اللومِ والعَتْب، وأمانٍ من قوارِصِ الذمّ والسبّ . قال بعضُ الشعراء :

ورأيتُ الهمومَ فى صحّــة العقلِ فَداويتُها بإمراضِ عَقْلى

وقالوا : لو لم يكنْ من فَضــيلةِ الجهلِ غيرُ الإقدام، وورود الحِمام، إذ هما من الشجاعةِ والبسالة، وسببُ تحصيل المهابة والجلالة، لكفاه . قال أبو هلال العسكرىّ : سألنى بعضُ الأُدباء : أىّ الشعراء أَشدُّ حمقا ؟ قلت الذى يقول :

(١) فى تذكرة الصفدى : "تسعة" .

أتيــهُ على إنْسِ البــلاد وجِنّها   ولَو لم أجد خلقا لَتِهْتُ على نفسى
أتيــه فلا أدرى من التِّيــهِ مَنْ أنا * سوى مايقول الناسُ فىَّ وفى جنسى
فإنْ صدقوا أنى من الإنس مثلهم * فما فىَّ عيبٌ غيرَ أنّى من الإنْسِ

ذكر ما قيل فى الكذب

٥ قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ . وقال : ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ . وقال فى الكاذبين : ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إيّاكم (١) والكَذِبَ فإنّ الكَذِبَ يهدى الى الفُجُور والفجورَ يهدى الى النّار" . وقال صلى الله عليه وسلم : " الكَذِبُ مُجانِبُ
١٠ الإيمَانِ " . وقال صلى الله عليه وسلم : " ثلاثٌ من كُنَّ فيه فهو منافقٌ و إنْ صلّى وصامَ وزعَم أنه مسلمٌ مَنْ اذا حدَّثَ كَذَبَ واذا وعَد أخلَف واذا آؤتُمِنَ خان" .
وقال صلى الله عليه وسلم : " لا يجوز الكذبُ فى جِدّ ولا هَزْلٍ" . وقال : " لايكونُ المؤمنُ كذّابا " .

وقالت الحكماء : ليس لكاذب مُروءة .

١٥ وقالوا : من عُرِفَ بالكذِبِ لم يَجُز صِدقُه .

وقال عبدُ الله بنُ عمَر رضى الله عنهما : خُلْف الوعد ثُلُثُ النفاق .

وقال بعض الحكماء : الصدقُ مُنجيك و إنْ خِفتَه ، والكذبُ مُرديك و إنْ أمِنتَه .

قال أبو عمرو بن العلاء القارئ : سادَ عُتبةُ بن ربيعة وكان مملقا ، وساد أبوجهل وكان

(١) فى تذكرة الصفدى زيادة فى هذا الحديث نصها : " وتحرّوا الصدق فان الصدق يهدى الى البر
٢٠ والبر يهدى الى الجنة " .

حَدَثًا ، وساد أبو سـفيان وكان بَخَّالا ، وساد عامر بن الطُّفَيل وكان عاهرا ، وساد كُلَيب بن وائل وكان ظلوما ، وساد عُيَينة وكان مُحَمَّقا ، ولم يَسُد قطُّ كذّاب ؛ فصلَح السؤدُد مع الفقر والحـداثة والبخل والعهر والظلم والحمق ، ولم يصلُح مع الكَذِب ؛ لأن الكذِبَ يعمّ الأخلاقَ كلَّها بالفساد . (١١٢)

وقال يحيى بنُ خالد : رأيت شِرِّيبَ خمرٍ نَزَع ، ولصّا أقلَع ، وصاحبَ فَواحشَ رجع ، ولم أر كذَّابا رجع . ٥

ويقال : الكذبُ مِفتاح كُلّ كبيرة ، والخمر جِمَاعُ كلّ شرٍّ .

وقيل : لا تأمنَنَّ مَنْ يكذِبُ لك أَنْ يكذبَ عليك .

وقيل : الكَذِبُ والنفاقُ والحسد أثافى الذّلّ .

وقال ابنُ عباس : حقيقٌ على الله ألّا يرفَع لِلكاذبِ درجةً ، ولا يُثَبِّتَ له حجةً . ١٠

وقال سليمانُ بن سَـعد : لو صحِبنى رجلٌ وقال : لا تشـترِط علىّ إلا شرطا واحدا لقلت : لاتكذِبنى .

وقال أبو حيان التَّوحيدىّ : الكذب شِعارُ خَلَق ، ومَوْرِدُ رَنْق ، وأدبٌ سيِّئ ، وعادةٌ فاحشةٌ ؛ وقلّ مَن استرسَل فيه إلا ألِفَه ، وقلَّ من ألفه إلا أتلفَه .

وقال غيرُه : الكَذِب أوضع الرذائلِ خُطّة ، وأجمعها للمذمّة والمحطّة ، وأكبرُها ذُلًّا فى الدنيا ، وأكثرُها خزيا فى الآخرة ؛ وهو من أعظمِ علاماتِ النفاقِ ، وأقوى الدلائلِ على دناءة الأخلاق والأعرَاقِ ؛ لا يُؤْتَمن حامِلُه على حال ، ولا يُصدَّق إذا قال . ١٥

وقيل : لكل شىء آفةٌ ، والكذب آفة النطق .

وقال بعضُ الكرماء : لو لم أَدَعِ الكَذِب تأثّما ، لتركته تكرُّما .

وقال أرسطاطاليس : فُضِّلَ الناطقُ على الأخرس بالنطق ، وزَينُ النطقِ الصدقُ ؛ فإذا كانَ الناطقُ كاذبا فالأخرسُ خيرٌ منه . ٢٠

وقال بعض الحكماء لولده : يا بُنَيَّ إياك والكذبَ ، فإنه يُزْرِى بقائله ، و إنْ كان شريفا فى أصله ، و يُذِلُّه و إن كان عزيزا فى أهله .

وقال الأَحنفُ بن قيس : اِثنانِ لا يجتمعان : الكذبُ والمروءة .

وقال بُزُرْجِمْهر : الكاذبُ والميتُ سواء، لأن فضيلةَ النطق الصدقُ، فإذا لم يُوثق بكلامه بطَلَت حياته .

وقال معاويةُ يوما للأَحنف : أتكذِبُ؟ فقال : والله ما كَذَبتُ مُذ علمتُ أن الكذبَ شَيْنٌ .

وقيل : لا يجوز للرجل أن يكذب لصلاح نفسه، فما عجز الصدقُ عن إصلاحه كان الكذب أولى بفساده . قال بعض الشعراء :

ما أحسن الصدقَ والمغبوطُ قائلُه * وأقبحَ الكِذْبَ عند الله والناسِ

وقالوا : اِحذر مصاحبةَ الكذّاب، فإن اضطُرِرتَ إليها فلا تصدّقه، ولا تعلمه أنك كَذّبتَه، فينتقل عن مودّته، ولا ينتقل عن كذِبه .

وقال هُرمس : اِجتنب مصاحبةَ الكذّاب، فإنك لستَ منه على شيء يُتَحصَّل، و إنما أنت معه على مثل السَّرَاب يلمَعُ ولا ينفَع .

وقيل : الكذّاب شرٌّ من النَّمَّام، فإن الكذّاب يختلق عليك، والنَّمَّامَ ينقل عنك . قال شاعر :

إنّ النَّمُومَ أُغَطِّى دونه خَبَرِى * وليس لى حيلةٌ فى مُفْتَرِى الكَذِبِ

وقال آخر :

لى حيـلةٌ فيمن يَنِمْ * وليس فى الكذّاب حِيلَهْ
من كان يخـلُق ما يقو * لُ فحيلتى فيـه قليلَهْ

ووصف أعرابىّ كذابا فقال : كَذِبهُ مثل عُطاسه : لا يُمكنه ردّه .

وقال بعض الأعراب : جِبت من الكذّاب المُشيدِ بكَذِبه ، وإنما هو يدُلّ الناس على عيبــه ، ويتعرّض للعِقاب من ربّه ، فالآثام له عادة ، والأخبــار عنه متضادّة ؛ إن قال حقا لم يُصَدَّق ، وإن أراد خيرا لم يُوفّق ؛ فهو الجانى على نفسه بفعاله ، والدّالّ على فضيحتها بمقاله ؛ فمــا صحّ من صدقه نُسِب إلى غيره ، وما صحّ من كذب غيره نُسب إليه .

ويقال : الكذب جِمَاع النفاق ، وعِمَــاد مساوى الأخلاق ؛ عارٌ لازم ، وذلّ دائم ؛ يُخيف صاحبُه نفسَه وهو آمن ، ويكشف سِتْر الحَسَب عن لُؤْمه الكامن .

وقال بعض الشعراء :

لا يكذِب المرءُ إلّا من مَهَانتِه * أو عادةِ السوء أومن قِلَّه الوَرَعِ

وقال الأصمعىّ : قيــل لرجل معروف بالكذب : هل صدقتَ؟ قال : أخاف أن أقول : "لا" فأصدُق .

وآفة الكذب النسيان . قال شاعر :

ومن آفةِ الكذّابِ نسيانُ كِذْبِهِ * وتلقــاه ذَا دَهْيٍ إذا كان كاذبا

وقال علىّ بن الجَهْم شاعر اليتيمة :

تــكذِب الــكِذْبةَ يوماً[1] * ثم تنســاها قـــريبا

كن ذَكُورًا ياأبا يحـ * ـيى إذا كنت كَذُوبا

وقال أبو تمّــام :

يا أكثر الناس وعدًا حَشْوُه خُلُف * وأكثرَ النــاسِ قولًا حَشْوُه[2] كَذِبُ

(١) فى يتيمة الدهر : «الكذبة جهلا» .

(٢) فى ديوان أبى تمام : «كله» .

وقال أحمدُ بنُ محمّد بن عبد ربّه :

صحيفةٌ أُثبِتتْ "لَيْتٌ" بها و"عَسَى" * عُنوانُها راحةُ الراجى إذا يَئِسَا

وَعْدٌ له هاجسٌ فى القلب قد بَرِمتْ (١) * أحشاءُ صدرِى به من طول ما هَجَسَا

يراعةٌ غرّنِى منها وَمِيضُ سَنًا (٢) * حتى مددتُ إليها الكفَّ مُقْتَبِسَا

٥ فصادفتْ (٣) حَجَرًا لو كنتَ تضرِبُه * من لُؤْمه بِعصًا موسى لمَا ٱنْبَجَسَا

وقال آخر :

وتقـول لى قولا أظنُّك صادقا * فأجِىءُ من طمع اليك وأذهبُ

فإذا ٱجتمعتُ أنا وأنتَ بمجلسٍ * قالوا مُسَيْلِمةٌ وهذا أشْعَبُ

ذكر ما قيل فى الغدر والخيانة

١٠ قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ وقال تعـالى : ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ .

(١١٣)

ورُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من أَمِنَ (٤) رجلا ثم قتله وجبت له النار و إن كان المقتول كافرا" . وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "اذا ١٥ جمع الله الأوّلين والآخرينَ (٥) رُفِع لكل غَادِرٍ لِواءٌ وقيل هذه غَدْرة فلان" .

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٤٩ طبع بولاق) :

«وعد له هاجس فى الغدر ... ... * ... ... من طول ما احتبسا»

(٢) فى العقد الفريد : «مواعد» .

(٣) فى العقد الفريد : «صادمت» .

٢٠ (٤) رواية الجامع الصغير : «من أمّن رجلا على دمه فقتله فأنا برىء من القاتل و إن كان المقتول كافرا» .

(٥) فى تذكرة الصفدى رواية ابن عمر : «الغادر ينصب له لواء يوم القيامة فيقال هذه غدرة فلان» .

وقالوا : من نقض عهده، ومنع رِفْده، فلا خيرَ عنده .

وقالوا : الغالب بالغدر مغلول، والناكث للعهد ممقوت مخذول .

وقالوا : من علامات النفاق، نقضُ العهد والميثاق .

وقالوا : لا عذر فى الغدر . والعـذر يصلُح فى كلّ المواطن؛ ولا عذر لغـادر ولا خائن . ٥

وفى بعض الكتب المنزّلة : إن مما تُعَجَّل عقوبته من الذنوب ولا تُؤَخَّر: الإحسان يُكْفَر، والذّمة تُخْفَر . قال شاعر :

أخْلِقْ بمن رَضِىَ الخيانةَ شِيمةً * ألّا يُرَى إلّا صريعَ حوادثِ

ما زالتِ الأرزاءُ تُلحِقُ بؤْسَها * أبدًا بغادرِ ذمّةٍ أو ناكث

وقالوا : الغَدْر ضامن العَثْرة، قاطع ليد النُّصرة . ١٠

ويقال : من تعدّى على جاره، دَلّ على لُؤْمِ نِجَارِه .

وذُكر أن عيسى صلوات الله عليه مرّ برجل وهو يُطارِد حيّة وهى تقول له : والله لئن لم تذهب عنّى لأنفُخَنَّ عليك نفخة أُقَطِّعك بها قِطَعا ؛ فمضى عيسى عليه السلام فى شأنه ، ثم عاد فرأى الحية فى جُونة الرجل محبوسة ، فقال لها : ويحك ! أين ما كنتِ تقولين؟ قالت : يا رُوحَ الله، إنه حلف لى وغَدَر، وإنّ سُمَّ غدره أقتلُ له من سُمّى . ١٥

ذكر أخبار أهل الغَدْر وغَدَراتهم المشهورة

أعرف الناس فى الغدر آل الأشعث بن قيس بن معديكرب ، وقد عُدّت لهم غَدَرَات ، فمنها : غدر قيس بن معديكرب بمراد ، وكان بينهم عهد ألّا يغزوهم إلى آنقضاء شهر رجب ؛ فوافاهم قبل الأَمَد بِيَكَنْدَة ، وجعل يحمل عليهم ويقول:

٥ أقسمتُ لا أَنْزِل حتّى تُهْزَمُوا * أنا آبن معد يكربٍ فآستسلِمُوا

* فارسُ هَيْجا ورئيسٌ مِصْدَمُ *

فَقُتِل قيس بن معد يكرب . وآرتد الأشعث عن الإسلام . وغدر الأشعث ببنى الحارث بن كعب ، وكان قد غزاهم فأَسَرُوه ، ففَدَى نفسه بمائتى بعير ، فأعطاهم مائة وبقى عليه مائة فلم يُؤَدّها ، وجاء الإسلام فهدَم ما كان فى الجاهليّة .

١٠ وغدر محمد بن الأشعث بن قيس بمسلم بن عَقِيل بن أبى طالب ؛ وغدر أيضا بأهل طَبَرِسْتان ، وكان عُبَيد الله بن زياد ولّاه إياها ، فصالح أهلَها على ألّا يدخلها ورحل عنهم ، ثم عاد إليهم غادرا ، فأخذوا عليه الشِّعاب ، وقتلوا آبنه أبا بكر .

وغدر عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بالحجّاج لما ولّاه خُرَاسَان ، وخرج عليه وآدّعى الخلافة ، وكان بينهم من الوقائع ما نذكره فى التاريخ فى أخبار الحجاج

١٥ إن شاء الله تعالى ؛ وكانت الدائرة على عبد الرحمن ؛ وكلّهم ورِثُوا الغدر عن معديكرب ، فإنه غدر مَهْرَة ، وكان بينه وبينهم عهد الى أجل ، فغزاهم ناقضا لعهدهم فقتلوه وبَقَرُوا بطنه وملئوه بالحصى .

وغدرت آبنة الضَّيْزَن بن معاوية بأبيها صاحب الحَضْر ودلّت سابور على طريق فتحه ، ففتحه وقتل أباها وتزوجها ، ثم قتلها . وقد ذكرنا ذلك فى الجزء الأوّل

من هذا الكتاب فى المبانى . ومن ذلك ما فعله النعمان بِسِنمّار ، وقد ذكرناه أيضا فى خبر بناء الخَوَرْنق .

وممن آشتهر بالغــدر عمرو بن جُرْموز : غدر بالزّبير بن العوّام ، وقتــله بوادى السباع . ونذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى حرب الجمل .

٥ ومن الغدر الشنيع ما فعلته عَضَل والقارَة ، رُوِى أنه قدم على رسول الله صلى الله عليــه وسلم بعــد أُحُد رهطٌ من عَضَل والقارة، فقالوا : يارســول الله إن فينا إسلاما وخيرا، فابعث معنا نفرا من أصحابك يفقّهوننا فى الدِّين، ويُقرئوننا القرآن ، ويعلّموننا شرائع الإسلام؛ فبعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة نفر من(1) أصحابه ، وهم : مَرْثَد بن أبى مرثد الغَنَوِى ، وخالد بن [أبى](2) البُكَيْر حليف بنى عدىّ ١٠ آبن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقْلَح أخو بنى عمرو بن عوف ، وخُبَيب بن عدىّ أخو بنى جَحْجَبَى بن كُلْفة بن عمرو بن عَوْف ، وزيد بن الدَّثِنَة أخو بنى بَيَاضَــة بن عامر، وعبد الله بن طارق، ومُعَتِّب بن عُبَيد أخو عبد الله لأُمه، وأمّر عليهم مَرْثَد آبن أبى مرثد؛ وقيل أمّر عليهم عاصما؛ فخرجوا مع القوم، حتى إذا كانوا على الرجيع — ماء لهذيل — غدروا بهم وآستصرخوا عليهم هُذَيلا ، فلم يَرُعِ القومَ وهم فى رحالهم إلا ١٥ الرجالُ فى أيديهم السيوف؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا القوم؛ فقالوا : إنّا والله ما نُريد قتْلكم، ولكنا نريد أن نُصيبَ بكم شيئا من أهل مكة(3) [ولكم عهــد الله وميثاقه لا نقتلكم]؛ فأما مرثد وخالد وعاصم ومُعتِّب فقالوا : والله ما نقبل من مشرك عهدا

(1) فى تذكرة الصفدى : «ستة نفر» وفى طبقات ابن سعد بيتان لحسان بن ثابت ذكر فيهما الستة ولم يذكر معتب بن عبيد .

٢٠ (2) التصويب عن الصفدى والطبقات الكبرى .

(3) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(١١٤) ولا عَقْدا ، فقاتَلوا حتى قُتلوا ؛ وأما زيد وخُبَيْب وعبد الله فلانوا ورغبوا فى الحياة،
وأعطوا بأيديهم، فأسروهم وخرجوا بهم الى مكة ليَبيعوهم بهـا ؛ حتى إذا كانوا بمَرّ
الظَّهْران آنتزع عبد الله بن طارق يده من القِرَان(١)، ثم أخَذ سيفه وآستأخَر عن القوم،
فَرَمَوْهُ بالحجارة حتى قتلوه ؛ وقدِمُوا بخبيب وزيد الى مكة فباعوهُما ، فابتـاع خبيبا
٥ حُجَر بنُ أبى إهاب التميمى حليف بنى نوفل لعُقْبـة بن الحارث بن عامر بن نوفل
ليَقْتله بالحارث؛ وأما زيد بن الدَّثِنَة فابتاعه صَفْوانُ بنُ أمية ليقتله بأمية بن خَلَف .
ورُوى أن خُبيبا لـا حصل عند بنات الحارث آستعارَ من إحداهن موسى ليستحدّ
بها [للقتل](٢)؛فما راع المرأةَ إلا صبى لها يَدرُج،وخُبيب قد أجلس الصبىَّ على فَخِذه،
والموسى فى يده ؛ فصاحت المرأة ، فقال خُبيب : أتَحسَبِين أنى أقتـله ؟ إن الغدْر
١٠ ليس من شأننا؛ وقالت المرأة : مارأيت بعدُ أسيرا قطّ خيرا من خُبيب! لقد رأيتُه
وما بمكّة من ثمرة ، وأن فى يده قِطْفا من عنب يأكله ، إن كان إلّا رزقا رزقه اللهُ
خبيبا . ولـا خُرج بخُبيب من الحرم ليقتلوه قال : ذَرونى أصلِّ ركعَتين، ثم قال :
لولا أن يقال : جزِع لزِدْت، وما أبالى على أىّ شِقٍّ كان مصرعى . وهـذه القصّةُ
نذكرها إن شاء الله تعالى بمـا هو أبسطُ من هذا فى السِّيرة النبويّة فى سَرِيّة مَرْثَد إلى
١٥ الرجيـــع .

قيل : أغار خَيْثَمَة بن مالك الجُعْفِى على حىّ من بنى القَيْن، فاستاقَ منهم إبلا
فلحِقوه ليَستَنقذوها منه ، فلم يطمَعوا فيه ؛ ثم ذَكَرِيدًا كانت لبعضهم عنده ، فخَلَّى عما
كان فى يده ، وولّى منصَرفا ؛ فنادَوْه وقالوا : إن المفازة أمامَك ، ولا ماَءَ معك ، وقد
فعلت جميلا ، فأنزلْ ولك الذِّمام والحِبَاء ، فنزَل ؛ فلما آطمأنّ وسكَن وآستمكَنوا منه ،
٢٠ غدَروا به فقتلوه . ففى ذلك تقول عَمْرة آبنتُه :

---

(١) القران : حبل يقاد به البعير .
(٢) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

غدَرتم بمَنْ لو كان ساعةَ غدركم * بكفّيه مفتوقُ الغِرار ين قاضبُ
أذادَكُمُ عنـــه بضربٍ كأنّه * سهامُ المنايا كلّهن صوائبُ

وتَلاحَى بنو مَفْروق[1] بن عمرو بن محارب، وبنو جَهْم بن مُرّة بن محارب، على ماءٍ لهم، فغلبتهم بنو مفروق فظَهرت عليهم، وكان فى بنى جَهْم شيخٌ له تجرِبة وسِنّ، فلما رأى ظهورهم قال : يابنى مفروق ، نحن بنو أب واحد، فلِمَ نتَفانى ؟ هلمّوا إلى الصلح، ولكم عهدُ الله تعالى وميثاقُه وذمة آبائنا ألّا نهيجكم أبدا ولا نزاحمكم فى هذا الماء، فأجابتهم بنو مفروق إلى ذلك ؛ فلما آطمأنوا ووضعوا السلاح عَدَا عليهم بنو جهم فنالوا منهم منالاً عظيما، وقتلوا جماعة من أشرافهم. ففى ذلك يقول أبو ظَفَر الحارثىّ :

هلّا غدَرتم[2] بمفـــروق وأسرته * والبيضُ مُصْلَتَةٌ والحرب تَستعرُ
لما آطمأنوا وشاموا من[3] سيوفهمُ * ثُرْتم اليهم وعُرُّ الغــدر مشتهرُ
غدرتموهُم بأيمـانٍ مؤكّدةٍ * والوِرْدُ من بعده للغادر الصَّدَرُ

هذا ما قيل فى الغدر .

وأما الخيانة، فقد نهى الله تعالى عنها فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لا إيمان[4] لمن لا أمانةَ له ولا دِينَ لمن لا عهدَ له" .

وقيل : من ضيّع الأمانة، ورَضِى بالخيانة، فقد بَرِئَ من الدِّيانة .

---

(١) كذا فى تذكرة الصفدى . وفى الاصل : « بنو مقرون » وهو تحريف .
(٢) فى تذكرة الصفدى : «هلا ظفرت» .
(٣) كذا فى تذكرة الصفدى . وفى الأصل : «فى» .
(٤) رواية الجامع الصغير : «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا صلاة لمن لا طهور له ولا دين لمن لا صلاة له وموضع الصلاة من الدين كوضع الرأس من الجسد» .

وقال حكيم : لو علم مُضيِّع الأمانة، ما فى النكث والخيانة، لقصَّر عنهما عِنَانَه .
وقالوا : من خان مان، ومن مان هان، وتبرّأ من الإحسان .

قيل : دخل شَهْرُ بنُ حَوْشَب وهو من جِلّة القرّاء وأصحاب الحديث على معاوية، وبين يديه خرائطُ فيها مال ، قد جُمعت لتوضع فى بيت المـال ، فقعَد على خريطة منها وأخذها ، ومعاوية ينظرُ إليـه ؛ فلما رُفعت الخرائط فُقد من عددها خريطة، فأعلم الخازنُ بذلك معاويةَ؛ فقال : هى محسوبة لك فلا تسأل عن آخذها . ففيه يقول بعض الشعراء :

لقد باع شَهْرٌ دينَـه بخَرِيطةٍ * فَمَن يأمَن القرّاءَ بعدك يا شهرُ

وقال المنصور لعامل بلغـه عنه خيانة : يا عدوّ الله وعدوّ أمير المؤمنـين وعدوّ المسلمين! أكلتَ مالَ الله، وخُنتَ خليفةَ الله؛ فقال : يا أمير المؤمنين، نحن عيالُ الله ، وأنت خليفةُ الله، والمـال مالُ الله ، فمال من[(١)] نأكل إذًا ! فضحك وأطلقه، وأمر ألّا يُوَلَّى عملا بعدها .

وسرق رجل فى مجلس أَنُو شِرْوان جامًا من ذهب وهو يراه ، فتفقّده الشرابىّ فقال : والله لا يخرج أحد حتى يُفتَّش؛ فقال له أنو شِرْوانُ : لا تتعرّض لأحد، فقد أخذه من لا يردّه، ورآه من لا يَنُمّ عليه .

وحُكى أن بعض التّجار أودع عند قاضٍ بمَعَرّة النعمان وديعةً، وغاب مدّةً، فلما رجع طالب بها ، فأنكرها القاضى، فتشفّع إليه برؤساء بلده فى ردّها، فما زالوا به حتى أقرّ بها ، وآدّعى أنها سُرقت من حِرْزه ؛ فاستحلفه المُودع فحلف . فقال آبن الدَّويدة فى ذلك :

(١) كذا فى الصفدى . وفى الأصول : «فمن أين نأكل» .

لا يَصدُق القاضى الخَؤونُ إذا آدّعى * عدمَ الوديعــة من حصين المودع
إن قال قد ضاعت فيصدُق، إنها * ضاعت ولكن منك يعنى لو تَعِى
أو قال قد وقعت فيَصْــدق، إنها * وقعت ولكن منــه أحسنَ موْقع

وقال آبن الحجاج :

وأدعوهم إلى القــاضى عساهمْ * إذا وقَع اليمينُ يُحلِّفُــونِى
وأَضْيعُ ما يكون الحق عنــدى * إذا عَزم الغريمُ على اليمين

ذكر ما قيل فى الكِبْر والعُجْب

قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ . وقال تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . وقال : ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ . وقال : ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ . وقال : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ . وناهيك بهذا زجرًا.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا يدخُل الجنةَ من كان فى قلبه حَبّةٌ من خَرْدَلٍ من كِبْر" . وقال صلى الله عليه وسلم: "من تَعظَّم فى نفسه وآختال فى مِشْيته لقِى اللهَ عزّ وجلّ وهو عليه غضبان" . وقال صلى الله عليه وسلم : "من جَرَّ ثَوبَه خُيَلاء لم ينظُرِ اللهُ إليه [يوم القيامة] (١)" .

و روى : أن عبد الله بنَ سَلَام، مرّ بالسوق يحمل حُزْمة حطب، فقيل له : أليس قد أغناك الله عن هــذا؟ قال: بلى ! ولكنى أردت أن أقمع به الكِبْر، سمعتُ رسول الله صــلى الله عليه وســلم يقول : "لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبّة [من خردل] (٢) من كِبر" .

---

(١) التكملة عن الجامع الصغير .
(٢) التكملة عن الصفدى .

وقال عمر بنُ الخطاب رضى اللهُ عنه: ما وجد أحدٌ فى نفسه كِبْرا إلا من مَهانة يجِدُها فى نفسه .

وقالوا : مَنْ قلّ لُبُّه كثر عُجْبُه .

وقالوا : عُجْب[1] المرء بنفسه أحد حسّاده .

٥ وقال أردَشِير بن بابَك : ما الكِبْر إلا فضل حُمْقٍ لم يدر صاحبُه أين يَضَعُه فصرفه إلى الكِبْر .

ومن كلام لابن المعتزّ : لما عرَف أهلُ التقصير[2] حالَهم ، عند أهل الكمال استعانوا بالكِبر ليُعظِّم صغيرا، ويَرفعَ حقيرا، وليس بفاعل .

وقال أكثمُ بنُ صَيْفِىّ : من أصاب حظا من دنياه فأصاره ذلك الى كِبْرٍ وتَرَفُّع

١٠ فقد أعلم أنه نال فوق ما يستحقّ، ومن أقام على حاله فقد أعلم أنه نال ما يستحقّ، ومن تواضع وغادر الكِبْر فقد أعلم أنه نال دون ما يستحقّ .

وقال علىّ رضى الله عنه: عجِبت للمكبر الذى كان بالأمس نطفة، وهو غدًا جيفة .

وقيل : مرّ بعضُ أولاد المُهَلَّب بمالك بن دينار وهو يَخْطِر، فقال له : يابُنَىّ، لو خَفَّضت بعض هذه الخُيَلاء ألم يكن أحسنَ بك من هذه الشّهرة التى قد شَهَرْتَ

١٥ بها نفسَكَ ؟! فقال له الفتى : أوَ ما تعرِفُ من أنا؟ قال : بلى ! والله أعرِفك معرفة جيّدة، أوّلك نطفة مَذِرة، وآخرك جيفة قَذِرة ، وأنت بين ذلك حامل عَذِرة؛ فأرخى الفتى رُدْنَيْه[3] وكفّ مما كان يفعله، وطأطأ رأسه، ومضى مسترسلا .

---

(١) كذا فى تذكرة الصفدى . وفى الأصل « عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله » والظاهر أن كلمة «عقله» مقحمة من الناسخ .

٢٠ (٢) فى أدب الدنيا والدين وتذكرة الصفدى : « لما عرف أهل النقص » .

(٣) الردنان : الكمان .

وقال الواقدىّ[1] : دخل الفضل بنُ يحيي ذاتَ يوم على أبيــه [وأنا عنده] وهو يَتَبَختر فى مِشْيته، [فكره ذلك منه،][1] فقال لى يحيي : يا أبا عبدالله، إن البخل والجهلَ مع التواضــع أزينُ بالرجل من الكِبْر مع السخاء والعلم؛ فيالهــا حســنة غطَّتْ على عيْبَيْن عظيمين؛ ويالهــا سيّئة غطَّت على حسنَتَيْن كبيرتين؛ ثم أومأ اليــه بالجلوس وقال : آحفظْه يا عبد الله[2]، فإنه أدب كبير أخذناه عن العلماء .

ومن الكِبْر المستهجَن ما رُوى : أن وائل بنَ حُجْر أتى النبىّ صلى الله عليه وسلم، فأقطعه أرضا، وقال لمعاوية : "اعرِض هــذه الأرض عليه وآكْتبها له"؛ فخرج مع وائل فى هاجرة شاوية، ومشى خلف ناقته، وقال له : أَردِفْنِى على عَجُز راحلتك ؛ فقال : لستَ من أرداف الملوك؛ قال : فأعطنى نَعْلَيْك؛ فقال : ما بخــلٌ يمنعنى يابن أبى سُــفيان، ولكن أكرهُ أن يبلُغ أقْيالَ اليمن أنك لبست نَعْلى ، ولكن آمش فى ظل ناقتى ، فحسبُك به شرفا . وقيل : إنــ وائلا أدرك زمن معاوية ودخل عليه فأقعده معه على السرير وحدّثه .

والعرب تجعل جَذِيمة الأبرش الغاية فى الكِبْر، ورُوى : أنه كان لا ينادم أحدا ترفُّعا وكبرا؛ ويقول : إنمــا ينادمنى الفَرْقَدان . ومنه قول متمِّم :

* وكنّا كَنَدْمَانَىْ جَذِيمة حِقْبَةً *

قيل : إنما أراد الفَرْقدين، لا كما ذكره الرواة أنهما مالك وعَقِيل .

وقيل : كان آبن ثَوابة[3] من أقبحَ الناس كِبْرا، روى : أنّه قال لغلامه : آسقنى ماء، فقال : نعم، قال : إنمــا يقول : "نعم" من يقدر على أن يقول : "لا"، وأمر

(١) الزيادة عن تذكرة الصفدى .

(٢) كذا فى الأصل والتذكرة . ولعلها : «يا أبا عبد الله» .

(٣) كذا فى الصفدى والطبرى . وفى الأصول : «أبو» وهو تحريف . وفى المستطرف (ج ١ ص ٥٥) «كان ابن عوانة» .

بضربه . ودعا أَكَّارًا فكلمه، فلما فرَغ [من كلامه](١) دعا بماء وتمضمض ٱستقذارا لمخاطبته . قال عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبَةَ بن مسعود :

ولا تعجَبَا أن تُؤْتَيَا فتكلَّما * فما حُشِيَ الأقوامُ شرًّا من الكبر

قال الجاحظ : المذكورون بالكبر من قريش : بنو مَخْزوم، وبنو أُميَّةَ؛ ومن العرب : بنو جَعْفَر بن كلاب، وبنو زُرارة بن عُدَس؛ وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدّون الناس إلا عبيدا، وأنفسهم إلا أربابا؛ والكِبر في الأجناس الذليلة أرسخُ، ولكن القِـلّة والذِّلة مانعتان من ظهور كبرهم؛(٢) ومن قَدَر من الوضـعاء أدنى قُدرة ظهـر من كبره ما لا خَفاء به ؛ و [شيء قد قتلته علمـا وهو أني](١) لم أر ذا كبر قطّ علا مَنْ دونه إلا وهو يَذِلّ لمن فوقه بمقدار ذلك ووزنه . قال: أما بنو مخزوم، وبنو أميـة، وبنو جعفر بن كلاب، وٱختصاصهم بالتِّيه، فإنهم أَبطَرهم ما وجدوا لأنفسهم من الفضيلة ؛ ولو كان في قُوَى عقولهم فضلٌ عن قُوَى دواعي الحَمِيَّة فيهم لكانوا كبني هاشم في تواضعهم وإنصافهم مَنْ دونهم .

وقال أبو الوليد الأعرابيّ(٣) :

ولستُ بتيّـاهٍ إذا كنتُ مُثْرِيا * ولكنه خُلْق إذا كنت مُعْدِما

وإن الذي يُعطِي من المـال ثَروةً * إذا كان نذْل الوالديـن تعظّما

ومن المتكبرين، عُمَارةُ بن حمزة، حُكي عنه: أنه دخل على المهديّ، فلما ٱستقر به الجلوس، قام رجل كان المهـديّ قد أعدّه له ليتهكّم به ؛ فقـال : مظلوم يا أمير المؤمنين! قال : مَنْ ظلمك؟ قال : عُمَارة غصبني ضَيْعتي، وذكر ضَيْعة من

(١) زيادة عن الصفدي .

(٢) رواية الصفدي : «والجملة أن من قدر الخ» .

(٣) في الصفدي : «قال أبو البيداء» .

أحسن ضياع عُمَارة وأكثرها خَرَاجا، فقال المهدىّ لعُمَارة: قم فآجلس مع خَصْمِك، فقال: يا أميرَ المؤمنين، ما هو لى بخَصْم، إن كانت الضّيعة له فلستُ أنازعه فيها، وإن كانت لى فقد وهبتُها له، ولا أقومُ من مجلس شرّفنى به أميرُ المؤمنين؛ فلما آنصرف المجلس، سأل عُمارة عن صفة الرحل، وما كان لباسُه، وأين كان موضع جلوسه. وكان من تِيهه أنه إذا أخطأ يمرّ على خَطئه تكبرا عن الرجوع، ويقول: نقض وإبرام فى ساعة واحدة، الخطأ أهون منه.

ومنهم من أهلكه الكبر وأذلّه. كان خالد بن عبد الله بن يَزِيدَ بن أسد القَسْرىّ أميرا على العراق، وبلغ من هشام بن عبد الملك محلا رفيعا، فأفسد أمره العُجبُ والكِبْرُ، وأدّياه[1] إلى الهَلَكَة، وعُذِّب حتّى مات؛ وذلك أنه كان إذا ذُكِر هشام عنده قال: آبن الحمقاء! فسمِعها رجل من أهل الشأم، فقال لهشام: إنّ هذا البَطِرَ الأَشِر الكافرَ لنعمتك ونعمة أبيك وإخوتك، يذكرك بأسوأ الذّكر، قال: لعله يقول: الأحولُ، قال: لا، ولكنّه يقول: ما لا تلتقى به الشّفتانِ، قال: لعله يقول: آبن الحمقاء، فأمسك الشامىّ، فقال هشام: قد بلغنى كلّ ذلك عنه. وكان خالد يقول: والله ما إمارةُ العراق ممّا تُشرِّفنى، فبلغ ذلك هشاما [فغاظه][2]، فكتب إليه: بلغنى أنك يا آبن النصرانية تقول: إن إمارة العراق لا تُشرِّفك وأنت دَعِىّ [الى][2] بجيلة القليلة الذليلة، والله إنى لأظن أن أوّل من يأتيك صيفىّ بن قيس فيشدّ يدَك إلى عُنقك. قال خالد بن صفوان بن الأهتم: لم تزل أفعال خالد حتى عزله هشام وعذّبه، وقتل آبنه يزيدَ بن خالد؛ فرأيت فى رجله شَرِيطا قدشدّه به الصّبيان يجرّونه، فدخلت إلى هشام يوما فحدّثته فأطلت؛ فتنفّس وقال: يا خالد [ربّ[2] خالد]! كان أحبّ إلىَّ قُرْبا وألذّ

(١) كذا فى تذكرة الصفدى. وفى الأصول: «أدناه».

(٢) الزيادة عن الصفدى.

عندى حديثا منك — يعنى خالدًا القَسْرِىّ — قال: فانتهزتُها ورجوت أن أشفع فتكون لى عنــد خالد يدا، فقلت : يا أمير المؤمنين، ما يمنعك من آستئناف الصّنيعة فقد أدّبتَه بما فَرط منه؟ فقال: هيهاتَ! إن خالدا أوجَف فأعجَف، وأدلّ فأملّ، وأفرط فى الإساءة فأفرطنا فى المكافأة، حَلِمَ الأديمُ[1]، ونغِل الجُــرْح، وبلغ السَّيْلُ الزُّبَى، والحِزامُ الطُّبْيَيْن، ولم يبق فيه مستصلَح، ولا للصّنيعة عنده موضع، عُدْ إلى حديثك.

ومنهم : من أفرط به الكِبْر الى الكفر. حُكى : أن سعيد بن زُرارة مرّت به آمرأة فقالت له : يا عبد الله، كيف الطريقُ إلى مكان كذا؟ فقال لها : أمِثلى يكون مِنْ عَبِيد الله !

ومنهم : عُبَيْــد الله بن زياد بن ظَبْيان، قال له رجل من قومه وقد رأى منــه ما أعجبه : كثّر اللهُ فينا مثلَك، فقال : لقد كلّفتم اللهَ شططا .

ومن أشعار المتكبّرين التيّاهين قول بعضهم :

* أتيه على جِنّ البلاد وإنْسِها *

الأبيات، وقد تقدّمت فى الحمْقَ .

وقال آخر :

أَلقِنى فى لَظَى فإن أحرقَتْــنى * فتيقّن أنْ لستُ بالياقوتِ
صنَعَ النسجَ كلُّ مَنْ حاكَ لكنْ * ليس داودُ فيــه كالعنكبوتِ

قال آبن صابر[2] الحرّانىّ المنجنيقىّ يردّ عليه :

أيّها المدّعى الفخارَ دعِ الفخْـ * ـرَ لِذى الكِبْرياء والجبروتِ
نسجُ داود لم يُفِدْ ليــلة الغا * رِ وكان الفخار للعنكبوتِ

(١) حلم الأديم : فسد، وهو وما بعده كناية عن اليأس من إصلاح الأمر بعد أن أوصله الفساد الى حيث لا يرجى اصلاحه .
(٢) فى الأصل « ابن جبارة » والتصويب عن وفيات الأعيان لابن خلكان (أنظر ترجمته فى الجزء الثانى ص ٥٠٠ — ٥٠٧ طبع بولاق) .

وبقاء السَّمنْدِ(١) فى لَهَبِ النا * رِ مُزِيلٌ فضــيلةَ الياقوتِ
وكذاك النّعام يلتقم الجمـ * ـرَ وما الجَمْـرُ للنّعام بقُـوتِ

✤

ومما هُجِى به أهل التكبّر ، قول جُعيفران يهجو سعيد بنَ سَلْم بن قُتَيبة :

أمّ سـعيدٍ لِمَ ولدتيــهِ * ملوَّثاً بالكِبْر والتِّيــهِ
ليتكِ إذ جئتِ به هكذا * حين تَخرِيتيــه أكلتيهِ

(١١٧)

ذكر ما قيل فى الحرص والطمع

قال الله عزّ وجل لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ .

وقال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : "أربعٌ(٢) من الشقاء ... الخ" عُدّ منها الحرص والأمل . وقال : "ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم فأفسداها أشدّ من حرص المرء على المــال(٣)" . وقال . "يَشيب ابنُ آدم وتَشُبّ(٤) منــه آثنتان الحرص على المــال والحرص على العمر" . وقال : "إيّاكم والطمعَ فإنه الفقر الحاضر" .

---

(١) السمند : طائر يستلذ بالنار ولا يحترق بها .

(٢) تمام الحديث كما فى الجامع الصغير والصمدى : « ... جمود العين وقسوة القلب والحرص وطول الأمل » .

(٣) الذى فى الجامع الصغير : « ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » . وقد ساق الحديث فى اللسان مادة (شرف) برواية فيها بعض مخالفة عما هنا وعلق على قوله «والشرف لدينه» بقوله : يريد أن يتشرف للمباراة والمفاخرة والمساماة .

(٤) رواية الجامع الصغير : «يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان الحرص وطول الأمل» .

ومن كلام علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : الطمعُ مُورِد غير مُصْدِر، وضامن غير وفىّ. [وربما شرِق شارب المـاء قبل رِيّه][1]؛ وكلما عَظُم قدر الشىء المتنافَس فيه عظمت الرّزية لفقده . والأمانىّ تُعمِى البصائرَ . أزرى بنفسه من آستشعر الطمع، واستولت[2] عليه الأمانىّ .

٥ وقال بعضهم : الحرص ينقُص من قدر الإنسان، ولا يزيد فى رزقه .

وقال قُتَيبة : إن الحريص آستعجل الذّلة، قبل إدراك البغية .

وقيل : لا راحةَ لحَريص، ولا غِنًى لِذى طَمَع .

وقيل : إن كَعْبا لقِى عبد الله بن سلام، فقال : يابن سلام، مَنْ أربابُ العلم؟ قال : الذين يعملون به . قال: فما أذهب العلم من قلوب العلماء بعد إذْ عَلِموه

١٠ ووَعَوْه؟ قال : الطَمعُ، وشَرَهُ النفس، وطلب الحوائج الى الناس . قال الأَصْمَعِىّ : سمعتُ أعرابيّا يقول: عجبتُ للحريص المستكثِر، المستقِلّ لكثير ما فى يده، المستكثر لقليل ما فى يد غيره، حتّى طلب الفضـل بذهاب الأصل؛ فركِبَ مفاوز البرارى، ولُجَجَ البِحار؛ معرِّضا نفسَـه للمات، ومالَه للآفات؛ ناظرا الى من سَلِم، غيرَ معتبر بمن عدِم .

١٥ قال يزيد بن الحَكَم الثَّقَفِىّ :

رأيتُ السّخِىَّ النفس يأتيه رِزْقُه * هنيئا ولا يُعطَى على الحِرْص جاشعُ
وكلّ حريص أن يُجاوِزَ رزقَه * وكم من مُوفًّى رزقه وهو وادعُ

وقالوا : مصارِعُ الألباب تحت ظلال الطمع . ويقال :

الحرّ عبدٌ ما طَمِع * والعبد حرٌّ ما قَنِع

٢٠ (١) الزيادة عن الصفدى .

(٢) لم يذكر الصفدى كلام علىّ بن أبى طالب فيـه الفقرة الأخيرة، وإنما ذكرها لأرسطاطاليس وعبارته : «ولا غنى لمن ملكه الطمع واستولت عليه الأمانى» .

وقالوا : أخرِج الطمعَ من قلبك، تَحُلّ القيد من رجلك .

وقال عمرو بن مالك الحارثيّ :

الحِرْصُ للنفسِ فقرٌ والقُنُوعُ غِنًى * والقوتُ إن قَنِعتْ بالقوت يَجزيها

والنفسُ لو أن مافى الأرض حِيزَلها * ما كان إن هى لم تَقْنَعْ بكافيها

وقال ٱبن هَرْمة : ٥

وفى اليأس عن بعض المطامع رَاحةٌ * ويارُبَّ خُسْرٍ أدركَتْه المطامِعُ

وقال هُدْبَةُ بن خَشْرم : (١)

وبعضُ رَجَاء المرء ما ليس نَائِلا * عَنَاءٌ وبعضُ اليأس أعفى وأرْوَحُ

وقال مُكْنِف بن معاوية التميميّ (٢) :

تَرى المرءَ يأمُلُ ما لا يرى (٣) * ومن دون ذلك ريبُ الأَجَلْ ١٠

وكم آيِس قـــد أتاه الرَّجَاءُ * وذِى طَمَع قد لواه الأَمَلْ

وقال آخر :

طَمِعتَ فيما وعدتْك المنى * وليس فيما وَعَدتْ مَطْمَعُ

وثِقتَ بالباطل من قولها * وليس حقًّا كلُّ ما تسمعُ

وإنمـا مَوْعِدُهـا بارِقٌ * فى كل حين خُلَّبٌ يَلْمَعُ ١٥

ويضرب المثل فى الطمع "بأشعب" . قيل له : ما بلغ من طمعك ؟ فقال للقائل له : لم تقل هذا إلّا وفى نفسك خيرٌ تصنعه بى . وقيل : إنه لم يمت شريف

(١) كذا فى تذكرة الصفدى وكتاب الشعر والشعراء وحماسة البحترى . وفى الأصل : « هرمة بن خشرم » وهو تحريف .

(٢) كذا فى الصفدى وحماسة البحترى . وفى الأصول : « التيمى » . ٢٠

(٣) فى الصفدىّ وحماسة البحترى « ما لن يرى » .

قطّ من أهل المدينة إلا آستعدَى أشعبُ على وصيِّه أو وارثه وقال له : آحلف أنه لم يُوصِ لى بشىء قبل موته . ووقف على رجل يعمل طبقا من الخَيزُران، فقال له : وسِّعه قليلا؛ قال الخيزرانى : كأنك تريد أن تشتريَه ؟ قال : لا، ولكن ربما يشتريه بعض الأشراف فيُهدِى إلىّ فيه شيئا . وسأله سالم بن عبد الله بن عُمَر رضى الله عنه عن طمعه؛ قال : قلت لصبيان مرةً : آذهبوا، هذا سالم قد فتح بيت صدَقة عمر حتى يُطعمكم تمرا، فلما أحضروا ظننت أنه كما قلت لهم، فعدوتُ فى إثرهم . وقيل له : ماذا بلغ من طمعك ؟ قال : أرى دخان جارى فأثرُدُ[1] عليه . وقيل له أيضا : ما بلغ من طمعك؟ قال : ما رأيت عَرُوسا بالمدينة تُزَفّ إلا كنست بيتى ورششته طمعا أن تُزَفَّ إلىّ . وقيل له : هل رأيتَ أطمع منك؟ قال : نعم، كلب أمّ حَوْمَل، تبعنى فرسخين، وأنا أمضغ كُنْدُراً[2]، ولقد حسدته على ذلك .

ذكر ما قيل فى الوَعْد والمَطْل

رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "العِدة دَيْن"[3] .

وقال بعض القُرشيِّين : من خاف الكذب أقلّ من المواعيد .

وقيل : أمران لا يَسْلمان من الكذب : كثرة المواعيد، وشدّة الاعتذار .

وقالوا : خُلْف الوعد، خُلُقُ الوَغْد .

وقال المهلَّب لبنيه : يابنىّ، إذا غدا عليكم الرجل أو راح مُسَلِّماً فكفى بذلك تقاضيا .

---

(١) ثرد الخبز : فته .

(٢) الكندر : ضرب من العلك، وهو اللبان الذكر .

(٣) رواية الجامع الصغير : « عدة المؤمن دين » .

قال الشاعر :

أروح لتسليم عليك وأغتدى * فحسبك بالتسليم منّى تقاضيا

كفى بطلاب المرء ما لا يناله * عناءً وباليأس المصرّح ناهيا

(١١٨) وقيل : الوعد إذا لم يشفعه إنجاز يحققه كان كلفظ لا معنى له ، وجسم لا روح فيه . وقالوا : الخلف ألأم من البخل، لأنه من لم يفعل المعروف، لزمه [ذم اللؤم وحده، ومن وعد فأخلف لزمه ثلاث مذمات] (١) : ذم اللؤم، وذمّ الخلف، وذمّ العجز. قال بعض الشعراء :

وعدتَ فأكذبت المواعيدَ جاهدا * وأقلعتَ إقلاع الجَهَام بلا وَبْلِ

واجْرَرْتَ لى حَبْلا طويلا تَبِعتُه * ولم أدرِ أن اليأس فى طَرَف الحبل

وقال أبو تمّام :

وما نفعُ من قد مات بالأمس صادِيًا * اذا ما سماءُ اليوم طال انهمَارُهَا

وما العُـرْف بالتّسويف إلا كَخُلّة * تسلّيت عنها حين شَطّ مَزَارُهَا

والعرب تضرب المثل بمواعيد عُرقوب ، وكان رجلا من العمالِيق وله فى ذلك حكايات . فمنها : أنه أتاه أخ له : يسأله شيئا، فقال له عرقوب : إذا أطلعتْ هذه النخلة فلك طَلْعها، فلما أطلعت، أتاه الرجل للعِدَة، فقال : دعها حتى تصير بلَحا؛ فلما أبلحت، أتاه، فقال : دعها حتى تصير زَهْوًا؛ فلما أزهت، قال : دعها حتى تصير رُطَبا؛ فلما أرطبت، قال : دعها حتى تصير تمرا؛ فلما أتمرت ، عمد إليها عرقوب فجذّها، ولم يعط أخاه منها شيئا .

---

(١) التكلة عن العقد الفريد .

وفيه يقول الأشجعىّ :

وعدتَ وكان الخلفُ منك سجيّةً * مواعيدَ عُرْقوب أخاه بيَتْرِبِ[(١)]

وقال كعب بن زُهَير بن أبى سُلْمى :

كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلًا * وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

٥ وقال السِّكّيت للمهدىّ : ياأمير المؤمنين ، لو كان الوعد يُستنزَل بالإهمال والسكوت لشكرتك القلوب بالضمير ، وانتظرت إلى فضلك العيون بالأوهام ؛ فقال المهدى : هذا جزاء التفريط فيما يكسب الأجر ، ويدخر الشكر ؛ وأمر بقضاء حاجته .

وقال أعرابىّ : العُذْرُ الجميل أحسن من المَطْل الطويل ، فإن أردت الإنعام فأنجِح ، وإن تعذّرتِ الحاجةُ فأفصِح .

١٠ وقال بعض كُرَماء العرب : لأن أموتَ عَطَشا أحبُّ إلىّ من أن أُخلِف مَوْعدا .

وقالوا : من وَعَد فأخلف لزِمتْـهُ ثلاثُ مذمات : ذمُّ اللؤم ، وذمُّ الخُلْف ، وذم الكذب . وقال بعض الشعراء[(٢)] :

ولا خيرَ فى وَعْدٍ اذا كان كاذبًا * ولا خيرَ فى قول اذا لم يكن فعْلُ

فإن تُجْمَع الآفاتُ فالبخلُ شرُّها * وشَرٌّ من البخل المواعيدُ والمَطْلُ

١٥ قال بعض الأعراب : فلان له مواعيدُ عواقبُها المَطْلُ ، وثمارُها الخُلْفُ ، ومحصولُها اليأسُ .

---

(١) يترب (بالتاء المثناة وفتح الراء) : قرية باليمامة . أنظر اللسان والقاموس . وفى الأصول : يثرب بالثاء المثلثة .

(٢) هو صالح اللخمىّ كما فى المستطرف ج ١ ص ٢٣٤

وقال آخر : فلان له وعد مُطْمِع. ومَطْلٌ مُؤْيِس، وأنت منـه أبدا بين يأس وطمع، فلا بَذْلٌ مُرِيح، ولا مَنْعٌ صَرِيح .

وقال الثعالبيّ : أوّل من أخلف المواعيدَ ولم يَفِ بشيء منها إسماعيلُ بن صُبَيح كاتبُ الرشيد، وما كان الرؤساء يعرفون قبله المواعيد الكاذبة .

ذكر ما قيل فى العِىّ والحَصَر

قال الله عزّ وجلّ : ﴿أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ فِى الحِلْيَةِ وَهُوَ فِى الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾، وقال تعالى إخبارا عن فرعون عند ٱفتخاره على موسى بالبيان : ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هٰذَا الَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾. قال أهل التفسير: إن موسى عليه السلام لما سمع هذا القول قال: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى وَيَسِّرْ لِى أَمْرِى وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِى يَفْقَهُوا قَوْلِى﴾ الآية، فقال الله تعالى : ﴿قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ :

وقيـل : حدّ العِىّ معنًى قصير يَحْويه لفظٌ طويل . وقال أَكْثَمُ بن صَيْفِىّ : هو أن تتكلّمَ فوق ما تقتضيه حاجتُـك . وقالوا : الفقير الناطق أغنى من الغنىّ الساكت .

وقال كسرى : الصَّمْتُ خيرٌ من عِىِّ الكلام .

وقالوا : فُضِّلَ الإنسانُ على ما عداه من الحيوان بالبيان ، فإذا نطق ولم يُفْصِح عاد بَهِيما .

وقالوا : العِىُّ داءٌ دواؤُه الخَرَسُ . ومن علامات العِىّ الاستعانة، وهى أن ترى المخاطِبَ إذا كلّ لسانه عنـد مقَاطِع كلامه يقول للمخاطَب : اسمع منّى ، أو سمعت لى، وٱفهم عنّى، وأشباه ذلك .

ومنهـم من يقول : قولى كذا، أعنى به كذا، ولا يريد التفسير، ولكنه يعيد كلامه بصيغة أخرى تكون غير مراده الأول ليُفهمَ عنه .

ومن عيوب اللسان التَّمْتَمَةُ ، والفَأْفَأَةُ، والعُقْلة، والحُبْسَةُ، واللَّفَف، والرُّتَّةُ، والغَمْغَمة، والطَّمْطَمة ، واللُّكْنَةُ، والغُنَّة، واللَّثْغَة . فالتمتمة، قال الأصمعىّ : إذا تَعْتَع فى التاء فهو تَمْتَام، وإذا تردّد فى الفاء فهو فَأْفَاء . قال الراجز :

ليس بفَأْفَاءٍ ولا تمتـام * ولا كثيرِ الهُجْرِ فى الكلامِ (١)

والعُقْلة : التواء اللسان عند الكلام . والحُبْسَةُ : تعذّر النطق، ولم تبلغ حدّ الفأفاء ولا التمتام . ويقال : إنهـا تعرض أوّل الكلام، فإذا مرّ فيـه انقطعت . واللَّفَفُ : إدخال بعض الكلام فى بعض . وقال الراجز :

كأنّ فيه لَفَفًا اذا نَطَق * من طول تَحْبِيس وهَمٍّ وأَرَقْ

والرُّتَّةُ : اتصال بعض الكلام ببعض دون إفادة . والغمغمة : أن تسمع الصوت ولا يتبيّن لك تقطيعُ الحروف، ولا تفهم معناه . والطمطمة : أن يكون الكلام شبيها بكلام العجم، وهى حِمْيريّة، وقالوا : هى إبدال الطاء بالتاء لأنهما من مخرج واحد؛ فيقول : السُّلتان والشَّيتَان، وأشباه ذلك . قيل : وكانت فى لسان زياد بن سَلْمَى، وكان خطيبا شاعرا كاتبا . واللُّكْنَةُ : إدخال بعض حروف العرب فى حروف العجم، وتشترك فيهـا اللغة التركية والنبطيّة؛ وهى إبدال الهاء حاءً، وانقلاب العين همزة، وكانت فى لسان عُبَيد الله بن زياد، وصُهَيب الرومىّ صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل : إن مولًى لزياد، قال له : أيها الأمير، أَهْدوا لنا هِمَارَ وَهْش : يريد : أهدوا لنا حمارَ وحشٍ؛ فلم يفهم زياد عنه، وقال : ويلك ! ماذا تقول :

(١) رواية العقد الفريد (ج ١ ص ٢٩٤) فى هذا الشطر :

* ولا محب سقط الكلام *

قال : أحدوا لنا أَيْرًا : يريد عَيْرًا، فقال زياد : أرجعنا إلى الأول فهو خير . والغُنَّة أن يشرب الصـوتَ الخَيْشُومُ . والخُنَّةُ : ضرب منهـا . والترخيم : حذف بعض الكلمة لتعذّر النطق بها . واللُّثغَة : إبدال ستة حروف بغيرها، وهى : الهمزة والراء والسين والقاف والكاف واللام ؛ أمّا ٱلّتى تعرض للهمزة فهى إبدالها عينا، فإذا أراد أن يقول : أنت، قال : عَنْتَ، وهى مستعملة فى لسان التُّكْور. وأما التى تعرض ٥ فى الراء، فهى ستة أحرف، فمنهم من يجعلها غينا معجمة فيقول (عُمَغ) : يريد عُمَر، وهى غالبة على لسان أهل دمشق؛ و إذا ٱجتمعت الراء والغين فى كلمة كقولهم: رغيف، قالوا : (غريف) ، وفَغَرْت بمكانِ فرغت، فيبدلون كلّ حرف بالآخر . قيل : وكانت فى لسان محمد بن شَبِيب الخارجىّ، وواصل بن عَطَاء المعتزلىّ، وكان لٱقتداره على الكلام ، وغزارة مادّته منه يتجنب النطق بها . وفيـه يقول الشاعر ١٠ من أبيات :

ويجعـل البُرَّ قمحا فى تصــرُّفه * وجانبَ الرَّاء حتى ٱحتال للشّـعرِ

ولم يُطِقْ مَطَرًا والقـولُ يُعجله * فعـاذ بالغَيْث إشفاقا من المَطَرِ

ومنهم : من يجعلها عينا مهملة، فيقول فى أزرق : أزعق، وهى فى لسان عوامّ أهل دِمَشق . ومنهم : من يجعلها ياءً، فيقول فى عُمَر : عُمَى . ومنهم : من يبدلها ١٥ بالظاء أخت الطاء . ومنهم : من يبدلها همزة، فإذا أراد أن يقول : رأيت، قال : أَأَيْتُ . وأما التى تعرض للسـين فإنهم يبدلونها ثاء، فيقولون : باثم الله، ويُثْرة الله، إذا أرادوا باسم الله ، ويُسْرة الله، أو أشـباه ذلك. وهى مستحسـنة فى الجوارى والغلمان . قال الشاعر :

وأهيف كالهلال شكوتُ وَجْدى * إليــه لِحُسْـنِه وأطاتُ بَثِّى ٢٠

وقلت له فدتْك النفسُ صِـلْنِى * تحـرْ فىَّ الثـوابَ فقال بَثِّى

وأما التى تعرض للقاف ، فإن صاحبها يجعل القاف طاءً، فإذا أراد أن يقول : قال، وقلت، نطق : بِطاَل، وطُلْتُ، وهى نبطية، وكانت فى لسان أبى مُسْلم صاحب الدعوة، وعُبَيد الله بن زياد . ومنهم من يجعلها كافا فيقول : كَال وكُلْت . وأما التى تعرض للكاف، فمنهم من يجعلها همزة، فيقول : أأف . ومنهم من يبدلها تاء، فيقول : تَانَ، إذا أراد : كان . وأما التى تعرض فى اللام، فمنهم من يبدلها ياءً، فيقول : اعتَيَيْتُ ، بمعنى اعتللت ، و يقول فى جَمَل : جمى ، و إذا أقسم بالله، يقول : و يَاه . ومنهم من يبدل الخاء المعجمة حاءً مهملة، فيقول فى خَوْخ : حَوْح، وتُستحسن فى الغِلْمان والجوارى . ومنهم من يبدل الجيم ضادًا ، فإذا اجتمع لأحد فى كلمة جيم وضاد، مثل ضجر، ونضج، قال : جضر، ونجض . والحمد لله وحدَه !

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث فى أحد الأصلين الفتوغرافيين

كمل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب، يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول الجزء الرابع منه : "الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثانى فى المجون والنوادر والفكاهات والملح" والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

صورة ما ورد بآخر الجزء الثالث فى الأصل الآخر الفتوغرافى

كمل الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب على يد مؤلفه، فقير رحمة ربه أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم البكرى التيمى القرشى المعروف بالنويرى عفا الله عنه . ووافق الفراغ من كتابته فى يوم الثلاثاء المبارك لاثنتى عشرة ليلة خلت من صفر عام اثنتين وعشرين وسبعمائة ، يتلوه — إن شاء الله تعالى — فى أول الجزء الرابع : الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثانى فى المجون والنوادر والفكاهات والملح .

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وحسبنا الله ونعم الوكيل

(مطبعة الدار ٤٨٣ / ١٩٢٧ / ١٠٠٠)